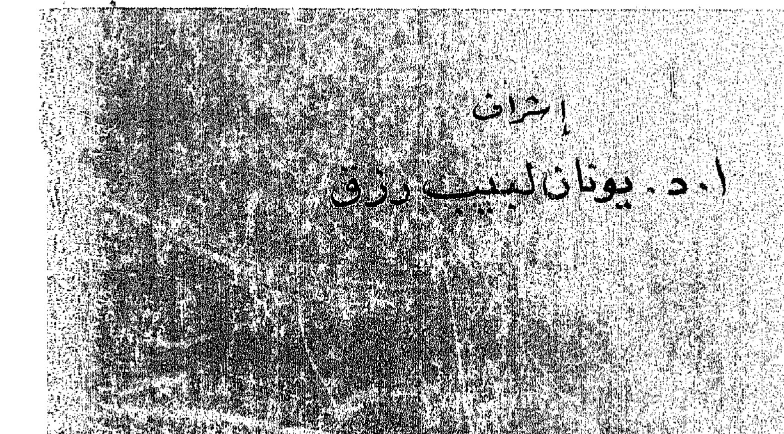
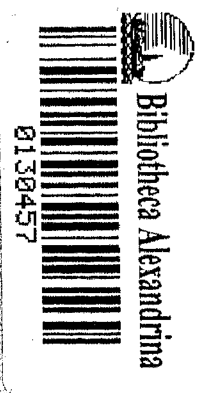
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية

الجزء الثاني








Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

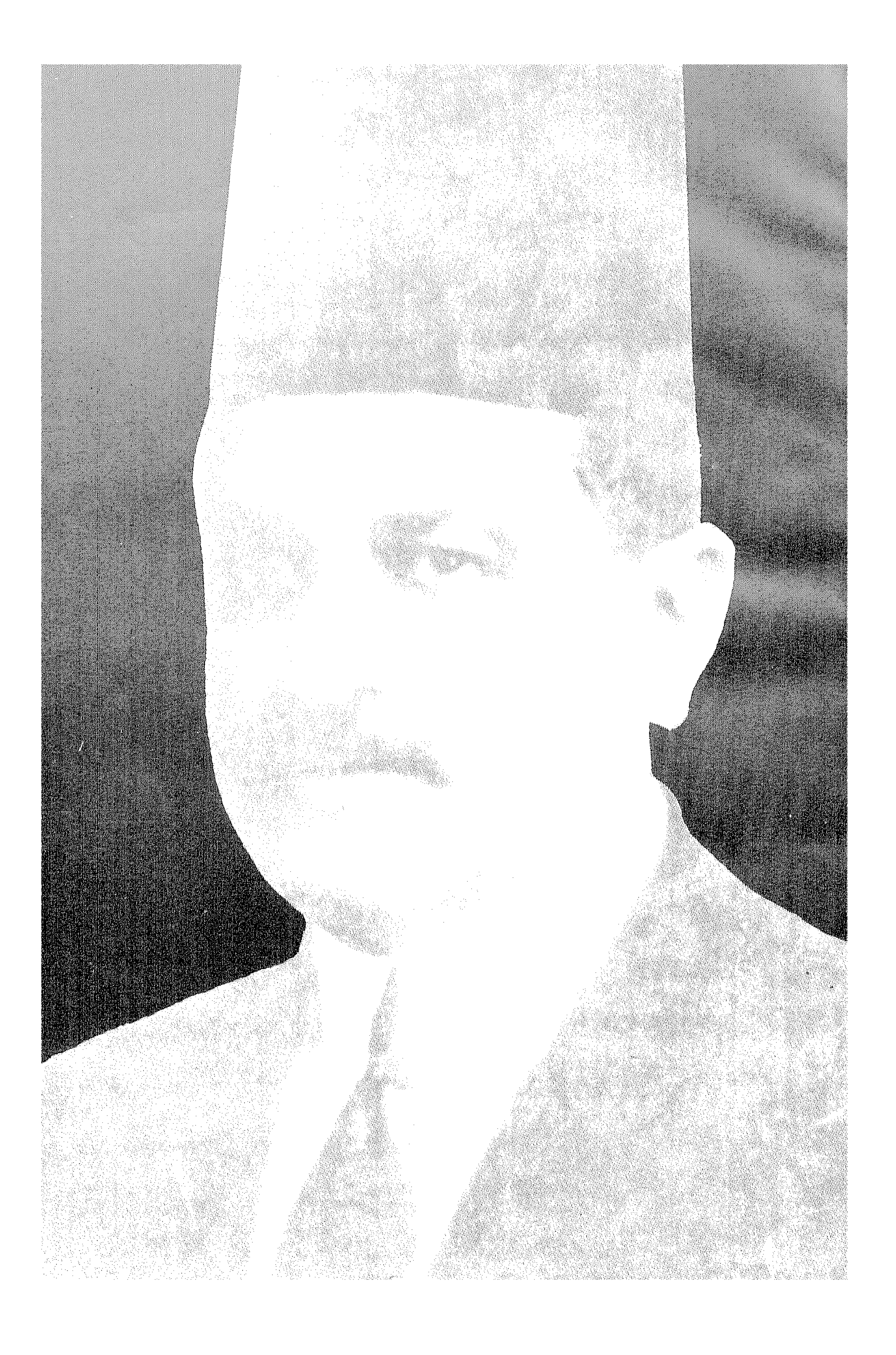
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات

عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية







مذكرات

عبد الرحمن فهمي

يوميات مصر السياسية

الجزء الثانى

الحصار

يوليه ١٩١٩ - مارس ١٩٢٠

إشراف وتحقيق

ا.د. يونان لبيب رزق

الباحثون

جمال الدين أمين مهنا

ماجدة سليم شرقاوى

مسئولة عطية على



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

● الاخراج الفنى :

● فاتن رضـــا

تقديم

يسرني أن أقدم للقـارىء الكريم هـذا الجزء الثانى من مذكرات عبد الرحمن فهمى ، وهو اشراف وتحقيق الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، المؤرخ المعروف والأستاذ بكلية البنات جامعة عين شمس ، والمتخصص فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وصاحب العديد من المؤلفات العلمية القيمة ٠ وقد أشرف على الجزء الأول وقام بتحقيقه ٠

ومذكرات عبد الرحمن فهمى فهى ذات خصوصية بين مذكرات السياسيين والزعماء ، فمن اطلاعى عليها عند اعداد كتابى : « مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر » ، الذى صدر فى عام ١٩٨٤ تبينت أنه لم يكن يقصد كتابة مذكرات بالمعنى المقصود من المذكرات ، وانما كان يقصد وضع كتاب عن « الحركة الوطنية » يتتبع فيه تاريخها وأحداثها منذ ثورة ١٩١٩ ٠ وهذا ثابت ـ على كل حال ـ من المقدمة التى كتبها ، فلم يدع فيها أنه يكتب مذكراته ، وانما يكتب عن « الحركة الوطنية » وتفاصيلها ٠

على أنه لما كان عبد الرحمن فهمى قد لعب دورا أساسيا فى أحداث الثورة والحركة الوطنية ، فقد تعرض لدوره فى نسيج الأحداث ، تماما كما كان يفعل عبد الرحمن الرافعى فى تاريخه فى كثير من الأحيان ٠

ومن هنا فلا يجب على القارىء أن يتوقع قراءة مذكرات من أمثال مذكرات محمد فريد أو سعد زغلول تدور حول صاحبها ، ويلعب كاتبها فيها الدور الرئيسى بمشاهداته ومقابلاته وأعماله السياسية ، وانما هى

مذكرات ترصد كفاح الشعب المصرى وقيادته الممثلة فى الوفد من أجل الحرية والاستقلال والغاء الحماية البريطانية ، وتسجل مظاهر نشاط الوفد ، ونصوص المذكرات التى قدمها ، وبياناته الى الأمة ، والوثائق التى صدرت من غير الوفد مثل دار الحماية والمراسيم السلطانية بتأليف الوزارات ، والهيئات والجماعات التى اشتركت فى الحركة الوطنية وما صدر عنها من بيانات وما دار فى اجتماعاتها من مناقشات ، مثل الاجتماع العظيم الذى عقد فى الكنيسة المرقسية الكبرى يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩ احتجاجا على قبول يوسف وهبة باشا القبطى رئاسة الوزارة ، وغير ذلك من أوجه نشاط الحركة الوطنية ٠

فى كل ذلك لم يكن دور عبد الرحمن فهمى فى الأحداث دور المشاهد ، وانما كان دور المحرك فى كثير من الأحيان ، باعتباره سكرتير عام لجنة الوفد المركزية فى مصر ، وقائد العمل السرى الموجه ضد الاحتلال ، والرجل الذى تربطه بسعد زغلول صلة خاصة تتمثل فى المراسلات السرية بينهما ، التى يتلقى فيها تعليمات لا يحب سعد زغلول أن تصل الى أعضاء اللجنة المركزية الآخرين ، ويرسل فيها عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول أخبارا بنشاطات لا يحب بدوره أن يعرفها الأعضاء الآخرون (وقد قدمنا فى ذلك دراسة موسعة منذ نحو ثلاثين عاما فى كتابنا : « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ » وهو أصل رسالتنا العلمية التى حصلنا بها على درجة الماجستير سنة ١٩٦٤ (ص ١٥٨ ـ ١٧٥ ، ٢١٦ ـ ٢٤٧) ٠

على أن عبد الرحمن فهمى لم يكن كأى سياسى عادى ممن يمارسون نشاطهم دون تسجيل ، وانما كان صاحب أرشيف منظم يضم كل ما صدر عن الحركة الوطنية من بيانات وخطب وبلاغات ومذكرات وتقارير ومراسلات وتصريحات وغيرها ، وقد ساق ذلك كله وحشده بشكل رائع فى كتابه ، الذى يتخذ شكل « مذكرات » حين يتحدث فيه عن دوره ، وشكل « كتاب » عن الحركة الوطنية حين يتحدث عما قام به غيره ٠

ومع ذلك فمن المذهل أنه عندما تعرض لدوره فى مقاطعة لجنة ملنر ، وهو أخطر أدواره ، لم يكن دقيقا على نحو يمكن الاعتماد عليه ، ونسب الى سعد زغلول ما لم يحدث منه !

فقد أورد أنه لما قررت الحكومة الانجليزية ايفاد هذه اللجنة الى مصر لتحقيق أسـباب الاضطرابات التي وقعت بها ، جاءه من سـعد باشـا زغلول خطاب فيه ما يلي :

« لابد وأن تكونوا عرفتم أن الحكومة الانجليزية قررت ارسال لجنة الى مصر لتحقيق سبب الاضطرابات ، وانه خوفا من أن يتقابل معها نفر من المستضعفين الذين لا يدينون بمبـادىء الوفد ، أرجوكم العمل على تشكيل لجنة من أناس معروفين ومتفقين مع الوفد فى مبادئه ، كى تتكلم مع اللجنة المذكورة باسم الوفد » !

وقد رأى عبد الرحمن فهمى أن أصلح رجل يقوم برياسة هـذه اللجنة المصرية هو عدلى باشا ، فقابله وكلمه فى الموضوع ، فلم يقبل ، فألح عليه وزاره بعد اسبوع لهذه الغاية ، ولكنه كرر الرفض . وبعد انصرافه من عند عدلى باشا ــ حسب قوله ــ جالت بخاطره فكرة المقاطعة ، فكتب بها الى سعد زغلول ، وصادف أن وصل الخطاب أثناء عقد جلسة من جلسات الوفد ، فقرأه عليهم ، فصادف قبولهم .

ومن هذه الرواية التى سجلها عبد الرحمن فهمى فى مذكراته نلاحظ أمرين : الأول أنه نسب الى سعد زغلول أنه كان من رأيه فى البداية تأليف لجنة من المصريين لمقابلة لجنة ملنر . والثانية ، أن عبد الرحمن فهمى لم ينصح لسعد زغلول بفكرة المقاطعة الا بعد مقابلته الثانية لعدلى باشا .

على أنه لما كان من غير المعقول فى نظرنا أن تخطر ببال سعد زغلول فكرة تأليف لجنة تتكلم مع لجنة ملنر باسم الوفد ، لأن هذه الفكرة لا تتفق مع خطة الوفد التى كانت تقوم على أن المسألة المصرية مسألة دولية وليست مسألة ثنائية بين مصر وبريطانيا ، وأن تحويل المسألة المصرية الى مسألة ثنائية معناه أن أى حل تتوصل اليه مصر مع بريطانيا سوف يقوم على أساس الحماية ــ لذلك فقد دعانا ذلك الى تحقيق صحة ما كتبه عبد الرحمن فهمى فى مذكراته ، وعقد المقارنة بين ما أورده من النص السالف الذكر وما ورد فى الرسائل المتبادلة بينه وبين سعد زغلول .

وقد توصلنا الى أن ما نسبه عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول من أنه كلفه « بتشكيل لجنة من أناس معروفين ومتفقين مع الوفد فى مبادئه كى تتكلم مع اللجنة المذكورة باسم الوفد » لم يحصل أصلا ! وقد نفى سعد زغلول ذلك فى رسالته التى أرسلها الى عبد الرحمن فهمى فى أول أغسطس ١٩١٩ ، فذكر أن تأليف لجنة أو لجان من أجل مفاوضة لجنة ملنر ، أو لجمع الاستعلامات ، « لم يكن هناك محل للفكرة فيها أصلا » ! (انظر نص الرسالة فى كتاب د · محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (ص ٦٦ ـ ٦٧) ·

وحقيقة المسألة أن سعد زغلول كتب الى عبد الرحمن فهمى فى تقريره الثامن (وهو مفقود وتاريخه بين ٤ يولية و ٢٢ يولية ١٩١٩ ـ بين التقرير السادس والتقرير العاشر) يطلب اليه « البحث عن أكفاء من الوطنيين يحضرون تقريرا بحقيقة مساوىء الادارة الانجليزية لمصر لتقديمه للجنة ملنر » (رسالة عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى ١٠ أغسطس ١٩١٩ ، نفس المصدر ص ١٢١) ·

وكان سعد زغلول يريد بهذا التقرير أن يرد به على ما عساه يصدر من « لجنة ايموس » ، وهى لجنة تألفت فى مصر من كبار الموظفين الانجليز تحت رياسة اللورد « رالمنى » الموظف بدار الحماية ، ومن ضمن أعضائها المستر « ايموس » المستشار القضائى بوزارة الحقانية المصرية ، وغرضها العمل على جمع المعلومات وتقديمها للجنة ملنر عند قدومها الى مصر ·

على أن عبد الرحمن فهمى أخطأ فهم رسالة سعد زغلول ، فقد ظن أن الوفد رفض الفكرة التى اقترحها بمقاطعة لجنة ملنر ، وأخذ يتصرف ـ من ثم ـ على هذا الأساس ، فعمد الى تشكيل « لجنة من المصريين الأكفاء لتحضير وتجهيز اللازم لمقابلة لجنة ملنر » ! وكتب الى سعد زغلول بذلك يوم ٢٢ يولية · وفى اليوم التالى ٢٣ يولية كتب الى سعد زغلول يخبره بأن تشكيل اللجنة « ربما يتم اليوم » ! وستعرض رياستها على سعادة عدلى باشا !

وقد أزعجت هذه التقارير سعد زغلول باشا ، نظرا لأنه كان قد أبدى لعبد الرحمن فهمى استحسان الوفد لفكرة المقاطعة فى رسالة أرسلها اليه بتاريخ ٢٥ يولية (ولم تكن هذه الرسالة قد وصلت الى عبد الرحمن فهمى بعد) فكتب اليه فى يوم ٤ أغسطس ١٩١٩ يقول :

« ان اللجان التى شرعتم فى تأليفها ، سواء كان للمفاوضة مع لجنة ملنر ، أو لجمع الاستعلامات ، لم يكن هناك محل للفكرة فيها أصلا ، بل ان هذه الفكرة مضرة ضررا بليغا بالأمة . ولذلك نرجو أن تعدلوا عنها ، لأنه يخشى أن المفاوضة مع الانجليز بدون واسطة الوفد يكون من ورائها استدارج ، و « زحزحة » للمسألة المصرية من مركزها زحزحة توجد خيبة الأمل ... ولم يكن استغرابنا من تشكيل لجنة لهذه الغاية بأقل من استغرابنا لفكرة طلب مساعداتها من الجنرال اللنبى ، لأن مجرد هذا الطلب انحراف عن المواقف الذى وقفت الأمة فيه حتى الآن » .

وفى تلك الأثناء وصل الى عبد الرحمن فهمى تقرير سعد زغلول المؤرخ ٢٥ يولية ، الذى يبدى فيه استحسانه لفكرة مقاطعة اللجنة ، فكتب الى سعد زغلول فى ١٠ أغسطس يعلن أنه قد أوقف كل عمل ، ويوضح سبب سوء الفهم فيقول :

« بوصول تقريرى الوفد نمرة ١٠ و ١١ المؤرخين فى ٢٣ و ٢٥ يوليو الماضى ، وجدنا بأحدهما استحسان الوفد للفكرة القديمة التى سبق عرضناها على الوفد من مدة طويلة ، وهو استحسان عدم مقابلة اللجنة الانجليزية وعدم مفاوضتها . وعلى ذلك أوقفنا كل عمل حتى يحضر النحاس بيك ، ونعرف ما تريدونه تماما ، لأن ما جاء بتقرير الوفد نمرة ١١ ، وهو استحسان فكرة عدم المفاوضة اللجنة الانجليزية ، يخالف ما سبق جاء بتقرير الوفد نمرة ٨ المطلوب به البحث عن أكفاء من الوطنيين يحضرون تقريرا بحقيقة مساوىء الادارة الانجليزية بمصر لتقديمه للجنة ملنر » .

ولسنا ندرى السبب الذى دعا عبد الرحمن فهمى الى ذكر معلومات خاطئة فى مذكراته تنسب الى سعد زغلول تهمة خطيرة تخالف خطة الوفد ،

وهى تكليفه بتأليف لجنة من المصريين لمقابلة لجنة ملنر ! فهل كان هذا الخطأ مقصودا أو أنه كان بفعل عامل النسيان ، حيث كتب عبد الرحمن فهمى مذكراته بعد وقوع الأحداث ؟ على أننا نلاحظ أن عبد الرحمن فهمى سبق له أن نشر هذا الجزء من مذكراته بصورة مختصرة ومختلفة فى مجلة « الدنيا المصورة » عدد ٧ يناير ١٩٣١ ، فذكر أن سعد زغلول أرسل اليه يطلب منه أن يؤلف لجنة برئاسة أحد كبار المصريين الذين تحترمهم انجلترا لمحادثة ملنر فى شأن مطالب البلاد » ! ٠

وهذا التاريخ (يناير ١٩٣١) يجعلنا نرجح سوء الظن ، لأن علاقة سعد زغلول بعبد الرحمن فهمى كانت قد ساءت وانقطعت بما يمكن أن يدفع عبد الرحمن فهمى الى نسبة هذه التهمة لسعد زغلول ، ولأن مثل هذه القضية مما يصعب حدوث الخطأ فيها من جانب عبد الرحمن فهمى ، اذ كانت أخطر قضية فى تاريخ الحركة الوطنية ، وكان خروج عبد الرحمن فهمى من الوفد قد عزله عن الحركة الجماهيرية بعد كل ما لعبه فيها من دور مشرف ٠

وعلى كل حال فقد كتب عبد الرحمن فهمى مذكراته فى ٤٦٤٠ صفحة وفقا لترقيم صفحات الملفات التى بلغت ٤٢ ملفا تقع فى ست محافظ ، علما بأن الملف رقم ٣٨ غير موجود ، ومثبت نقصه فى محضر الاستلام ، مع عدم تسلسل صفحات ملفات مثل ٥ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ٢٥ ، وتتناول المحافظ الملفات من ٢٩ الى ٤٢ ــ فيما عدا الملف ٣٨ الناقص لسبب غير معروف ، وقد يكون لخطأ فى الترقيم ٠

والمهم هو أنه على عكس مذكرات سعد زغلول التى كتبها بخط لا يقرأ الا بصعوبة بالغة ، لأنه كتبها لنفسه وليس للنشر ، فان مذكرات عبد الرحمن فهمى قد كتبت بخط جميل بالقلم الكوبيا ، لعكس السبب الذى من أجله كتب سعد زغلول مذكراته بخط ردىء ، وهو أن عبد الرحمن فهمى كتب مذكراته للنشر ! ومن هنا كان عليه كتابتها بخط مقروء ٠

وعلى كل حال فلا يسع اللجنة العلمية المشرفة على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الا أن تعرب عن سعادتها بظهور هذا الجزء الثانى الذى يصدر بعد أربعة أعوام من صدور الجزء الأول الذى صـدر عام ١٩٨٩ ، وترجو أن يصدر الجزء الثالث في وقت أقرب ، لينتفع به الباحثون فى التاريخ خاصة ، والمثقفون بصفة عامة ، وتحيى الجهد الذى بذله الدكتور يونان لبيب رزق فى الاشراف والتحقيق ٠
والله الموفق ؟

أول سبتمبر ١٩٩٢

رئيس اللجنة العلمية المشرفة على
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر
ا٠ د٠ عبد العظيم رمضـــان



مقدمة

هذا هو الجزء الثانى من مذكرات عبد الرحمن فهمى ، وهو يضم الفترة من يوميات مصر السياسية التى تبدأ من ٦ يونيو عام ١٩١٩ وتنتهى يوم ٦ مارس عام ١٩٢٠ ، أى أنه يضم تسعة شهور بالتمام والكمال من تاريخ مصر وتاريخ عبد الرحمن فهمى ٠

وتبدو أهمية هذا الجزء من أنه يضم أعرض فترات المذكرات التى كان عبد الرحمن فهمى خلالها شخصية فاعلة ٠٠

فالجزء السابق عليه الذى ضم أقل من ثلاثة شهور من أحداث الثورة والتى تفجرت يوم ٩ مارس عام ١٩١٩ بشكل تلقائى لم يكن لأحد من الزعامات يد فيه ، الأمر الذى عبرت عنه الدهشة التى استقبل بها الزعماء المنفيون فى مالطة أحداثها ٠٠ هذا الجزء كانت صلة هؤلاء به بمن فيهم عبد الرحمن فهمى صلة الرصد قبل صلة الصنع ، وصلة رد الفعل قبل صلة الفعل ٠

أما فى هذا الجزء الذى بين أيدينا فالواضح أن قيادات الثورة على رأسها صاحب المذكرات كانت قد استوعبت الأحداث العظيمة التى جرت وأمسكت بدفتها وأخذت توجه الأمور الى المسار الذى يصل بهذا الحدث الى أهدافه المرجوة الاستقلال الوطنى ، وكان عبد الرحمن فهمى أهم هؤلاء الممسكين !

ولا تبدو أهمية تلك الفترة التى يتضمنها الجزء الثانى فحسب بمقارنتها بالفترة السابقة عليها ، بل أيضا بمقارنتها بالفترة اللاحقة عليها ٠٠

ذلك أنه لم يمض الا أكثر من ثلاثة شهور قليلا (٦ مارس ـ أول يوليو ١٩٢٠) حتى تم القبض على عبد الرحمن فهمى فيما عرف بقضية « المؤامرة الكبرى » حيث بقى رهن السجن لنحو أربع سنوات تعطل خلالها بالطبع دوره فى العمل الوطنى حتى خرج من السجن فى عهد وزارة سعد.

زغلول عام ١٩٢٤ حين عاد الى معترك السياسة وبشكل مختلف عن ذلك الشكل الثورى الذى خاضه خلال الفترة السابقة على السجن ·

اذن فان فترة الشهور التسعة التى يضمها هذا الجزء هى أهم فترات المذكرات ابرازا لدور صاحبها خلال ثورة ١٩١٩ ·

ورغم حرص عبد الرحمن فهمى بامتداد مذكراته على أن يرصد من « العام » أكثر مما يرصد من « الخاص » ، وذلك لأسباب أهمها نابع من رغبة الرجل على عدم الكشف عن دوره فى قيادة التنظيم السرى للثورة الا أنه لم يتمكن من الالتزام بهذا الحرص فى الفترة من الأحداث الثورية التى يتضمنها هذا الجزء من المذكرات ·

يقودنا ذلك الى تفسير أسباب اختيار عنوان هذا الجزء من يوميات مصر السياسية ·· الحصار !

فى تقديرنا أن أهم ظاهرة تميزت بها تلك الفترة التى يضمها هذا الجزء من المذكرات هى أن كلا من جانبى الصراع ، البريطانى والمصرى ، سعى الى أن يفرض حصارا على الآخر ·

البريطانيون حاولوا أن يفرضوا حصارا على الوفد المصرى فى باريس من خلال قطع كل وسائل الاتصال عنه مع القوى المؤثرة فى المؤتمر خاصة بعد أن نجحوا فى استصدار القرارات من هذه القوى بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر ، والمصريون ردوا على الحصار بحصار متمثلا فيما فرضوه على لجنة التحقيق التى جاءت الى القاهرة والمعروفة بلجنة ملنر ·

وقد جرت اللعبة طوال هذه الفترة فى أن كلا من الطرفين كان يعمل كل أدواته لاحكام الحصار على الطرف الآخر فى الوقت الذى يسعى خلاله الى رفع الحصار عن نفسه ، وهو الأمر الذى يتمكن منه أى طرف ، فالحصار لم يرفع الا بعد أن تيقن الجانب البريطانى أنه ليس أمامه الا أن يتفاوض مع الوفد المصرى فى باريس مما كان ايذانا برفع الحصار ، عن الجانبين !

ويكشف هذا الجزء من المذكرات عن الدور البالغ الأهمية الذى لعبه صاحبها فى هذه العملية ، فقد كان قائد عملية الحصار الحقيقى فى مصر هو عبد الرحمن فهمى ، وقد أدى نجاحه فى قيادة هذه العملية الى نجاح الثورة نفسها ، فهذا النجاح هو الذى أدى فى النهاية الى تسليم الجانب

البريطاني برفع الحصار عن الوفد المصرى فى باريس بقبوله توجه هذا الوفد الى لندن وبدء التفاوض مع المسئولين البريطانيين ٠

أهم مظاهر هذا الدور فى حملة المقاطعة التى قادها عبد الرحمن فهمى للجنة ملنر ٠٠

وقد دار منذ وقت خلاف حول ماهية صاحب فكرة المقاطعة ٠٠

الدكتور محمد حسين هيكل قال فى مذكراته تعليقا على أخبار ارسال اللجنة :

« أما الوفد فلم يرد منه أى توجيه بشأن اللجنة وموقف المصريين منها ٠ وأما لجنة الوفد فى مصر فظلت فى حيرة ٠ وأن الناس لكذلك ، اذ نشرت جريدة النظام التى كان يصدرها سيد أفندى على يومئذ اقتراحا موقعا من رجل مجهول يدعو فيه المصريين جميعا الى مقاطعة لجنة ملنر » (١) ٠

وعلى الجانب الآخر يفند الدكتور عبد العظيم رمضان هذا الرأى ويعزو الفكرة الى الوفد والى عبد الرحمن فهمى بالذات ، والذى أرسل بها الى سعد فى باريس فاطلع أعضاء الوفد عليها فلقيت قبولا منهم (٢) ٠

ونحن نقبل ، رأى الدكتور عبد العظيم على ضوء حقيقة بسيطة وهى تلك الخصومة التى كانت قائمة بين هيكل والوفد ، والتى كان يمكن أن تغرى الرجل على ترجيح الرأى القائل بأن فكرة المقاطعة قد صدرت عن غير الوفد ، فضلا عن سائر الأدلة التى قدمها للتدليل على صحة رأيه ٠

يرجح هذا القبول شهادة عبد الرحمن فهمى نفسه والتى جاء فيها بعد الحديث عن جهوده فى تشكيل لجنة مصرية لتتفاوض مع لجنة ملنر ٠٠ جاء قوله :

« بعد انصرافى من عنده (يقصد عدلى يكن) جالت بخاطرى الفكرة الآتية : ولماذا نشغل أنفسنا بتحضير لجنة تقابل لجنة اللورد ملنر اذا كانت هذه اللجنة تتخطى وفد الأمة وتحضر الى مصر بدون أن تحسب له أى حساب ؟ ولماذا لا يقاطع كل مصرى هذه اللجنة كما قاطعت هى الوفد المصرى بتخطيه والحضور الى مصر ؟

---

(١) دكتور محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٨٤ ٠

(٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ص ٢٢١ ٠

« جالت بخاطرى هذه الفكرة أكثر من مرة وكنت كل مرة ازداد ثقة بصلاحيتها ولذلك كتبت لسعد باشا عن نتيجـة مقابلتى لعدلى باشا يكن ثم أعقبت ذلك بفكرة المقاطعة » (١) ٠

اذن ففكرة مقابلة المقاطعة بالمقاطعة ٠٠ مقاطعة الوفد المصرى فى باريس كانت الأساس فى مقاطعة لجنة ملنر فى القاهرة ، وجاءت الخطوة التالية بفرض الحصار على هذه اللجنة فى العاصمة المصرية على نفس النهج الذى اتبعته حكـومة لندن حيال الوفد المصرى فى العاصـمة الفرنسـية ٠

واذا كان عبد الرحمن فهمى صاحب المبادرة فى فكرة المقاطعـة فقد كان أيضا وبنفس القدر صاحب الزمام فى فرض الحصار على وجود اللجنة البريطانية فى العاصمة المصرية مما يشى به هذا الجزء من المذكرات وفى أكثر من موقع ٠٠

يعترف الرجل فى أحد هذه المواقع أنه كان وراء حركة المقاطعـة للجنة أينما ذهبت أو ذهب عضو منها فيعلق على ذهاب عضوين منها الى مديرية الغربية « لاختبار الحال فيها واستدراج من يمكن استدراجهم لاعطاء أقوالهم الى اللجنة » بقوله : « فلما وصل هذان العضوان وجدا الجـو أكثر اكفهرارا من جو مصر ٠ اذ انى اتخذت فى كل البلاد التى زارتهـا اللجنة كل الطرق لمقاطعتها واتبعت فيها تلك الطريقة التى ابتدعتها فى القاهرة وهى مراقبة من يذهبون لمقابلة أعضاء اللجنة وأخذ تصريح كتابى منهم بما أفضوا به اليهـا » ٠

يعترف فى موقع آخر بالحظر الذى فرضه على أى سياسى تساوره نفسه فى الاتصال باللجنة فيما أشار اليه من محاولة « الحزب الحـر المستقل » الذى كان يرأسه محمد عرفى باشا ، وكيف أنه وضع هذا الحزب تحت المراقبة الى الحد الذى « حل أعصاب أعضائه » ، ثم اتخذ من الطرق والأساليب ، على حد تعبيره « ما جعل معظم أعضاء هذا الحزب ينفض من حول مؤسسيه الخونة » (٢) ٠

ووصل الأمر بعبد الرحمن فهمى الى شن حرب أعصاب على أعضاء اللجنة أنفسهم ، ويروى فى هذا الصدد قصة طريفة ، وهى أن بعضا من هؤلاء كانوا قد ذهبوا الى عزبة يملكهـا انجليـزى ، هو المسـتر فيشر ،

---

(١) انظر نص هذه الشهادة فى المذكرات ص ٥١٧ ٠

(٢) المذكرات ص ٧٠٠ ٠

بجهة الصف للتنزه » ولكن الأهالى هناك لم يتركوهم لينعموا بلذة الراحة » (١) .

وبينما كان يقوم عبد الرحمن فهمى باحكام الحصار حول اللجنة وبمختلف الوسائل كان يحرك الجماهير ، وهى لعبة الرجل المفضلة ، فى مظاهرات عارمة ضدها فضلا عن تعبئته للمجالس الدستورية التى كانت قائمة وقتذاك .

وسعيا وراء اكتساب الشرعية فقد حرص الوفد طول الوقت على التحرك فى اطار هذه المجالس ..

فالمعلوم أن الزعماء الثلاثة الذين توجهوا فى ١٣ نوفمبر عام ١٩١٨ لمقابلة المندوب السامى البريطانى قد ذهبوا اليه بصفتهم أعضاء فى الجمعية التشريعية ، رغم أنها كانت معطلة .

والمعلوم أيضا أنه بعد تعطيل هذه الجمعية فالمجالس الدستورية الوحيدة التى ظلت قائمة كانت مجالس المديريات ، وفى اتجاه هذه المجالس تحرك عبد الرحمن فهمى ..

فقد اجتمعت الغالبية العظمى من هذه المجالس لتتخذ قرارها بالاحتجاج على قدوم لجنة ملنر « ونعلن مقاطعتنا لها لأننا وكلنا عنا الوفد المصرى فى طلب الاستقلال التام » (٢) .

وكما لاحظنا فى التحقيق فان نص الاحتجاج لهذه المجالس كان واحدا تقريبا مما يشى بأن محررها كان واحدا ، وقد كان عبد الرحمن فهمى نفسه .

ولم يكن متوقعا بعد كل هذا الحصار الذى فرضه صاحب المذكرات على اللجنة الا أن تفكر فى البديل وقد قدم هو نفسه هذا البديل ..

ففى بيان أصدرته لجنة الوفد يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩١٩ ووقعه كل من عبد الرحمن فهمى ومرقص حنا ردا على بيان للجنة تطلب فيه من المصريين التفاوض معها للوقوف على مطالبهم جاء :

---

(١) مذكرات ص ٨٥٨ .

(٢) مذكرات ص ٦٨٣ - ٦٩٧ .

« واذا كان الغرض الوقوف على مطالب المصريين فان هذه المطالب أصبحت معروفة معرفة تامة فى جميع أنحاء العالم وهى تنحصر فى شىء واحد هو الاستقلال التــام ٠

« أما التوفيق بين استقلالنا وبين ما لغيرنا من المصالح فالمناقشة فيه تكون مع الوفد متى كان الأساس عدم المساس بحقوقنا المقدسة » (١) ٠

وتحقق الهدف من الحصار واضطرت لجنة ملنر الى مغادرة مصر الى فلسطين ومنه ا لنــدن بعــد أن قبلت التفــاوض مع الوفــد مما كان بمثــابة فــك الحصـــار عنه هو الآخـــر فى باريس ولعبــد الرحمن فهمى قصــة أيضا مع المحاصرين فى العاصمة الفرنسية يتضمنها هــذا الجــزء ٠٠

أعضاء الوفد المصرى كانوا محاصرين فى باريس الأمر الذى حاولوا معه فى جانب التخفيف من القبضة البريطانية للحصار والذى انعكس فى جانب آخر على العلاقات بينهم والتى أصابها شروخ عــديدة ، فحصار مجموعة من الناس يظهر فى العادة أضعف ما فى النفس البشرية ٠

المهم أننا لسنا بصدد التأريخ لوضع الوفد فى باريس ، فقد تناوله كثيرون من قبل (٢) ، انما نحن بصدد تقييم دور عبد الرحمن فهمى فى مواجهة التشققات التى أخذت تصيب الوفد نتيجة لهذا الحصار ، فضــلا عن دوره فى المعاونة فى الفكاك منه ٠

والمعلوم أن عبد الرحمن فهمى كان على دراية بما يجرى فى معسكر المحاصرين فى باريس ومن خلال أكثر من قناة ٠٠

أشهر هذه القنوات كانت الرسائل المتبادلة بينه وبين رئيس الوفد سعد زغلول والتى تم نشرها بشكل أكثر اكتمالا (٣) مما تضمنته المذكرات حيث كان عبد الرحمن فهمى يقتطف منها فى مذكراته ما يراه متفقا مع السياق ٠

---

(١) مذكرات ص ٧٥٤ ٠

(٢) انظر عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ــ دوره فى السياسة المصرية ، محمود أبو الفتح ، المسألة المصرية والوفد ٠

(٣) نشرها الأستاذ الدكتور محمد أنيس أول مرة عام ١٩٦٣ تحت عنوان دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ــ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ثم أعيد نشرها بعد ذلك عام ١٩٨٨ فى سلسلة تاريخ المصريين التى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتــاب ٠

قناة أخرى فى المبعوثين الذين كانوا يأتون من باريس الى القاهرة وفى بعض الأحيان كان يتم ارسال بعض المبعوثين خصيصا لعبد الرحمن فهمى ليكون على بينة بما يجرى فى العاصمة الفرنسية ٠

ويشير هذا الجزء الذى بين أيدينا كيف أن الوفد كان قد قرر ارسال مصطفى النحاس لابلاغ عبد الرحمن فهمى بتطورات قضية خروج اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر من صفوفه ٠

غير أن القناة التى لم تكن معلومة والتى يكشف عنها هذا الجزء من مذكرات عبد الرحمن فهمى أنه كان له عيون على الوفد فى باريس من داخله يتسقط من خلالها أنبائه !

يشير عبد الرحمن فهمى الى « الخطاب الخاص » الذى تسلمه ممن أسماه « مصدر ثقة محنك بالوفد » (١) ، والذى جاء فى موقع منه « وهذا ما شممت رائحته أخبركم به بصفة غير رسمية ، ذلك لأنى أخذت عليكم عهدا ألا يعلم بالسر الدفين أحد الا أنتم » ٠

فى موقع آخر يشير مرة ثانية الى « الخطاب الخاص » الذى « جاءنى من أحد أعضاء الوفد البارزين » والذى جاء فى آخره القول : « لا حاجة للتذكير بالمحافظة على سرية هذه الأخبار والسلام عليكم وللاخوان جميعا » (٢) ٠

ونلاحظ فى هذه الخطابات أنها كانت تتناول قضية الخلافات الناشبة بين أعضاء الوفد فى باريس ، خاصة الجناح الذى يمثل الحزب الوطنى يمثله عبد اللطيف المكباتى ، والذى نجح فى استنفار طلاب باريس الموالين للحزب ضد سعد ، وبين رئيس الوفد ٠

ونلاحظ أيضا أن مرسل الخطاب كان يشكو من عدم نجاحه التام فى تسوية الخلافات « ما دام سعد باشا لا يتساهل وهم لا يفهمون معنى تضحية الكرامة الشخصية بين أبناء الوطن الذى يحيق به الخطر الأجنبى » (٣) ٠

---

(١) المذكرات ص ٨٣٦ ٠

(٢) المذكرات ص ٨٣٨ ٠

(٣) المذكرات ص ٨٣٧ ٠

ويقينا فان عقلية عبد الرحمن فهمى العسكرية كانت وراء خططه فى العمل على معرفة كل ما يجرى داخل معسكر المحاصرين وألا تقتصر هذه المعرفة على ما يردده بشكل رسمى من رئيس الوفد ، فهو نفسه قد اعترف بأن هذه المصادر « غير رسمية » ٠

ويقينا أيضا أن الرجل بحكم وجوده فى الداخل كان يرى أن المعرفة بما يجرى فى باريس كانت تساعده على صياغة المواقف بالداخل على نحو يحقق المصلحة الوطنية ٠

بدا ذلك فى قضية خروج اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر عن الوفد ، فقد نجح عبد الرحمن فهمى فى أن يجعل الرجلين أمثولة بعد عودتهما الى الوطن مما تحفل المذكرات بأخباره ٠٠

فهو من ناحية استطاع من خلال الهيمنة على الصحافة المصرية أن يفرض حصارا على الرجلين الى الحد الذى لم يجد معه أى منهما وسيلة لعرض موقفه على الرأى العام المصرى ٠

وهو من ناحية أخرى عرض على الرأى العام موقف الوفد من الرجلين فى بيان مقتضب ثم ترك للأقاويل التى حرص على ترويجها رسم بقية الصورة للخلاف ، والتى حاول الرجلان أن يظهرا أنه خلاف على الوسائل بينما حرص هو على ابراز أنه خلاف على الأهداف ، أو على حد تعبيره « خلاف على الخطة والمبادىء » (١) ٠

ويقرر عبد الرحمن فهمى بعد ذلك ما أصاب الرجلين من جراء خطته ، فيقول فى موقع من المذكرات ٠٠

« وكان من نتيجة هذا العمل أن بعث أقارب أبى النصر اليه بتلغراف الى باريس لو كان استلمه قبل أن يتركها لما كان ترك الوفد ولا أعماله وها هم الآن (أقاربه) فى مقدمة الأمة سخطا عليه ٠ ونتعشم أن يكون الدرس الذى يتلقيانه الآن من الأمة درسا زاجرا لهما ورادعا لغيرهما ممن يريد التلاعب بمصلحة الأمة ٠٠ » (٢) ٠

ويقول فى موقع آخر : « وهنا يجدر بى أن أعرف سعادتكم أن الرأى العام المصرى ساخط أشد السخط عليهما ولقد صدرت فى حقهما بعض

---

(١) المذكرات ص ٥٢٣ ٠

(٢) المذكرات ص ٥٢٧ ٠

نشرات غير ممضاة أسقطتهما الى الدرك الأسفل · وانى أؤكد لكم انهما لو كانا يعلمان أن شعور الأمة هكذا مع الوفد ونحو قضيتها الكبرى لما جازفا بعمل ما كان من شأنه انفصالهما عن الوفد » (١) ·

ولا نستبعد أن تكون النشرات غير الممضاة التى أشار اليها الرجل قد صدرت بايعاز شخصى منه ومن خلال الجهاز السرى للوفد الذى كان يرأسه والذى حرص على عدم الاشارة اليه ، وان كنا نعتقد أن الفتـــرة التى يعالجها هذا الجزء من المذكرات كانت أكثر فترات نشاط هذا الجهاز الأمر الذى يمكن أن نلحظ وجوده فى عملية فرض الحصار على لجنة ملنر، أو فى عملية التشهير بالمنفصلين عن الوفد ، أو فى عمليات سوف تأتى الاشارة اليها فيما بعـــد ·

وبينما كانت تجرى عملية التنديد على قدم وساق بالمنفصلين عن الوفد كانت تجرى عملية التمجيد ، على قدم وساق أيضا ، بمن استمروا على ولائهم له فيما تشير اليه المذكرات · وكان الأمران ، التنديد والتمجيد من صناعة عبد الرحمن فهمى ورجاله ·

فقد أعد عبد الرحمن فهمى استقبالا حافلا لكل من سينوت بك حنـا وجورج خياط بك حيث كانت جموع كثيرة فى انتظارهما لدى وصولهما الى محطة القاهرة ، وقبل ذلك بالمحطات الكبـــــرى فى طنطا ودمنهور وكفر الزيات وبنها ، ويعلق صاحب المذكرات على أسباب اعداد هذا الاستقبال بأنهما حائزان على رضاء الوفد ، أو كما قال بالحرف الواحد ··

« قصدنا بكل هذه الحفاوة أن نعطى درسا آخر ومثلا أعلى لمن يقوم بخدمة بلده بالأمانة ويعود الى وطنه بالاتفاق مع زملائه · وبالجملة كانت مظـاهرات أمس عقابا صارما لاسماعيل صـدقى وأبو النصر اللـذين انزويا فى مسكنهما انزواء المجرمين · ولا أبالغ اذا أكـدت لـكم أن السخط العـام عليهما وانهمـا أينمـا حـلا لا يصـادفان الا الازدراء والتحقـير » (٢) ·

النجاحات المتعاقبة التى أحرزها عبد الرحمن فهمى قادت الرجـل الى صدام مع سعد زغلول يتضمنه هذا الجـزء من المذكرات ·

---

(١) المذكرات ص ٥٢٩ ·

(٢) المذكرات ص ٥٣٤ ·

الصدام نتج عما خوله عبد الرحمن فهمي لنفسه من حق تعديل بيان للوفد ، بالحذف أو الاضافة ، على ضوء ما ارتآه من اعتبارات داخلية تقتضى مثل هذا التعديل ، الأمر الذى رفضه سعد زغلول وبشدة ٠

المناسبة كانت حول رأى الوفد فى مخابرات الوزراء حسين رشدى وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت مع لجنة ملنر ، والذين رأوا وجوب عودة الوفد للقاهرة للتفاوض مع اللجنة ٠

وكان رأى سعد ورجال باريس مختلفا ، وهو الرأى الذى عبروا عنه فى برقية أردفوها ببيان طلبوا من عبد الرحمن فهمى أن ينشرهما ، غير أن الرجل خشية من أن يؤدى هذا النشر الى وقيعة مع الوزراء الثلاثة، ومن منطلق درايته بالأوضاع الداخلية أكثر من أعضاء الوفد فى باريس الذين كانوا قد قضوا فى العاصمة الفرنسية أكثر من ثمانية شهور ، خول نفسه حق ادخال بعض التعديلات (١) ٠

كتب سعد الى عبد الرحمن فهمى معلقا على ما فعله بقوله ٠٠

« لعله يرد منكم ما يوضح لنا الضرورة التى حملت على ذلك ، ومن المرغوب فيه هنا أن اللجنة المركزية تتأنى فى ابداء رأيها فى المسائل الهامة حتى تراجعنا وتقف على حقيقة رأينا وأن لا تعدل فيما نكتبه لها الا بعد مراجعتنا ٠ ذلك أدعى فيما نظن لاتحاد العمل وعدم الوقوع فى التناقض الذى لا يحسن وقعه عند الناس » ٠

رد عبد الرحمن فهمى على رئيس الوفد بخطاب طويل ساق فيه مبررات التعديلات التى أحدثها وناشد سعد زغلول فيه أن يترك له الحرية فى مثل هذه الأمور ، أو كما جاء بالنص :

« فأطلب من سعادتكم باسم المصلحة العامة أن تتركوا لنا الحرية التامة فى مثل هذا التصرف خصوصا وانكم أول من يقدر تطورات الرأى العام متى كانت أيد كثيرة تلعب حوله ٠٠ » (٢) ٠

« هذا رأيى شرحته لسعادتكم فان صادف قبولا فبها والا بطبيعة الحال اننى مستعد للعمل بما تأمرون به ولكنى لا أكون مسئولا عن النتيجة » ٠

---

(١) التفاصيل فى المذكرات ص ٨٤١ ـ ٨٥٠ ٠

(٢) المذكرات ص ٨٤٨ ٠

والواضح أن طلب عبد الرحمن فهمى لم يصادف قبولا عند سعد الذى جاء فى رده « نريد أن لا تعدلوا شيئا يصدر عن الوفد قبل أخذ رأيه فيه لأن ذلك ربما عكس القصد عليه فى عمله والزامه شيئا يكون التزامه به ضرر كبير جدا » ·

ورغم الكلمات الطيبة التى صاغ بها سعد رفضه لطلب عبد الرحمن فهمى الى حد توصيفه بالرجاء « ونحن على ثقة بأنكم تحلونه موضع الاعتبار » ، فلا شك أن هذه الحادثة قد تركت ندبا فى نفس عبد الرحمن فهمى ، وكانت من المقدمات الأولى التى تركت جفوة بين الرجلين ·

وليس من شك أن ظاهرة الاختلاف بين زعامات الثورة فى الداخل والخارج ظاهرة معروفة فى تاريخ الثورات الشعبية ، وبالنسبة لثورة ١٩١٩ يجسدها الخلاف بين سعد وفهمى وهو الخلاف الذى وصل الى حد القطيعة عام ١٩٢٦ (١) ·

الفترة التى تضمنها هذا الجزء من المذكرات شهد ظاهرة لم تعرفها الفترة التى تضمنها الجزء الأول ، وهى ظاهرة وثيقة الصلة بصاحب المذكرات ·· عبد الرحمن فهمى ·

الظاهرة هى ظاهرة تعدد محاولات الاعتداء على حياة الوزراء المتعاونين مع السلطات البريطانية ، وبالأخذ فى الاعتبار أنه كان هناك الجهاز السرى الذى يوجهه عبد الرحمن فهمى فلا نظن أن هذه الظاهرة كانت بعيدة عن أصابع الرجل ·

فقد شهدت هذه الفترة محاولة الاعتداء على محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء (١٩١٩/٩/٢) ، ومحاولة الاعتداء على حياة يوسف باشا وهبة رئيس الوزراء (١٩١٩/١٢/١٥) ، ومحاولة الاعتداء على اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال والحربية (١٩٢٠/١/٢٨) ، ومحاولة الاعتداء على محمد شفيق باشا وزير الزراعة (١٩٢٠/٢/٢٢) ·

وعلى الرغم من أن عبد الرحمن فهمى كان حريصا غاية الحرص وهو يسوق فى المذكرات أخبار هذه الحوادث الأربعة حتى أنه لم يختلف فى روايته لها عن البلاغات الرسمية التى كانت تصدر بشأنها (٢) · الا أن هناك مجموعة من المحطات تشير الى علاقة الرجل بتلك الأحداث ··

---

(١) انظر مقدمة الجزء الأول ·

(٢) انظر المذكرات صفحات ٥٠٤ ، ٧١٩ ، ٨٧٧ ·

أولا : ان محمد سعيد كان الخصم اللدود لسعد وأنه استمر يبذل قصارى جهده فى الكيد لسعد والوفد مما يحفل به هذا الجزء من المذكرات.

ثانيا : ان محاولة اغتيال يوسف باشا وهبة جاءت تتويجا لتصاعد أعمال الرفض لقبوله رياسة الوزارة ، وهى الأعمال التى قادها عبد الرحمن فهمى والتى حرص خلالها أن يأتى هذا الرفض بالأساس من الأقباط (١) وهو حرص استمر فى محاولة اغتيال الرجل عندما تم اختيار طالب قبطى، هو يوسف عريان سعد ، للقيام بالمحاولة .

ثالثا : ان المحاولتين المتعلقتين بالاعتداء على وزيرى الأشغال والزراعة انما قد تمتا فى اطار حملة تخويف الوزراء المشاركين فى وزارة يوسف باشا وهبة ، خاصة وانه كان من المعلوم أن الرجلين ممن كانوا يوصفون وقتذاك « بالمستوزرين » ، وهى صفة كانت تطلق على كبار رجال الادارة ، وليس السياسيين ، الذين كانوا يلون المناصب فى هذا النوع من الوزارات .

أخيرا فمن الملاحظ أن أيا من هذه المحاولات لم تسفر عن سفك دماء ونعتقد أنه كان مقصودا ، فلم يكن القائمون عليها يسعون الى سفك دماء المصريين بيد مصرية .

وفى تقديرنا ان كل هذه الملاحظات تشير الى بصمة عبد الرحمن فهمى فى العمل السرى مهما حاول عدم الاعتراف مما تضمنته صفحات هذا الجزء من المذكرات !

وتبقى الملاحظات الخاصة « بالشكل » ، ونحن وان كنا قد عالجنا هذا الجانب فى مقدمة الجزء الأول من المذكرات ، الا انه فيما يخص هذا الجزء هناك بعض ملاحظات ..

الملاحظة الأولى : متعلقة بغياب بعض الصفحات عى الأصل (٢) ، والحقيقة انه ليس غيابا بالمعنى الحرفى بقدر ما هو خطأ فى الترقيم وقع فيه صاحب المذكرات أو من قام بترقيمها ، بحكم عدم اختلال السياق فى أى من الصفحات الموجودة .

---

(١) انظر المذكرات صفحات ٦٣١ – ٦٣٢ « احتجاج الأقباط على وزارة يوسف باشا وهبة » .

(٢) لا يوجد فى الأصل صفحات ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٧٣٦ .

الملاحظة الثانية : متصلة بالترقيم أيضا ، فهناك عدد من الصفحات التى سقطت فى الترقيم الأولى واستدرك صاحب المذكرات ، أو من قام بترقيمها ، هذه الحالات ، فأعاد ترقيم الصفحات بنفس الأرقام السابقة بعد أن أضاف اليها كلمة « مكرر » أو « ب » (١) ٠

الملاحظة الثالثة : وجـود بعض القصاصات التى ارفقهـا صـاحب المذكرات بصفحات بعينها ساعيا من وراء ذلك الى اعداد القارىء للانتقال من موضوع الى آخر ، وقد اثبتنا هذه القصاصات فى أرقام الصفحات المرفقة بها (٢) ٠

أخيرا لا نملـك أنا ومجموعة الباحثين الا ان نعتذر للقـارىء عن التأخير فى اصدار الجزء الثانى من المذكرات ونعده بتعوض هذا التأخـير فى الأجزاء القادمة ، والله من وراء القصد ؟

د٠ يونان لبيب رزق

---

(١) مثل على هذا صفحة ٤٢٦ و ٤٢٦ مكرر ، ٧٣٣ و ٧٣٣ ب ٠

(٢) انظر الصفحة الأولى من هذا الجزء ٠

نترك بعد هذا حوادث مصر الداخلية مؤقتا وننتقل الى أوربا حيث كان الوفد يجاهد فى سبيل نشر الدعاية المصرية وبسط قضية مصر فى الأوساط الأوربية بالخطب فى المآدب وبالمقالات فى الصحف وبالنداءات التى كان يصدرها ويذيعها فى جميع الأنحاء والاحتجاجات التى كان يرسلها الى جميع من يرى ضرورة الاحتجاج اليهم ومن هذه الأعمال :

[٤٠٨] احتجاج الوفد على معاهدة الصلح مع النمسا

أكمل المؤتمر معاهدة الصلح مع النمسا (١) وسلمها الى المندوبين النمسويين وقد ورد فيها ما يفيد اعتراف النمسا بالحماية البريطانية على مصر فلم يسع الوفد بباريس الا الاحتجاج على تلك المعاهدة . واليك نص كتابه الى المؤتمر فى ٦ يونيه سنة ١٩١٩ : —

« تطلب الدول المتحالفة والدول المشتركه معها من النمسا الاعتراف بالحماية على مصر وهذا الطلب وارد فى شروط الصلح التى فرضت على ألمانيا » .

« فى وسع النمسا وألمانيا أن تنضما فى الاعتراف بهذه الحماية الى الحكومات الأخرى التى كانت تحاربهما على أن قبولهما للطلب لايبرره. ولذلك ستتابع مصر تجاهل حماية لم تطلبها قط ولم تدع الى معرفتها أو بحثها ولم تعترف ولن تعترف بها قط .

« عندما قدم مشروع المعاهدة الى ألمانيا لأول مرة احتججنا على المصير المفروض على بلادنا وعاد وفدنا الى رجاء أعضاء مؤتمر الصلح أن يعيدوا النظر فى قرارهم نحونا ، وهو قرار لاشك فى انهم اعتقدوا فى عدالته ولكن ليس ثمت مؤتمر يعقد لاقامة صلح دائم عادل يستطيع ابرامه لأنه مناقض للعدل مناقضة تامة ، ضار بمن يعنيهم الأمر » .

---

(١) هى المعاهدة المعروفة باسم معاهدة « سان جرمان والتى وقعت فى ١٠ سبتمبر ١٦١٩ .

« ان القــرار غير عادل لأنه تقرر دون أخـذ رأى الشعب المصرى والحصول على موافقته وهو منافى لمبادىء العدالة والحق منافاة تامــة ، تلك المبادىء التى يزعم الحلفاء أنهم حاربوا للدفاع عنها ونصرتها » ٠

[٤٠٩] « وهو ظالم لأنه يناقض الأربعــة عشر مبـدأ التى وضعها الرئيس ولسون والتى قيل انها قاعدة الصلح المقبل ٠ وهو غير عادل أيضا لأنه يناقض الفقرة الأخيرة من المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الأمم ، وهى الى ذلك عمل ضار بمصر وبسلام العالم (١) فى وقت واحد » ٠

« لقد احتلت انجلترا بلادنا ٣٦ عاما بقصد اعداد بلادنا الى الاستقلال التام على ما تقول ، ونحن نقول هنا انصــافا لها ، أنهــا أنجزت مهمتها وأنجزتها فوق كل رجاء ـ ومصر لا تزال بعد ٣٦ عاما تنتظر استقلالها وتنتظر نهاية احتلال غير شرعى كان المقرر أنه سيكون وقتيا فقط » ٠

« ولكن هذا الاحتلال على العكس مثير لنفوسنا ماس بكرامتنا فقد عمد الانكليز بكل الوسائل التى لديهم ولا سيما فى الشهور القليلة الأخيرة الى جعل النير الذى أثقلوا به كواهلنا لا يطاق أكثر من ذى قبل وحاولوا أن يشقونا على أنفسنا ٠ وعذبونــا دون شفقة وعملوا بالنــار والسيف وبوسائلهم السياسية الشيطانية وبقرارات لا نتوقعها قط يبرمها مؤتمر الصلح ، على تثبيط عزائمنا وقطع ثقتنا ورجائنا فى عدالة شعبكم حتى نقبل سيادتهم ولكن هذا كله ذاهب سدى فلا ممكن لأى شعب أن يتغلب على ارادة شعب بأكمله يجاهد فى ظل الحق لكى يعيش ويكون مستقلا » ٠

« واذا كانت حالات المعيشة التى سردتها فيما سبق مثالا للصلات العادية بين انكلترا ومصر فكيف يمكن اذن أن تقبل بلادنا حماية لا قاعدة لها الا بالاضطهاد والاجحاف ولا نتيجة منها سوى الكراهية والبغضاء ؟ » ٠

[٤١٠] « أما فيما يختص بسلام العالم فالقرار الذى بت فى أمر مصر لا يمكن الا أن يجىء بضرر لأنه رغم اعتراف رئيس الولايات المتحــدة بالحمــاية الانكليزية على بلادنا ٠ وبرغم اجماع أربع وعشرين دولة على طلبها من ألمانيا الاعتراف بالحماية (٢) ، وبرغم وحشية الوسيلة التى استخدمها الانكليز لتثبيط رجاء شعبنا ومقاومة أمانيه فى أن يكون حرا فان الحالة فى مصر لا تزداد الا حرجا يوما بعد يوم » ٠

---

(١) يقصد العالمى ٠

(٢) مجموع الدول التى مثلت فى فرساى كان ٢٧ دولة ٠

« ورغم هذا لم يفقد مواطنونا كل أمل فى حكمة المؤتمر وعدالته اذ ماذا يصيبهم لو رأوا أنفسهم قد ألقوا ثانية فى مرارة اليأس أو اضطروا الى التسليم مرة أخرى بان القوة هى التى تفوز على الحق ؟ من يدرى ماذا يحدث فى بلادنا اذا وقع ذلك ومن يضمن السلام فى مصر ؟ اذ من المتعذر حمل المصريين على ادراك كنه الامتياز القاسى المشئوم الذى اختصت به اذ استثنوا وحدهم من القاعدة العادلة العظمى التى اختيرت فى الصلح الجديد وهى « قاعدة حق الشعوب فى التصرف فى مصير نفسها بنفسها » .

« ولو فرضنا أن مصر أنزلت الى درك الارقاء أما كان يجب أن تظل صاحبة الحق فى اختيار سيدها وطريقة حكمها ؟ أو على الأقل ، أفلم تكن يجب أن تبلغ بذلك وتستشار فى هيئة الحكومة التى تطبق عليها » ؟

« استثنيت مصر وحدها من الاشتراك فى مبادىء الحرية والحق والعدالة التى طبقت على الأمم الأخرى ووضعها مؤتمر الصلح . استثنيت مصر رغم المساعدة التى قدمتها لقضية الحلفاء عن طيب خاطر » .

« والواقع أن حالة بلادنا تدعو اليوم الى اليأس أكثر منها سنة ١٨٤١ (١) لأن الأصدقاء الذين اعتمدنا على مساعدتهم وأعداءنا اتفقوا على وضع قيود الاستعباد فى رقابنا الى الأبد » .

[٤١١]

« وعلى هذا فاننا باسم الشعب المصرى نحتج على ذلك العمل الجائر المنافى للشرع والضار كلية بمصالح مصر وسلام العالم » .

« ونحن نسأل مؤتمر الصلح ثانية أن ينصت الى صرخة مصر كما أنصت الى أصوات شعوب كثيرة متألمة فان ذلك لا يخرج عن المبادىء النبيلة التى أقامها فوز الحلفاء فى جميع أرجاء العالم . وهذا العمل يوفر أيضا اراقة دماء أبرياء ويرمى الى تقرير سلام العالم » .

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

---

(١) أى بعد التدخل الاوربى وصدور فرمان فبراير من ذلك العام الذى يمنح حكم مصر وراثيا فى أسرة محمد على .

من الوفد المصرى الى مجلس شيوخ أمريكا

ولهـذا الغرض عينـه أرسـل الوفد المصرى بباريس فى ٨ يونيـة سنة ١٩١٩ التلغراف الآتى الى مجلس الشيوخ الأمريكى وهو : ـ

[٤١٢] « طلب مؤتمر الحلفاء من الوفد النمسوى اقراره بالحماية الانجليزية على مصر · وان الأمة المصرية لم تطلب الحماية ولم تقبلهـا مطلقـا تلك الحماية التى وضعها المؤتمر على المصريين من غير أن يسمع أقوال نوابهم الموكلين عنهم ، والتى تناقض المبادىء الأمريكية مناقضة عظيمة » ·

« وقد نتج عن اقرار المؤتمر هذا أن اتبعت بريطانيا العظمى سياسة انتقام منظم · فالسلطة البريطانية فى مصر ترتكب الأن فظائع لا تكاد تقل فى وحشيتها عن الفظائع التى دخلت أمريكا الحرب العامة (١) من أجلها لتطهير العالم من أدرانها · وذنب المصريين فى ذلك أنهم اجترأوا على طلب استقلالهم السياسى » ·

فباسم الانسانية وباسم المصريين على بكرة أبيهم أحتج على هذا القرار الذى صدر من المؤتمر بدون أن يسمع دفاع الأمة المختصة به · وان المصريين ليعتمدون كل الاعتماد فى تحرير بلادهم على مساعدة الأمريكيين عشاق الحرية والعدل ·

رئيس الوفد المصرى

(الامضـاء)

سعد زغلول

---

(١) يقصد الحرب العالمية الأولى ·

[٤١٣]

بين الرئيس ولسون والوفد المصرى

ولما أحس الرئيس ولسن بحرج مركزه اذاء طلب الوفد الخاص بمقابلته لسعد باشا وأحد زملائه لم يجد بابا يتلمس الخروج منه سوى ايعازه الى سكرتيره بأن يكتب الى الوفد معتذرا عن تلك المقابلة بضيق وقته فلما تلقى الوفد هذا الخطاب فى ٩ يونية سنة ١٩١٩ أرسل الى الرئيس ولسن فى ١٨ منه الخطاب الآتى :

[٤١٤]

« سيدى العزيز »

« اتشرف بأن أبلغكم استلام خطاب سكرتيركم الخاص المؤرخ ٩ الجارى الذى قال فيه انكم ليس لديكم متسع من الوقت لمقابلتى واحد زملائى على أننا يسرنا أن نلاحظ انكم لاتنفون الرجاء فى مقابلة فى المستقبل » ٠

« ونحن واثقون انكم ياسيدى الرئيس ، تدركون المركز الذى وضعتم فيه من جراء دور الزعامة الدولية الذى توليتموه ٠ ونريد أن نفهمكم مبلغ يأس الشعب المصرى اذا فشل وفده فى الحصول حتى على أن يسمعه نصير الحق والعدالة الدوليين » ٠

« واننا لا نعتقد انكم تريدون أن يحكم على مصر دون سماع أقوالها ولا نشعر بأن فى استطاعتكم أن تكونوا رأيا فى الحالة المصرية بغير سماع أقوال المصريين أنفسهم » ٠

« واعتقادنا أنكم تركتم المجال مفتوحا لاحتمال مقابلتنا فى المستقبل ونحن نرجوكم باحترام أن تسمحوا بذلك بأسرع ما يمكن حتى يسجل التاريخ لكم الفخر فى هذه المسألة ككل مسألة أخرى مرتبطة بالمؤتمر » ٠

وأتشرف بأن أكون يا سيدى

خادمكم المخلص المطيع

الامضاء

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

[٤١٥]

خطاب الوفد الى المسيو فريسينيه عضو مجلس الشيوخ الفرنسى

أحيلت معاهدة الصلح على مجلس الشيوخ الفرنسى لفحصها وانتخب المسيو فريسينيه أحد وزراء فرنسا السابقين رئيسا للجنة المكلفة بفحص هذه المعاهدة (١) ولما كان جنابه من المحيطين علما بأحوال مصر وسبق له أن دافع عن قضية مصر واستقلالها منذ كان وزيرا ٠ بادر الوفد المصرى الى ارسال الخطاب الآتى اليه وهو :

« اسمحوا لى بأن أبين لكم باسـم الشعب المصرى ما وقع من الظلم الفادح بسبب اتفاقية الصلح التى تفحصها لجنة مجلس الشيوخ وانه لمن الطبيعى أن يكون اشتراككم فى أعمال تلك اللجنة ضمانة أكيدة لأن تطبق مبادىء الحق والعدل بالنسبة لمصر لانكم من أكبر رجال سياسة فرنسا وأكثرهم معرفة بمركز مصر الحقيقى كما كنتم أول من أعلن استقلالها ٠

« ان كل شعب مهما كان صغيرا يجب أن يكون حرا فى اختيار مصيره حتى الشعوب الحديثه المدنية والشعوب التى لم تكون سياسيا الا فى عهد قـريب والشـعوب التى من صـالحها أن تكون تحت اشراف ادارة احدى الدول المنتدبة ــ يجب أن يؤخذ رأيها ويسمع صوتها آن هذا العهد الذى قطعته فرنسا الحرة على نفسها لم يحترم ويا للأسف فى معاهدة الصلح أو على الأقل بالنسبة لمصر » ٠

[٤١٦]

« هل مصلحة فرنسا العامـة يمكن أن تلزم حكومـة الجمورية بأن تتخلى كلية عن شعب مدنيته الحديثة ظاهر عليها الروح الفرنسية ؟ عن شعب تربيته ونظامه الادارى والقضائى يحمل الطابع الفرنسى ؟ عن شعب تشغل الآداب الفرنسية عنده المحل الأول ؟ كما يظهر ذلك لكل من يلاحظ ذوق الخاصة ومن يطلع على الآداب الوطنية » ٠

---

(١) شارل فريسينيه سياسى فرنسى عين وزيرا للاشغال والخارجية والحربية وكان رئيسا لوزراء فرنسا وقت احتلال مصر ١٨٨٢ ٠

« مهما يكن من أمر تلك المصالح التى تدفع حكومة الجمهورية للتنازل عما لفرنسا من السيادة الأدبية فى مصر يستحيل معها حتى ولو كان ذلك من مصلحة الديمقراطية الفرنسية أن تنكر فرنسا تعهداتها التى ارتبطت بها نحو الأمم الصغيرة هذه التعهدات التى تقضى باحترام حقوق تلك الشعوب بالمقياس الذى تحترم به حقوق الدول العظمى • هذا من جهة وأما من الجهة الأخرى فانه من المسلم به أن مؤتمر الصلح هو الجهة المختصة بالفصل فى مصير الشعوب التى تأثر مركزها السياسى بالحرب • واذا كانت مسألة مراكش من حيث القانون ومن حيث علاقتها بفرنسا قد بت فيها قبل الحرب وعلى ذلك فلا يمكن أن تتناولها المناقشة أمام المؤتمر (١) فان الأمر ليس كذلك بالنسبة لمصر • لأن مركز مصر فى الواقع قد تغير أثناء الحرب وبسبب الحرب لما انضمت تركيا الى الدول الوسطى فمن المعقول أن يكون المؤتمر هو المختص الوحيد بالفصل فى مصير المصريين • ولكن المبادىء التى يرتكز عليها المؤتمر تقضى بأنه لا يجوز اتخاذ أى قرار قبل أن يسمع صوت الأمة • صاحبة المصلحة • وبالرغم من ذلك فانه لم يسمح لمصر بأن يسمع صوتها فهل المعاهدة التى تناقض مناقضة صريحة مبادىء الجهة التى أصدرتها تستحق أن تنال تصديق مجلس الشيوخ الفرنسى ؟

[٤١٧] « لنا الحق من أن نطلب من الحلفاء وعلى الأخص فرنسا مقابل ما ضحيناه أثناء الحرب لنصرة قضيتهم التى كانت قضية الحق والعدل والدفاع عن حقوق الشعوب الصغيرة فاننا فى الواقع قمنا فى هذه الحرب بجزء كان باعتراف الجنرال اللنبى أول عامل للنصر فى ميدان الحرب بآسيا فمن الطبيعى أن يكون لنا فى النتيجة نصيب يتناسب مع ما ضحيناه وانا لا نطلب جزاء من أسلاب الحرب ـ ولكننا نطلب أن نعيش • ولا نستطيع أن نعيش الا بالاستقلال » •

« وانه ليكفينا أن نقدم لعالى تقديركم هذا البيان البسيط عن حالة مصر التى تعتبرونها منذ خمسة عشرة سنة جديرة بالاستقلال كما أعلنتم ذلك فى كتابكم النفيس الذى وضعتموه فى ديسمبر سنة ١٩٠٤ (٢) ولكى نوقفكم على درجة كراهية مصر لكل سيادة أجنبية اسمحوا لنا أن نقدم لكم

---

(١) البت فى مسألة مراكش بمعنى عقد معاهدة الحماية بين فرنسا وبين مولاى عبد الحفيظ المعروف بمعاهدة فاس عام ١٩١٢ •

(٢) ألف فريسينيه كتابا تحت عنوان « المشكلة المصرية » •

مع هذه المذكرة بعض المستندات التى تمكنكم من أن تقدروا بالضبط المعاملة التى تتفق مع ما وصلت اليه نفوس المصريين حتى يوضع صلح دائم .

« وتفضلوا ياسعادة الرئيس بقبول احترام شعب يضع فيكم أمله الكبير »

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول



[٤١٨] أخبار الوفد بأوربا وأمريكا

وفى يوم ٢٣ يونية أرسل الى الوفد فى تقريره السرى عن أخباره فى أوربا ما يأتى :

(لايزال الوفد مشتغلا بنشر ما يجرى فى مصر من التصرفات لافهام العالم حقيقه آلام المصريين وآمالهم · ولنا الثقة فى أن اذاعة هذه الأمور فى جميع أنحاء العالم ولا سيما فى أوربا وأمريكا تعود بالثمرة المرجوة ·

سعد زغلول

ولقد كان الوفد يعمل جهده لارسال بعض أعضائه الى أمريكا لنشر الدعوة فيها ولكن الحكومة الانجليزية كانت تحض الحكومة الفرنسية على عدم اعطاء جوازات سفر الى من يطلبها من أعضـــاء الوفد ، واليك ما كتبه الوفد الى بتقريره المؤرخ ٢٣ يونية :

الوفد مشتغل بفكرة رفع صوت مصر فى أمريكا وقد قرر ارسال بعض أعضائه اليها ولكن يظهر أن الانجليز هنا يضعون العراقيل فى سبيل سفرهم وسيمنعونهم من ذلك » ·

سعد زغلول

[٤١٩]

مجهودات الوفد المصرى فى أمريكا

كان بعض الأحرار من الأمريكيين قد أرسلوا وفدا منهم الى باريس لمساعدة الايرلنديين على تحقيق استقلالهم فانتهز الوفد هذه الفرصة وتعرف بأعضاء هذا الوفد وزودهم بالمستندات والبيانات الخاصة بالقضية المصرية فدرسوها بعناية ثم أخذوا ينشرون دعوة الوفد فى مجلس الشيوخ الأمريكى ولقد ظهرت نتيجة جهود الأعضاء فيما نشرته الصحف الأمريكية وفيما أظهره مجلس الشيوخ الأمريكى من العطف على أمانى المصريين . فقد حدث فى جلسة ٢١ يونية سنة ١٩١٩ أن اقترح المستر « مايسون » أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى المجلس الاعتراف بالجمهورية الايرلندية . فانتهز المستر « بواره » أحد أعضاء المجلس الفرصة وتناول المسألة المصرية ولفت الأنظار الى ما حل بأهل مصر من الاجحاف بحقوقهم قائلا انه لا يجوز أن تحرم مصر حقا منح لغيرها كالحجاز مثلا وهو تقرير مصير نفسها بنفسها. فى حين انها لاتقل جدارة لنيل مطالبها عن كثير من البلاد التى شاءت سياسة المؤتمر أن تنعم الحرية والاستقلال على حساب الغير . ثم أشار المستر بوارة وبعض زملائه الى الاحتجاجات التى وردت من الوفد المصرى بباريس على المجلس . فلما وصلت تلك الأنباء السارة الى الوفد بادر بارسال برقية الشكر الآتية الى المستر بواره فى ٢٤ يونية سنة ١٩١٩ :

[٤٢٠]

« المستر بواره العضو بمجلس الشيوخ بواشنطن »

« باسم الانسانية والعدل ، باسم الشعب المصرى جميعه الذى اتشرف بأن أنوب عنه أقدم لجنابكم خالص الشكر لعطفكم على مصر والاشارة اليها فى خطابكم بمجلس الشيوخ فنحن الذين حاربنا مع الحلفاء جنبا لجنب وضحينا ضحايا كثيرة فيما كنا نراه سبيل الحرية والعدل قد حرمنا من اسماع صوتنا الى مؤتمر السلام وخولفت معنا المبادىء التى دخلت أمريكا الحرب لنصرتها . وبذلك عومل أبناء الفراعنة معاملة السلع التى تباع وتشترى وان المصريين ليعتمدون اعتمادا تاما على مساعد الشعب الأمريكى محب الحرية ، فى تحقيق الآمال القومية لشعب حكم عليه بالاستعباد الأبدى ، من غير أن يسمع دفاعه » .

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

[٤٢١] ثم حدث أن أثيرت المسألة المصرية ثانية فى مجلس الشيوخ الأمريكى بجلسة ٢٥ يونيه سنة ١٩١٩ وذلك أن المستر « والش » العضو بالمجلس اتهم وفد الصلح الأمريكى فى باريس بخيانة المبادىء التى قصد باريس لنصرتها وتأييدها لأنه استثنى الأمم التى كانت تحت حكم أصدقائهم من أن تطبق عليها قاعدة « حق الشعوب فى تقرير مصير نفسها بنفسها » كما طبقت على الشعوب التى كان يحكمها أعداؤهم . وقد جر الحديث الى ذكر المسألة المصرية فقال أحد الأعضاء « أن معاهدة الصلح لم توضع الا لخدمة مصالح بريطانيا » .

[٤٢٢] وفى يوم ٢٦ يونيه سنة ١٩١٩ أصدرت رئاسة مجلس الوزراء المنشور الآتى وهو :

« أن الهدوء الذى ساد البلاد الآن ساعد الحكومة على الاتفاق مع السلطة العسكرية على أن الرقابة على المطبوعات تلغى عند توقيع معاهدة الصلح فالمأمول من مديرى الجرائد أن يلزموا الاعتدال ويستخدموا على الدوام حكم ادراكهم كيلا (١) يلجئوا الحكومة الى العوده لوضع القيود والروابط » .

وبمناسبة ما خربه الأهالى من محطات السكك الحديدية ومبانى الحكومة نشرت السلطة البلاغ الآتى فى ٢٦ يونية سنة ١٩١٩ وهو :

بسبب الاضطرابات الأخيرة فرضت الغرامات الآتية :

على المناطق ذات الشأن بمقتضى الأحكام العرفية : ـ

جنيه مصرى	
١٠٤٠٨	منطقة الدلتا
٤١٠٢٠	المنطقة المتوسطة المؤلفة من الجيزة وبنى سويف والفيوم .
١٦٨٠٣٤	المنطقة الواقعة من بنى سويف الى أبو تيج
٢١٩٤٦٢	
٤٨٩٣	الغرامات التى فرضت لاسباب مختلفة فى منطقة الدلتا
٢٢٤٣٥٥	جملة غرامات التضامن

(١) يقصد كى لا .

ومما يجدر ذكره أن تلك المبالغ الباهظة التى فرضت على الأهالى قد آلت جميعها الى خزينة السلطة الانجليزية مع أن الضرر حل بممتلكات الحكومة المصرية !!

امضاء معاهدة الصلح

[٤٢٣] وفى يوم ٢٨ يونية ١٩١٩ أمضيت معاهدة الصلح بقصر فرساى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة ، وقد أمضاها مندوبو الدول المتحالفة والمؤتلفة •

ولما وردت الأنباء الى مصر بامضائها أمرت (١) الحكومة المصرية باطلاق مائة مدفع ومدفع من القاهرة والاسكندرية ، ابتهاجا بعودة السلام وحلوله محل العداء والخصام •

وتبودلت برقيات التهانى بين عظمة السلطان وجلالة ملك انجلترا ، وكذلك تبودلت الزيارات بين الوزراء المصريين ودار الحماية الانجليزية •

وفى المساء أقامت جاليات الحلفاء بالقاهرة والاسكندرية حفلات باهرة •

ولكن الشعب المصرى لم يشترك فى تلك الحفلات ، بل أن هذا اليوم قد ذكره بفظائع الحرب ، وما جرته على مصر من الويلات والنكبات ، فبات فى حزن مقيم •

وكان مما يؤسف له أن الحكومة السودانية أرسلت وفدا من السودانيين (٢) الى انجلترا ، لتهنئة ملك الانجليز بانتصار الحلفاء وعقد الصلح •

---

(١) يقول عبد الرحمن الرافعى : « أنه كانت من المتناقضات حقا ان تبتهج الحكومة المصرية لمعاهدة من أهم شروطها بالنسبة لمصر اقرار الحماية التى فرضتها انجلترا عليها » • (عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ، ص ٣١) •

(٢) تراس هذا الوفد السيد على الميرغنى زعيم الختمية وكان من أعضائه السيد عبد الرحمن المهدى زعيم طائفة الأنصار الذى أهدى سيف جده محمد أحمد المهدى الى ملك انجلترا •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابتهاج عضوى الأمة بعيد الفطر

[٤٢٤] وفى يوم ٢٩ يونيه سنة ١٩١٩ احتفل المسلمون بعيد الفطر المبارك ولكن هذا اليوم انقلب الى عيد قومى اشتركت فيه جميع عناصر الأمة على اختلاف مذاهبها ونحلها فكان مظهرا رائعا دل على تضامن الأمة وتضافرها وأخذ الناس منذ الصباح الباكر يتبادلون الأدعية والتمنيات الطيبة لمصر وأبى المسيحى المصرى الا أن يكون هذا اليوم عيدا له (١) .

وقد تجلى هذا الشعور الوطنى الفياض فى الحفلة التى أقيمت فى الأزهرالشريف اذ تقاطرت الوفود عليه من الأقباط والسورين واللبانيين(٢) وعلى رأس كل وفد فريق من رجال الدين جاءوا جميعا لتهنئة اخوانهم المسلمين وقد كان المسلمون يقابلونهم بالبشر والترحاب وروح الوطنية والوئام ترفرف فوق الجميع . وقد ألقيت الخطب الوطنية من المسلمين والأقباط فكانت دليلا على تأصل الشعور الوطنى فى الأمة وبرهانا صادقا على أن الوطنية هى دين الجميع .

وكذلك كانت الحال فى الاسكندرية اذ ذهب وفد من رؤساء الأقباط الدينيين وأعيانهم الى جامع أبى العباس وهنأوا اخوانهم المسلمين بعيد الفطر فاستقبلهم المسلمون وعلى رأسهم الشيخ اللبان وبعض المحامين والوجهاء بمظاهر الغبطة والابتهاج .

---

(١) تقول الوثائق البريطانية أن المسلمين والأقباط اعتبروا اليوم الأخير من رمضان يوما « للصلوات الوطنية » .

F.O. 407/183 No. 27 Allenby to Cyrzcn gury 2, 1919.

(٢) يقصد اللبنانيين .

فكرة الاستقلال الذاتي والقضاء عليها

[٤٢٥] لما تشكلت وزارة محمد سعيد باشا عقب استقالة الوزارة الرشدية ، أعقب ذلك فتور فى الأفكار ، وفتور فى النشاط ، عم معظم المجالس الخاصة ، والأوساط القائمة بالحركة الوطنية ، لما كان يروجه صنائع الانجليز ومأجوروهم ٠

ويظهر أن هذا الفتور فى العمل كان يتناول كذلك أعمال الوفد بباريس ، فان الرسائل التى كانت تأتى منه كانت تدل على ذلك دلالة صريحة ، لذلك كنت أحاول دائما تغيير الكثير من أقوال الوفد وكتاباته قبل أن أنشرها على الأمة ، حتى أن صديقى المرحوم أمين بك الرافعى (١) لاحظ على ذلك ، وخشى أن تنتبه السلطة الى ذلك فتسىء الى ٠ ولكن هذه الملاحظة منه لم تقعدنى عن الاستمرار فى هذا الطريق ، لأننى أرى أن تغذية الشعور الوطنى أمر واجب حتما مهما ترتب عليه من الاساءة الشخصية ، وكذلك كان شأن الرسائل التى كنت أبعث بها الى الوفد من مصر فكنت أرى دائما أن أجعلها مشجعة للوفد بعيدة عن اضعاف روحه المعنوية ــ ولنضرب مثلا بما يأتى : جاء فى تقرير الوفد المؤرخ ٤ يولية(٢) ١٩١٩ ما يأتى : « ما مبلغ صحة ما يقال من أن فكرة الاستقلال الذاتى تحت الحماية بدأت تنتشر فى بعض الأندية ، ومن هم مروجو هذه الفكرة ؟ نرجو افادتنا عن تفصيلات ذلك مع افادتنا عن رأيكم الخصوصى » ٠

سعد زغلول

فرددت عليه فى تقريرى المؤرخ ٢٢ يوليه (٣) ١٩١٩ بقولى : « فكرة الاستقلال الذاتى لم يروجها الا الخونة الأنذال والمأجورون ، ولكنها على كل حال لم تلق قبولا لأن السواد الأعظم بل الأعظم جدا من الأمة لايريد غير الاستقلال التام » ٠

---

(١) أحد رجال الحزب الوطنى الذين أيدوا ثورة ١٩١٩ وكانت صحيفة الأخبار ناطقة باسم الثورة لفترة غير قصيرة ٠

(٢) د٠ محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، تقرير رقم (٦) ص ٦٣ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٥ ٠

وهناك فكرة أخرى عرضها علينا مرقس أفندى فهمى (١) المحامى ــ وهى موضــع بحثنا ــ من ثلاثة أسابيع مع ذوى الرأى من أبناء الأمــة المخلصـين ، وقد عقدنا لذلك أربع جلسات ولم ننته منها بعد ، وهى : أن تنزل مصر عن كل حق لها فى السودان ، وأن تعطى للانجليز حق المحافظة على قنال السويس ، بحيث يحق لها أن تضع عنده الحامية الكافية ، وأن تكون لانجلترا كل حقوق صندوق الدين ، وأن ترجع مصر اليها للمصادقة على كل قانون يراد تنفيذه على الأجانب ، وأن يترك الموظفون الانجليز فى وظائفهم الى أن ينقرضوا ، وأن يكون شأنهم شأن الموظفين المصريين تماما ، وفى نظير كل هذا تعترف انجلترا باستقلال مصر ، وتتعهد ألا تعرقــل مساعيها فى الانضمام الى عصبة الأمم .

[٤٢٦]

هذا هو ملخص البرنامج الذى عرضه علينا مرقس أفندى فهمى ، ولكنه لم يجد تأييدا من معظم أعضاء اللجنة التى كوناها لهذا الغرض .

على أنه بلغنا ــ من جهة أخرى ــ أن دار الحماية مستعدة للمفاوضة مع المصريين على قاعدة تقرب من قاعدة مرقس أفندى فهمى ، ولا نعرف هل كان هذا من باب توافق الخواطر ، أو أن صاحب المشروع مدفوع اليه من هناك » .

عبد الرحمن فهمى

وفى يوليو ١٩١٩ جاءنى كتاب خصوصى من سعد باشا يقول فيه أنه علــم من بعض من حضر للاصطيــاف بأوربا أن هناك فكرة ترمى الى التوسعة فى التوكيــلات فأرجوك أن تبحث هذه المسألة ، وتفيدنى عن الأوساط التى نبتت فيها ،والأوساط التى تحبذهــا ، وما هو رأيــكم الخصـوصى » .

وفى الحقيقة أن البلاد كانت فى هذه الفترة يائسة من الوصـول الى أمانيها كاملة ، ورغما عن ذلك فقد اجبت سعد باشا وقتئذ بالآتى : « أن فكرة التوسع فى التوكيلات لم تنبت الا فى رأس من بلغك بها ، وأن البلاد متمسكة بتوكيلاتها للنهاية ، ولا يبعد أن يكون من بلغكم بذلك مدسوسا من جهة الخصوم ، فحذار حذار من الاصغاء الى مثل هذه الأكاذيب ؛ لأن الأمة ــ كما قلت ــ متمسكة بحرفية توكيلاتها » .

ويغلب على ظنى أن هذا المبلغ مدفوع فعلا من جهة الخصوم للادلاء

---

(١) مرقس فهمى من أشهر المحامين المصريين وقتذاك ومؤسس نقابة المحامين عام ١٩١٢ .

بما أدلى به لأن ذلك يتفق تماما مع المشروع الذى عرضه علينا مرقس أفندى فهمى المحامى ، وأخبرتكم به » .

عبد الرحمن فهمى

ولقد عملت بكل ما آتانى الله من قوة وهمة وعزم حتى قضيت على على هذه الفكرة فى مهدها .

بهذه الوسائل وأمثالها كنت أعمل على تقوية روح الوفد المعنوية من جهة ، وروح الأمة من جهة أخرى ، وذلك لكيلا يتسرب اليأس الى النفوس ، فيضيع على الأمة كل ما بذلته من جهود ، وما تكبدته من ضحايا فى الأنفس والأموال .

وهكذا استمر الوفد فى جهوده .



من الوفد المصرى
الى المسيو موريس لونج

[٤٢٧] ثم عرضت معاهدة الصلح على مجلس الشيوخ الفرنسى ، كما قدمنا ، وكانت نتيجة فحصه قبول تلك المعاهدة من غير أن يدخل فيها تعديلا ، لأن قانون المجلس يقضى عليه إما بقبولها جملة أو رفضها جملة ، فأحيلت المعاهدة بعدئذ الى مجلس النواب الفرنسى .

ولما كان مقرر لجنة الصلح بالبرلمان الفرنسى هو المسيو موريس لونج ، وهو من الذين اشتهروا بحرية الفكر وبالدفاع عن حرية الشعوب الضعيفة ، فقد بادر الوفد الى ارسال الخطاب الآتى اليه فى ٦ يوليو ١٩١٩ مصحوبا بصور المستندات المؤيدة لحقوق مصر فى الاستقلال ، والتى سبق أن أرسلت قبل ذلك الى الجهات السياسية الأخرى .

[٤٢٨] باريس فى ٦ يوليه ١٩١٩

« جناب المستر موريس لونج

المقرر بلجنة الصلح

بباريس

« ياحضرة النائب :

« اسمحوا لى قبل كل شىء أن أبلغكم ما شمل جميع أعضاء الوفد

المصرى من السرور العظيم ، عندما علم بوقوع اختيار زملائكم عليكم بما لهم من الثقة فيكم لتكونوا مقررا للجنة الصلح فى البرلمان الفرنسى • وفى الواقع أن أملنا فى معاملة بلادنا العديمة الحظ وفقا لقواعد العدل أصبح لا يجد له سندا فى الرجال ذوى المقدرة العالية الذين أثبتوا بتعاليمهم الصريحة وماضيهم المجيد أنهم لم يفتروا عن الدفاع عن حرية الشعوب وحقوقها •

« ان الاعتراف بحرية الشعوب الصغيرة وبما لها من الحقوق اذا كان قد أصبح فى العالم الجديد واجبا من الواجبات المفروضة على الأمم العظيمة فان الدولة التى نعلق عليها معظم آمالنا فى الاستقلال انما هى الدولة الفرنساوية العظيمة النبيلة لا لأنها كانت على الدوام صاحبة القدح المعلى فى النضال عن الحرية وفى الأخذ بناصر الشعوب الصغيرة ، بل فوق ذلك لأن العلاقات الوثيقة التى تربطها بمصر ، والتى يرجع عهدها الى أكثر من قرن مضى (١) ما فتئت قائمة على أتم وفاق حتى تولدت عنها علاوة على العطف المتبادل مصالح مشتركة ذات أهمية كبرى » •

« ومما لاشك فيه أنه اذا ما استقلت مصر فلن يكون نصيب هذا العطف وتلك المصالح الا النمو والازدياد بطبيعة الحال • أما اذا كانت مصر واقعة فى دائرة نفوذ بريطانيا العظمى دون غيرها ـ كما قضت بذلك معاهدة الصلح ـ فانها تكون عرضة للعطب والزوال العاجل » •

[٤٢٩]

« انه ليشق علينا أن نصدق أن الفرنساويين يقبلون عن طيبة خاطر أن ذلك الطابع المطبوعة به تربيتنا المدنية والعسكرية من قرن مضى تعفو آثاره عفاء تاما • يشق علينا أن نصدق أنهم يقبلون أن القوانين الفرنساوية التى استمدت قوانيننا نصوصها منها وباتت متأصلة فى نفوس المصريين وعوائدهم ، حتى أصبحت اليوم جزءا من رأس مالنا الاجتماعى ، تبعد ولا يكون لها أثر فى الأساس الذى تشيد عليه مدنيتنا العصرية ، وأن اللغة الفرنساوية الجميلة المنتشرة فى مصر أكثر من أى بلد أجنبى آخر والتى بات لزومها فى طبقاتنا المستنيرة لزوم لغتنا الخاصة نستعملها فى معيشتنا العائلية اليومية بالسهولة التى نستعملها فى حياتنا الأدبية (٢)

---

(١) يقصد العلاقة الخاصة التى نشأت مع فرنسا أثناء عملية بناء الدولة الحديثة فى عهد محمد على •

(٢) كانت الفرنسية هى اللغة الأساسية بعد العربية فى الاستخدام بين أبناء الطبقة الارستقراطية •

يكون مصيرها الى الزوال ، وأن دور التعليم المتنوعة الأشكال التى انشأتها فرنسا فى مصر توصد أبوابها ، وأن الارساليات التى نبعث بها الى فرنسا ليرشف أبناؤنا من منابعها الفياضة لبان المعارف والعلوم والفنون ينصرم حبلها · وصفوة القول أنه يعز علينا أن يرضى الفرنساويون بأن يوقف تيار النمو وهو بالغ منتهى سرعته فى الشركات الفرنساوية ، والبيوت التجارية والمصارف وغيرها بين ظهرانى أمة تحب فرنسا وتفضل كل ما هو فرنساوى على جميع ما عداه · لاشك أن الشعب الفرنساوى وهو أشد الشعوب تمسكا بتراثه وأحرصهم على صون مهمته التاريخية فى العالم لايمكن أن يغض الطرف بسهولة عن الامتيازات التى يضمنها له فى وادى النيل ، ماض مفعم بأحسن العلاقات ودا ، وأكثر المصالح انتشارا ·

« ان مصر باسم هذه العلاقات وتلك المصالح وبما تذكره من أن الشرف الفرنساوى مرتبط بمعاهدة لندرة التى عقدت فى سنة ١٨٤٠ تعتقد أن لها حقا فى أن تنتظر من فرنسا الرعاية التى تساعدها على أن تعامل بما تقتضيه قواعد الحق والعدل ، واذا كنا والأسف ملء الفؤاد لا نجهل الظروف التى تقيد اليوم نشاط السياسة الفرنساوية ازاء مسألة استقلال مصر ، فاننا لا يمكننا أن نغفل من جهة أخرى التقاليد السياسية التى اتبعتها فرنسا حيال المسألة المصرية ، فقد بدأت هذه السياسة بالأخذ بناصر المصريين أثناء حكم محمد على الكبير فى نيل استقلالهم ، وهذه هى نفس السياسة التى دافع عنها وأيدها المسيو جورج كليمنصو (١) على منصة مجلس النواب فى يوم ١٩ يوليه ١٨٨٢ هذه السياسة هى نفسها بعينها التى قررها المسيو فريسينيه بدقة فى المؤلف الذى وضعه مبدأ الاتفاق الودى عن المسألة المصرية عندما اقترح أن يكون حلها بمنح مصر استقلالها على أساس حياد بلجيكا تلك هى السياسة الرشيدة التى تطلبها المصالح الفرنسية والمصرية · على هذه التقاليد نبنى آمالنا فى أن فرنسا ترفض بلسان مجلس نوابها أن تعامل صديقتها الصغيرة التى لم تتردد لحظة وهى متمتعة بحريتها فى مساعدتها فى حملة المكسيك مساعدة طفيفة بلا نزاع ، ولكنها تدل على اخلاصها وعرفانها للجميل · قلنا ان فرنسا تأبى أن تعامل مصر معاملة السلع الوضيعة التى تعرض فى أسواق الاتفاقات السياسية ·

[٤٣٠]

وان مجلس النواب الذى يبغى ألا يختم تلك الحرب الضروس الابصلح ثابت الدعائم لاتغفل فيه كبيرة ولا صغيرة ، لابد أن يأبى التصديق على

---

(١) جورج كليمنصو : عضو مجلس النواب الفرنسى ١٨٧٦ ــ ١٨٩٣ ، ثم تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مرتين بين ١٩٠٦ و ١٩٠٩ ، وبين ١٩١٧ ، و ١٩٢٠ ·

معاهدة لم تتشرب نصوصها الخاصة بمصر بالمبادىء التى وضعها مؤتمر الصلح نفسه • ان أملنا وطيد فى أنكم تتفضلون بالقيام مقامنا فى التعبير عن مطالب أمة صديقة لكم تنوءتحت حكم الأجنبى وتشرب كأسا من حنظل الذلة والمظالم حتى الثمالة •

« من أجل هذا أتشرف بأن أرسل لجنابكم صورة من الأوراق السابق تقديمها لمؤتمر الصلح والمستندات السابق تسليمها للسلطات السياسية وانى أرجوكم أن تتفضلوا باعارتها ما تستحقه من اهتمامكم ورعايتكم • كما أرجوكم ياحضرة النائب أن تتقبلوا منى أسمى عبارات الاحترام والاعتبار » •

رئيس الوفد المصرى

(الامضاء)

سعد زغلول

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضية مقتل المستر ارثر سميث

[٤٣١] في يوم ٨ يوليه ١٩١٩ نشرت السلطة البلاغ الرسمى الخاص بقضية مقتل المستر آرثر سميث والحكم فيها وهو :

« أعلن الآن حكم المحكمة العسكرية التى حققت قضية المتهمين بقتل المستر آرثر سميث من رجال مصلحة السكة الحديدية المصرية يوم ١٥ مارس ، وذلك بعد تنقيح الحكم بمعرفة الضابط المكلف .

وكانت هذه القضية من أشد القضايا المتعلقة بالاضطرابات الأخيرة خطورة ، وهى تشبه بعض الشبه فى أحوالها حادثة القتل التى وقعت فى القطار بديروط (١) ذلك أن المستر سميث عند وصوله فى قطار الى الواسطى قتله نفر من الغوغاء كانوا قبيل هذه الجريمة قد دمروا محطة الواسطى ونهبوا عدة منازل وقطارا وصل من الفيوم فقدم أحد عشر شخصا للمحاكمة ، اتهم منهم ثمانية بارتكاب القتل وهم : أمين عبد القادر ، وعبد السيد شحاته ، ومحمد شحاته ، ومحمد ابراهيم خالد ، وبدوى الديب ، وعبد الجواد جابر ، وعبد الله أبو زيد ، وعبد المحسن خالد ، واتهم الثلاثة الباقون باعانة القاتلين ومشاركتهم فى الجريمة ، وذلك بوجودهم وتحريضهم للجانين . وبدأ التحقيق يوم ٢٣ مايو واستمر ثلاثة أسابيع تقريبا لكثرة عدد المحامين الذين اشتغلوا بهذه القضية ، وحدثت فى أثناء التحقيق حوادث مؤسفة عديدة ، اذ انقسم الشهود الى فريقين ، وأخذ كل فريق منهما يرمى الآخر بشهادة الزور ، وتأثير الارهاب. واتضح من خلال الاجراءات أن أحد الشهود وهو عبد الكريم سليمان ،

---

(١) أشد وقائع الثورة عنفا كانت فى الوجه القبلى وأبرز أحداثها حدة ، كانت مهاجمة الثوار يوم ١٨ مارس للقطار القادم من الاقصر الى القاهرة عند بلدتى ديروط وديرمواس بمديرية أسيوط ، وكان به بعض الضباط والجنود البريطانيين قتل الثوار ثمانية منهم ، وكان لهذا الحادث ضجة كبرى ، واهتزت له السلطة العسكرية البريطانية وأصرت على القصاص ، فالقت القبض على مئات من الأهالى وقدمت من حامت حوله الشبهة الى محكمة عسكرية قضت بالحكم باعدام واحد وخمسين شخصا ، نفذ حكم الاعدام فى ٣٤ منهم .

(عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ١ ص ١٥٦ ، جـ ٢ ص ٤٦ ــ ٤٨ .

قد اتجهت اليه شبهة الاشتراك فى القتل ، قام بحماية مسز سميث وولدها الصغير من ثائرة الغوغاء الهائجين .

[٤٣٢]

ومرض محمد شحاته ـ فى أثناء التحقيق ـ فأجل سماع قضيته ، وبرئ محمد ابراهيم خالد والشيخ جابر ابراهيم عمدة العطف . أما الثمانية الآخرون فقد ثبتت التهمة عليهم ، وحكم عليهم بالاعدام .

« ولما أعاد القائد العام فى القطر المصرى النظر فى القضية رأى أن الشاهدين اللذين شهدا على السيد خالد عمدة افوه (١) واثنين من أقاربه وهما عبد الجواد جابر وعبد المحسن خالد لم يكونا شهود عدل ، وكان هناك من الأسباب المختلفة ما حملهما على الشعور بعداوة شخصية للمتهمين فداخله الشك فى شهادة الشاهدين ، فالغى قرار الادانة بالنسبة الى هؤلاء المتهمين الثلاثة وأطلق سراحهم . وعدل الحكم فى قضية أمين الريدى الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، وفى قضية بدوى الديب الى ١٥ سنة وأيد الحكم بالاعدام على الثلاثة المتهمين الآخرين وهم أمين عبد القادر وعبد السيد شحاتة وعبد الله أبو زيد فنفذ فيهم الحكم شنقا يوم ٥ يوليو الحالى .

★ ★ ★

---

(١) افوة قرية تابعة لمركز الواسطى ، محافظة بنى سويف ، وهى من القرى القديمة . (محمد رمزى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥) « قسم ثانى ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ » .

الغاء المحاكم العسكرية

وفى يوم ٩ يوليه ١٩١٩ أصدرت رياسة مجلس الوزراء البلاغ الآتى وهو :

[٤٣٣] ان المحاكم العسكرية التى دعا الى تأليفها ما حدث فى القطر أخيرا من الاضطربات والقلاقل كانت حكمت بالاعدام على واحد وخمسين شخصا من الذين ثبت عليهم ارتكاب القتل من حادثة الاعتداء المعروفة التى وقعت فى قطار السكة الحديد فى ديروط ودير مواس بالوجه القبلى .

ولقد أصدر جناب الجنرال بلفن العفو عن واحد منهم ، وأبدلت عقوبة الاعدام بالنسبة لعشرة آخرين فأصبح مجموع الباقين من هؤلاء المحكوم عليهم بالاعدام بصفة نهائية أربعين نفسا » .

« فلما علم حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء فى آخر لحظة بهذه الأحكام رأى أن يسارع الى التوسط لدى جناب القائد العام لكى يتوسع فى زيادة الرأفة والرحمة ، نحو هؤلاء الأربعين المحكوم عليهم بالاعدام ، وبعد أن عرض الأمر على مسامع حضرة صاحب العظمة السلطانية سعى لدى جناب القائد العام حتى حصل على استبدال عقوبة الاعدام بالنسبة لستة من هؤلاء الجناة .

ولقد رأى دولته أيضا أن يطلب من جناب القائد العام الغاء المحاكم العسكرية واحالة الباقى لديها من القضايا الخاصة بحوادث الاضطرابات الأخيرة على السلطات المدنية والمحاكم العادية ، اذ أن البلاد قد عادت اليها السكينة واستتب فيها الأمن فأصبحت فى غير حاجة الى تلك المحاكم الاستثنائية ، فأقره جناب القائد العام على ما فى هذا الطلب من الصواب ، [٤٣٤] ووعد باصدار التعليمات اللازمة بهذا لمعنى الى المحاكم العسكرية لكى تكف عن العمل من يوم ١٥ يوليو الجارى على أن يستثنى من ذلك حوادث الاعتداء على أشخاص من أفراد القوات البريطانية .

« وقد أبدى دولة الرئيس لجناب القائد العام أن انتشار الأمن ورجوع النظام الى البلاد بسوغان الافراج عن المعتقلين السياسيين فى

الحوادث الأخيرة ، وابطال المراقبة على المراسلات التى تصدر من القطر الى الخارج (١)، فأجاب جنابه هذين الطلبين بالايجاب،وسيصدر التعليمات بهذا المعنى فورا » .

العفو عن بعض المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية

[٤٣٥]

وبتأثير محمد سعيد باشا رئيس الوزراء أصدر القائد العام فى ١١ يولية المنشور الآتى بالعفو عن بعض المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية وتخفيض عقوبة بعضهم وهو :

« بمناسبة انتهاء الحرب الكبرى والابتهاج بعودة السلام فى العالم أصدر جناب القائد العام أمره بالعفو عن المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية بعقوبة السجن لمدة لاتزيد على ثلاثة أشهر وبتنزيل مثل هذه المدة للمحكوم عليهم من المحاكم المذكورة بعقوبة لاتتجاوز السنتين » .

كان الوفد فى هذه الأثناء يواصل جهوده فى أوربا ، وقد أرسل الى فى ٢٢ يوليو تقريرا عن أعماله جاء فيه ما يأتى :

أخبار الوفد المصرى

[٤٣٦]

وفى يوم ٢٢يوليو أرسل الى الوفد فى تقريره ما يأتى خاصا بمجهوداته فى أوربا :

« لقد وضعنا القواعد الأولى للحركة السياسية والصحافية الكبرى ، والآراء السياسية مجمعة هنا على أن استقلال مصر هو النتيجة الطبيعية لثبات الأمة على الاستمرار فى طلب الاستقلال ، وأن الساسة الذين علموا حق العلم بالحركة المصرية وبعدها عن التعصب الدينى وبغض الأجانب ، ثم علموا بأن هذه الحركة مستمرة دائمة على هذه القواعد الظاهرة ، يرون أن مصر تجد أنصارا فى أمريكا وفى أوربا حتى فى انجلترا (٢) نفسها مادامت حركة المصريين تنبههم كل يوم الى أن أمة الفراعنة جادة فى طلب الاستقلال دون سواه من الأغراض الأخرى ، التى تشوه الحركات

---

(١) صدر قرار أيضا بالغاء الرقابة على الصحف بشروط الا تنشر شيئا يؤدى الى الاساءة الى الحلفاء .

F.O. 407/185 No. 36 Allenby to Gurzon, July 18, 1919.

(٢) د. محمد انيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٢٦ .

السياسية ، وان الساسة هنا يعجبون بهذه الروح الطاهرة ، ويعطفون عليها ، ولا يرون لاستدامتها الا نتيجة واحدة هي حصول الأمة على ماتطلب، ولنا أمل وطيد أن المسألة المصرية ستكون فى عداد المسائل التى يتناقش فيها مجلس السناتو (١) فى أمريكا ، كما أنه ليس بعيدا أن تكون موضوع المناقشة فى البرلمان البريطانى .

سعد زغلول

[٤٣٧] وبالرغم من مجهودات الوفد الجبارة التى كان يبذلها فى الدفاع عن القضية المصرية فان الأبواب كانت موصدة فى وجهه ، مما جعل بعض أعضاءه ييأسون من الحصول على استقلال البلاد ، وكان ذلك يظهر جليا فى خطاباتهم التى كانوا يرسلونها الى أصدقائهم فى مصر .

وهذا ما نوهت عنه للوفد فى تقريرى المؤرخ (٢) ٢٣ يوليو اذ قلت فيه ما نصه :

« سبق ذكرت لسعادتكم أكثر من مرة أن روح الخطابات التى ترد من بعض حضرات أعضاء الوفد لاتتفق مع روح الكتابات التى ترد لنا من الوفد ، ولم أذكر لسعادتكم أسماء مرسليها تفاديا من وقوع أى خلاف . أما الآن وقد أتى مكتوب أخيرا بصيغة لايمكن السكوت عليها اذ به الجملة الآتية (الآن لا أمل ولا عمل فياليتنا نسعى للمفاوضة فى الاستقلال الداخلى) .

وهذا المكتوب ورد لحضرة محمود أفندى عزمى المحامى (٣) من صديقه على بك حافظ رمضان . وعزمى يقول أنه ورد مكتوب مثله لحضرة محمد بك حافظ رمضان (٤) .

« نعم ان على بك حافظ ليس من أعضاء الوفد ، ولكن بعد أن قرن الوفد ضمه لسكرتاريته وسافر معه بالفعل أصبح منسوبا اليه ، ولا يخفى على سعادتكم ما يحدثه مثل هذا الكلام من الأثر السىء فى النفوس خصوصا

---

(١) يقصد مجلس الشيوخ الأمريكى .

(٢) انظر نص الخطاب : د. محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١١٩ .

(٣) محمود عزمى : من أشهر الصحفيين المصريين بعد ذلك ، عمل أولا فى السياسة ثم أصدر مع توفيق دياب عددا من الصحف .

(٤) محمد بك (باشا فيما بعد) حافظ رمضان : أحد رجال الحزب الوطنى الذى تولى رئاسته منذ عام ١٩٢٣ ، واستمر رئيسا له حتى قيام الثورة سنة ١٩٥٢ .

وأن الخونة ورئيسهم الأكبر لا سلاح لهم الآن الا مثل هذه الجوابات ، فأرجو العمل على ملافاة ذلك حرصا على النفوس ومنعا لتسليح الخونة » .

عبد الرحمن فهمي

تقرير الجنرال اللنبى عن حوادث مصر

[٤٣٨] فى جلسة ٢٤ يولية ١٩١٩ بمجلس النواب الانجليزى قال المستر ث. هرمسورث فى أثناء الرد على الأسئلة التى وجهت اليه ــ « أن الجنرال اللنبى أبلغ الحكومة أن عدد القتلى والجرحى فى أثناء الاضطرابات الأخيرة فى مصر يلغ ٨٠٠ قتيل و ١٦٠٠ جريح من الوطنيين ، و ٣١ قتيلا و ٣٥ جريحا من الأوروبيين وغيرهم من الملكيين ، و ٢٩ قتيلا و ١١٤ جريحا من الجنود ،وبلغ عدد الذين حكم عليهم من الوطنيين على اثر الاضطرابات ٢٧٠٠ ، وكان الحكم على أكثرهم بعقوبات خفيفة على أنه حكم على ٤٩ بالاعدام وعلى ٢٧ بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وقد أبطلت المحاكم العسكرية منذ ١٥ يوليو الحالى بالنظر الى اعادة السكينة التامة فى مصر .

« وأبلغ الجنرال اللنبى أيضا أنه عازم على التجاوز عن ثلاثة أشهر من أصل المدد المحكوم بها من المحاكم العسكرية ، وأنه سيأمر بالافراج عن جميع الأشخاص المعتقلين لأسباب سياسية » .

الغاء مراقبة التلغرافات والبريد

وفى يوم ٢٥ يوليو ١٩١٩ نشرت السلطة العسكرية بواسطة قلم المطبوعات البلاغ الرسمى الآتى :

« تلغى الرقابة فى القطر المصرى فى منتصف الليل بين ٢٣ و ٢٤ يوليو ١٩١٩ . [٤٣٩]

« وتستمر الرقابة فى بلاد العدو المحتلة (سوريا وفلسطين (١)) (وسيلزيا) (٢) وتكون المراسلات التلغرافية مع بلاد العدو المحتلة خاضعة للشروط الآتية :

---

(١) سوريا : المقصود بها سوريا الكبرى ، كذا فلسطين لم يكن قد فرض عليها الانتداب بعد وكانت من الناحية القانونية « أراضي العدو تحت الاحتلال » .

(٢) جزء من امبراطورية النمسا ــ المجر التى انهارت فى أواخر الحرب وأصبحت فيما بعد جزء من تشيكوسلوفاكيا .

١ ــ لاتكتب الرسائل التلغرافيــة الا باحدى اللغــات الثــلاث : الانجليزية والفرنسية والتليانية بأسلوب بسيط .

٢ ــ لايستعمل الا أحد الاصطلاحات الآتية : ألف بــاء (الطبعــة الخامسة) ، سكوتس (الطبعة العاشرة) ليبرزوسترن يونيون (الاتحاد الشرقى الغربى) بروموهولز ، بروموهولز (طبعة رابر) اصطلاح ماير للقطن بالاطلا نطيقى ، بنتسلى ريفر سايد » .

★ ★ ★

العدول عن ارسال وفد من مصر الى أمريكا

[٤٤٠] ولقد جرت المخابرات بيننا وبين الوفد بشأن ارسال وفد من مصر الى أمريكا لنشر الدعوة فيها للوفد والقضية المصرية ، ولكن الوفد بفضل جهوده التى بذلها قد تمكن من أن يحمل بعض (١) الأمريكيين أنفسهم على الدفاع عن عــدالة حق مصر ، واليك ما كتبــه الى فى تقريره المؤرخ ٢٥ يوليو ١٩١٩ :

« لم يعد هناك لزوم لارسال وفد من عندكم الى أمريكا لأن الوفــد أمكنه أن يجــد هناك من أرباب النفوذ والكفاية الواسعة من يمثله حق تمثيل ويدافع عن القضية المصرية بما تستحقه من العنــاية والاهتمام . وقد ورد لنا من هذه الجهة أن المسألة أخذت دورا مهما فيها كما أخبرناكم سابقا ، ويسرنا أن الأخبار الواردة من عندكم تفيد بأن روح التضامن قوية وهو ما نعتمد عليه كل الاعتماد بعد الله فى نجاح مأموريتنا ، وهنــاك من الدلائل ما يجعلنــا نعتقد بأن المسألة المصرية لابد أن تدخل فى دور جديد وكلما كانت الأمة متماسكة ومتساندة كان هذا الدور فى مصلحتها » .

سعد زغلول

---

(١) صدمت مصر صدمة كبيرة لموقف أمريكا من قضيتها ، واعترافها بالحماية البريطانية على مصر ، ولكن هذا الاعتراف لم يثبط همة أعضــاء الوفد المصرى ، فارسل مندوبه « محمد محمود باشا » الى أمريكا الذى وفق فى اختيار محاميا قديرا يدعى مستر جوزيف فولك ، وقد كان حاكما لولاية ميسورى ومستشارا قانونيا لوزارة الخارجية الأمريكية وله شهرة واسعة رشحته للرياسة سنة ١٩٠٨ . قام مستر فولك بتقديم مذكرة قيمة بوصفه المستشار القانونى للوفد المصرى الممثل للجمعية التشريعية عدد فيها وعود انجلترا بالجلاء ، وذكر الأدلة القانونية والشرعية والأخلاقية على بطلان الحماية ، وختمها بأن حق تقرير مصيرها يجب أن يكون من اختصاص مجلس عصبة الأمم .

(٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٠٨) .

مذكرة الوفد الى مؤتمر الصلح

[٤٤١] عومل الوفد المصرى – كما رأيت أيها القارىء – بجفاء شديد من المؤتمر اذ لم تلق خطاباته واحتجاجاته أى اهتمام منه ، كما أن الرئيس ولسن لم يشأ مقابلة سعد زغلول باشا وأحد زملائه ، كما طلب منه الوفد المصرى أكثر من مرة ، بيد أن ذلك كله لم يثن من عزيمة الوفد فى الفوز ، فأرسل فى ٢٦ يوليو ١٩١٩ المذكرة الآتية الى مؤتمر الصلح يرجو منه اعادة النظر فى المسألة المصرية :

[٤٤٢] « سبق أن طلبنا باسم الأمة المصرية من مؤتمر الصلح أن يسمع أقوالنا طبقا للقواعد التى بنى عليها المؤتمر أعماله – طلبنا هذا الطلب ونحن نرجو أن ينصف الشعب المصرى جزاء وفاقا لما قدم من الضحايا العديدة فى الرجال والأموال ، ومواد العمل فى سبيل نصرة الحلفاء ، فلم يقتصر المؤتمر على عدم سماع أقوالنا ، بل انه أكره الأعداء على الاعتراف بحماية بريطانيا العظمى على مصر ، ولقد جاء هذا القرار مخالفا لمبادىء المؤتمر نفسه ، ومنافيا لحقوقنا المكتسبة من قبل » .

« على أن الأمة المصرية لاتنفك بعد قرار مؤتمر فرسايل(١) كما كانت حالها قبله تستنكر كل الاستنكار الحماية البريطانية وترفضها رفضا باتا ، وتطلب معاملتها طبقا للمبادىء الحرة الجديدة التى أعلن المؤتمر أنها الأساس الجوهرى لمعاهدة الصلح ، تلك المبادىء التى لا يمكن أن يقوم صلح عادل وطيد الأركان الا بتطبيقها » .

« نعم ، فانه بالرغم عما يعانيه الشعب المصرى أفرادا وجماعات من صنوف الشدة والقسوة والضغط لم ينقطع عن المجاهرة باحتجاجه على الحكم الأجنبى واعلانه بأنه لا يرضى أبدا عن حريته بديلا . أن الشعب المصرى هو الذى حمل الوزارة الجديدة (٢) وهى الوزارة الوحيدة التى

[٤٤٣] استطاعت السلطات لانجليزية تشكيلها فى الظروف الحاضرة أن اضطرها الى الاعتراف علنا بصفة وفدنا فى التعبير عن رأى البلاد والى التصريح

---

(١) يقصد مؤتمر « فرساى » .

(٢) وزارة محمد سعيد الثانية ، انظر ص ٣١٣ من الجزء الأول .

بوجوب انتظار قرار المؤتمر بالنسبة لمصر وقد صدر هذا التصريح من الوزارة المصرية ، وهي تعتقد بأن المؤتمر لم يصدر حكمه الأخير في أمر البت النهائي في مصير البلاد ، وهذه هي أقوال رئيس الوزارة المصرية كما روتها جريدة الطان (الزمن) في عددها الصادر في ٢١ يوليو ١٩١٩ (١) .

(انني لا أجهل الطعن الشديد الموجه لوزارتي فانه لايمر يوم الا ويكون زملائي كما أكون أنا نفسي موضع تهديدات توجه الينا مباشرة ، ولا يخفاك أنه قد أطلقت في احدى الليالي طلقات نارية على متافذ منزلي ، وقد كان الهياج من الشدة بحيث يستحيل أن يهدأ دفعة واحدة ، غير أني مع ذلك ممتلىء ثقة بوطنية المصريين وحكمتهم ...

(اننا الآن أمام حالة واقعة فعلا لا يمكن اغضاء الطرف عنها سواء حل ذلك أو لم يحل محل الرضى ، فهل من مصلحتنا ألا يوجد الآن هنا وزير مسئول يتكلم باسم مصر ؟) .

(نعم : ان هناك الوفد المصري يقوم بمهمة عظيمة الأهمية كثيرة التشعب ولاشك اني بصفتي مصريا لا يمكن الا أن أتمنى له نجاحا تاما ، ولكن هل تساعده الظروف الحاضرة على مناهضة دولة الحماية وجها لوجه ؟ أليس مما تقتضيه وطنيتي أن يكون في خطتي شيء من عمل الوسيط ، انه عمل لايرغب فيه كثيرا ، ولهذا السبب ولأنه من أشق الأعمال وأصعبها كان يجب ألا يوجه الى اللوم على قبوله وفوق ذلك فان الوفد قد عرض المسألة المصرية على مؤتمر السلام وهناك يكون أمر البت في مصيرنا كما هو الحال بالنسبة للأمم قاطبة ونحن نعيش الآن في عصر مملوء بالشكوك ، فالواجب يقضي علينا بالانتظار) .

ولنعد القول بأنه ليس هناك أقل منزع للريب في أن هذا التصريح انما صدر تحت تأثير الرأي العام المصري ــ ومن ذلك يستطيع المؤتمر تقدير المضار التي تنشأ من الحكم علينا بغير أن يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا ، ويستطيع أن يقرر اذا كانت المعاهدة بنصوصها الحاضرة تضمن ضمانا صحيحا صلحا دائما ، أو أنها في الواقع لم يكن من شأنها الا أن تقوى عوامل الحقد في قلوب الأمم المهضومة الحق ، وتقنعها بأن تلك المبادىء الجميلة التي أعلنت في بادىء الأمر على أن تكون أساسا للصلح ثم يعمل بعد ذلك بما ينافيها لا يمكن أن تطبق الا بالقدر الذي لا يتعارض مع المصالح الاستعمارية . [٤٤٤]

---

(١) انظر التصريح في جرائد : المقطم ١٩١٩/٧/٢٣ ، مصر ١٩١٩/٧/٢٣ .

« اننا باسم الشعب المصرى الذى قضت معاهدة الصلح باستعباده وجردته حتى من حقوقه المكتسبة له قبل الحرب خلافا لما توجبه الأغراض المبينة فى مقدمة المعاهدة المشار اليها ، نطلب من مؤتمر الصلح أن يعامل بلادنا السيئة الحظ كما يعامل الأمم الصغيرة التى حاربت الحلفاء خمس سنين مع أن الفرق بيننا وبينها ظاهر وأن يتفضل باعادة النظر فى حالتنا بحيث لا يحكم علينا الا بعد أن يسمع دفاعنا ٠

« ان المؤتمر بما هو عليه من الفكر الثاقب ، والرأى الصائب لايمكن أن يجهل أن أمة وثقت أتم ثقة بمبادىء الحلفاء فضحت بأبنائها الذين راحوا شهداء رصاص البنادق لا يمكن أن تحكم على غير ارادتها » ٠

رئيس الوفد المصرى

(الامضاء)

سعد زغلول

[٤٤٥] من الوفد المصرى الى البرلمان الفرنسى

ولم يكتف الوفد بهذا بل رأى أن يسلك كل السبل التى قد تؤدى الى نجاح القضية التى وكلته الأمة فيها ، لذلك رأى أن يوجه الاستنجاد الآتى الى البرلمان الفرنسى فى ٣١ يوليو ١٩١٩ وهو :

« باسم مصر نحتج على المادة (١) ١٤٧ والمواد التالية حتى المادة ١٥٤ من معاهدة الصلح المعروضة الآن على البرلمان للمصادقة عليها ٠ وهى فى الواقع مناقضة مناقضة تامة لجميع التصريحات التى فاه بها الحلفاء على رءوس الملاء أجمع ، والتى أكسبتهم العطف العام ، وهى أيضا مناقضة فوق هذا لتقاليد الآداب الدولية التى سارت عليها الشعوب دائما أبدا » ٠

« وقد أعلن الساسة الفرنسيون ــ وتقيد شرف الشعب الفرنسوى بهذا الاعلان ــ أن أهم غاية من الحرب هى جعل المعاهدات الدولية تحترم

---

(١) كان اعلان شروط الصلح التى قررها الحلفاء وسلمت الى الوفد الألمانى فى مؤتمر فرساى يوم ٧ مايو ١٩١٩ صدمة جديدة للحركة الوطنية ، فقد جاءت النصوص الخاصة بمصر (من المادة ١٤٧ الى المادة ١٥٤) مؤيدة للحماية التى فرضتها انجلترا عليها فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، وقد قبلتها المانيا ضمن ما قبلته من شروط الصلح ، وصارت جزءا من معاهدة فرساى ، التى وقعت فى ٢٨ يونية ١٩١٩ ٠

(عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ص ٢٠) ٠

حماية حقوق الشعوب الصغيرة · وكان الحلفاء على أتم اتفاق معهم على هذه المبادىء النبيلة نفسها ، وبذا كسبوا عطف شعوب العالم أجمع ، لا سيما الشعوب الصغيرة وبينهم مصر » ·

« والواقع أن مصر أعلنت فى ٥ أغسطس ١٩١٤ أنها فى حالة حرب مع المانيا ، وذلك برغم وقوف تركيا على الحياد ، ولتركيا السيادة على البلاد » ·

« ولما تداخلت تركيا فى الحرب بدورها فى صفوف امبراطوريتى(١) الوسط أراد المصريون أن ينتهزوا هذه الفرصة التى لم يزل فيها مبدأ حفظ كيان الامبراطورية العثمانية باقيا فاقترحوا على وكالة بريطانيا السياسية فى القاهرة أن يقاتلوا فى صفوف الحلفاء مقابل الاعتراف باستقلال مصر ، ولكن بريطانيا أجابت على ذلك باعلان حمايتها على مصر ، من تلقاء نفسها دون أن تفكر فى استشارة الشعب المصرى ·

[٤٤٦]

« ورغم هذا فان المصريين لوثوقهم باخلاص ساسة الحلفاء فى تصريحاتهم ، ولوثوقهم أيضا بوعود رجال الدولة الانجليزية ــ الوعود التى كررت أكثر من ستين مرة ونصف على عدم ضم مصر فى أية حالة من الحالات وبأية صفة من الصفات ــ لم يريدوا أن يعيدوا هذه الحماية التى أعلنت بغير وجه حق الا ضرورة حربية ، ولهذا لم يفكروا فى القيام ضد انكلترا ولا فى عرقلة عملها الحربى ، بل على العكس قدموا للحلفاء عونا يحق لهم معه أن يؤملوا أن يحسب له حساب ساعة التسوية بعد الفوز ، وقد رضوا بالمذلة صابرين ، واشتركوا فى الأعمال الحربية ، فقدموا تضحيات كبرى من الرجال (١٫٢٠٠٫٠٠٠ عامل فى جميع الميادين) والمال والجهود من جميع الأنواع · تضحيات كانت أهم عامل فى الفوز فى ميدان الحرب الآسيوى كما اعترف بذلك الجنرال اللنبى القائد العام لقواد الحلفاء هناك ·

« وقد تعينت أغراض الحلفاء من الحرب نهائيا عندما دخلت الولايات المتحدة فى صفهم فان مبادىء الرئيس ولسن التى انضم اليها جميع الحلفاء لم تترك بعد ذلك أى شك لدى الشعوب الصغرى فى التصرف فى مصير نفسها لاسيما الشعوب التى غيرت الحرب مركزها الدولى » ·

« ولا يمكن التسليم ببحث اعطاء وكالة على مصر ، فان بلادنا فى نظر العالم أجمع لاسيما فرنسا جديرة بأن تحوز استقلالها التام · وفوق

---

(١) المانيا والنمسا والمجر ·

[٤٤٧] هذا فقد زاد حقها فى ذلك الاستقلال ـ اذا كانت الزيادة متيسرة ـ بتقديم مساعدتها لقضية الحلفاء الذين نصروا الحق على القوة ، ووعدوا بالمساواة بين الأمم الصغرى والدول الكبرى » .

« وفوق هذا فان الهدنة وقعت على قاعـدة تلك المبـادىء ، ولكن معاهدة الصلح وضعت فيما يختص بمصر على نقيض تلك المبادىء ـ لسوء الحظ ـ فحتمت على الدول أن تعترف بالحماية البريطانية على مصر ، أى خرقت معاهدة سنة ١٨٤٠ » .

« ولا مجال للشك فى أن هذا يناقض المبادىء العادلة التى أعلنها الحلفاء ، ونذكرها ثانية ، وهى احترام المعاهدات الدولية والدفاع عن حقوق الشعب الصـغرى ، بل ذلك الأمـر يناقض الصواب ، لأن مصر تحملت شطرها من التضحيات ، فيجب أن تنال نصيبها من النتيجـة ، ولكن كل ما حصدته أنها عوملت أقل من معاملة الولايات التى كانت تحت السيادة العثمانية ، ولم يكن لها قبـل الحرب ظل استقلال ، وانضـمت أثنـاء الحرب فى صفوف الأعـداء ، ولم تدع قط أنها تعـادل مصر فى المدينة والأحوال الاجتماعية والاقتصادية » .

« ومع هذا ، فالتاريخ هناك يشهد بأن مصر غزت بعض تلك الولايات لحساب تركيا ، وفتحت بعضها لحسابها الخاص أثناء حرب سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٣٩ (١) ولم يحل دون سقوط الامبراطورية العثمانية بأسرها فى يدى المصريين الا تداخل فرنسا وانكلترا » .

وهل هذه اذن معاهدة الصلح « الدائم » المعروضـة على البرلمـان الفرنسوى لابرامها ؟ ان المعاهدات تغالت فى الاجحاف بالشعب المصرى الى حد أنها سترمى به قسرا الى جحيم الثورة .

[٤٤٨] « ان مصر التى لم تنقطع لحظة أثناء السنوات الخمس الماضية عن تقديم مساعدتها للحلفاء والتى كانت تعلل نفسها بأن تكافأ على ذلك متى تم الفوز ، والتى خدعتها كلمات الساسة الحلفاء الخلابة ، عهدت الى وفد ، غداة الهدنة ، أن يمثلها فى مؤتمر الصلح ، ولكن السلطات البريطانية عارضت فى سفر أعضائه ، فألح الرأى العام فى السماح لهم بالسفر ، وكانت نتيجة اظهار ارادة شعب بأسره على هذا النحو أن نفت السلطات الانجليزية الى مالطة رئيس الوفد وثلاثة من زملائه » .

---

(١) يشير فى هذا الى حروب الشام واستيلاء مصر على هذه البلاد خلال تلك السنوات .

« ورأى الشعب ذلك فاتحة معاملة سيئة ويئس من نصرة مطالبه ، فقام فى وجه الحماية ، وقام بحركة باهرة اشترك فيها المسلمون والمسيحيون تحت لواء الاتحاد المقدس » .

« قد تكون هذه الحركة التى اتحدت فى التضحية فى سبيلها جميع الطبقات وجميع العقائد حبا بالبلاد التى انتهكت حرمتها وعذبت على مذبح الوطن ، نقول : قد تكون هذه الحركة عديمة المثيل فى تاريخ الانسانية . فقد كان القساوسة فى المساجد والعلماء فى الكنائس يعظون بهذا الحب فقط » .

« وظن الانجليز أنهم يستطيعون التغلب على هذه الحركة بقوة السلاح ، فلم يترددوا فى أى وسيلة من وسائل الترويع،فكانت المظاهرات السلمية تقابل يوميا بطلقات البنادق والمدافع الرشاشة ، ولكن المتظاهرين فى الغد ما كانوا لتقفهم تضحيات ضحايا الأمس من زفاقهم الذين سقطوا فى الشوارع قتلى وجرحى بالعشرات » .

[٤٤٩] « واخترعت قوانين عسكرية خاصة بنا ، وهى قوانين لم يعرف تاريخ الغزو فى القرون الوسطى نفسها لها مثيلا ، مثل القانون الذى يضطر المصريين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية لأن يحيوا الضباط الانجليز المارين فى الشارع التحية العسكرية » .

« ولم تجد جميع وسائل الارهاب ، سواء فى ذلك الفظائع التى ارتكبتها الجنود من حرق القرى وقتل الأنفس ونهب الأملاك واعتقال الوطنيين المشتبه فيهم ونفيهم ، بل لا تزال الأمة المصرية لا تعترف بحماية فرضت عليها بالقوة ، وهى مجمعة على المطالبة باستقلالها » .

« واذا كانت الدول الكبرى تسلم بأن بعض الشعوب الصغرى يمكن أن تكون طعمة استعمارية ، أفلا يكون من الحكمة السياسية الا يطبق هذا المبدأ الا على الشعوب الصغيرة التى ألفت حديثا ولا تزال تجهل حقوقها فى الحياة والحرية » .

« ليس الشعب المصرى من الشعوب التى تخضع لأول محتل لبلاده ، كما انه لا يجهل حقوقه » .

« أليس من الغريب تشبيه قضية مصر بقضية مراكش ، مع أنه ليس هناك أى وجه شبه ممكن بين البلدين ؟ ومما يهم ذكره فوق هذا أن مراكش وافقت على حماية فرنسا قبل الحرب وأن مركزها الدولى قد سوى عند وضع معاهدة الصلح » .

« ان الحرب ، على العكس ، غيرت مركز مصر الدولى ، فـان آخر صلة كانت لها بالامبراطورية العثمانية قطعت وفوق هذا فان امتيازاتها بصفتها بلدا مستقلا استقلالا ذاتيا يجعلها أحق بالاستقلال من أى شعب من شعوب الامبراطورية التركية، فوضعها ومراكش فى كفة متوازنـة اجحاف لايبرره العقل والأساليب السياسية الدولية » .

[٤٥٠]

« لا يمكن للشعب المصرى أن يوافق الا على استقلاله التام ، سواء أكان ذلك لأنه يستند الى الغايات التى أعلن الحلفاء رسميا أنهم يحاربون فى سبيلها أم لأنه يستند الى المساعدة التى قدمها الى فرنسا وحلفائهـا وساعدت على فوزهم » .

« على أن مصر ، بالاستنجـاد بالشعب الفرنسوى فى الساعـات العصيبة الحالية تحرك أمرا آخر غير ما ذكر . ذلك أنه لانزاع فى أن مصر هى بكرية فرنسا فى الشرق منذ قرن (١) . فقد كانت فرنسا أول من أخذ بيدها لاقتيادها فى سبيل استقلالهـا تحت حـكم محمد على ، وفرنسا هى التى أحاطتها من المهد بعناية لاحد لها » .

« وقد استمرت صلات الوداد المتقدمة طول القرن الماضى ، وكانت نتيجتها اعطاء تعليمنا وتهذيبنا الأهلى صبغة فرنسوية بحتة . وما قوانيننا الا قوانين فرنسويـة وقد ولد كل هذا فى قلوب المصريين ثقـة بفرنسا تجعلهم يطلبون منها أن ترفع صوتها لمصلحتهم باسم الحق والعدالة » .

« اننا لا نتطفل فنناقش ما اعتقدت حكومة الجمهورية أنهـا تناله مقابل ترك مصر ، ولكننا لانظن أن الشعب الفرنسوى ينظر بعين الرضا الى المدارس الفرنسوية تقفل أبوابها ، وهى التى كانت أول ما أنشىء فى وادى النيل ، وهى التى خرجت منها مدنيتنا الحالية » .

[٤٥١]

« كلا !! لا يسعنا أن نعتقد أن شعب فرنسا النبيل الذى كان دائما ممهد سبيل المدنية الحديثة فى الشرق والذى كان حامل لواء الحرية ـ فى مصر على الخصوص ـ يقبل التخلى عن ذلك المركز العظيم ، وهو الذى لم يعرف النكوص قط !! انه لا يمكن أن تبرم معاهدة وضعت بروح منافية للمبادىء التى أعلنت عند وضع الهدنة ، ومخالفة للغايات التى اعتقد أنه حارب فى سبيلها » .

« فالى ممثـلى الشعب الفرنسوى النبيـل نسوق شكوى الشعب المصرى ، شكوى شعب قضت عليه معاهدة الصلح بالاستعباد ، وحكمت

---

(١) يشير فى هذا الى العلاقة الخاصة التى نشأت بين فرنسا ومصر منذ أوائل القرن التاسع عشر مع بناء الدولة الحديثة فى مصر .

عليه من جراء ذلك بالثورة الدائمة وتكون هذه أول مرة فى تاريخ الشعب الفرنسوى العظيم يساعد فيها أمة صديقة لاتطلب سوى حقها فى الحياة ولا تعرف أن تعيش بغير الاستقلال » ٠

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

من رئيس سكرتارية مجلس النواب الفرنسى الى الوفـــد المصرى

[٤٥٢] وفى ٢ أغسطس ١٩١٩ وصل الى الوفد المصرى الخطاب الآتى من رئيس سكرتارية مجلس النواب الفرنسى وهو :

باريس فى ٢ أغسطس ١٩١٩

« سيدى :

« كلفنى حضرة رئيس مجلس النواب بأن أتشرف باخطاركم باستلامه خطابكم والنداء المرفق به الموجه لمجلس النواب الفرنسى » ٠

وقد رجانى الرئيس أن أشكركم على اهتمامكم بارسال هذا المستند الهام اليه ، الذى سيكون موضع بحث دقيق ٠

« وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى » ٠

الامضـــــاء

(رئيس السكرتارية الخصوصية)

مأدبة الوفد المصرى للسياسيين الفرنسيين

[٤٥٣] ولقد رأى الوفـد ـ بعد ذلك ـ أن يثابر على نشر الدعوة للقضيـة المصريـة فى فرنسا ، فدعـا صفوة من رجال فرنسا المشتغلـين بالأمور السياسية الى مأدبة أقامها لهم فى يوم ٢ أغسطس ١٩١٩ ٠

وكان ممن دعاهـم الوفـد الى هذه المأدبـة المسيو أولار الأستـاذ بالسوربون ، وهو من أشهر أساتذة فرنسا ، ولكنه لما لم يستطع تلبية تلك الدعوة لمغادرته باريس قبل هذا التاريخ ، بعث بالخطاب الآتى الى رئيس الوفد ، وهو :

[٤٥٤] « يا حضرة الرئيس :

« انى لشديد الأسف لعدم استطاعتى تلبية دعوتكم والاشتراك معكم يوم السبت الموافق ٢ أغسطس لأنى سأكون قد تركت باريس ويستحيل على ماديا أن أؤخر سفرى ·وكم كنت أكون سعيدا لو تيسر لى الاشتراك فى المأدبة ، وأن أشرب نخب مستقبل الشعب المصرى الذى هو سلالة الشعب العظيم ـ أبو المدنية ـ الذى مازالت آثاره حلية الانسانية » ·

« انى لمعجب بماضيكم ولشديد الثقة بمستقبلكم » ·

« وانى كفرنسى لفخور بأن تكون اللغة الفرنسية أداة تستعملونها لاظهار نبوغكم الوطنى ، ولقد أتيح لى أن أزور مصر فكنت أشعر أنى فى بلد صديق لى لأنى فرنسى ، وقد شاهدت على وجوه مواطنيكم مميزات العنصر المصرى ·

« وانكم لجزء من أشرف الأجناس البشرية وشعب مثلكم ، جدير بالحرية » ·

وتفضلوا ياحضرة الرئيس بقبول عذرى ، وبمحبتى الخالصة وبعظيم احترامى » ·

الامضاء

(أولار)

ولقد خطب فى تلك المأدبة المسيو أوجانيو عضو مجلس النواب الفرنسى ووزير البحرية سابقا ، ونظرا لما حواه خطابه من العطف على القضية المصرية ، ننشره للقارىء فيما يلى :

« ياسعادة الرئيس وياأيتها السيدات والسادة :

[٤٥٥] « اننى مع زملائى الحاضرين من النواب الفرنسيين قد أجبنا بمنتهى السرور دعوة الوفد المصرى التى نعدها شرفا أولانا اياه » ·

« وان الخطاب الجامع بين آيات البلاغة ودقة البحث الذى سمعتموه الآن لما يعجز كل متكلم بعده ، ولكننا نستمحيكم الاذن فى الكلام لنعرب عن قدر اعترافنا بالقضية المصرية ومبلغ تعلقنا بها ، وعطفنا عليها » ·

« اننا أيها السادة فرنسيون لاتينيون نعرف قدر ديننا لأمتكم القديمة ، ونعلم أن مصر هى التى تبعث فى الوجود كل مبادىء الحق التى حاولنا نصرتها اليوم ولكنها وا أسفاه لم تفز الا فوزا ناقصا ·

« اننا نعلم أن صلح اليوم ــ الذى يعلو رغم نقصه ــ على كل صلح تقدمه ليس الا أثرا من آثار تلك المدنية اليونانية الرومانية المصرية القديمة التى نفخر بتراثها » ٠

« ونحن كلما ذكرنا مصر تعرونا هزة الشعر ، ونحس نحوها بعاطفة البنوة المقدسة وننظر اليها نظر العارف بالجميل ٠ كلما ذكرناها انبسط أمام خيالنا وادى النيل مهد المدنية يجرى فيه ذلك النهر العظيم الذى يفيض ماؤه خصبا وخيرا ٠ ورأينا آثار مصر العظيمة شاهدة بفضل المدنيات القديمة وسمعنا غناء النوتية يخترق سكون ليل مصر المقمر الجميل » ٠

على أن هذه الصورة التى تتمثل فى خيالنا لاتلبث أن تبعث فى نفوسنا ذكرى الماضى فنرى مصر ، وقد بلغت قمة الرقى الفكرى ونرى من آثار الشعوب المصرية واليونانية مكتبة الاسكندرية جماع المعارف البشرية ٠

[٤٥٦٦] ولعمرى أن الريح التى أثارت شعلة النار فى تلك المكتبة الثمينة قد أطفأت نور المدنية فى العالم أجمع فلبث مطفئا أجيالا عديدة ٠

« ان كل من أدرك المدنية الصحيحة يهتم باستقلال بلادكم وحريتها ، ونحن معشر الفرنساويين بنوع خاص لايسعنا أن ننسى العلاقات التى تربطنا بكم » ٠

ثم تكلم جنابه بعد ذلك على حكم محمد على فقال :

« ونحن لا نستطيع أن ننسى تعويله (١) على الفرنساويين فى انجاح بلاده فان أطباءنا ذهبوا اليكم ليجددوا دراسة علم الطب ، وأخص منهم كلوت بك ، كما ذهب اليكم عدد عظيم من علماء فرنسا لا ليلقوا عليكم دروسا بل ليقدموا اليكم نصيبهم من النجاح الذى أحرزته بلادهم ، وقد أزال القناع عن مجد وطنكم القديم ماسبيرو (١) ، ومن تقدمه من علماء الفرنسيين المشتغلين بالعاديات ، أما فرديناند دى لسبس الذى حفر قناة السويس فانه قام بأجل عمل أهلى كما خلد لفرنسا مفخرة كبرى ، ولكن أكبر ظنى أن تكون هذه القناة من دواعى العبث باستقلالكم وياحبذا لو بقيت حمايتها فى أيديكم دون سواكم » ٠

اننا نذكر كل هذا أيها السادة ، لندلكم على مبلغ اهتمامنا بتلبية

---

(١) تعويلة : من فعل عول أى اعتمد ٠

(١) عالم الآثار المشهور ٠

دعوتكم ، ولنثبت لكم أننا لسنا ممن ينسى مصر مهما تغلبت ظروف الحال على العدالة .

« اننا سنذكر مصر باسم العدالة لما بيننا وبينها من الروابط » .

أما الصلح الذى سنقره فهو صلح ناقص لايمكن أن يعد سوى مقدمة لصالح العدالة الحقيقى الذى يجب أن يعقد فيما بعد بين الشعوب ، فهو مجرد منهج لاغاية فى ذاته ونحن الذين نلنا بعض الفائدة من النصر وأنتم الذين لم تنالوا ما يحق لكم أن تنتظروه . نشترك معا فى عقد لواء الآمال على الديموقراطيات الظافرة التى حلت محل الأنظمة الاستبدادية الساقطة عساها تعمل على تحقيق غايات العدالة المثلى » . [٤٥٧]

واليك الكلمة التى ألقيت فى تلك المأدبة وهى المقدمة التى وضعها الكاتب الفرنسى المعروف المسيو أناتول فرانس لكتاب نفيس عن المسألة المصرية ، بقلم الكاتب الفرنسى الشهير فكتور مرجريت ، وها هى ذه :

[٤٥٨] « ان السلطة العليا قد بعثت من الفناء عشرين شعبا كانت من قبل فى عداد الأموات ، فهذه بولونيا (٢) وأرمينيا تضمدان الآن جراحهما ، وهناك على شواطىء بحر سفيــد الجميــل نرى اليونــان تنتعش ، ولكن العدالة الانسانية مازالت بتراء ناقصة وقد أدى نقص العدالــة وجنون الذين يزعمون أنهم عقلاؤنا الى جعل مصر ضحية الصلح الكبرى » .

« ومع ذلك فان أرض منفتاح القديمة لاينقصها ما يستوجب اعتراف العالم بجميلها فهى المربية الروحية لليونان ، وكهنتها هم الذين رفعوا النقاب لأول مرة عن أسرار هذا الوجود ، وأهل الفن فيها هم الذين تمكنوا بفطرتهم من أن يجعلوا آية الجمال مبصرة ، وبالأمس كان علمهم يشترك فى نصرة الحق مع اعلام الحلفاء » .

« على أنه هل هناك حاجة لتقديم حجج ومستندات فى حين أن العهد الجديد للأمم يخول كل شعب حق الحياة ؟ ولكن وا أسفاه !! فاذا كان المنافقون قد أساؤا تفسير التعاليم التى جاء بها المسيح ، فكذلك كان شأن مبادىء ولسن ، فانها استخدمت لارضاء جشع الطامعين ولخدمة الوسائل الدنيئة التى تسلكها الحكومات دائما تحت ستار الخق لادراك غايتها ، فليرتفع صوت مصر ، وليصل الى أعماق جميع القلوب حتى يجد من تضامن الشعوب وتآخيها نصيرا على الظلم » . [٤٥٩]

---

(٢) بولونيا (بولندا) : كانت تقتسمها كل من المانيا وروسيا والنمسا قبل الحرب ، واستعادت كيانها بعدها .

وقد تلا هذه المقدمة المسيو فكتور مرجريت ، ثم أعقبها بالكلمة الآتية التى خاطب بها أعضاء الوفد المصرى باعتبارهم نائبين عن الأمة المصرية قال :

« لقد قاتلتم فى جانب الحلفاء دفاعا عن القضية المشتركة وها نحن أولاء نرى ماجنيتموه من انتصار حق الشعوب ، فانكم لم تنالوا تعويضا عن الضحايا التى قدمتموها ولم تحصلوا على ترضية لحقوقكم ، فانكم مستحقون الاستقلال وقد حكم عليكم بالاستعباد » .

« ولكن هناك لحسن الحظ قوة أعظم شأنا من القوة المادية وهى قوة المبادىء التى ذهب ملايين من الرجال ضحية لها . واذا كانت العدالة نفسها كثيرا ما تخرج بتراء من المعارك التى تخوض غمارها فلا يفوتنا أن نكرر بثقة تامة ما قاله فيكتور هوجو وهو :

« ان العدالة عرجاء فهى تسير بخطى بطيئة . ولكنها تأتى فى نهاية الأمر » .

دعوة الوفد المصرى الى البرلمان الايطالى

[٤٦٠] كانت ايطاليا هى الدولة الوحيدة التى لم تعترف بحماية انجلترا على مصر (١) ، وظلت صحفها غير متأثرة بتيار تلك السياسة الأوربية الذى يجتاح كل سياسة تخالفه . فلما عرضت معاهدة الصلح على البرلمان الايطالى انتهز الوفد المصرى الفرصة ووجه الدعوة الآتية اليه فى ١٤ أغسطس ١٩١٩ وهذا نصها :

« يقدم الوفد المصرى ، احتجاجاته على المادة ١٤٧ وما يليها حتى المادة ١٥٤ من اتفاقية الصلح المعروضة الآن على البرلمان الايطالى للتصديق عليها ، فان هذه المواد هى فى الواقع على نقيض المبادىء التى جعلت قاعدة للهدنة والصلح » .

---

(١) كان الايطاليون أكثر الناس عطفا على القضية المصرية ، بل ان رئيس وزرائهم ورئيس وفدهم فى مؤتمر الصلح كان الشخصية الوحيدة من بين رؤساء وفود مؤتمر الصلح الذى قام برد زيارة سعد زغلول بعد وصوله باريس ، كما أن الجمعية المصرية هناك استطاعت كسب تأييد ممثلوا اثنتى عشرة دار صحفية ايطالية للقضية المصرية بعدما حالت الظروف دون سفر بعثة الوفد بنشر دعوته فى ايطاليا التى كان مناخها السياسى ممهد لدعوة الوفد لقضيته ، وكان ذلك لموقف مؤتمر الصلح من مسألة ميناء « فيومى » وانسحاب الوفد الايطالى من المؤتمر ، وعودته الى بلاده .

(د. عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٢٠٧) .

« ونحن نسارع بهذه المناسبة ، الى الاعراب جهرة عن شكر الأمة المصرية لايطاليا لأنها لم تعترف الى الآن بالحماية التى بسطتها انكلترا على مصر ، وقد حق علينا أن نبدى شكرنا للشعب الايطالى على العطف الذى لم يكف عن اظهاره لنا فى الظروف المؤلمة الحاضرة وهو عطف رددت الصحف — وهى لسان حال الرأى العام — صداه العظيم .

« ان الشعب المصرى لن ينسى مطلقا الصداقة التى أظهرها سلالة الرومان على ضفاف النيل فى الأزمة المريعة التى كان يجتازها ، وهى أزمة لايعرف نتائجها غير الله . فالعالم أجمع مقتنع الآن بأن مصر موطدة العزم على المطالبة باستقلالها الذى لا يمكنها الحياة بدونه ، وقد تجاوز نصيب الناشئة الايطالية فى المظاهرات التى أقامتها الشبيبة المصرية لهذا الغرض كل ما فى العواطف الكريمة من عظمة وشرف (١) . وهكذا أقامت تلك الناشئة البرهان على متانة الصلات التى تجمع بين الشعبين المجيدين فى الوقت الحالى كما كانا فى الماضى » . [٤٦١]

« فباسم صلات الصداقة ومصالحنا المشتركة، التى تمس اذا ماصودق على وضع انكلترا يدها على مصر ، نجرؤ على الأمل بأن يرفع نواب الأمة الايطالية الكريمة صوتهم بعبارات الحق والعدل فى سبيل أمة قديمة عدها مؤتمر الصلح فى الاتفاقية المعروضة عليكم للموافقة عليها سلعة تنتقل من يد الى يد ودون أن تتمكن من أن تقول كلمة واحدة فى مصيرها » .

« وهل نحن فى حاجة لأن نذكر أن الأمة التى أصيبت بهذا الاجحاف هى فى التاريخ من أعرق الأمم التى تدين لها الانسانية بمدنيتها ، كما تدين لليونان وروما بمدنيتهما ؟ ان تاريخ الرومان ممتزج بتاريخ المصريين فلا يمكن أن تنسى المدنية المصرية فى روما حتى لو نسيت فى بقاع الأرض الأخرى (١) » .

« ومع ذلك فانه يكفينا أن نذكر أننا لسنا حديثى الظهور فى المدنية والنظام الاجتماعى والسياسى ليكون من اللازم وضعنا تحت قوامة شعب

---

(١) تشير الوثائق البريطانية الى حقيقتين فى هذا الشأن :

اولاهما : أن الثوار المصريين لم يصطدموا بأى شكل بالجالية الايطالية رغم ضخامة حجمها ، وأن اصطداماتهم كانت أكبر بالجاليتين اليونانية والرومانية .

وثانيتهما : ان بعض العناصر الايطالية مثل دى كولالتو أضفت على الثورة سمة بلشفية .

انظر :

F. O. 407/184 No. 326.

F. O. 407/185 No. 33.

(١) يلاحظ هنا أن الوفد المصرى كان حريصا على أن يذكر كل جهة يبعث اليها بمذكراته بطبيعة الروابط بين الأمة المصرية والأمة التى تمثلها هذه الجهة .

أجنبى يرقب خطانا فى تطورنا وليست مواردنا وقوانا بحيث نخشى ألا نستطيع الدفاع عن استقلالنا ، وأخيرا لسنا فى حالة وحشية تجعل الشعوب التى لها مصالح معنا تخشى أن يصيبها السوء منا » .

« بل اننا بعكس ذلك فان مدنيتنا الفرعونية والعربية ومدنيتنا الحديثة التى اشتركت ايطاليا فى نشرها بنصيب غير قليل تمكننا من أن نقول اننا لسنا فى حاجة لوصاية أجنبية مهما كان الاسم الذى يطلق عليها ، ومهما كانت صفتها . فوضعنا تحت الحماية الانكليزية بالعنف ودون موافقتنا اجحاف لامثيل له ، ومن المستحيل علينا أن نصدق أن أيطاليا الشريفة التى رفضت الى الآن أن تعترف بهذه الحماية تشترك فى ظلم لاتبرره مصلحة المصريين ولاحق الأفراد ، ولا الحكمة المجردة ، لاسيما أن مصر لم تقترف جرما ليعاملها الحلفاء هذه المعاملة ، فانها لبثت سنى الحرب الخمس تقدم لهم من الرجال والمال والجهود المختلفة عضدا ثمينا ، كان العامل الرئيسى للفوز فى الميدان الأسيوى ، وذلك باعتراف القائد العام فى هذا الميدان . فمن المعقول أن تكافأ مصر على تضحياتها بتحسين فى موقفها السياسى تحسينا كانت تعمل لأجله » . [٤٦٢]

« لقد كان لمصر قبل الحرب استقلال ذاتى تام اكتسبته بموجب الاتفاقية المبرمة سنة ١٨٤٠ وفى ميادين القتال ، وكان فى وسعها من الوجهة الخارجية أن تعقد المعاهدات التجارية مع البلاد الأخرى دون أن يكون من اللازم أن تطلب الاذن بذلك من صاحب الولاية عليها .

« وهذا كان لها الحق فى أن تطلب من الحلفاء بقدر نصيبها العادل فى نتيجة الفوز فيحول ذلك الاستقلال الذاتى الى استقلال تام ، وقد اشتد لديها هذا الاقتناع فبذلت كل ما فى الامكان لاعلاء قضية الحلفاء . غير أن أول عمل قاموا به بعد الفوز معاملتها معاملة لم تكن فى الحسبان ، بل انها لم تعامل كما عومل خصومهم اليوغسلاف الذين رأوا بعد محاربتهم بالسلاح استقلالهم يقرر ويعترف به . بل أنه حدث أكثر من ذلك ، فان الحلفاء أعطوهم أرضا ، وهو أمر يصعب تبريره من وجهة المبادىء التى جعلت قاعدة لعقد الهدنة ، والمقدمة التى صدرت بها الاتفاقية » . [٤٦٣]

« وقد عوملت مصر بأقل مما عوملت به قبائل الحجاز ، وزد على ذلك أن الولايات العثمانية التى لم يكن لها أى مزية من المزايا التى اعترفت بها المعاهدات لمصر ، استطاعت أن تسمع صوتها وتقدم مطالبها » .

« ومثل هذه المعاملة تناقض المعاهدات الرسمية التى قطعها الحلفاء والدول المتحدة معهم على أنفسهم أثناء وابان الهدنة ، وهى بعيدة من أن

تحقق الغرض الذى يسعى اليه الجميع ، وهو الصلح الدائم . والظاهر أن اتفاقية الصلح لم تحقق أمانى أغلب الحلفاء لأنها ابتعدت عن المبادىء التى كانت أساسا لمثل هذا الصلح وأنكرت بعض المصالح المقدسة » .

« وبهذه الطريقة دفع الشعب المصرى . وهو أهدأ الشعوب ، الى الثورة لأنهم قضوا على الأمل المسيطر على القلوب ، وتركوه عرضة لأشد ما يعانى من حبوط الأمانى ، ولئن أشير فى الكلام عن هذه الفترة الثورية الى السكون الظاهر فى كل موضع فان الأفكار فى الحقيقة ، لاتزال فى ثورة عامة » .

واننا نضع أملنا فى نواب ايطاليا الحرة لأننا مقتنعون بأنهم سيساعدون أمة صديقة وثقت بتصريحات الحلفاء فدانت بدين ولسن ، وقد تأصل هذا الدين فى قلوب المصريين بحيث لايستطيعون أن يعيشوا تحت سيادة أجنبية .

[٤٦٤] « فباسم هذه الأمة الصديقة نرفع صوتنا لنرجوكم الاصرار الى النهاية على عدم الاعتراف بالحماية ، والمضى الى أكثر من ذلك فتحثون الحلفاء على أن يسددوا الدين الذى يدينون به لمصر يوم العضد الذى قدمته لهم ويحققوا ، فيما يختص بها ، مبدأ الحق والعدل الذى أدى الى اجتذاب عطف العالم أجمع نحو الحلفاء » .

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

مساعى الوفد المصرى فى أمريكا

[٤٦٥] وبفضل مساعى الدكتور حافظ عفيفى بك ــ عضو الوفد المصرى ــ توصل الوفد الى التعرف بالمستر جوزيف فولك (١) فعهد اليه بالدفاع عن القضية المصرية أمام مجلس الشيوخ الأمريكى .

وكانت فاتحة أعمال المستر فولك أن عمل على نشر الدعوة للقضية المصرية فى الصحف الأمريكية وذلك ليهىء الأفكار لسماع تفاصيل المسألة المصرية .

---

(١) المستر فولك Folk الحاكم السابق لولاية ميسورى أمكن من خلال اتصال المحامى الأمريكى المستر بوراه Borah به أن يقنعه بعرض المسألة المصرية على لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكى مطالبا بان تعرض القضية المصرية على عصبة الأمم .

واليك نص المذكرة الفياضة التى قدمها جنابه الى لجنة الأمور الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩١٩ وهى :

[٤٦٦] **« تعريب المذكرة المقدمة للجنة الأمور الخارجية فى مجلس شيوخ أمريكا »**

« من المستر جوزيف فولك المستشار القضائى للوفد المصرى »

- ١ -

« اغتصبت بريطانيا العظمى مصر تحت ستار الحماية ، فأخلت بمبادىء جمعية الأمم التى شرع فى انشائها وانتهكت حرمة العدالة وهى تطلب الآن أن تعترف لها الولايات المتحدة والأمم الأخرى فى معاهدة الصلح بحقها فى هذا الاعتداء ، وان تنتقل مصر بغير رضاء المصريين الى بريطانيا العظمى كأمة مغلوبة محكومة » .

نصت المادة ١٤٧ من القسم السادس من ملحق معاهدة فرساى على ما يأتى :

« تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وأنها تتخلى عن نظام الامتيازات الأجنبية فى مصر (١) ، وأن هذا التخلى يعمل به من ٤ أغسطس ١٩١٤ » .

« ومما يسترعى النظر أن هذه المادة ترمى فى ظاهرها الى مجرد تعيين مركز ألمانيا فلم تأت باشارة الى الولايات المتحدة والأمم الأخرى الموقعة على المعاهدة والحقيقة أن الغرض الظاهر من توضيح ذلك فى ملحق المعاهدة هو الوصول الى اعتراف الولايات المتحدة والأمم الأخرى بالحماية

---

(١) قال « سدلى لو » فى الصحيفة ٢٥١ من كتابه المسمى « مصر فى طور الانتقال » Egypt in Transition عن الامتيازات الأجنبية ما يأتى .

« يعلم معظم الناس ما هى الامتيازات الأجنبية اجمالا ولكن المقيمين فى مصر هم وحدهم الذين يعلمون مبلغ سوء تأثير تلك الامتيازات فانها معاهدات واتفاقات تخول الأوربيين فى الشرق حق الاعفاء من التقاضى أمام المحاكم الأهلية . فاذا ارتكب أجنبى جريمة لا يستطيع البوليس المصرى القاء القبض عليه ولا يسوغ تقديمه للمحاكمة أمام قاضى مصرى يحكم بمقتضى القانون المصرى وليس للبوليس أو للمجنى عليه الا أن يقدم الجانى الى محكمته القنصلية التى لا تدينه الا اذا ثبت أنه أجرم لا ضد القانون المصرى فقط بل ضد قانون بلاده أيضا ، أو على الأقل أنه أخل بالقوانين المحلية التى تعترف بها قنصلية بلاده » .

التى تعلنها بريطانيا العظمى على مصر بمجرد الموافقة على المعاهدة وبذلك يصبح مركز مصر من المسائل البريطانية الداخلية التى تخرج عن نطاق اختصاص مجلس جمعية الأمم » .

« ولكن هل يسوغ فى عرف القانون أن يعد اغتصاب مصر وحكمها على غير رضاء المصريين حماية ؟ ان الحماية فى القانون الدولى بوجه عام هى علاقة أمة قوية بأخرى ضعيفة تقوم الأولى بموجبها بحماية الثانية من أى غزو أو اعتداء والحماية تعترف بسيادة الأمة المحمية » .

[٤٦٧] « أما الأمر فى مصر فليس بحماية تعترف بسيادة البلاد المصرية ، بل هو تعيين سلطان على مصر من قبل بريطانيا العظمى ورفع الراية البريطانية على الديار المصرية وادارة شئون البلاد كما لو كانت مصر قد ضمت الى الامبراطورية البريطانية » .

« فالمصريون اليوم تحكمهم بريطانيا العظمى على غير رضاهم وقد انتحلت لنفسها السيادة على بلادهم » .

« وقد كانت الحكومة البريطانية تدعى حتى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ أن احتلال الجنود البريطانية للبلاد المصرية لم يكن الا عملا مؤقتا الغرض منه قهر « الثوار » أو « وفاء الديون المطلوبة للأوربيين من المصريين » ، فبعد أن قامت الحرب العالمية أعلنت بريطانيا فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ حمايتها المزعومة على مصر ، وقد نشر الاعلان المتضمن اغتصاب مصر ، ووضعها تحت العلم البريطانى فى جريدة التيمس التى تصدر فى لندن فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ حيث جاء فى العامود الثالث من الصفحة الثامنة منها ما يأتى :

(بناء على عمل سمو عباس حلمى باشا خديوى مصر السابق الذى انضم الى أعداء الملك قد رأت حكومة جلالته أن تخلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا وهو أكبر أمير حى من أسرة محمد على (١) فقبله) .

[٤٦٨] (وقد تفضل الملك فوافق على منح الأمير حسين الوشاح الأكبر الشرقى من نشان الحمام لمناسبة ارتقائه السلطنة) .

« فالسلطان الذى عينته بريطانيا بهذه الطريقة ليحكم مصر لا يمثل سيادة مصر ، بل سيادة انجلترا وظاهر من نص هذا الاعلان أن اغتصاب

---

(١) جاء فى النص المنشور فى الصحف المصرية « أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على » وليس « أكبر أمير حى من أسرة محمد على » .

مصر لم يكن سوى عمل من الأعمال التي اقتضتها الحرب فكيف يمكن الآن تبرير استمرار انتحال السيادة لبريطانيا العظمى على مصر بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وأوشكت جمعية الأمم أن تقوم على المبادىء القائلة بحق الأمم في بت مصيرها ، وبأن الحكومات يجب أن تؤسس في كل مكان على رغبة المحكومين » .

قالت « المانشستر جارديان » في عددها الصادر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، تعليقا على اغتصاب مصر : ان عمل بريطانيا ازاء مصر هو بمثابة الضم وأنه لايختلف في أية لفظة جوهرية عن اتخاذ السيادة المطلقة عليها ، وقد جاءت وقائع الحال مطابقة لهذه الأقوال .

ونشرت التيمس في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ مقالا تحت هذا العنوان المكتوب بالحروف الضخمة :

« مصر تحت العلم البريطاني » على أن التيمس لجأت الى الدهاء البريطاني المألوف وذكرت في مقالها الافتتاحي في عدد ذلك اليوم بعينه ما يأتي » :

[٤٦٩]

« كل ما يطلب الآن هو حماية مصر من كل اعتداء والمحافظة على الادارة الداخلية الحسنة فيها ، أما المسائل الأخرى فلا بأس من ارجائها الى أن يعود السلام الى نصابه كما أشار الى ذلك اللورد كرومر ، (١) في رسالته التي نشرها اليوم . فالعمل الذى عملناه هو مجرد خطوة ادارية عملية رسمها لنا ظهور تركيا بين صفوف أعدائنا » .

فالعمل على تبرير هذا الاغتصاب انما قام على دعوى حماية مصر من اعتداء تركيا ،والحقيقة أن الحماية انما اتخذتها بريطانيا العظمى غشاء تستتر به اغتصاب مصر والقضاء على كل أثر لحرية المصريين واستقلالهم . على أن الشعب المصرى لم يدرك في ذلك الوقت كل معنى هذا العمل من جانب بريطانيا العظمى ، فقد قيل له ان هذا العمل كان خطوة في سبيل استقلال مصر وقال جلالة الملك جورج في كتاب وجهه الى السلطان الذى عينه لحكم مصر ــ وقد نشر هذا الكتاب في جميع أرجاء البلاد المصرية ، كما نشر في جريدة التيمس الصادرة في ٢١ ديسمبر ــ ما يأتى :

« انني على يقين بأنكم بمؤازرة وزرائكم وحماية بريطانيا العظمى ستتغلبون على كل المؤثرات التي ترمي الى القضاء على استقلال مصر » .

---

(١) اللورد كرومر : أشهر المعتمدين البريطانيين في مصر ، شغل هذا المنصب بين عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٧ تحت اسم ايفلن بيرنج ، ثم اللورد كرومر .

فصدق المصريون حينئذ ما أعلن على رؤسهم من أن اغتصاب بلادهم على هذه الصورة لم يكن سوى عمل وقتى اقتضته الحرب وحاربوا الى جانب الحلفاء ببأس وشجاعة وهم يعتقدون أنهم يشتركون فى نصرة الديموقراطية ويعملون لاقامة حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها .

فلما آن وقت وضع شروط الصلح وانشاء جمعية الأمم ظن الشعب المصرى أن « حماية » بريطانيا العظمى تلك الحماية التى قامت على دعوى صيانة مصر من كل اعتداء خارجى سترفع عن كاهله لأنه سيصبح فى أمن من ذلك الاعتداء تحت اشراف جمعية الأمم ولكن تلك الآمال كان نصيبها الحبوط فان انجلترا لم تكتف برفض التخلى عن مصر بل طلبت الى الأمم الأخرى أن تقر استبقاءها تلك البلاد فى قبضة يدها ، وان كان عملا غير شرعى .

[٤٧٠] فان كان المقصود من جمعية الأمم أن تهىء للأمم سبيلا غير الحرب لفض منازعاتها والاحتفاظ بحق الأمم الصغيرة فى تقرير مصيرها ومنع أية أمة من الاعتداء على أية أمة أخرى ، فبأى منطق يسوغ أن يقال ان المعاهدة التى تنشأ بموجبها جمعية الأمم للأغراض المتقدمة ، هذه المعاهدة بعينها هى التى تعترف لبريطانيا بحق على مصر ينافى مبادىء جمعية الأمم كل المنافاة ولايتفق الا مع نظرية القوة الحربية خلافا لمبادىء الحق والعدالة .

- ٢ -

عندما احتلت بريطانيا العظمى مصر قطعت على نفسها عهودا صريحة لمصر وللعالم على أن احتلالها لايكون الا مؤقتا .

مصر وحدة تامة لا تتجزأ تسكنها أمة واحدة تتكلم لغة واحدة والشعب المصرى واحد فى خلقه وطبائعه وعوائده ومشاعره وأمياله فى جميع أنحاء البلاد على أن مصر بسبب موقعها الطبيعى كانت على الدوام مطمحا للدول المستعمرة أكثر من أى بلد آخر فى العالم ، فانها واقعة ما بين أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط وبين العالمين الشرقى والغربى ولذلك فهى مفتاح الباب الذى تلجه انجلترا فى سبيل نظامها الاستعمارى الواسع المدى ، بل هى فوق ذلك عامل هام من الوجهة الدولية فى شئون معظم بلاد أوربا وآسيا وأمريكا فلا عجب أن اتجهت الى مصر أنظار الطامحين الى سعة الملك من حكام الأرض وليس مثل قيصر ونابليون وبريطانيا العظمى ببعيد .

مصر بلد واسع الثراء فيه ملايين من الأفدنة من الأرض الزراعية التى تفوق فى الخصب وقوة الانتاج أغنى أرض فى ولاية ايلى نويس الأمريكية المشهورة (١) ٠

فاغتصاب مصر يضيف الى مقتنيات بريطانيا العظمى مساحة سعتها ٣٥٠ ألف ميل مربع يقطنها ١٣ مليون من الناس وتربو قيمة مواردها عن كل حصر ٠

[٤٧١] غزا الفرنسيون مصر تحت قيادة نابليون سنة ١٧٩٨ ، وفى سنة ١٨٠١ أخرجهم الترك بمعونة بريطانيا العظمى ، وحاول البريطانيون غزو مصر فى سنة ١٨٠٧ فطردهم منها الجيش المصرى ولبثت مصر ولاية تركية حتى سنة ١٨٣١ عندما نشبت الحرب بينها وبين تركيا وفازت الجيوش المصرية فيها بالظفر ، ولولا تداخل الدول العظمى لحفظ « ميزان القوة » لكانت الاستانة فى قبضة المصريين ، ولكن المصريين أرغموا على التنازل عن ثمار نصرهم الكاملة فكسبوا استقلال بلادهم الداخلى بمقتضى معاهدة لندن فى سنتى ١٨٤٠ ، ١٨٤١ (١) بشرط أداء جزية سنوية لتركيا يبلغ مقدارها ٦٥٠ ألف جنيه ، وأصبح فيما بعد لقب حاكم مصر معادلا للقب ملك بلا قيد وأصبح لحكومة مصر حق تجييش جيش وعقد القروض وابرام الاتفاقات الدولية مع الدول الأجنبية ٠

وظلت أمور مصر تسير وفق المرام حتى عهد الخديوى اسماعيل من ١٨٦٣ الى ١٨٧٩ فانه كان بطبيعته ميالا الى الانفاق عن سعة فى أعماله وأحاط به لسوء الحظ عصبة من المرابين الأوربيين الذين كان جل همهم المسارعة الى اقراضه المال بالربا المؤذن بالخراب فزاد دين البلاد فى سبع سنوات من ٣٫٢٩٢٫٠٠٠ الى ٩٤٫١١٠٫٠٠٠ فمهد دين المصريين لانجلترا ولغيرهم من الأمم سبيل التدخل فى شئون مصر ، فعينت وكلاء للاشراف على ايرادات البلاد بدعوى ضمانة وفاء القروض التى عقدها الخديوى اسماعيل ، على أن بريطانيا العظمى لم تكتف بمحاولة مراقبة الشئون المالية ، بل تعدتها الى المراقبة السياسية أيضا ، وفى سبتمبر ١٨٨١ استعر لهيب الثورة فى مصر قصد تحريرها من المؤثرات الأجنبية ٠

---

(١) ولاية Illinois (اللينوى) وعاصمتها شيكاجو تعد من اغنى ولايات أمريكا زراعيا ٠

(١) معاهدة لندن ١٨٤٠ وفرما ١٨٤١ يشكلان ما يسمى بالتسوية التى أعطت لمصر استقلالا داخليا ٠

وفى مـايو ١٨٨٢ ألقى الأسطول البريطـانى مراسيه فى ميناء الاسكندرية ، وفى يونيه ١٨٨٢ وقع شغب فى الاسكندرية ، وفى ١١ ، ١٢ يوليه١٨٨٢ ضرب الاسطول البريطانى مدينة الاسكندرية ، وشرعت الجنود البريطانية فى احتلال مصر ، وقطعت بريطانيا العظمى على نفسها عهدا للحكومة المصرية وللعالم بأن هذا الاحتلال لايكون الا مؤقتا ، وهاك بيان العهود الصريحة التى صدرت من انجلترا نقلا عن المستندات الرسمية الآتية :

[٤٧٢]

١ ـ جاء فى رسالة اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا حين ذاك المؤرخة فى ٤ نوفمبر ١٨٨١ المنشورة فى الكتاب الرسمى المعنون مصر نمرة ١ سنة ١٨٨٢ انظر صحائف ٢ ، ٣ ما يأتى :

« ان سياسة حكومـة جلالـة الملكة نحو مصر لاترمى الى غرض غير رفاهية تلك البلاد وتمام تمتعها بالحرية التى كسبتها بمقتضى الفرمانات العديدة الصادرة من السلطان ومما لايفتقر الى ايضاح أن انجلترا لاتريد وزارة حزبية فى مصر فان حكومة جلالة الملكة ترى أنه اذا أقيمت فى مصر وزارة حزبية تستند الى تأييد دولة أجنبيـة أو الى نفوذ شخصى لبعض الوكلاء السياسيين فان مثل هذه الوزارة لا يمكن أن تخدم مصلحة مصر ولا مصلحة الدولة التى تستمد تأييدها » .

٢ ـ نصت المعاهدة التى وقع عليها اللورد « دوفرن » (١) مع ممثلى الدول الخمس العظمى الأخرى فى ٢٥ يونيه ١٨٨٢ « مصر نمرة ١٧ سنة ١٨٨٢ صحيفة ٣٣ »على ما يأتى :

« ان الحكومات التى يمثلها الموقعون على هذا قد تعهدت بألا تطلب من وراء علمها المشترك لتسوية المسائل المصرية أى توسيع لأملاكها أو أى احتكار لامتياز خاص بها دون سواها أو أية منفعة تجارية لرعاياها تختلف عما يمكن لرعايا الأمم الأخرى الحصول عليه » .

٣ ـ قال السير بوشان سيمون (٢) فى رسالة الى الخديوى توفيق بالاسكندرية فى ٢٦ يوليه ١٨٨٢ نشرت فى الجريدة الرسمية فى٢٨يوليه من تلك السنة :

---

(١) اللورد دوفرين : سفير بريطانيا فى استنبول وقتذاك وصاحب التقرير الشهير الذى وضع عن أحوال مصر سنة ١٨٨٣ .

(٢) الادميرال بوشان سيمور قائد الاسطول البريطانى الذى ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ .

[٤٧٣] « أنا الأميرال قائد الاسطول البريطاني أرى من المناسب أن أؤيد لسموكم مرة أخرى بغير توان أن حكومة بريطانيا العظمى لاتنوى فتح مصر أو أذى المصريين بأية صورة فى دينهم وحريتهم ولا غرض لها سوى حماية سموكم والشعب المصرى من الثائرين » .

٤ ـ صرح السير تشارلس ذلك فى مجلس العموم البريطـانى فى ٢٥ يوليه ١٨٨٢ بما يأتى :

« ان رغبة حكومة جلالة الملكة موجهة الى انقاذ مصر من الاستعباد العسكرى وترك الشعب المصرى يدبر شئونه بنفسه واننا نعتقد أن الأوفق لمصلحة بلادنا ولمصلحة مصر أن يكون حكم مصر بواسطة الأنظمة الحرة لابواسطة النظام الاستبدادى ، واننا لانرغب فى ارغـام مصر على قبول أنظمة التى نختارها نحن لها بل نفضل أن نترك لها حرية الاختيار وواجب الشرف يقضى على هذه البلاد أن تعمل بمقتضى مبادىء أنظمتها الحرة التى تفخر بها » .

٥ ـ صرح المستر غلاد ستون رئيس الوزارة الانجليزية فى مجلس العموم البريطانى فى ١٠ أغسطس ١٨٨٢ بما يأتى :

« اننى أجيب العضو المحترم الذى سألنى عما اذا كان فى نيتنا اطالة احتلال مصر الى أجل غير مسمى فأصرح له أننا مهما فعلنـا فان اطالـة الاحتلال الى أجل غير مسمى وليس مما نفعله فان ذلك انما يكون على تمام التناقض مع مبادىء حكومة جلالة الملكة ومقاصدها والعهود التى قطعتها مع أوربا وآراء أوربا نفسها » .

٦ ـ جاء فى رسالة اللورد دوفرن المؤرخة فى ١٩ ديسمبر ١٨٨٢ مصر نمرة ٢ ـ سنة ١٨٨٣ ـ صحيفة ٣٠ » ما يأتى :

« اننى فى حديثى مع الأشخاص المختلفين الذين استطلعوا رأيى فى المسألة المصرية صرحت بأنه ليس لدينا أقل نية فى الاحتفاظ بالسلطة التى آلت الينا ولكننا نريد تنظيم علاقاتنا مع الشعب المصرى بحيث ينظر الينا نظرا طبيعيا كأخلص أصدقائه ومشيريه ولا رغبة لنا على ذلك فى قهر المصريين على الخضوع لرأينا أو الرضوخ لوصاية منغصة » .

[٤٧٤] ٧ ـ صرح اللورد جرانفيل رسميا فى رسالة مؤرخة فى ٢٩ ديسمبر ١٨٨٢ « مصر نمرة ٢ ـ سنة ١٨٨٢ ـ ص ٣٣ » بما يأتى :

« عليك أن تحيط الحكومة المصرية بأن حكومة جلالة الملكة ترغب

فى سحب جنودها من مصر بمجرد سنوح الفرصة وان هذا الجلاء سيتم على الراجح تدريجيا من وقت الى آخر كلما سمحت بذلك حالة أمان البلاد ، وأن حكومة جلالة الملكة تأمل أن الوقت الذى تستبقى فيه القوة الحاضرة بكامل عددها سيكون قصيرا جدا » .

٨ — جاء فى رسالة اللورد دوفرين المؤرخة فى فبراير ١٨٨٣ « مصر — نمرة ٦ سنة ١٨٨٣ صحائف ٤١ ، ٤٣ » ما يأتى :

« قد اعترف بأن بلاد الخديوى تخرج عن نطاق الحروب الأوروبية والمنافسات الدولية ولا سبيل الى ادارة الأحكام فى وادى النيل من لندن فاننا ان حاولنا مثل هذا العمل أصبحنا لا محالة محل كره المصريين وريبهم وأصبحت القاهرة مركزا للدسائس والمؤامرات الأجنبية ضدنا فنضطر حينئذ أن نتخلى عما ادعيناه لأنفسنا تخليا شائنا وأن نجنح الى امتلاك البلاد امتلاكا تاما » .

٩ — وقال اللورد دوفرين أيضا فى رسالته المتقدمة صحيفة ٨٣ ما يأتى :

« لو كلفت بتنظيم شئون مصر على أساس يشبه حالة الايالات(١) الهندية الخاضعة لنا لكان الأمر على خلاف ما نحن فيه وكانت يد الوكيل الانجليزى القوية تخضع كل شىء لارادتها القاهرة فنستطيع فى خمس سنوات أن نزيد ثروة البلاد ورفائها زيادة عظيمة لتوسيع نطاق الأرض المزروعة وما يترتب عليه من زيادة الايراد وبابطال السخرة والرقيق ابطالا جزئيا ان لم يكن تاما وباقامة العدالة والاصلاحات المفيدة الأخرى ، ولكن لو كان الأمر كذلك لحق للمصريين حينئذ أن يعدوا هذه المنافع غالية الثمن لاضاعتهم فى سبيلها استقلال بلادهم على أن حكومة جلالة الملكة قد استقر رأيها على ما ينافى هذه الخطة . [٤٧٥]

١٠ — صرح المستر غلاد ستون رئيس الوزراء الانجليزية اذ ذاك فى مجلس العموم البريطانى فى ٦ أغسطس ١٨٨٣ بما يأتى :

« ان دول أوروبا الأخرى على تمام العلم بنوايا الحكومة البريطانية ، تلك النوايا التى قد تكون بطبيعة الحال محلا للنظر المترتب على الظروف - الا أنه لم يقصد بها مجرد الاخبار فهى بمثابة العهود والمواثيق » .

---

(١) بمعنى الولايات .

١١ ــ صرح المستر غــلاد ستون فى مجلس العموم فى ٩ أغسطس ١٨٨٣ بما يأتى :

« قد قام فى أذهان بعض الناس شىء من الشك مبعثه أميال الراغبين فى دوام احتلال مصر وضمها الى الامبراطورية ، وهذا مقصد قد عقدنا النية وصممنا كل التصميم على مقاومته وعلى ألا يكون لنا يد فى تحقيقه • اننا أضداد فكرة الضم وأضداد كل شىء يشبهها أو يقرب منها وأضداد كل قول يؤدى الى توقعها • نحن أضدادها لأنها لاتتفق مع مصلحة انجلترا ، أضدادها لأنها لاتتفق مع واجبنا نحو مصر • أضدادهــا بسبب العهود والمواثيق التى قطعناها على أنفسنا على صورة صريحــة معينة فى ظروف شديدة الحرج فاكسبتنا ثقة أوربا كلها ابان الأعمال الصعبة الدقيقة التى قمنا بها وهى عهود ومواثيق يتعين علينا الارتباط بهــا وتقديسهــا كل التقديس ، ونحن لانخفى على أنفسنا أن الاحتلال وان أطيل أجله الى ماوراء حد معين قد يؤدى الى الضم ولذلك فان غايتنا بذل منتهى العنــاية لمنع الاحتلال من أن يتخذ بالتدريج شكلا دائما • نحن لا نستطيع أن نعين يوما ولا نأخــــذ على أنفســــنا أن نعين يوما لجلائنــا النهــائى ولكنا سوف لا ندخر جهدا فى التعجيل بهذا الجلاء قدر المستطاع • أما الشروط التى تمكننا من الجلاء فهى على ما وضعها اللورد جرانفيل عــــودة استتباب النظام فى البلاد وتدبير الوسائل اللازمة للاحتفاظ بسلطة الخديوى » •

« قد عاملنا السير نورثكوت كما لو كنا ننوى البقاء فى مصر الى أن يتم فيها وضع الأنظمة التى تليق بأتوبيا (١) على أننا لانرى شيئا من ذلك ونحن بصريح العبارة نريد أن نهىء لمصر بداية حسنة ، فاذا ضمنا لهــا استتباب النظام وتدبير القوى المدنية والعسكرية الكافلة للاحتفاظ بذلك النظام وكان على عرشها رجل نثق بعدالته ، ويحب الخير ، وتهيأت لهــا الادارة اللازمة لاقامة العدل تحت اشراف مستنير وعهد بها الى قوم أكفاء ، اذا أدركنا كل ذلك وبدأنا بداية معقولة فى سلوك سبيل الهيئات التشريعية التى تنطوى على بعض بذور الحرية فانه يمكن حينئذ أن يقال بأن المهمة الواجبة علينا قد تمت » •

[٤٧٦]

١٢ ــ جاء فى رسالة للورد جرانفيل فى ١٦ يونية ١٨٨٤ « مصر نمرة ٢٤ ــ سنة ١٨٨٤ » صحيفة ١٣ ما يأتى :

---

(١) يوتوبيا Utopia مكان خيالى يبلغ فيه كل شىء نهــاية الكمال وضربت به الأمثال •

« ان حكومة جلالة الملكة مستعدة لسحب جنودها في بداية سنة ١٨٨٨ بشرط أن يكون رأى الدول حينئذ أن هذا الجلاء يمكن حصوله بغير خطر على السلام والنظام » .

١٣ – صرح اللورد دربى فى مجلس اللوردات فى ٢٥ فبراير ١٨٨٥ بما يأتى :

« قد وضعنا نصب أعيننا من بادىء الأمر أن الاحتلال لايكون الاوقتيا، وليس فى عزمنا أن نستبقى مصر فى قبضة يدنا على الدوام فاننا قد قطعنا العهود والمواثيق على ذلك مع هذه البلاد ومع أوربا ، فان اتبعت سياسة أخرى فانها لاتصدر منا » .

١٤ – صرح اللورد سالسبرى (١) فى مجلس اللوردات فى ١٠ يوليه ١٨٨٧ بما يأتى :

« ليس فى وسعنا أن نأخذ على عاتقنا حماية مصر لأن حكومة الملكة قد تعهدت غير مرة بألا تفعل ذلك ، وقد أشار اليوم اللورد الخطيب المتقدم الى هذا العهد فأنصفنا بقوله بأن هذا العهد ماثل فى أذهاننا على الدوام ، ومما لامشاحة فيه أن وجودنا فى مصر وجودا لاتعترف به الاتفاقات قد بعث فى نفوس رعايا السلطان من الريب فينا ما لا نستحقه » .

[٤٧٧]

١٥ – صرح اللورد سالسبرى فى مجلس اللوردات فى١٢أغسطس ١٨٨٩ بما يأتى :

« ان صديقى اللورد المتكلم قبلى الذى يطلب الينا أن نستحيل من حراس الى ملاك وأن نعلم دوام بقائنا فى مصر لم يعلق على ما أرى الأهمية الكافية على العهود المقدسة التى قطعتها حكومة الملكة فارتبطت بالوفاء بها ونحن فى مثل هذه المسائل لاننظر الى أوفق الخطط أو أربحها بالنسبة الينا بل نرمى الى الخطة التى تقيدنا بها عهودنا والشرائع الأوربية » .

١٦ – صرح المستر جلادستون فى مجلس النواب فى أول مايو ١٨٩٣ بما يأتى :

« لايسعنى الا الاعراب عن اتفاق رأيى اتفاقا عاما مع القول بأن احتلال مصر انما هو بمثابة حمل ثقيل وان احتلال تلك البلاد احتلالا لايطابق تقاليدنا السياسية ولا يتفق مع الاخلاص للدولة صاحبة السيادة على مصر ، وهو ينافى شرائع أوربا ومن المحقق اننى لا أستطيع أن أدعو

---

(١) رئيس وزراء بريطانيا .

الى النظرية القائلة بأننا اكتشفنا واجبا يمكننا من نبذ العهود التى ارتبطنا بها بمحض ارادتنا أما اذا أنكرنا أننا مقيدون بعهود تنافى فكرة اطالة الاحتلال الى أجل غير مسمى أو فسرنا ذلك الاحتلال تفسيرا مبنيا على اعتبارات فرعية من شأنها الاخلال بهذه العهود ، اذا فعلنا ذلك فانما نأتى بما لايتفق مع الشرف التام » .

١٧ ـ نص الاتفاق الانجليزى الفرنساوى المعقود فى ٨ ابريل ١٩٠٤ على ما يأتى :

« تصرح حكومة جلالة الملك بأنه ليس فى نيتها تغيير مركز مصر السياسى » .

١٨ ـ جاء فى تقرير اللورد كرومر المؤرخ فى ٣ مارس ١٩٠٧ (مصر نمرة ١ ، سنة ١٩٠٧ صفحة ٢) ما يأتى :

« توجد اعتراضات يتعذر تذليلها فى سبيل بسط الحماية البريطانية على مصر ، فان ذلك يستوجب تغييرا فى مركز البلاد السياسى فى حين أن المادة الأولى من الاتفاق الانجليزى الفرنساوى المعقود فى ٨ ابريل ١٩٠٤ نصت على أن الحكومة البريطانية تصرح تصريحا قاطعا بأنها لاتنوى تغيير مركز مصر السياسى » . [٤٧٨]

١٩ ـ حديث للسير الدن غورست المعتمد البريطانى فى مصر مع الدكتور نمر رئيس تحرير جريدة المقطم بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٠٨ وهو حديث اعترف به رسميا وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد جراى فى مجلس العموم الانجليزى وهو (١) :

« اسمحوا لى ياجناب السير الدون غورست أن أسألكم هل من صحة لما قيل من أن بريطانيا العظمى عازمة أن تعلن حمايتها على مصر قريبا أو انها تفكر فى ضم مصر الى أملاكها ؟ »

فأجاب السير الدون غروست بما يأتى :

لاصحة لهذه الاشاعة على الاطلاق ولك أن تكذبها كل التكذيب ، فان بريطانيا العظمى قد عاهدت الدولة العلية والدول الأوروبية عهودا هذا وقد كررته حكومتها سنة ١٩٠٤ حين عقد الاتفاق الانجليزى رسمية على احترام سيادة السلطان على هذا القطر ، وهى مقيمة على عهدها

(١) يؤكد تضمين المستر لولك فى مذكرته لمثل هذه النصوص المستمدة من الصحف المصرية أن أعضاء الوفد المصرى قد ساعدوه فى وضع هذه المذكرة .

وقــد كررته حكومتها ســنة ١٩٠٤ حين عقــد الاتفــاق الانجليزى الفرنساوى (٢) فانها ذكرت فيه أنها لاتقصد تغيير مركز مصر السياسى ولا الحكومة البريطانية ولا الأمة البريطانية تريدان أن ترجعا فى عهدها هـذا » ٠

٢٠ ـ جاء فى تقريـر السير غورست المـؤرخ ٢٧ مارس ١٩٠٩ (مصر نمرة ١ سنة ١٩٠٩ صفحة ١) ما يأتى :

« يوجد بين طبقات الأمة التى تفوق سواها فى مضمار التعليم فريق قليل العدد ولكنه آخذ فى الزيادة التدريجية يعنى بالأمور المتعلقة بالحكومة وبادارة البلاد وتراه يعمل وله كل الحق فى أن يعمل على حلول اليوم الذى تستطيع مصر فيه أن تتولى حكمها بغير مساعدة خارجية ، وهذه هى عين الغاية التى تتجه اليها السياسة البريطانية فلذلك لا محل للتناقض فى المبادىء بين عناصر الاصلاح الانجليزية والمصرية » ٠

[٤٧٩]

٢١ ـ وجاء فى ذلك التقرير بعينه فى صحيفة ٤٨ ما يأتى :

« لم تتغير سياسة الحكومة البريطانية المقررة منذ بداية الاحتلال على الاطلاق ولقد كانت الفكرة الأساسية التى قامت عليها هذه السياسة اعداد المصريين لحكم بلادهم واعانتهم على التمتع بمزايا الحكومة الصالحة الى أن يحين وقت تحقق تلك الفكرة » ٠

٢٢ ـ جاء فى تقرير السير الدون غورست المؤرخ فى ٢٦ مارس ١٩١٠ (مصر نمرة ١ ـ سنة ١٩١٠ ـ صحيفة ٥١) ما يأتى :

« لا تختلف السياسة البريطانية فى مصر عن السياسة التى تتبعها بريطانيا العظمى فى جميع أنحاء الأرض نحو البلاد الخاضعة لنفوذها وذلك أنها تقدم مصلحة سكان تلك البلاد على كل ما عداها » ٠

٢٣ ـ صرح السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانيــة فى مجلس النواب فى أغسطس ١٩١٤ بما يأتى :

« تمد انجلترا يدها الى كل أمة لتساعدها ضد أى معتد يحاول تهديد سلامتها واستقلالها » ٠

★★★

(٢) يقصد الاتفاق الودى

القسم الثالث

[٤٨٠] **ولكن الحرب اوجدت لانجلترا ذريعة للحنث بعهودها**

جاء فى تقرير رسمى مؤرخ فى أول نوفمبر ١٩١٤ ما يأتى :

أرسل جلالة سلطان تركيا منشورا الى الدول العظمى ليلفت نظرها الى أن وجود الجنود الانجليزيـة فى مصر لايسمح له بممارسة حقـوق سيادته ، وبناء على ذلك طلب خديو مصر من الحكومة الانجليزية أن تجلى جنودها عن بلاده .

وجاء أيضا فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ ما يأتى :

« قدم توفيق باشـا سفير تركيـا فى لنـدن الى وزارة الخارجيـة الانجليزية بلاغا نهائيا من خديو مصر يطلب فيه جلاء الجنود الانجليزيـة عن مصر فى الحال .

بناء على ذلك أعلنت انجلترا فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ خلع خديو مصر الشرعى وتعيين الأمير حسين عم الخديو سلطانا على مصر . فسلطان مصر الذى عينته انجلترا باق على العرش اليوم بتأييد قوة انجلترا الحربية .



القسم الرابع

الآن وقد وضعت الحرب أوزارها هل تسلم مصر الى بريطانيا العظمى كغنيمة من غنائم الحرب خلافا لأحكام وثيقة جمعية الأمم وللمبادىء التى خاضت أمريكا من أجلها الحرب

اذا وضعنا وعود انجلترا المبنية على فكرة الايثار الى جانب فعالها بمصر ، وقارنا بين القول والفعل هالتنا نتيجة هذه المقارنة التى ينبو (١) عنها الذهن الديموقراطى .

لقد كانت بريطانيا العظمى وأمريكا أصرح البلاد بيانا فى ايضاح أغراضها من الحرب ففى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ خطب مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية فأشهد العالم على تجرد بريطانيا العظمى من الأنانية التجرد التام فى هذه الحرب حيث قال : [٤٨١]

« اننى أقسم بالله أن انجلترا لاتطلب شبرا من الأرض » .

وقال : « اننا خضنا غمار هذه الحرب لا لسبب غير محض المروءة ونصرة الضعفاء » .

وصرح فى ٢٧ فبراير ١٩١٥ تصريحا مفرغا فى قالب الحماسة الشديدة قال فيه :

« ان الدعوى بأن انجلترا تتطلب سعة الملك أو غير ذلك من أسباب بسط الجاه انما هى محض افتراء شنيع من جانب الأعداء » .

أما أمريكا فانها أعلنت أنها اشتركت فى الحرب « لتجعل حياة الديموقراطية فى مأمن من كل عادية ولتؤيد ما لكل أمة خاضعة للنظام من الحق فى حكم بلادها ولتنصر حقوق الأمم الصغيرة وحريتها » .

قال الرئيس ولسن فى الخطاب الجليل الذى ألقاه فى ٤ يوليه ١٩١٨ على جبل قرنون موطن واشنجتون :

---

(١) ينبو من فعل نبا بمعنى تباعد أو دفع عن . انظر مختار الصحاح .

« ليس هناك سوى محل واحد للخلاف لامحيص عن حله حلا قاطعا لأنه لايقبل تسوية ولا حلا وسطا ٠

« تحارب أمم الأرض المتحدة من أجل أغراض لايتم الصلح الا اذا تحققت ، منها أن تسويـة جميع المسائل سواء أكانت متعلقـة بالأراضى أم بالسيادة ، أم بالاقتصاد أم بالعلاقات السياسية لايجب أن تقوم الا على أساس قبول تلك التسوية قبولا اختياريا محضـا من جانب الشعب ذى الشأن مباشرة لا على أساس المصلحة المادية أو المنفعة التى تعود على أية أمة أو شعب آخر يرغب فى تسوية أخرى لفائدة نفوذه وسيادته ٠ نحن لانبغى سوى سيادة القائمة على رضى المحكومين أنفسهم ، تلك السيادة التى يؤيدها الرأى العام المنظم » ٠ [٤٨٢]

فهل يجوز تسليم مصر بغير رضى المصريين الى انجلترا اكراما لخاطر نفوذ انجلترا وسيادتها ؟

اذا تصفحنا مبادىء ولسن الأربعة عشر ألفينـا المبدأ الأخير منهـا ينطبق كل الانطباق على ما نحن بصدده ، وهذا نصه :

« تنشأ جمعية عامـة للأمم بموجب وثيقـة صريحـة لغرض ايجاد الكفالات المتبادلة لضمان الاستقلال السياسى وسلامة الأملاك لجميع البلدان صغيرها وكبيرها على السواء » ٠

هذا المبدأ ان طبقناه على مصر كانت النتيجة على نقيض الاقرار الذى تطلبه انجلترا على اغتصابها مصر وهدم استقلالها ٠

وان طبقنا المبدأ السابع من مبادىء ويلسون على مصر مع وضع كلمة « مصر » محل « البلجيك » أصبح هذا نصه :

« أجمع العالم على أن « مصر » يجب اخلاؤها وردها لأهلها من غير محاولة تحديد السيادة التى تتمتع بها كبقية الأمم الحرة وليس هنـاك عمل آخر يصلح وحده لاحياء ثقة الأمم فى الشرائع التى شرعتها لأنفسها واتخذتها ضابطا لعلاقاتهـا بعضها ببعض ، وبغير هذا العـلاج الشافى يعتل جسم القانون الدولى اعتلالا أبديا » ٠

لعمرى كيف يمكن الادعاء بأن مصر تخرج عن نطاق المبادىء الأربعة عشر ، وأن لانجلترا أن تنكر على مصر حق تقريـر مصيرهـا ؟ وان كانت الأداة التى تقضى على الاعتـداء الدولى هى بعينهـا التى تقـر انجلترا على اغتصاب مصر بالقوة أفلا يعتل جسم القانون الدولى اعتلالا أبديا ؟؟ أولا تصبح الوثيقة التى تضمن لجميع الأمم حقهـا فى تقرير مصيرهـا والأمن

من اعتداء غيرهـا محض هـزء وسخريـة ؟ أو يجوز أن تمتهن في القسم السادس من ملحق المعاهدة تلك المبادىء الديموقراطية السامية التي نصت عليها وثيقة جمعية الأمم ٠ [٤٨٣]

انتهكت بريطانيا العظمى حرمة العهود التي قطعتها على نفسها لمصر وللعالم وأعلنت « الحماية » على مصر ، ولكنها أشارت ضمنـا الى أن تلك الحماية قاصرة على مدة الحرب تنتهي بنهايتها ، فارتكن الشعب المصرى الى شرف بريطانيا العظمى واقتحم الحرب ضد الدول الوسطى ووضعت مصر جميع مواردها رهن مشيئة الحلفاء ، وحارب أكثر من مليون مصرى على حدود مصر الشرقية فجاهر الجنرال اللنبى فى خطاب ألقاه على جمعية الشبان المسيحيين بمصر الجديدة بأن الجانب الأعظم من الفضل فى نجاح الحلفاء فى فلسطين وسوريا انما يرجع الى مصر ٠ بالرغم من ذلك فان بريطانيا العظمى تغتصب مصر كما لو كانت أمـة مغلوبـة مقهورة ، أولا يكون من النفاق أن نصرح بحق جميـع الشعوب فى تقرير مصيرهـا وأن نعترف لكل شعب بحقه فى العمل لمستقبله مطلقا من كل قيد من جانب أية قوة خارجيـة ، ثم لا نلبث أن نقـر لانجلترا بتولى السيادة على مصر خلافا لارادة المصريين ورغباتهم واخلالا بجميع مبادىء الحق والعدالة ٠

ان كانت بريطانيا العظمى لاتنوى البقـاء فى مصر الا ريثمـا تنشأ جمعية الأمم فتكون تلك الجمعية واسطة لدفع كل اعتداء خارجى عنها قلنا هذا شىء آخر ، ولكن كيف يكون هذا مقصدها ، وهى تطلب من الدول الأخرى أن تعترف لها باغتصاب مصر واستبقائهـا فى قبضة يدها ، ان انجلترا تبغى صراحة أن تحتفظ بمصر احتفاظا دائما كجزء من مستعمراتها وأن تفعل ذلك بموافقة أمم الأرض المتمدينة ان استطاعت وهو مقصد واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ٠

لقد حلت مبادىء جمعية الأمم محل تلك الفكرة البالية القائلة بتوازن القوى بين الدول فقضت على كل معذرة تلتمسها انجلترا من هذه الوجهة لتستند اليها فى البقاء فى مصر ، وفضلا عن ذلك فليس لبريطانيا العظمى بموجب وثيقة جمعية الأمم أن تطلب استبقاء مصر فى قبضة يدها لتحميها من كل اعتداء خارجى وهى الدعوى التى استندت اليها التيمس فى بيان سبب اغتصاب مصر ٠ [٤٨٤]

وجلى أن المبادىء التى اشتملت عليها وثيقة جمعية الأمم اذا نفذت بغير محاباة لوجب الاعتراف بأن تسوية مركز مصر فى اختصاصها متى شرعت فى أعمالها ٠

★★★

القسم الخامس

ليس لانجلترا حق البقاء بمصر

ماذا يكون ظن الناس بالولايات المتحدة اذا اغتصبت احد البلاد وأبقته فى قبضة يدها بمثل الأسلوب الذى انتهجته انجلترا لاغتصاب مصر والبقاء فيها ؟ وهل تستطيع انجلترا أن تحتفظ بمصر وباحترام الجنس البشرى معا فى هذا العصر عصر حقوق الانسان ؟ وهل لانجلترا أن ترينا حقها على مصر وهى لم تكتشفها ولا هى اشترتها أو فتحتها فتحا شرعيا بل احتلتها لتطمئن على وفاء الدين ووعدت المصريين والعالم أجمع وعودا صريحة بالجلاء بعد احتلال مؤقت ، ثم لم تلبث أن اغتصبتها محتجة بضرورات الحرب بسبب انضمام تركيا الى صفوف الأعداء أما الآن وقد وضعت الحرب أوزارها وأوشكت جمعية الأمم أن تنشأ وقد تقرر أن لاتقوم الحكومات الا على رضى المحكومين فهل يجوز الاعتراف لأمة بحق اغتصاب أخرى ؟ لو تم ذلك لعدنا بالخيبة فى سبيل تحقيق أسمى أغراض الحرب وفقدنا أثمن جوهرة فى اكليل الانتصار .

يقال لنا : أن جمعية الأمم ستنفذ على الأمم نفس المبادىء التى مابرحت تقضى بها القوانين العامة على أفراد الناس من عهد بعيد . والقانون العام يزج فى أعماق السجون ذلك الرجل الذى يمتهن حرمة دار رجل آخر ، فيدخلها قهرا بحجة تحصيل دين ثم يتخذ لنفسه صفة المالك فيأمر وينهى فى تلك الدار على نظرية أن ذلك خير وأبقى لصاحبها ، ثم يطلب أن يعترف له بحق الاستيلاء لسيطرته عليها . اذا صح ما يقال لنا فلا مندوحة أن تقضى جمعية الأمم على بريطانيا العظمى بالجلاء عن أرض مصر التى اعتدت عليها قهرا بغير حق . [٤٨٥]

لقد قوبل اعطاء اليابان شانتونج (بمقتضى القسم الثامن من ملحق المعاهدة) بأشد ما يمكن من المقاومة لحصوله بغير رضا أهل شانتونج على أن لليابان بعض الحقوق على شانتونج وليس لبريطانيا العظمى حق على مصر ، فان الحقوق المترتبة على شانتونج منحتها الصين لالمانيا ، وان كان منحها نتيجة ضغط شديد ، فاليوم ينحل بمقتضى المعاهدة ما لألمانيا من

الحقوق والامتيازات على شانتونج أيا كانت فتنتقل الى اليابان ، أما بريطانيا العظمى فلا حق لها على مصر ، ولكنها باقية فيها بقاء اغتصاب .

وقد صرحت حكومة اليابان بالا تبقى فى شانتونج انتهاكا لحقوق أهلها ، وانها ستعيدها الى الصين أما بريطانيا العظمى فانها لم تصرح بمثل هذا التجرد من الأنانية ازاء مصر . والواقع أن احتلالها أرض مصر تحت ستار الاطمئنان على وفاءالدين وحماية الحكومة المصرية من غائلة الثوار ثم اطالة أجل الاحتلال اخلالا بوعود الجلاء ثم اغتصابها مصر اليوم انتهاكا لحقوق الشعب المصرى ، كل ذلك لايبعث على الأمل فى صدور أى عمل متجرد من الأنانية من بريطانيا العظمى نحو مصر .

وعدت بريطانيا العظمى عندما احتلت مصر فى بادىء الأمر أنها انما اندفعت الى ذلك بداعى الضرورة المزعومة لحماية حقوق السلطان والخديو من اعتداء « الثوار » القائمين تحت ثورة عرابى سنة ١٨٨٢ فلما هزم الثوار وطلب من بريطانيا العظمى أن تجلو عن مصر . انعكست الآية وانقلبت الحجة الى نقيضها فقالت بريطانيا ان عليها واجب حماية الشعب المصرى من بطش السلطان ، واستبداد الخديو ، واتخذت هذه الدعوى ذريعة لاطالة أجل الاحتلال . فى حين أن الشعب المصرى لم يطلب منها حماية ، ولم ينتهج سبيلا يتطرق منه الشك الى مقاصده . [٤٨٦]

واليوم اغتصبت بريطانيا العظمى مصر بدعوى حمايتها من اعتداء تركيا ، وهى تبقيها فى قبضة يدها رغم ارادة المصريين مع أن جمعية الأمم هى التى ستقوم بمهمة حماية الأمم من كل عدوان خارجى .



القسم السادس

هل نؤيد الحق أم القوة

ان اغتصاب انجلترا مصر واحتفاظها بها لا عن حق بل بمحض القوة عمل لايتفق مع الروح السارية فى العالم فنظرية القوة هى وحدها التى يمكن الاستناد اليها فى تمسك انجلترا بمصر ، ولعمرى ان المصريين الذين اقتحموا غمار الحرب فى صف الحلفاء للقضاء على الأوتوقراطية وتأييد الديموقراطية فى جميع بقاع العالم ، ثم أنكر عليهم كل حق فى تلك الثمار التى حاربوا وحاربت أمريكا من أجلها ــ ان المصريين الذين وضعوا تحت أقدام الأوتوقراطية العسكرية الانجليزية لتفيض نفوسهم مرارة ما أبعدها عن ذلك الصفاء الذى من شأن جمعية الأمم أن تنشر ألويته على البسيطة ، وهى الداعية الى الحق والعدل القائلة بألا يحكم شعب على غير رضاه · وقد كانت النتيجة المترتبة على الاغتصاب ما قرأناه فى الصحف من مثل ما يأتى : جـاء فى جريدة سنت لويس ريبلك « الصادرة فى ٢٥ يوليه ١٩١٩ هذا العنوان بالحروف الكبيرة : ٨٠٠ قتيـل و ١٦٠٠ جريـح من المصريين فى سبيل اطفاء البريطانيين للثورة المصرية ·

[٤٨٧] فاذا كان الأمريكان فى محل المصريين هل يمكنهـم أن يتخلفوا عن النضال فى مثل هذه الظروف ، وهل كان الانجليز أنفسهم يمتنعون عن فعل ما فعلـه المصريون ؟ وهل تكون الأدارة التى تكفل لجميـع شعوب الأرض حق تقرير مصيرها هى التى تقضى بحرمان مصر من ذلك الحق ؟ وهل سيستمر العالـم على الخضـوع لحـكم القوة ، أم ترانا قد أشرفنـا حقيقة على فجر يوم جديد تشرق فيه شمس الحق والعدالة فتنير جميـع أرجاء البسيطة ؟



القسم السابع

العدالة لاتخشى الحق والصراحة

حارب المصريون فى صفوف الحلفاء وهم معتقدون أنهم يحاربون فى سبيل حق تقرير مصيرهم ويؤيدون المبدأ القاضي بألا تحكم الشعوب على غير رضاها ، فلما عقدت الهدنة ابتهج المصريون لظنهم بأن وقت خلاصهم قد آن ، ولم يخالجهم شك فى أنهم سينالون حق تقرير مصيرهم ، وأن زمان حكمهم على غير مشيئتهم قد حان انقضاؤه فندبت الأمة المصرية وفدا ليقدم قضية مصر الى مؤتمر السلام فى باريس وهو الوفد الذى يرأسه سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب الذى يشغل أسمى منصب نيابى فى مصر . وقد كان كبير قضاة مصر ، وكان قبل ذلك وزير التعليم فيها .

وأعضاء الوفد نخبة من خيرة أبناء مصر ذوى الصفات النيابيــة . ندب الوفد للذهاب الى باريس على انتظار تأليف جمعية للأمم تكون مصر من أعضائها على أن ثقته فى بريطانيا لم تلبث أن تضمحل فانهـا حالت دون سفره وألقت القبض على أربعة من أعضائه واعتقلتهم فى مالطة فاشتد غضب الشعب ، وكان ذلك مبعث الثورة .

وقيل ان الجنرال اللنبى أشار على الحكومة البريطانية بالاذن للوفد بالسفر الى فرنسا فلما وصل الوفـد الى باريس هالهـم ماعلموه من أن معاهدة الصلح اشتملت على الاعتراف بالحماية الانجليزية على بلادهم ، فطلبوا أن يسمح بسماع أقوالهم فرفض طلبهم ، فزاروا قنصـل أمريكا وسألوه الأذن بارسال مندوب يمثلهم فى أمريكا ليروى حكايتهم فى بلاد الأحرار فأخبرهم القنصل فى بادىء الأمر أن طلبهم محقق الاجابة ، ولكنهم ما لبثوا أن قوبلوا بالتسويف من وقت الى آخر ، الى أن أبلغهم قنصـلا انجلترا وأمريكا أنه لن يسمح لهم بالذهاب الى أمريكا ، أو بارسال من يمثلهـم فيها . وأعضاء الوفـد اليوم فى حـكم المسجونـين فى باريس لا يستطيعون بفضل النفوذ البريطانى أن يحصلوا على جواز للسفر الى أى بلد آخر . [٤٨٨]

★★★

القسم الثامن

النتيجـــة

بالنيابة عن الوفــد المصرى بصفتى مستشاره القضائى أطلب أن ينص صريحا فى المواد من ١٤٧ الى ١٥٤ فى القسم السادس من معاهدة فرسای على أن مركز مصر يدخل فى اختصاص مجلس جمعية الأمم ، فأن تسليم مصر الى بريطانيا العظمى كغنيمة من غنائم الحرب لايمكن أن يكون من مسائل بريطانيا العظمى الداخلية ٠

ما برحت أمريكا ملجأ للمضطهدين من جميع البلدان ، وما برحت فيها حرية البحث فى شكاوى الاعتداء من الأمور الطبيعية ٠ فالقضاء على مصر بالبقاء فى أسر الاستعباد البريطانى لايفيـد سوى استمرار حصـد المدافع البريطانيــة هذا الشعب الطامـح فى الحريـة ، الذى حارب مع الأمريكان ليجعل العالم فى مأمن من الأوتوقراطية العسكرية ، أما اذا ضمن للمصريين سماع قضيتهم لدى مجلس جمعية الأمم أو أية محكمة أخرى دولية فهنــاك يبسط السلام جناحيـه على مصر ، ويستقر فيها الهـدوء لاطمئنانها على تقرير مركزها ورفع مظلمتها أمام العدالة الدولية ، وبذلك تكون جمعية الأمم قد حققت غرضا من أسما الأغراض المقصودة بتأليفها وهى تهيىء سبيل العلاج للأمم الصغيرة وتمكينها من الوصول الى حقها فى تقرير مصيرها القومى بالتجائها الى الحق والقانون دون القوة ٠ [٤٨٩]

جوزيف فولك

المستشار القضائى للوفد المصرى

تحريرا فى سنت لويس بولاية مسيورى فى ١٥ أغسطس ١٩١٩ ٠

أثر مذكرة المستر فولك

[٤٩٠] بعد تقديم مذكرة المستر فولك عن القضية المصرية الى لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي حدث أن رفضت اللجنة طلبه مقدما من مندوبى بلاد الهند يطلبون فيه سماع أقوالهم فاعترض المستر « هتشكوك » زعيم الحزب الديموقراطى على ذلك ، قائلا : « كيف يمكن أن يسمع صوت المصريين ولا يسمع صوت الهنود ، مع أن ظلامة الفريقين متماثلة ، وهي ضد خصم واحد ؟ » فردت عليه اللجنة بقولها : « ان (١) مصر تعد من الوجهة السياسية غير خاضعة لانجلترا ولا لتركيا بل يجب أن تكون مستقلة وزمامها بيدها » .

فكان لهذا القرار رنة فرح عظيمة طيرها المستر فولك الى الوفد بباريس ، الذى طيره بدوره الى مصر فنشرته الصحف متفائلة خيرا .

وفى جلسة ١٨ أغسطس بمجلس الشيوخ الأمريكى ألقى المستر « بوراه » خطابا هاما عن المسألة المصرية نورده لك فيما يأتى :

« قال جنابه : « ... ولكن صحف الأمس نشرت خبرا متأخرا منذ شهر ونصف شهر ،وهو أن أمة من الأمم الخاضعة لانجلترا توجد الآن فى حالة احتجاج عنيف ، ان لم تكن فى حالة ثورة علنية ضد سلطة الحكومة البريطانية » .

« فى سنة ١٨٨٢ دخلت انجلترا مصر من تلقاء نفسها ، بدعوى ضمان دفع بعض الديون وأعلنت للعالم مرات عدة على لسان رجال حكومتها الذين كانوا فى الوزارة مثل غلادستون وغيره أنها لم تذهب الى مصر الا لتسوية بعض أشياء ، وانها متى سويت أى دفعت الديون تنسحب من مصر .

[٤٩١] وكان هذا التصريح يجدد بين وقت وآخر منذ سنة ١٨٨٢ بعبارات أخرى مدة أربعين عاما ، ولكن انجلترا ادعت فى سنة ١٩١٤ أن

---

(١) انظر د. محمد انيس : دراسات فى ثورة ١٩١٩ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

حالة الحرب تضطرها الى اعلان الحماية على مصر ، فأعلنتها ، وأقامت فى البلاد حاكما عليها انتخبته الحكومة الانجليزية ٠

وأكدت حينئـذ أن هذا العمـل ليس الاالخطوة الأولى فى سبيـل استقلال مصر ، وظن الشعب المصرى ، بحسن نية ، أن أمة صديقة تحميه ، وأنها تزمع حقيقة أن تضمن له الاستقلال الذى قاتل فى سبيله منذ زمان طويل ، فصدق هذا الادعاء ٠

« ولما عقد مؤتمر الصلح أخذ الشعب المصرى ينتخب مندوبين عنه يبسطون قضيته أمامه ، ولكنهم حيل بينهم وبين عرض أمورهـم ٠ بل عمل ما هو شر من هذا وذلك أن أولئك المندوبين اعتقلوا وسجنوا ومع أنهم أطلق سراحهم الآن فقد منعت عنهم الجوازا تالتى تمكنهم من المجىء الى أمريكا » ٠

« ولم يول العالم هذا الحادث الا قليلا من العناية ، ولم نكن نعرف أن المجهود الذى يبذله أولئك النواب للمثول أمام مؤتمر فرساى يمثل فى الحقيقة احتجاج أمة بأسرها وثورة شعب متحد فى اللغة والمدنية تجرى فى عروقه روح الوطنية العريقة » ٠

« وقد تحول احتجاجه الآن الى حالة حرب دامت منذ الساعة التى علم فيها أن الحماية تزمع أن تكون دائمة ، ولا تزال مستمرة حتى الآن ، وفى الساعة التى أتكلم فيها ، يكبح جماح شعب مصر هذا بالقوة وبسنان الحراب ، فالدم والخراب يسودان جميع البلاد ٠

[٤٩٢] « وأكرر القول هنا بأنه ، مع أن كل ذى قلب لابد أن يستفظع تلك الأمور المثيرة للنفوس فانى لا أزمع بحثها هنا بل سأقتصر على ضرب مثل جديد للحالات التى ستحتم علينا المادتان العاشرة والحادية عشرة من عقد حزب الأمم (١) الاهتمام بها » ٠

« ان مراجل الاستياء والثورة تغلى فى الشرق كله ويعد سكانه ثلث أهل العالم » ٠

« تلك هى الحالة التى يطلبون منا المصادقة عليها » ٠

« أضيفوا الى ذلك احتجاجات الملايين من رعايا انكلترا الذين يرفعون أصواتهم بالاحتجاج لأنهم لايريدون أن يكونوا تحت الراية البريطانية ، ويثورون على سلطة بريطانيا التى يطلب منا صيانتها وتأييدها » ٠

(١) يقصد ميثاق عصبة الأمم ٠

« ان الحكومة الانكليزية استولت من جـراء هذه الحرب ياسيدى الرئيس على أرض يبلغ اتساع الولايات المتحدة » .

« قيل ان تجارب الماضى بددت المطامع الاستعمارية ، ومع هذا فمتى تم عمل مؤتمر فرساى وأخرجت المعاهدة ثمارها فان انكلترا ـ كما أكرر القول ـ تكون قد نالت أرضا تبلغ مساحتها مساحة الولايات المتحـدة وبسطت سلطانها على ٣٣ مليون نفس . على أن هذه الملايين التى سيطرت عليها أو سيكون لها عليها السيطرة التامة قامت بأجمعها تقريبـا ثائرة عليها » .

« تقلقنى هذه الحالات كما قلت ، فلم يعد ممكنا أن تنفض الولايات المتحدة يدها منها اذ متى تمت الموافقة على المعاهدة التى من شأنها أن تقيم عصبة الأمم فان هذه المسائل قد تصير حيوية لنا كما لو عرضت لنا فى داخلية بلادنا . وقد يضطرنا الأمر الى احتمال تبعة تقريرهـا فى مصر ، كما لو كانت فى المكسيك أو فى بلادنا نفسها » .

[٤٩٣] « وانى أريد أن ألفت نظركم ياسيدى الرئيس الى بعض هذه الحقائق ، وسأطلب تدوين غيرها فى المحضر الرسمى » :

« اذكروا ياسيدى الرئيس أن الخبر الذى جاء الى الشعب الأمريكى اليوم فقط ، كان يجب أن يصل الينا منذ أسابيع عديدة ، ومع هذا فانه لم يصل الينـا بواسطة الشركات البرقيـة (١) ، بل بواسطة المندوبين الذين اختارتهم الأمم المستعبدة ليعرضوا أمرها على الولايات المتحدة » .

« وبعبارة أخرى : يطلب من الشعب الأمريكى أن يعمل فيوافق على معاهدة فى حين أن الوكالات مثل وكالتى روتر (٢) وهافاس (٣) تتعمد اخفاء أخبار عنا قد تتوقف عليها يوما ما حياة مئات الألوف من مواطنينا وتمنع عنا معلومات تمس صميم المعضلة التى نسعى لحلها أمام الحقائق المعروضة الآن على أنظار الشعب الأمريكى فجاءت رغم احتجاج تلك الدول التى يطلب منا أن نؤلف منها جمعية » .

« اننا نعرف أن كوريا خربت وأبيد أهلها من السنوات الأربع الماضية ، وما من فظيعة ألمانية الا ولها مثيل فى المعاملة التى أنزلتها اليابان بكوريا ،

(١) يقصد وكالات الأنباء .
(٢) وكالة انباء انجليزية الجنسية .
(٣) وكالة انباء فرنسية الجنسية .

ومع هذا فقد كانت التعاليم (١) تنشر بانتظام بين الشعب مظهرة له مبلغ البركة التى تحظى بها كوريا من السيادة اليابانية حتى أتيح لجمعيات مسيحية مختلفة أن تكشف الحقيقة بواسطة بعض أعضائها » .

والواقع أنه لما كان يصل الينا خبر صحيح من مصادر لا يجرؤ أحد على اثارة الشك حولها كان يتجلى أن أخذ اليابان كوريا تحت كنفها جاء نقمة على الشعب الكورى المسكين لا نعمة له .

[٤٩٤

« وهذا نفس الواقع فى القطر المصرى وفى أجزاء أخرى من أوربا حيث الأمم المستعبدة مهددة بتلك السيادة ، وذلك القانون الذى تزمع المصادقة عليهما ، وجعلهما دائمين .

وهنا عدد المستر « بوراه » بعض الحوادث التى ارتكبت فى القاهرة والشوبك والشبانات والعزيزية والبدرشين وشبرا الشرقية (٢) ، وفى أنحاء مختلفة من الوجه القبلى ، ثم قال :

« تلك هى الوقائع التى طلب الشعب المصرى أن يؤذن له بعرضها على المؤتمر ، ولكن كما أن اليابان منعت مندوبى كوريا من رفع صوتهم فى فرساى لعرض حقائق على العالم واطلاع أهل الولايات المتحدة على ماهية الشريك الذى يزعمون الاتحاد معه ، كذلك منعت الحكومة الانجليزية استقبال المندوبين المصريين لبسط تلك الحقائق الواقعة أمام المؤتمر أيضا » .

ثم قرأ المستر بوراه قسما من حوادث نزلة الشوبك قائلا : ان لديه صورة منها موقعة من ابن عمدة نزلة الشوبك . ثم قال جنابه :

« اطلب ياسيدى الرئيس أن يسمح لى باثبات وقائع أخرى فى المحضر دون تلاوتها » .

فسمح له الرئيس (المستر ادج) بما طلب ، ثم استمر فى خطابته فقال :

سأتلوا عليكم عبارة من العرائض التى قدمها المندوبون لمؤتمر الصلح وبعض نقط جلية من الالتماس الذى قدمته مصر للمؤتمر بطلب استقلالها وهى » :

---

(١) يقصد الأنباء أو الدعايات .

(٢) انظر : الجزء الأول عن المذكرات .

« أن ما فعلته الانكليز فى مصر حفر بيننا وبينهم هوة يستحيل معها أن يقبل المصريون السيادة الانجليزية بعد ذلك » .

[٤٩٥] « واننا نعرف أن سواد الشعب الانكليزى لايوافق على ما يحدث فى مصر الا أنه يجهل تلك الوقائع الفظيعة جهلا تاما ، فان الحقيقة أعدمت ، ولم يترك لها أى أثر » .

« ألا يحق لنا أن نشك فى فوز العدالة ونحن نرى العقبات تكدس أمامنا ونرى صوت انكلترا القوى يعلو على صوتنا الضعيف » .

« اذا كانت الفظائع التى ترتكب ضد العدو مستنكرة فما القول فى فظائع ضد أمة صديقة متحالفة » ؟ .

« تعد السلطات البريطانية معاهدة لوندرة (قصاصة ورق) وكذلك الوعود الرسمية التى صرح بها رجال الحكومة الانكليزية رسميا » .

« ان مصر بأسرها ترفض السيادة البريطانية ، فاذا وافق المؤتمر على ضياع استقلال ذاتى نلناه منذ مائة عام كان ذلك ظلما جليا ، فهل يعقل أن يعامل الشعب المصرى معاملة السلع » .

« لنفرض لتسهيل المناقشة وأسلم بذلك تسليما تاما أنه بولغ فى فظائع كوريا ، ولنفرض أيضا أنه بولغ فى الفظائع التى ارتكبت فى مصر ، وأن يد الخيال امتدت الى أعمال القسوة التى سيفضح أمرها فان ذلك لاينفى أن تلك الشعوب كلها تجاهر بمعارضة سيادة يطلب منا نحن أن نساعدها على البقاء ، وتأبى (الشعوب) الاذعان للتبعية والخضوع دون مقاومة تؤدى مع الزمن الى الحرب ، وحالة الحرب موجودة من الآن وستبقى بين الناس حتى يضطر الظلم الذى يقاوم تلك الشعوب الى الخضوع » .

[٤٩٦] « وانى أسألكم اذا كان يصح أن يطلب من الولايات المتحدة الاشتراك فى هذا الظلم أنى أقوم فى وجه جمعية يكون زملاؤنا فيها مثل تلك الأمم التى لا تدعم مدنيتها أو حكومتها بالمبادىء السائدة فى جمهوريتنا نحن » .

« فاذا قبلنا الحالات الحاضرة واشتركنا مع تلك الدول فان هذا يكون رضاء منا بتحمل عبء ذلك الظلم الذى امتاز به شركاؤنا قبل دخول جمعيتهم » .

« وهذا ما يحدو بى الى التمسك من جديد بالنقط الثلاث التى أريد أن ألفت النظر اليها وهى » :

١ ـ « ان وكالات الأخبار الانجليزية والفرنسية تبـذل الجهود الدائمة دون انقطاع أو كلل لإخفاء الحقائق الواقعة عن الشعب الأمريكي » .

٢ ـ « أنهم بينما يبقوننا في ضلال يضايقوننـا ويحثوننـا على الوصول الى عقد معاهدة قبل معرفة الحقائق المرتبطة بها » .

٣ ـ « أن المادتين العاشرة والحادية عشرة تضطراننا الى التقيـد بقيد لاحد له وهو المساعدة على ابقاء شعوب في حالة تحتج عليها بشدة من الآن ، وهذه مهمة مروعة مثقلة بالصعاب من كل نوع ، مهمة تناقض تصريحاتنا ومبادئنا وعقيدتنا السامية مناقضة تامة . فلماذا نتعجـل ؟ لنسعى أولا الى معرفة كل ما تصح معرفته قبل قبول هذا العبء الكبير . حتى اذا كان لابد من قبوله كنا على علم بمبلغ ثقله » .

ثم ذكر جنابه بعدئذ شهادات ومحاضر تحقيق عن حوادث مشهورة وقعت في القطر المصري .



الخلاف بين انكلترا وفرنسا

[٤٩٧] جاءت الأخبـار في هذه الأثناء بأن خلافـا قام بين دولتي انجلترا وفرنسا فاستبشر الوفد واستبشرنا نحن كذلك ، فالخلاف لابد أن يؤدي الى ضعف الدولتين ، وهذا ما يقربنا من غايتنا .

ولقد أرسل الى الوفد في تقريره المؤرخ ١٨ أغسطس عن هذا الخلاف ما يأتي :

« تدل قرائن الأحوال على أن الخلاف بين انكلترا وفرنسا ابتدأ في الظهور . والهمة مبذولة لانتهاز هذه الفرصة لزيادة ايقاف الرأي العام في أوربا على حقائق المسألة المصرية واظهار حق مصر في استقلالها التام » .

سعد زغلول

وفي تقريري الذي أرسلته الى الوفد بتاريخ (١) ٢٣ أغسطس ١٩١٩ كتبت اليه عن تضايق مصر من الأحكام العرفيـة التي لم تزل مبسوطـة عليها ما يأتي :

---

(١) نص التقرير في : د. محمد أنيس : دراسات في ثورة ١٩١٩ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

« الأحكام العرفية لاتزال قائمة بمصر ، ووجودها بعد امضاء عقد الهدنة بعشرة أشهر تقريبا أمر لا يطاق فياليتكم ترفعون صوت مصر لدى للأحرار ببلاد الانجليز وغيرها لرفع هذا الكابوس القتال عن رؤوسنا حتى يمكننا العمل بحرية وبطريقة أوسع بين طبقات الأمة على اختلاف أنواعها لتجنب مخاطبة لجنة ملنر خصوصا وأنه ليس مما تفتخر به انجلترا أن تتظاهر أمام العالم بارسال لجنة لتحقيق ما يستاء منه المصريون والأحكام العرفية قائمة » .

عبد الرحمن فهمي

[٤٩٨] ثم عقبت على ذلك بقولى :

« الشعور هنا يسر كل محب للحركة ، وهو يتزايد من يوم الى آخر تبعا لما ينشر عما يقوم به الوفد من الأعمال السارة وتبعا لما تأتى به التلغرافات العمومية من أخبار الارتباكات الداخلية بانكلترا » .

عبد الرحمن فهمي

أخبار القضية المصرية فى امريكا

أما عن أخبار القضية المصرية فى أمريكا فى هذا الوقت وتقدم المسألة المصرية فيها ، فقد أرسل الى الوفد فى تقريره المؤرخ ٢٤ أغسطس(١) ١٩١٩ ما يأتى :

« الأخبار التى ترد الينا من أمريكا تفيد أن المسألة المصرية أخذت من عقول الأمريكيين مأخذا عظيما وصادفت كثيرا من النجاح لدى ذوى النفوذ الواسع الذين شرعوا فى ترويجها والانتصار لها . وأن وكيلنا هناك قدم طلبا للجنة الأمور الخارجية بمجلس السناتو (٢) بالاعتراف باستقلال مصر التام وبأن تسمع أقواله أمام اللجنة شفهيا وأن هذه اللجنة قررت سماع أقوال الوكيل المذكور كما قررت سماع أقوال غيره من ممثلى بعض الشعوب التى التجأت الى هذا المجلس كالارلنديين وغيرهم . وقد نشرت جرائد باريس هذه الأخبار عن مكاتبيها ، وقد وعدنا من نواب الأمة الفرنساوية وجرائدها بالدفاع عن القضية المصرية فى مجلس النواب

(١) انظر نص التقرير : د. محمد أنيس : دراسات فى ثورة ١٩١٩ ص ٦٩ ، ص ٧٠ .
(٢) يقصد مجلس الشيوخ .

وعلى صفحات هذه الجرائد · وابتدأ بعضها فعــلا بالكلام عن مسألتنــا وخصوصا جريدة الجورنال » ·

[٤٩٩] وكذلك وجدنا من ارباب الوجاهة والنفوذ الانجليز (١) من أخذ على عاتقه الدفاع عن استقلال مصر واذاعة هذا الدفاع بين ذوى المكانة من أبناء جلدته وهو مشغول الآن بذلك وستظهر نتيجته عما قريب ·

وبالاجمال فان حالة القضية المصرية الآن أحسن بكثير من ذى قبل ، والأحوال العمومية بين الدول تساعد كثيرا على ظهورها وبلوغها المحل الذى تستحقه من عناية الرأى العام الأوربى بها خصوصا متى كانت الأمة المصرية مستمرة على التضامن بين أفرادها والاتحاد بين عناصرها ، وعظيم الثقة بحسن مستقبلها ، وشديدة الوطأة على الخائنين والمترددين والمخالفين لارادتها ، فان هذا الاتحاد والتضامن من أقوى الدعائم التى يؤسس الوفد بناء أعماله عليها ·

سعد زغلول

وكذلك أرسل الى الوفد فى تقريره المؤرخ (٢) فى ٢٨ أغسطس ١٩١٩ ما يأتى :

الأخبار التى ترد من أمريكا تؤيد ما أخبرناكم به سابقا من دخول المسألة المصرية هناك فى دور من الأهمية عظيم ، وافادتنا بأن وكيلنا سمع أمام لجنة الأمور الخارجيــة فى السناتو الأمريكى فى يوم الاثنين الماضى وأنه سيلم فى كلامه بجميع أطراف المسألة · ولكن لم يأتنا خبر بعد بأنه قد تكلم فعلا ، وربما وصلنا شىء من هذا غدا أو بعد غد · وكثير من رجال

---

(١) بدأ الوفد فى نشر دعوته الخاصة بقضيته العادلة بين الشعب الانجليزى ، واتفق مع بعض أصحاب الصحف الانجليزية كالديلى هيرالد ، وال Catholic Press البالغ عددها ٣٦ جريدة منتشرة فى جميع أنحاء بريطانيا على نشر كل ما يريد ، زد على ذلك أن أحد الشبان المصريين المقيمين فى انجلترا منذ ستة عشر سنة وهو الطبيب الدكتور حامد محمود ، عرف الوفد أيضا بأحد أعضاء حزب العمال الانجليزى يدعى « لانجدون دافيز » واتفقوا معه أيضا على كسب أعضاء البرلمان الانجليزى وجعل المسألة المصرية موضـوع مناقشة باطراد ·

(محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٢٦) ·

(٢) انظر نص التقرير : المرجع السابق ، ص ٧٢ ·

السياسة هنا يهتمون بالمسألة ، وعندنا وعود ممن (١) لهم نفوذ في البرلمان بأنهم سيتكلمون فيها عند الكلام على معاهدة الصلح ·

سعد زغلول

الابتهاج بقرار لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ

[٥٠٠] ذكرنا فيما سبق ما صرحت به لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى فلما علم الوفد بهذا التصريح أرسل الينا التلغراف الآتى الذى قمت بنشره فى الجرائد المصرية وهو :

« باريس فى ٢٩ أغسطس ١٩١٩ » :

« وصل الينا تلغراف من أمريكا يعلن أن لجنة الأمور الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى قررت أن مصر من الوجهة السياسية غير تابعة لتركيا ، ولا لانكلترا وأنها مستقلة بنفسها وأمرها بيدها » (٢) ·

سعد زغلول

فما أن علمت الأمة الأمر بهذا الخبر السار حتى عمها الفرح والابتهاج وأرسلت لجنة الوفد المركزية التلغراف الآتى الى اللجنة المذكورة وهو :

« رئيس لجنة الأمور الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى » :

واشنطن

« نشكر لكم باسم الأمة المصرية دفاعكم عن قضيتنا ووقوفكم فى جانب الحق والعدل وسيذكر لكم التاريخ هذا الموقف النبيل » ·

« وانا معتمدون على ديموقراطية الشعب الأمريكى للحصول على أمانينا ، وقد خضتم غمار الحرب دفاعا عن المبادئ الحرة · وان العالم

---

(١) كان لقرار مجلس الشيوخ الأمريكى بعدم الموافقة على معاهدة الصلح فى مارس ١٩٢٠ له أكبر الأثر فى مصير هذه المعاهدة ، لأن تخلى أمريكا عن ضمان تنفيذها افقدها قوة كبيرة ، وجاء هذا القرار بطريقة غير مباشرة مكسبا للقضية المصرية حيث أن المعاهدة تتضمن الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر ·

(عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ص ٣٣) ·

(٢) جاء على شكل برقية من سعد زغلول الى محمود باشا سليمان رئيس اللجنة المركزية للوفد المصرى ·
F.O. 407/185 No. 149.

يترقب فوز هذه المبادىء بمعونتكم حتى يكون الصلح قائما على قواعد الحق والعدل » .

[٥٠١] وكذلك أرسلت لجنة الوفد التلغراف الآتى الى مجلس الشيوخ الأمريكى وهو :

« رئيس مجلس شيوخ أمريكا » :

واشنطـــن

« تعتمد الأمة المصرية على ديموقراطية الشعب الأمريكى الحر للاعتراف باستقلالها التام ، ولنا كبير الأمل فى أن يصدق مجلسكم الموقر على قرار لجنة أموره الخارجية بخصوص المسألة المصرية ، فقد اشتركتم فى هذه الحرب ابتغاء تحرير الشعوب المهضومة الحق وفوز المبادىء الحرة والعالم متطلع الى هذه النتيجة بمعونتكم وسيسجل لكم التاريخ المواقف التى تقفونها للدفاع عن كل قضية عادلة وتصبح الشعوب الضعيفة ومصر فى مقدمتها مدينة لكم بحريتها » .

رئيس اللجنة المركزية

للوفد المصرى

محمود سليمان



ولقد كتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ أول سبتمبر بخصوص ما غمر الأمة من الابتهاج بقرار اللجنة المذكورة ما يأتى :

« لايمكننى أن أصف لكم سرور الأمة بأسرها والابتهاج العام الذى شمل أبناءها على أثر وصول تلغرافكم المنبىء بما قررته لجنة الأمور الخارجية بمجلس شيوخ أمريكا بخصوص مصر . وقد قامت مظاهرات الافراح بين جميع الطبقات بالمدن والبلدان والقرى واستمر الكل فى سرور وحبور الى ما بعد منتصف الليل بساعات ، ولا تسلوا عن الدعوات التى كانت تصدر من قلوب الجميع بتأييد الوفد ورئيسه مما أكد لكل ذى عينين وأذنين أن الأمة بأسرها ملتفة حول وفدها وأن حالة سكونها الآن ليس صادرا عن [٥٠٢]

ضعف فى العقيدة أو يأس من المستقبل ، وانما هو فترة سكون طبيعية تعقب كل مجهود كبير . وللأمة الحق فى أن تستريح نوعا الآن بعد الجهود العظيمة التى قامت بها فى شهرى مارس وابريل الماضيين ، حقق الله آمالنا وردكم الينا فائزين سالمين منتصرين » .

عبد الرحمن فهمى

★★★

ولقد أحدث قرار لجنة الأمور الخارجية السالف الذكر تأثيرا هلعت له أفئدة الانكليز هنا وفى الخارج فجرت المخابرات بين السلطة الانكليزية والوكالة السياسية الأمريكية التى رأت أن تجامل انكلترا باصدار بيان وزعته على الصحف بتكذيب قرار لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ فكاد هذا التكذيب يحدث ما لا تحمد عقباه لولا أن أسرعت بنشر الحقيقة على الأمة .

واليك ما كتبته الى الوفد خاصا بهذا الشأن فى تقريرى المؤرخ ١٠ سبتمبر ١٩١٩ :

« كاد تصريح المستر جارى قنصل جنرال أمريكا (١) الذى بلغناه لكم تلغرافيا أن يؤثر فى عقيدة بعض اخواننا الوطنيين ولكننا ولله الحمد اقنعناهم بكذب هذا التصريح فى جوهره ، وبأنه صدر بناء على طلب الدولة المحتلة لما رأته من تهييج الخواطر فرحا وانشراحا بتقدم قضيتهم . ومن حسن الحظ أن شركة روتر نقلت عن جريدة التيمس بأن تلغرافات سعد باشا زغلول أحدثت هياجا بين المصريين بعد أن هدأت خواطرهم ، ومن حسن الحظ أن هذا التلغراف نشر بجانب تصريح القنصل الأمريكى » .

[٥٠٢]

« وانني أكرر ما سبق أن ذكرته بتقريرى السابق من أن الآمال انتعشت انتعاشا محسوسا جدا وازداد نشاط مروجى أعمالنا الوطنية » .

عبد الرحمن فهمى

---

(١) جاء فى تصريح المستر هامبسون جارى الذى كان على هيئة رسالة موجهة منه الى اللنبى أنه لم يتسلم من حكومته اى معلومات فى هذا الشأن مما لا يجعله فى موقع يحكم منه على صحة هذه الأنباء .

الاعتداء على محمد باشا رئيس

مجلس الوزراء

[٤٠٤] وفى يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ ألقى شخص قنبلة على محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء وهو راكب سيارته قاصدا دار الحكومة وقد حصلت الحادثة من القرب من محطة جناكليس برمل الاسكندرية ولقد كان الجانى واقفا يترقب مجىء رئيس الوزراء وفى يده سلة بها القنبلة والعنب من فوقها يغطيها فلما اقتربت منه السيارة رمى بالسلة عليها فلم تنفجر القنبلة الا بعد ان وصلت الى الأرض وكانت السيارة قد أبتعدت عنها • ولقد حاول الجانى الفرار ولكنه وقع فى أيدى رجال البوليس •

وهذا هو البلاغ الرسمى الذى نشر فى يوم الحادث : —

« فى الساعة العاشرة ونصف من صباح اليوم حينما كان حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس الوزراء مارا بسيارته بمحطة جناكليس ألقى عليه المدعو السيد على محمد من أهالى كفر الزيات قنبلة فانفجرت ولم تصب دولته بشىء وضبط الفاعل وباشر حضرة رئيس النيابة التحقيق » •

تصريح رئيس الوزراء بعد الحادث

[٤٠٥] وفى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ دار بين رئيس الوزراء وبين مكاتب جريدة « الاجبسيان غازيت » حديث •

صرح فيه سعيد باشا بانه سيستمر فى عمله بغير مبالاة بالرغم من أى فرد مضلل ممن يلقون القنابل ظنا بأنه يسعى لقلب نظام الحكومة بالقضاء على فرد •

ثم قال انى موقن بأنى أعمل لصالح وطنى فاذا تمكنت يد قاتل من الوصول الى فانى أموت مستريح الضمير شاعرا بأنى كنت سائرا فى طريق الواجب •

« لست خائفا من أى اعتداء يحاول ضدى ولو خفت ذلك لما قبلت هذا المنصب الذى اجتهد فى القيام بأعبائه .

« فأعلن مصر وكل من يعنيهم الأمر بأنى أرى طريق واجبى واضحا أمامى وسأسير فيه الى النهاية .

« انى مستريح الفكر من حيث فائدة عملى ومعتقد فى الله سبحانه وتعالى وبعدله فى قضائه فليكن ما يكون . وفى خلال ذلك سأستمر فى واجبى » .

★★★

[٥٠٦]

بيان من السفارة البريطانية بواشنطن
ورد المستر فولك عليها (٢)

نشرت السفارة البريطانية بواشنطن بيانا زعمت فيه أن الحلفاء غير مدينين لمصر بمعونة كبيرة وأن القول بأن مليونا من المصريين حاربوا فى صفهم خطأ محض والى القارىء ملخص هذا البيان ورد المستر فولك عليه .

بيان السفارة البريطانية

« واشنطن فى ٦ سبتمبر ١٩١٩ — نشر المستر رونالد لندسى القائم بأعمال السفارة البريطانية رسالة الى المستر جوزف هول محرر « مونتجومرى ادفرتيزر » التى تصدر بمونتجومرى ، وهى التى يرد بها على سؤال المستر هول « عن عدد الجنود المصريين الذين حاربوا تحت الراية البريطانية فى أثناء الحرب وكم كان عدد الخسائر التى لحقت بهم » .

«ويقال ان الباعث على هذا السؤال هو المذكرة التى قدمها حديثا المستر جوزيف فولك حاكم ولاية ميسورى سابقا الى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة والتى لفت فيها المستر فولك نظر اللجنة الى أن « مليونا من الجنود المصريين قاتلوا فى صفوف الحلفاء » .

« قال المستر لندسى الذى كان بمصر فى خلال الحرب كلها » ان الحكومة البريطانية قد عنيت بأن تتحاشى القضاء على السيادة المصرية ، والجنود المصريون يخدمون دائما تحت العلم المصرى لا الانكليزى . ولا ترفع الراية البريطانية الا على دور السلطة العسكرية البريطانية بمصر وفيما عدا هذا ترفع الراية المصرية الخاصة » ولو أنى أردت أن أجيبك عن سؤالك جوابا لايخرج عن مدلول الألفاظ المحدودة لقلت انه لم ينضو جندى مصرى تحت الألوية البريطانية ، ولكن هذا بيان ناقص ولامراء — فانه فى فبراير سنة ١٩١٥ لما هاجم الجيش التركى مصر اشتركت بطارية من المدفعية المصرية مع القوات البريطانية فى الدفاع عن خط قناة السويس ، وكان هجوم العدو قبل هذه البطارية التى ادار رجالها مدافعهم

[٥٠٧]

(٢) سياق الكلام يتفق مع كلمة (عليه) وليس (عليها) .

بمهارة وكفاءة فساعدوا على رد العدو ، وفى اعتقادى أن الخسائر كانت اثنين من القتلى وستة من الجرحى » .

« ولم تشترك في العمل فى خلال الحرب أية قوة مصرية أخرى مسلحة ، ولكن في الأدوار الأخيرة من الحرب قامت ثلاث فرق مصرية أو أربع بحراسة خطوط المواصلات فى سيناء بينما كان الجنرال اللنبى يغزو سوريا وحدث كذلك أن فصيلة مصرية كانت ببلاد الحجاز في وقت من الأوقات ولكن هذه القوات جميعها لم تتعرض لنار القتال » .

« وفضلا عن ذلك فقد ضم عدد كبير من المصريين الى فرقة العمال والنقل الملحقة بالقوات البريطانية ، وكان هؤلاء يستخدموا لمدة قصيرة تتفاوت بين ثلاثة أشهر الى ستة ، وقد قاموا لقوات الجنرال اللنبى بالأعمال اليدوية وغيرها مما لا يستدعى مهارة فنية ، وبهذه الصفة كان ما أدوه من الخدمات عظيم القيمة لأنهم أباحوا (١) لعدد من الجنود الانجليزية أن يكونوا فى خط القتال ولولا ذلك لاستخدموا فى غير ساحة الحرب » .

[٥٠٨] « ولست أستطيع أن أذكر عدد هؤلاء الرجال الذين الحقوا بفرقة العمل ولكنهم بلغوا فى بعض الأوقات من ثمانين الى تسعين ألفا ، وكان بعضهم يستهدفون للنار وهم يحفرون الخنادق وينقلون المؤن والذخائر قرب خط القتال فأصابتهم بعض الخسائر وليس فى وسعى أن أقول كم تبلغ مثل هذه الخسائر على وجه التحقيق ولكن أعتقد أنها تبلغ فى الجملة ١٥٠٠ ما بين قتيل وجريح فى خلال سنوات الحرب الأربع » .

رد المستر جوزيف فولك

وشنطن فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ » :

« جناب المحترم المستر ويليام فيليب القائم بأعمال وزارة الخارجية بواشنطن » :

« ايماء الى الحديث الذى دار بيننا اليوم بشأن البيان الذى أذاعته السفارة البريطانية فى الثانى من سبتمبر والذى يظهر أن المراد به اعلان سياسة بريطانيا ازاء مصر أرسل اليكم – بناء على طلبكم – صورة من هذا

---

(١) أفضل (أتاحوا) .

البيان ، وقد نشرته بنصه كل جرائد هذه البلاد ، والصحافة المتحدة والمشتركة كما نشرته التيمس بلندن وغيرها من الصحف الانكليزية » .

« والفت نظركم الى الفقرة الثالثة التى يقول فيها المستر لندسى ـ الذى كان بمصر طول مدة الحرب ـ (ان الحكومة البريطانية قد عنيت أن تتحاشى القضاء على السيادة المصرية فالجنود المصرية تخدم دائما تحت العلم المصرى لا الانجليزى ، ولا ترفع الراية البريطانية الا على دور السلطة العسكرية البريطانية بالبلاد المصرية وفيما عدا هذه ترفع الراية المصرية الخاصة) » .

« قد يكون من المناسب أن تسأل الحكومة البريطانية بصفة غير رسمية عن هذا البيان هل هو يحدد رسميا سياسة الحكومة البريطانية فيما يختص بمصر ، فاذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يتبع هذا نتائج معينة أما اذا كانت السفارة البريطانية قد جاوزت حدودها باصدار هذا البيان فان نتائج أخرى معينة خليقة أن تنشأ عنه كذلك » . [٥٠٩]

« وانى أرسل اليكم فضلا عن هذا البيان صورة من رسالتى التى بعثت بها الى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة لتضموه الى ملفاتكم وهذه الرسالة عبارة عن رد على البيان الذى أذاعه ممثلو الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالاجراءات التى اتخذت أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ » .

« وتفضلوا بقبول شكرى وأحسن تمنياتى » .

المخلص

جوزيف فولك

وهذه هى صورة الرسالة التى أشار اليها المستر فولك :

« جناب المحترم المستر هنرى كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بواشنطن » :

« فى الثانى من سبتمبر وزع المستر رونالد لندسى القائم بأعمال السفارة البريطانية بواشنطن على الصحف بيانا يتضمن تعليقه على مذكرتى عن القضية المصرية التى قدمتها للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ وقد أنكر فى هذا البيان الحقيقة التى أوردتها فى المذكرة وهى أن أكثر من مليون مصرى حاربوا فى صف الحلفاء . وحاول أن يقصر العدد على ما يقرب من الثمانين ألفا » .

[٥١٠]

« وبدلا من أن يدون أفكاره أمام هيئتكم وينازعنا الأمر بالمحكمة العليا التى أقامها مجلس شيوخ الولايات المتحدة انتهج سبيل المحاولة وأرسل كتابا مفتوحا الى الصحف ومن أجل ذلك أرى من الملائم أن يوجه الرد الى لجنتكم بهذه الطريقة غير الرسمية » .

« ولكى أزيد لجنتكم علما : أقدم لكم التلغراف التالى الوارد من سعد باشا زغلول أكبر نواب مصر ورئيس الوفد الذى ندبته الأمة المصرية وأرسلته الى مؤتمر الصلح وهو الآن فى باريس ، وهذا هو التلغراف :

(روت جريدة التيمس الصادرة بلندن فى الرابع من سبتمبر أن السفارة الانكليزية تنكر البيان الذى قدمته للجنة العلاقات الخارجية بمجلس شيوخ الولايات المتحدة وفى أثناء عرض القضية عليه ، أما الحقائق فهى أن ٠٠٠ر٢٠٠ر١ مصرى جندوا لفرقة العمال التى كانت تعمل تحت لواء الحلفاء ، وأن الجيش المصرى نفسه قاتل على قناة السويس وفى شبه جزيرة سيناء (١) وفى الحجاز ، وحارب على بن دينار (٢) فى السودان ، وقد نزلت خسائر عظيمة بفرقة العمال وعلى الأخص بسبب الأمراض) .

سعد زغلول

★★★

فهذه حقائق لا يمكن أن ينجح أحد فى انكارها ، وقد قدمتها للجنتكم لتكون احاطتها بالأمر تامة ، وألفت نظركم بوجه خاص الى ما يلى مما هو وارد فى بيان المستر لندسى وذلك حيث يقول :

« (ان الحكومة البريطانية عنيت بأن تتحاشى القضاء على السيادة المصرية) وهو بيان محدود ويجب أن نعتبره تصريحا جليا بسياسة الحكومة البريطانية ازاء مصر . واذا كان هذا التصريح بموافقة الحكومة البريطانية — وهو ما لاشك فيه والا لما أذاعته السفارة البريطانية — فهو كما يظهر اعتراف بحق مصر الذى نطالب به ونجاهد له . واذا كانت مصر سيدة نفسها فبأى حق تحتل بريطانيا العظمى بلادها بقوات مسلحة وتحرم المظاهرات القومية للمطالبة بحقها فى تقرير مصيرها مما أدى الى قتل

[٥١١]

---

(١) ضد الحملة التركية ، والتى فشلت على قناة السويس سنة ١٩١٥ .

(٢) كان سلطان دارفور فى غرب السودان الذى ثار ضد الانجليز ، فارسلت حملة من الجيش المصرى قضت عليه عام ١٩١٦ .

ثمانمائة وجرح ألف وستمائة فى سلسة من الحمـلات الدموية على المتظاهرين العزل من كل سلاح كما ورد فى رسائل الصحافة المتحدة » ؟

« واذا كانت بريطانيا قد عنيت بالاحتفاظ بالسيادة المصرية ، فلماذا اعتقل فى مالطة سعد باشا زغلول ورفاقه الذين ندبتهم الأمة المصرية لحضور مؤتمر الصلح ؟ ولماذا يبقى اليوم هؤلاء الممثلون للأمة المصرية سجناء فى الواقع فى فرنسا ، ويحرمون من جوازات السفر الى الولايات المتحدة أو انكلترا » ٠

« ولما كان المستر لندسى يقرر فى الواقع اعتراف انكلترا بسيادة مصر لنفسها ، فانى أعرض بكل احترام أن تحدد الخلاصة لهذا التصريح بالأمور الآتية » :

« أولا : أن تعين الحكومة البريطانية موعدا تسحب فيه جيش الاحتلال من مصر » ٠

« ثانيا : أن تعترف الحكومة البريطانية لمجلس عصبة الأمم ــ اذا تألف ــ بالسلطة والحق فى تعيين مركز مصر » ٠

« ثالثا : أن تتخلى الحكومة البريطانية عن كل معارضة فى أن ترسل مصر ممثلين سياسيين لها الى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وغيرها من الدول » ٠

« رابعا : أن تسحب الحكومة البريطانية معارضتها فى اعطاء جوازات السفر للمندوبين الذين اختارتهم الأمة المصرية ليمثلوها أمام مؤتمر الصلح والذين يطلبون الآن ألا تحول عقبة ما دون دخولهم الولايات المتحدة » ٠

« هذا ومن حيث أن البيان الذى نشره ممثل الحكومة البريطانية بواشنطن له علاقة بالاجراءات التى اتخذت أمام لجنتكم فانى أرسل لكم صورة من هذا البيان ليضم مع هذا الرد عليه الى سجل القضية » ٠

المخلص

جوزيف فولك

المحامى عن الوفد المصرى

★★★

التمهيد لقدوم (١) لجنة انكليزية
الى مصر

[٥١٣] منذ يوم ٢٥ ابريل الماضى سنة ١٩١٩ والجرائد الانكليزية والصحف المصرية التى تنقل عنها تشير الى أن انجلترا تنوى ارسال لجنة الى مصر لتحقيق أسباب الاضطرابات التى وقعت بها وتبحث فى النظام الذى تمنحه انكلترا لمصر تحت ظل الحماية وان هذه اللجنة ستكون برياسة اللوردملنر وزير المستعمرات الانجليزية • ولم يكن هذا وحده هو ما تبغيه انجلترا من ارسال هذه اللجنة ذلك ان انجلترا قد هالها اتحاد الامة المصريـة المتين وتضامنها القوى والتفافها حول الوفد فقدرت ان ارسال هذه اللجنة لابد أن يصرفها عن وفدها ويوجد الشقاق بين رجالها وقد تفلح اللجنة فى تغيير بعض أساليب الحكم فى الظاهر فيخدع بعملها هذا بعض البسطاء ويقبلون ما تعرضة عليهم من تغيير ظاهرى وبذلك يدب دبيب الفشل فى صفوف الأمة وتفوز انجلترا ببغيها (٢) •

[٥١٤] وفى اوائل سبتمبر سنة ١٩١٩ صدرت الأوامر الى مصالح الحكومة المصرية ودواوينها باعداد التقارير والبيانات اللازمة التى يجب أن تطلع عليها لجنة ملنر عند وصولها الى البلاد المصرية • وكان معظم هذه البيانات والتقارير تتناول الشئون والأحوال التى تنجم عن الغاء الامتيازات وتعديل نظام المحاكم تعديلا يتناول الأمور المالية والادارية الخ •

وقد هيىء للجنة ملنر مكتب خاص فى وزارة المواصلات ليعد لها البيانات والمعلومات والاحصاءات التى يستلزمها عمل اللجنة •

وأرسل المكتب المذكور الى بعض الأعيان والوجهاء فى القطر المصرى

---

(١) ان اعلان انجلترا ايفاد تلك اللجنة بمثابة مخرج لها من المأزق الذى وجدت نفسها فيه • وهو اسلوب طالما لجأت اليه الحكومة البريطانية فى ظروف مشابهة له اعتبارات كثيرة •

(د• عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ص ٢٥٥) •

(٢) اعتادت الحكومة البريطانية ارسال مثل هذه اللجان فى اعقاب الأحداث الكبرى التى تجرى فى امبراطوريتها او فى خضمها ، وبالنسبة لمصر فقد فعلت هذا فى اعقاب الثورة العرابية واحتلال البلاد ١٨٨٢ عندما أرسلت اللجنة المعروفة باسم دفرين • Duffrin

ورقة طبعت عليهـا الأسئلة الآتية وطلب اليهـم الاجابة عنهـا وهذه هي الأسئلة :

(أ) « الى أى حـد كانت شكايـات الفلاحـين سببا فى اشتراكهـم فى الاضطرابات الحديثة وما هى الشكايات وما هو مقدار نصيبها من الصحة وهل بقى منها شىء الى الآن وهل من الممكن معالجتها (١) ؟

(ب) « ما هى النظامات التى تراها ملائمة لتمكين الأجانب فى مصر من ابداء آرائهم والمحافظة على مصالحهم فى الهيئات التشريعية » ؟ .

(جـ) « ما هى الأسباب السياسية الأصلية التى أدت للقلاقل الحديثة ولأى حـد كان الاستياء من شكل الحكومـة الحاضر سببا فى تلك القلاقل (وذلك مع تحاش المزج بين شكل الحكومة السياسى وبين تفاصيل الانظمة السياسية) وما هى الاصلاحات الدستورية التى تراها ملائمة » ؟

[٥١] (د) « ما هى وجوه النقص الموجودة فى نظام الادارة الحالى (وذلك مع عدم المزج بين هذا النظام وبين نظام الحكومة السياسى) ثم ما هى الطرق المرغوب فيها لاصلاح ذلك النظام » ؟ .

« وتكلم أيضا عن الصلات بين الموظفين البريطانيين والمصريين وعن الادارة اللامركزية وما شابه ذلك »

(هـ) « توسيع ومد وتعديل مجالس المديريات (٢) وما الذى تستحسنه من التغيير فى شكل تلك المجالس أو طريقة الانتخابات لها لها شروط العضوية فيها » .

(و) اصـلاح الادارة المحلية والاقتراحات بشأن أى تغيير يراد ادخاله فى سلطة وتشكيل العضوية أو طرق الانتخاب فى (١) المجالس البلدية (٢) المجالس المحلية والاقتراحـات التى تتعلق بادارة المجالس البلدية » .

---

(١) ينبىء ذلك بمدى الاهتمام البريطانى بانتقال الثورة الى العمق المصرى فى الريف ، وهو الأمر الذى كان يزعج الانجليز أكثر من أى شىء آخر .

(٢) مجالس المديريات كانت الدرجة الأولى من النظام شبه النيابى الذى قررته لجنة دفرين ١٨٨٣ بعد مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وهما المجلسان اللذان حلت محلهما الجمعية التشريعية عام ١٩١٤ .

(ز) « هل ترى لظام التعليم فى مصر قابلا للتحسين فاذا كان كذلك فما هى الطرق والوجوه التى تراها لادخال هذا التحسين » .

ثم ختمت هذه الأسئلة بالعبارة الآتية :

« وارجو التعليق بما ترونه موافقا للصالح العام » .

ولا يغرب عن بال القارىء أن الخلاف الذى كان قائما بين الأمة المصرية والانكليز لم يكن سببه اختيار الأنظمة التى تتبع فى الحكومة فى المستقبل بل ينحصر فى القاعدة التى ستكون عليها العلاقات بين الأمتين ولم يكن غريبا ألا يتزحزح المصريون عن التمسك بأن تكون تلك العلاقات على أساس الاستقلال التام بعد ما تبين لهم أن الحكومة الانجليزية تحدد تلك العلاقات بالحماية .

الفكرة الأولى فى مقاطعة لجنة ملنر

[٥١٦] ولما قررت الحكومة الانجليزية (١) ايفاد هذه اللجنة الى مصر لتحقيق أسباب الاضطرابات التى وقعت بها فكرت فى ضرورة الحصول على بيانات من الوزارات ومختلف أفرع الحكومة تثبت سوء الادارة الانجليزية وبالفعل بدأت هذا العمل بواسطة كثيرين من موظفى الحكومة المؤيدين للحركة قلبا وقالبا .

وفى هذه الأثناء جاءنا من سعد باشا زغلول خطاب جاء فيه ما ياتى :

« لابد وأن تكونوا عرفتم أن الحكومة الانجليزية قررت ارسال لجنة الى مصر لتحقيق سبب الاضطرابات وانه خوفا من أن يتقابل معها نفر من المستضعفين الذين لايدينون بمبادىء الوفد أرجوكم العمل على تشكيل لجنة من اناس معروفين ومتفقين مع الوفد فى مبادئه كى تتكلم مع اللجنة المذكورة باسم الوفد » .

سعد زغلول

وبعد التفكير مليا فى هذا الأمر رأيت أن أليق رجل يقوم برئاسة مثل هذه اللجنة هو عدلى باشا يكن لماله من الاحترام لدى الانجليز والمصريين على السواء . وكان سعادته مقيما فى ذاك الوقت بمنزله برمل الاسكندرية فسافرت اليه مع نفر من صحبى المشتغلين معى بالحركة وكان معه وقت

---

(١) كان ذلك فى شهر ابريل سنة ١٩١٩ .

ان قابلته عبد الخالق ثروت (١) باشا فلمــا كلمته فى هذا الموضوع لــم يقبل الاضطلاع بهذه المهمة فقلت له « أنه يصعب على جدا أن يذكر التاريخ أن مصر احتاجت اليك لتقدم لها خدمة فى هذا الظرف العصيب فلم تلب طلبها ولذلك سأغالط نفسى وأفرض أنك أرجات ابداء رأيك لفرصة أخرى وسأحضر لك فى الأسبوع القادم ان شاء الله لاتبين رأيك النهائى) . [٥١٧]

وبالفعل عدت اليه بعد أسبوع وبعد مناقشة ليست بالقصيرة تردد بين القبول والرفض فكررت له آخر جملة ذكرتها له فى المقابلة الأولى وهى : « اننى ارجىء أخذ جوابه الصريح للمقابلة الآتية » .

وبعد انصرافى من عنده جالت بخاطرى الفكرة الآتية :

« لماذا نشغل أنفسنا بتحضير لجنة تقابل لجنة اللورد ملنر اذا كانت

---

(١) ولد فى ١٨٧٣ ـ وكان والده المرحوم اسماعيل عبد الخالق باشا ابن المرحوم عبد الخالق أفندى سر خليفة الرزقة فى عهد مؤسس الأسرة العلوية محمد على الكبير . فى السابعة التحق بمدرسة المعلمين (النورمال) . وفى سنة ١٨٨٨ نال (البكالوريا) ثم التحق بمدرسة الحقوق حتى تخرج منها ، انتظم فى سلك الموظفين بقلم قضايا الدائرة السنية ـ ثم كاتم سر للجنة المراقبة القضائية بوزارة الحقانية ـ ثم ترقى وكيلا لمحكمة قنا .

نقل من القضاء الى الادارة فعين مديرا لادارة المحاكم الأهلية . فى سنة ١٩٠٥ انتدب للقضـــاء فى محكمة أنشئت للأحداث فى القاهرة . سنة ١٩٠٧ عين مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم مديرا لأسيوط فى سنة ١٩٠٧ عين مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم مديرا لأسيوط فى سنة ١٩٠٨ شغل منصب النائب العمومى فى سنة ١٩١٤ كان وزير الحقانية فى وزارة حسين رشدى وظل مدى سنى الحرب جميعها حتى استقال فى سنة ١٩١٩ هو وسائر الوزراء .

وكان وزير الداخلية فى وزارة عدلى باشا سنة ١٩٢١ ونائبا عنه عندما سافر عدلى على رأس الوفد الرسمى لمفاوضة الحكومة الانجليزية ـ تولى رئاسة الوزارة سنة ١٩٢٢ على أثر اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بعد أن ظلت الحكومة بلا وزارة ثلاثة أشهر كاملة وأسندت اليه فيها رئاسة وزارة الخارجية والتى اعيدت بعد الغائها عند اعلان الحماية على مصر فى سنة ١٩١٤ .

وفى مارس ١٩٢٢ الفت وزارته لجنة لوضع مشروع دستور مصرى على أحدث المبادىء العصرية . دب الخلاف بينه وبين الانجليز حول نصين من نصوص المشروع الذى وضعته لجنة الدستور أحدهما خاص بلقب ملك مصر والآخر بنظام الحكم فى السودان . على أثر هذا الخلاف صمم على تقديم استقالته فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ . رأس الوزارة الائتلافية فى ابريل ١٩٢٧ ثم سافر الى لندن وجرت بينه وبين وزير الخارجية البريطانى السير أوستن تشمبرلن محادثات طويلة أدت فشلها الى استقالته فى مارس ١٩٢٨ ، وتوفى فى العام التالى فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨ .

(المصور فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٨ ـ ص ٢٤) .

هذه اللجنـة تتخطي وفـد الأمة وتحضر الى مصر بدون أن تحسب له أى حساب ؟ ولماذا لايقاطع كل مصرى هذه اللجنـة كما قاطعت هى الوفـد المصرى بتخطية والحضور الى مصر » ؟ .

جالت بخاطرى هذه الفكرة أكثر من مرة وكنت فى كل مرة ازداد ثقة بصلاحيتها ولذلك كتبت لسعد باشا عن فكرتى ونتيجة مقابلتى لعدلى باشا يكن ثم أعقبت ذلك بفكرة المقاطعة وصادف أن وصله الخطاب فى أثناء عقد جلسات الوفد فقراه على الأعضاء فصادف قبولهم وارتياحهم واستحسنوا العمل الذى اشرت اليه .

وفعلا جاء في الرد بتقرير الوفد المؤرخ ٢٥ يوليو سنة ١٩١٩ وفيه ما يأتى :

« لقد استحسن الوفد رأيكم السابق تعرفنا عنه فيما يختص بلجنة التحقيق التى قد تحضر من انجلترا وهو عـدم ابداء طلبـات لها مطلقـا والتمسك بالوفد » .

سعد زغلول

وجاء فى تقريره المؤرخ ٢٨ أغسطس (١) سنة ١٩١٩ ما نصه :

« لابد وأن تكونوا علمتم بأن اللجنة الانجليزية التى تعينت تحت رئاسة اللورد ملنر للتوجه الى مصر ستتوجه قريبا وان مهمتهـا البحث عن أسباب الاضطرابـات الأخيرة والنظر فى نظـام يكفل تحت الحمايـة الانجليزية التدرج فى الحكم الذاتى فمهمتها مهمـا توسعت فيها ومهمـا لاحظت فى تنفيذها مصلحة المصريين لاتنطبق على أمانيهم ولا تتفق مع طلب الاستقلال التام الذى كلفتنا الأمة بالسعى اليه حينما وجدنا للسعى سبيلا ولذلك استحسنا ونستحسن رأيكم فى اجتناب مخابرة هذه اللجنة بأية طريقة كانت لأن المفاوضة معها مادامت هذه مهمتها تضر من جهة بالمساعى المبذولة فى أمريكا ومن جهة أخرى لاتنتج الا عكس مطلوب الأمة فابذلوا كل ما فى وسعكم من الوسائل لمنع هذه المفاوضات » .

سعد زغلول

ومن ذلك يظهر سعد زغلول جليا اغتباط الوفد بفكرة المقاطعة التى أبديتها له وقد عملت من ذلك الحين على تنفيذ هذه الفكرة بكل ما أوتيت من همة وعزم ونشاط .

[٥١٨]

---

(١) انظر نص التقرير د. محمد أنيس دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٧٢ ــ ٧٤ .

ولقد ورد لسعادة محمود باشا سليمان خطاب من سعد باشا فى ٢٨ أغسطس يؤيد فيه فكرتى التى سرعان ما انتشرت فى جميع انحاء مصر · وهذا هو نص الجزء المتعلق بهذا الأمر :

« ··· ولهذه المناسبة لايسعنا جميعا الا أن نبارك هذه الروح الحكيمة التى حملت رجال مصر وشبابها على أن يصمموا كل التصميم على البعد عن مفاوضة لجنة اللورد ملنر اذا حضرت لمصر فان مهمة هذه اللجنة كما صرح به وكيل الخارجية البريطانية انما هو وضع نظام للبلاد داخل حدود الحماية تتقدم بالزمان الى مرتبة الحكم الذاتى (داخل حدود الحماية أيضا) فما أبعد هذا عن أغراض المصريين وما أدناه من حبسهم على الهوان والاستعباد) ·

« لذلك كانت هذه الفكرة فكرة طيبة ومرضية من جميع الوجوه واننا مع انتظار النتائج الحسنة التى سيتوج بها جهاد مصر فى سبيل حريتها نقدم لسعادتكم ولاصحابكم عبارات التحية الأخوية » (١) ·

سعد زغلول

اعلان اسماء اعضاء لجنة ملنر

[٥١٩] لم تكن أسماء أعضاء لجنة ملنر قد عرفت فى مصر حتى الآن على وجه التحقيق · ولكن فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ اذاعت شركة روتر التلغرافية البرقية الآتية :

« لندن فى ٢٢ سبتمبر ـ أعلن رسميا أن لجنة التحقيق المعهود اليها البحث فى الاضطرابات الأخيرة فى مصر وفى شأن حكومتها ـ الحكومة المستقبلة مؤلفة من اللورد ملنر رئيسا ومن السيررنل رود (٢) · والجنرال السير جون مكسويل (٣) · والجنرال السير أوين توماس (٤) · والمستر ج· أ· سبندر رئيس تحرير « وستمنستر غازت » والمستر ث· ج· ب· هو رست المستشار القضائى فى وزارة الخارجية أعضاء » ·

---

(١) انظر نص التقرير د· محمد أنيس دراسات فى ثورة ١٩١٩ ، ص ٧٤ ـ ص ٧٥ ·

(٢) كان سفيرا لانجلترا فى ايطاليا أثناء الحرب العالمية الأولى وكان من قبل سكرتيرا للوكالة البريطانية فى مصر سنة ١٨٩٤ ·

(٣) كان قائدا للقوات البريطانية فى مصر سنة ١٩١٤ ·

(٤) عضو البرلمان الانجليزى وله خبرة واسعة بشئون الرى والزراعة (٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ـ ص ٤٢٩) ·

الحزب الحر المستقل ونادى الاعيان

والقضاء عليهما

[٥٢٠] لما عزمت الحكومة الانجليزية على ارسال لجنة ملنر لتحقيق أسباب الاضطرابات بمصر رأت السلطة الانجليزية أن تعمل على تأليف حزب جديد يدعى « الحزب الحر المستقل » (١) وكانت مهمة هذا الحزب أن يقابل لجنة ملنر ويتفاوض معها فى القضية الوطنية باسم مصر فرأيت انه لو تم تأليف هذا الحزب لكان من أكبر الضربات القاضية على الوفد المصرى وعلى قضية البلاد فعملت بكل ما آتانى الله من همة وقدرة على تقويض اركان الحزب قبل تمام تكوينه بأن بدأت بتكليف الكثير من أعوانى الوطنيين بالاندماج فى هذا الحزب ليأتونى بأخباره وقراراته أولا فأولا ٠ ولم يكن أحد من الأعضاء الذين سقتهم للدخول فى عضوية هذا الحزب يعرف أن أحدا من الآخرين مدسوس فى الحزب من قبلى أيضا ، عمل هؤلاء الأعضاء داخل الحزب الجديد بارشاداتى للسعى فى تقويضة شيئا فشيئا ٠ فى حين كانت وفود الشبان تقابل يوميا أو يوما بعد يوم عائلات من حدثتهم أنفسهم للاندماج فى الحزب حتى أمكن اقناع الجميع بأن تكوينه فى ذلك الوقت مضر بقضية البلاد ضررا بليغا ٠

وهكذا استمرت معاول الهدم ٠ تعمل داخل جدران الحزب وخارجه حتى قوضت أركانه ومات وليدا فى مهده ٠

ولكن السلطة فكرت بعد ذلك فى اقامة ناد يسمى « نادى الأعيان » [٥٢١] على أنقاض ذلك الحزب المتهدم فلم اتركها تشرع فى ذلك حتى عملت لخنق هذه الفكرة ومحو هذا النادى فى أول تكوينه ٠

---

(١) الحزب الحر المستقل « شجعت على تكوينه السلطات البريطانية فى القاهرة من بعض ذوى القوى الصغيرة الذين كان يظن تقدمهم للتكلم مع لجنة ملنر » ٠

ومن مؤسسى هذا الحزب محمد شريف باشا ومحمد ابراهيم هلال وتوفيق شهاب الدين ٠ اما رئيسه فهو محمد عرفى باشا ٠ وكان لسان حال الحزب ٠ جريدة المنبر ٠ وقد نجحت لجنة الوفد المركزية فى نفض الناس من حوله حتى اضطر أن يعلن فى جريدته الانضمام فى آرائه الى برنامج الوفد ٠

وقد نجحت لجنة الوفد فى القضاء على هذا الحزب حتى أصبح اثرا بعد عين :

— المراسلات السرية ٠ ص ١٦٣ ، ١٠٧ ٠

— ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ص ٣٩٤ ٠

فصل اسماعيل صدقى باشا

ومحمود بك أبو النصر من الوفد

[٥٢٢] في يوم ٨ يونيه سنة ١٩١٩ وما بعده راجت في مصر اشاعة مؤداها أن هناك خلافا بين أعضاء الوفد فى باريس لدرجـة أن أذاع مروجو هذه الاشاعـات بأن اسماعيل صدقى باشا وعلى شعراوى وجورج خياط بك وسينوت حنا بك قد انفصلوا عن الوفد وطارت الاشاعات كذلك بأن ثمة خلافا وقع بين المسلمين والأقباط من أعضاء الوفد ٠

فلما رأيت تلك الاشاعات السيئة تنتشر بين أبناء الأمة أشفقت عليها من أن تتفرق كلمتها ويتصدع بنيانها فبادرت حالا بالكتابة الى الوفد وطلبت اليه أن يكشف عن الحقيقة بخطاب منه فورد لى منه بالتقرير المؤرخ ٢٣ يونيه سنة ١٩١٩ ما نصه :

« ان الاشاعات السيئة التى أذاعها الخراصون بخصوص الوفد كلها كاذبة ومن مخترعات مروجيها فالاتفاق تام بين جميع الأعضاء ولم يقع أى خلاف بينهم والاتحاد متين بين الأقباط والمسلمين ويمكنكم أن تؤكدوا ذلك للأمة باسرها بأن هذا هو الحقيقة التى لاتشوبها أية شائبة » ٠

وأكذب الاشاعات عن الوفد ما نشرته جريـدة التيمس فى عددهـا الصادر يوم ١٧ الجارى بخصوص الخلاف المزعوم وقوعـه بين الرئيس وشعراوى باشا فأنه لايوجد بينهما الا كل اتفاق ووئام والاشاعة محض افتراء ٠

[٥٢٣] « والوفد دائب على العمل بكل جهد فى سبيل الغـاية التى ندبته الأمة لها وهو مملوء سرورا لثقة الشعب فيه ولاعتماد المصريين عليه فى بسط آمالهم الوطنيـة لدى السلطات التى تريـد الوقوف على حقيقة هذه الآمال والسلطات التى يجب أن تكون على علم بها » ٠

ومما شجع الوفد على اداء مهمته ما يراه من تشبث المصريين بالمطالبة باستقلالهم التام ، فقد اظهروا بذلك للملأ الغربى أنهم جديرون بالحرية ولا يقبلون المساومة فى حقوقهم المقدسة ولا ريب أن استمرار الأمة على هذه

الخطة مما يرفع شان مصر ويخطو بالقضية المصرية خطوات واسعات فى سبيل نجاحها » (١) .

« سعد زغلول »

لذلك عملت بكل ما فى وسعى حتى قضيت على هذه المفتريات الخاطئة عن الوفد فباء الأفاكون بالمذلة والعار .

وفى أواخر شهر يونيه سنة ١٩١٩ حدث من اسماعيل صدقى باشا ومحمود أبو النصر بك أفعال وصدرت منهما أقوال اعتبرها الوفد مغايرة لخطته ومبادئه التى وكلته الأمة عنها .

[٥٢٤] ولقد أرسل الى الوفد فى التقرير المؤرخ ٢٢ يوليه سنة ١٩١٩ يقول :

« نظرا لاشاعات السوء عن الوفد رأى أن يبعث مصطفى بك النحاس لكى يوقفكم على الحقيقة ولكى يدفع ما عساه يصدر من اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك أبو النصر من الأقاويل المخالفة للحقيقة ولخطة الوفد ومبدئه . وربما عاد على باشا شعراوى لضرورة عائلية لا خلاف بينه وبين بقية الأعضاء فانه على وفاق تام معهم » (٢) .

سعد زغلول

وجاء فى التقرير الصادر من الوفد بباريس فى ٢٥ يوليه سنة١٩١٩ الى ما يأتى :

« قد قرر الوفد بجلسة ٢٤ يوليه اعتبار اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك أبو النصر منفصلين عنه لما بدا منهما من مخالفة مبدأ الوفد وخطته » .

سعد زغلول

ثم جاءنى من الوفد بالتقرير المؤرخ أول أغسطس سنة ١٩١٩ مايأتى :

اسماعيل صدقى باشا وأبو الفتح (مكاتب وادى النيل اذ ذاك)

(١) كان من نتيجة اعتراف معاهدة فرساى بالحماية على مصر واعلان الرئيس الأمريكى بالموافقة عليها أن دب اليأس فى نفوس بعض أعضاء الوفد ومستشاريه وتزعزعت ثقتهم فى الحلفاء . فقدم عزيز منسى مستشار الوفد استقالته وايضا حسين واصف وعلى حافظ وويصا واصف وانعزل على شعراوى وكيل الوفد عن الوفد وكل نشاط سياسى .
(د. محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٣٦) .

(٢) انظر نص الخطاب د. أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٦٤ - ٦٥ .

وشخص ثالث يدعى أحمد السيد يصلون مصر فى نفس المركبة التى يسافر عليها بدر بك (١) ٠

ونرجو الا تثقوا بما يمكن أن يقوله أى واحد منهم ولا بما يمكن أن يكتبه محمود بك أبو النصر ٠ لأن الخطة التى اتبعوها جعلتهم على الأقل محلا للشك وعلى الخصوص أحمد السيد فانه بالرغم من أنه يكتب أحيانا فى الجرائدمقالات فى مصلحة مصر يقوم شخصيا بأعمال ضد هذه المصلحة » (٢) ٠

سعد زغلول

ولقد كتب الى الوفد فى التقرير المؤرخ ١٠ أغسطس سنة ١٩١٩ بما علمته من أمر اسماعيل صدقى باشا بما يأتى :

« من مدة كنت قد علمت بأن شخصا يدعى سعيد طليمات المحامى بالاسكندرية أوفده سعيد (٣) باشا الى أوربا لمقابلة صدقى باشا ويؤكدون بأن سبب المقابلة هو استمالة هذا الأخير للعودة الى مصر بوعود ليست معروفة طبعا ٠ ولقد عاد المحامى المذكور من أوربا وبلغنى أنه يتكلم كثيرا ضد الوفد ولكننى لم اتبين ذلك تماما وعلى كل حال فقد عرفت محدثى سبب انفصال صدقى باشا والخيانة التى كان يريد ارتكابها ضد الأمة وبعد أن كنت أجلت اذاعة أخبار صدقى باشا على الأمة حتى يحضر ونرى خطته وجدت أخيرا أنه يحسن أن تعرف الأمة من الآن حقيقة حاله » (٤) ٠ [٥٢٥]

عبد الرحمن فهمى

(١) محمد بدر بك سكرتير الوفد المصرى ومن أصلب العناصر الوطنية فى ثورة ١٩١٩ (المصدر السابق ٠ ص ٥٦) ٠

(٢) انظر نص الخطاب نفس المصدر ص ٦٦ ٠

(٣) كان سعيد باشا رئيسا للوزارة ويمثل المدرسة التركية من رجال السياسة ومن أخطر المتآمرين مع الأمراء وعلى رأسهم عمر طوسون والحزب الوطنى ضد الوفد ٠

(د٠ محمد أنيس ٠ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ٠ جـ ١ ٠ ص ٣٨ ٠

(٤) انظر نص التقرير (د٠ محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١٢٢) ٠

[٥٢٦]

وحوالى منتصف شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وصلت الباخرة التى تقل اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك أبو النصر فكتبت الى الوفد بهذه المناسبة فى التقرير المؤرخ ١٥ أغسطس سنة ١٩١٩ (١) أقول :

« أن موقف اسماعيل صدقى وأبو النصر لا يتمناه الانسان ذو القلب الرحيم حتى لعدوه لأنه مركز خزى وعار واحتقار حتى من ذويهم وأقاربهم وكل الملتصقين بهم وهنا يجد ربى أن أوضح لكم أنهم أذاعا تصريحا بنص واحد أملياه على مكاتبى الجرائد بالاسكندرية يوم وصولهما ومضمونه أنهما عادا لاعتقادهما أن مجال العمل ليس قاصرا على باريس وانهما وان كان اختلفا مع الوفد فى شىء فهو خلاف فى الوسائل لا فى المبدأ .

« هذا ملخص وجيز عن تصريحهما ولكننى كنت سمعت من بدر بك ان اسماعيل صدقى هدده وهو فى المركب بأنه قادر على ان يعمل على عودة الوفد فى ٢٤ ساعة فلم يسعنى ازاء هذا التهديد الا أن أنشر بجريدة من الجرائد قرار الوفد القاضى بفصله هو وأبو النصر بعد ان كنت اتفقت مع اخوانى هنا على عدم اذاعة هذا القرار بصفة رسمية . فما وقع نظرهما على هذا القرار الا وكادا يموتان خجلا وساعد على ذلك ما كان قد علمه منا كثيرون عن حقيقة عودتهما » .

« وانه نظرا لأن تصريحى الذى ذكرته هو أن انفصالهما مبنى على مخالفتهما لمبدأ الوفد وخطته . وتصريحهما يقول ان الخلاف خلاف فى الوسائل لا فى المبدأ فقد وجهت لى بعض الصحف سؤالا تريد به كشف الحقيقة عن القولين فاعددت بيانا تفصيليا بما تسمح الظروف بنشرة عن

[٥٢٧]

أعمال الوفد وعن قراراته بفصل من فصل من أعضائه وها أنا ذا فى مناقشة مستمرة وأخذ ورد مع اخوانى فى هذا الموضوع لأن اسماعيل صدقى سعى ويسعى لدس بعضهم ليحملنى على عدم النشر اكتفاء بالحالة المخجلة التى وصل اليها هو وزميله والمناقشة لم تنته للآن وسأخضع بطبيعة الحال لرأى الأغلبية فى نهاية الأمر . على أن هذا لم يقعدنى عن افهام الرأى العام بكل الوسائل الممكنة (غير النشر بطريق الجرائد) بحقيقة حالهما مع الوفد والخطة التى كانا يريدان دهورة الوفد فيها » .

« وكان من نتيجة هذا العمل أن بعث أقارب أبو النصر اليه بتلغراف الى باريس لو كان استلمه قبل أن يتركها لما كان ترك الوفد ولا أعماله ..

---

(١) (انظر نص التقرير – المصدر السابق ص ١٢٤ – ١٢٥) .

ها هم الآن (أقاربه) فى مقدمة الأمة سخطا عليه ونتعشم أن يكون الدرس الذى يتلقيانه الآن من الأمة درسا زاجرا لهما ورادعا لغيرهما ممن يريد التلاعب بمصلحة الأمة التى لا تتساهل أقل تساهل مع من يميل الى عدوها بعد أن أعلن اخلاصه لها » •

عبد الرحمن فهمى

[٥٢٨] وفى التقرير الذى أرسلته الى الوفد بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٩١٩ (١) قلت فيه :

« اخبرتكم بجوابى المؤرخ ١٥ الجارى نمرة ١٥ عن المسعى الذى يبذله كل من اسماعيل صدقى باشا ومحمود أبو النصر بك ولقد اجتمعت لجنتنا عدة اجتماعات للنظر فى آخر اقتراح تقدم منهما وهو ما يأتى باختصار » :

أولا : ان يقدما اعترافا للجنة بانهما لم يخالفا الوفد فى مبدئه وانهما يحترمان قراراته (وما أرادا أن يقولا انهما يقران الوفد على خطته) وفى مقابل هذا الاعتراف تقوم اللجنة بما يأتى :

١ ــ « تخابر الوفد تلغرافيا بطلب اعادة النظر فى أمر فصلهما » •

٢ ــ « ان يتبع هذا التلغراف جواب من اللجنة بتفصيلات ماحصل» •

٣ ــ « الا يذكر فى الجرائد شىء بخصوصهما قبل الاتفاق معهما » •

ولما كان توقفهما عن الاعتراف بموافقة الوفد على خطته مع أنهما يصرحان بأن الخطة هى نتيجة من نتائج قرارات الوفد وأنهما يحترمان هذه القرارات • ورغما من اعترافهما هذا لم يقبلا أن يعترفا بصراحة بعدم مخالفتهما للوفد فى خطته ، وهو النص الذى ورد فى قرار الوفد القاضى بفصلهما • ولما لم يقبلا ذلك جال بخاطرى انهما يريدان أن يلعبا لعبة سياسية بمعنى أنهما يعترفان الآن باحترام قرارات الوفد ويتركان باب انتقاد الخطة (وهو تنفيذ القرارات) مفتوحا لهما » •

فعارضت بشدة فى قبول اقتراحهما وجمعت الأغلبية معى وبذلك رفض اقتراحهما رفضا باتا بعد جدال طويل •

[٥٢٩] « وبعد ذلك طلبت من اللجنة أن تقرر نشر قرار الوفد بصفة رسمية بالجرائد ـ لأن فى ذلك قتلهما حسبما هو ظاهر لى من شعور الأمة نحوهما ـ

---

(١) انظر نص التقرير د• محمد أنيس ، دراسات ؛ وثائق ثورة ١٩١٩ من ص ١٢٦ ــ ص ١٢٨ •

وأسف غاية الأسف على أن سياســـة العواطف تغلبت على سياســـة المصلحة ورأت الأغلبية الاكتفاء بما سبق أن نشرته جريدة « النظـام » عنى بخصوص فصلهما » .

« وهنا يجدر بى أن أعرف سعادتكم أن الرأى العام المصرى ساخط أشد السخط عليهما ولقد صدرت فى حقهما بعض نشرات غير ممضـاة أسقطتهما الى الدرك الأسفل .. وانى أؤكد لكم انهما اذا كانا يعلمان أن شعور الأمة هكذا مع الوفد ونحو قضيتهما الكبرى لما جازفا بعمل ما كان من شأنه انفصالهما عن الوفد .

« كان يخشى بعضهم هنا أنه وربما يجرؤ اسماعيل صدقى وأبو النصر على منـاوأة الوفد بالنشر فى الجرائد كما جال هـذا الأمر بخـاطر الوفد أيضا ، ولكننا بعد الارتباك الذى لاحظناه عليهما والازدراء والتحقير اللذين قوبلا بهما من الأمة وبعد أن تحققا بنفسهما شدة ارتباط الأمة بوفدها لا نظن انهما يجرؤان على ذلك .. ومع كل فقد أعددنا لهما كل العدة للقضاء على البقية الباقية من احترامهما الشخصى ان كان لا يزال لذلك أثر عند المقربين منهما ــ وهم قليلون جدا ــ ليكون ذلك جزاء لهما وعبرة لكل من تحـدثه نفسه بالتـدهور فى هـذه الهوة السحيقة بانشقاقها على الوفـد ومعاكسة الأمة فى امنيتها » .

[٥٣٠] « أرجو ان كان مجيىء النحـاس بك هو لتنفيـذ أقوال اسماعيل صدقى وأبو النصر فقط أن يؤجل مجيئه الآن ونحن هنا بعون الله قادرون على اخراسهما » .

وكذلك أرجو أن متى يعود الى مصر الآن من أعضـاء الوفـد لأعمال خصوصية تؤخذ عليه العهود والمواثيق بأن لايفوه ببنت شفة مما لا يجوز أن يراه عدونا ــ انجليزيا كان أو مصريا خارجا علينا ــ ذريعة للتشويش على سمعة الوفد .

كما أرجو أن كل من يعود يعتبر نفسه عضوا باللجنة المركزية للوفد حتى يظهر التضامن بأجلى معانية بين الوفد واللجنة والأمة .

عبد الرحمن فهمى

وقلت فى هذا التقرير أيضا :

« علمت حالا بخبر قيام حضرتى سينوت بك وخياط بك قاصدين مصر وأرجو الله الا يجعلا لعلاقة سينوت بك باسماعيل صدقى محلا لتأييد صدقى فى أى كلمة يقولها » .

ومع ذلك فسنتخذ الحيطة الشديدة لذلك على قدر الامكان وابتهل الى الله ان يحسن أحوالنا ويطهر قلوبنا ويقينا السوء وشر الانقسام » .

عبد الرحمن فهمى

[٥٣١] وفي تقريرى الذى ارسلته الى الوفد بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩١٩(١) قلت فيه ما يأتى خاصا بطلب اسماعيل صدقى باشا ومحمود أبو النصر الصفح والغفران من الوفد :

« لم تقف مسالة اسماعيل صدقى باشا وأبو النصر بك عند الحد الذى أوضحناه لسيادتكم بالتقرير نمرة ١٦ لأن محمود باشا سليمان استحسن بعد ذلك ان تعرض عليهما الكتابة التى تقبل اللجنة ـ بناء عليها ـ ان تتوسط بينهما وبين الوفد حتى اذا رفضا كانا هما الجانيان على أنفسهما » .

وبناء على ذلك وضعنا لهم صورة ما يجب عليهما تقديمه للجنة . وقام الرسول بها الى الاسكندرية ولم يعد للآن .. ومضمون الصورة المذكورة انهما موافقان على مبدأ وخطة الوفد وانهما يحترمان قراراته اليوم وباكر وانهما بناء على ذلك يلتمسان وساطة اللجنة كى يعيد الوفد النظر فى أمرهما وبالاختصار فهى الصورة التى تمسكت بها يوم المناقشة وما رضيت قبول غيرها .

« وفى ظنى ان المسألة اذا انتهت على هذا الوجه فيصبح فى يدنا اعتراف صريح منهما بالموافقة على جميع أعمال الوفد ولم نعطهما مقابل شيئا ما من الضمانات والتعهدات أما مسألة اعادة النظر فى شأنهما بصفة جدية فهذه تتعلق بالوفد دون غيره لأنه هو الذى يمكنه أن يقرر ذلك . فان رفض ملتمسهما فنكون قد كسبنا اعترافا صريحا بالكتابة منهما بالموافقة على مبدأ وخطة الوفد وبذا لا يجرآن فيما بعد على التفوه بكلمة واحدة ضد خطة الوفد ولو انهما أصبحا الآن فى حالة ازدراء وتحقير من الجميع لاتمكنهما من قول شىء الا فى مجالسهما الخصوصية وبغاية التحفظ »

عبد الرحمن فهمى

[٥٣٢] وفى التقرير الذى أرسلته الى الوفد بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩ (٢) قلت فيه ما يأتى :

(١) (انظر نص التقرير د. محمد أنيس ، (دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١٢٨ ـ ص ١٣٠) .

(٢) انظر نص التقرير د. محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة سنة ١٩١٩ ، ص ١٣٠ ـ ص ١٣٢ .

« الحاقـا بما أوضحنـاه لسيادتكم بالتقرير نمرة ١٧ أقول ان اسماعيل صدقى باشا وأبو النصر بك قبـلا ما عرض عليهما ولم يبـق الا توقيعهما وأظن أن ذلك لا يستغرق أكثر من يوم أو يومين نظرا لغيابهما بالاسكندرية وبعد ذلك ترسل الأوراق لسعادتكم من اللجنة » .

عبد الرحمن فهمى

وقبل أن يصل الى الوفد تقريراى المشار اليهما جاءنى منه فى تقريره المؤرخ ٢٤ أغسطس (١) ما يأتى :

« نرجو أن تفيدونا بجميع الأقوال التى يمكن أن يكون اذاعها عندكم اسماعيل صـدقى ومحمود أبو النصر ورأى الناس فيهما بعد أن تبينوا حقيقة حالهما وأن ترسلوا قصاصات من الجرائد المصرية عربية وافرنكية بما تكتبه عن الوفد وعن المسألة المصرية » .

سعد زغلول

[٥٣٣] وجاء فى هذا التقرير أيضا بمناسبة وساطة المسيو فينزيلوس (٢) بين الوفد ووزير خارجية انجلترا ما يأتى :

« وبهذه المناسبة يحسن أن نخبركم بأن رجـلا يدعى صباغ كان موظفا عند المرحوم البرنس حسين - ويظهر أنه مخبر للانجليز فى باريس - عرض وساطته بيننا وبين المستر بلفور ورغبت أن أزور هنا الأخير بأن أترك له ورقة زيارة وأطلب فى الوقت نفسه بواسطة سكرتير الوفد مقابلته وذلك عقب أن قرر المؤتمر شروط الصلح التى تضمنت ما تعلمونه عن مسألة مصر وكان هذا باتفاق بينه وبين اسماعيل صدقى باشا وحسين واصف باشا على غير علم منا فلعدم الثقة بهذا الرجل من جهة ولارتيابنا فى هذا الاتفاق وعدم الوقوف على السير فيه ولان طلب مقابلة مثل هذا الوزير عقب قرار مؤتمر الصلح لا يتفق مع طلب الاستقلال التام وحفظا لمبدأ الوفد وكرامة الأمة قرر الوفد رد هذه الوساطة » .

« ومن هذا الحين غضب اسماعيل صدقى باشا وصار يبذل جهده فى عرقلة مساعى الوفد حتى اضطر الوفد أن يخفى منه أكثر أعماله خشية أن تذاع بمعرفته ومعرفة محمود أبو النصر الذى كان شريكا له فى جميع هذه التصرفات » .

سعد زغلول

---

(١) انظر نص التقرير د. محمد أنيس ، المصدر السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ .
(٢) فينزيلوس رئيس وزراء اليونان .

ثم أشار التقرير الى طليمات المحامى الذى سبق للقارىء ذكره (١) بما يأتى :

« المحامى طليمات حضر الى الوفد هو وشخص آخر وحصلت الريبة فيه خصوصا وأنه كان يستحسن طلب الاستقلال الذاتى (٢) ومحمود أبو النصر كان ملتفا به وينوه بذكره ويكثر من مديحه ويقول انه من أركان النهضة المصرية بالاسكندرية » .

سعد زغلول

[٥٢٤] ولقد قلت فى التقرير الذى أرسلته الى الوفد بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ بعد حضور سينوت بك حنا وجورج خياط بك الى مصر ما يأتى :

« وصل سينوت بك وخياط بك الى الاسكندرية صباح الثلاثاء فقوبلا بالحفاوة اللائقة بعضوين حائزين على رضاء الوفد . ووصلا ظهر أمس للقاهرة . وكانت جموع كثيرة فى انتظارهما بالمحطة وفى مقدمتهم معظم أعضاء لجنة الوفد المقيمين بالقاهرة وعلى رأسهم سعادة محمود باشا سليمان وهتف الجميع مرارا للوطن وللوفد ورئيسه وللعضوين . وكذا استقبلا استقبالا حافلا بالمحطات الكبرى التى مر بها القطار كطنطا ودمنهور وكفر الزيات وبنها . والقيت بعض الخطب الحماسية مما كان له أعظم وقع فى النفوس وذكرنا بحركة ٥ أبريل الماضى وقصدنا بكل هذه الحفاوة أن نعطى درسا آخر ومثلا أعلى لمن يقوم بخدمة بلده بالأمانة ويعود الى وطنه بالاتفاق مع زملائه وبالجملة كانت مظاهرات أمس عقابا صارما لاسماعيل صدقى وأبو النصر اللذين انزويا فى سكنهما انزواء المجرمين . ولا أبالغ اذا أكدت لكم أن السخط عام عليهما وأنهما اينما حلا لا يصادفان الا الازدراء والتحقير » .

عبد الرحمن فهمى

ثم عقبت على ذلك بما يأتى :

« نظرا للعلاقة المتينة التى أعرفها جيدا بين سينوت بك وصدقى باشا خشيت أن يندفع سينوت الى مشايعة صدقى فاوفدت «تادرس بك المنقبادى» الى الاسكندرية لاستقباله بالباخرة بعد أن زودته بالتعليمات اللازمة ليفهمه حقيقة الروح السائدة فى البلد حتى لا تخدعه الصداقة ولكن [٥٢٥] بالأسف بعد أن انفصل سينوت بك عن المنقبادى وذهب الى منزله توجه

(١) يقصد الذى سبق ذكره للقارىء .
(٢) يقصد الـ Autonomy

اليه اسماعيل صدقى ومكث معه أكثر من ساعه ونصف ثم ظهر بعد ذلك حديث سينوت بك المنشور بجريدة الأهالى الصادرة أمس . وهذا الحديث ليس مهما فى ذاته ويخالف فى مبناه السبب الحقيقى الذى ورد بجواب الوفد عن فصل صدقى باشا ولقد خطأت سينوت بك فى ذلك فقال انه يروى ما علمه من خطوات أعضاء الوفد والحديث هو :

« كنت فى فيشى أياما ثم عدت منها الى باريس يوم أول أغسطس فسمعت من أحد المصريين — غير أعضاء الوفد — أن صاحب المعالى صدقى باشا لم يبق عضوا فى الوفد . فلم أهتم بالمسألة اهتماما عظيما وقابلت صاحب العزة مصطفى بك النحاس سكرتير الوفد الذى يدون بنفسه كل الأعمال يوميا وطلبت منه أن يبلغنى الحقيقة فأبلغنى اياها كما هى فى محضر الجلسة وهى أن فصل صدقى باشا غير صحيح وانما الصحيح هو ان مصطفى بك النحاس وعبد اللطيف بك المكباتى قابلاه فى منتصف يوليو فى باريس وأظن أن حمد الباسل باشا كان معهما بعد عودته اليها من فيشى فقال انه سيمكث فى باريس يومين فقط ثم يسافر الى فيشى فمصر فسألاه هل ينوى أن يأتى الى مركز أعمال الوفد فاعتذر والظاهر انهما فهما من اعتذاره وعزمه على السفر الى مصر انه يريدالاستقالة ولذلك عرضا الأمر على الوفد ونقلا اليه حديثهما مع صدقى باشا فقرر الوفـد اعتبـار ذلك استقالة فعلية ووافـق فى الوقت نفسه على قبولها . هذا هو ما علمتـه تفصيلا من مصطفى بك النحاس سكرتير الوفد وقد قابلت بعد ذلك كثيرا من الأعضاء وسألتهم فأكدوه لى حرفا بحرف » .

[٥٣٦]

« ولقد سأله مكاتب الأهالى : قيل ان اسماعيل صدقى باشا طلب التوسع فى التوكيل فهل هذا صحيح ؟ فقال سينوت : لم أسمع بذلك الا منك الآن وهو كذب محض . والحقيقة التى أعرفها كل المعرفة هى أن صـدقى باشـا لم يطلب التوسع فى التوكيـل قط ولم يشر الى ذلك فى وقت من الأوقات » « هذه هى أقوال سينوت لمكاتب جريدة الأهالى فيما يختص بصدقى وظاهر أنها تخالف ما جاء بجواب الوفد مخالفه صريحة . لمت سينوت كثيرا عليها فكان جوابه أنه لا علم له بجواب الوفد وأنه أجاب المكاتب بمعلوماته الشخصية فاكدت عليه بألا يكرر هذا الكلام لأحد ما » .

« هذا ما يختص بأقوال سينوت . أما ما يختص بالوساطة التى توليت تسويتها لدى اللجنة فقدتم الأمر على ما يأتى :

« قدم صدقى وأبو النصر الجواب الآتى » :

« حضرة صاحب السعادة محمود باشا سليمان .

رئيس اللجنة المركزية للوفد المصرى

« عدنا الى مصر لأسباب لا تنافى (١) بينها وبين مبدأ الوفد الذى عاهدنا أنفسنا عليه وجاهدنا ولازلنا نجاهد فى سبيله . وقد أدهشنا ما رأيناه منشورا فى بعض الصحف من أن الوفد ارتأى ـ اعتبارنا منفصلين عنه لاننا حتى يوم مبارحتنا فرنسا فى ٦ أغسطس لم يكن لنا علم مطلقا بما تعزوه الجرائد الى الوفد بشأننا حيث اننا لم نحد قط عن مبدأ الاستقلال التام الذى هو شعارنا وشعار الوفد وقد عملت على تحقيقه وحافظنا على رعاية واحترام خطة الوفد وقراراته ولازلنا كذلك اليوم وغدا فنرجوكم ان كان لما ذكرته بعض الجرائد أثر من الصحة وهو ما نستبعده جدا أن تخابروا الوفد بهذا الشأن حتى يتلافى الأمر ويعدل عما عسى أن يكون قد ارتآه من هذا القبيل) .

[٥٣٧]

وتفضلوا بقبول فائق احترامنا ،،،

« اسماعيل صدقى » « محمود أبو النصر »

وكانت اللجنة تبحث كثيرا فى هذا الموضوع لأن صدقى وأبا النصر كانا يريدان أن تبدى اللجنة أسفها لفصلهما وتطلب باسم الوطنية اعادتهما فعارضت فى ذلك معارضة شديدة وتمكنت من كسب الأغلبية الى جانبى وانتهى الأمر على أن تكون اللجنة واسطة فى التبليغ فقط بدون ان تبدى أقل شىء من عندها . وانتهى الأمر على ذلك وكتب جواب اللجنه للوفد بالصورة الآتية :

[٥٣٨]

« لما وصل اسماعيل صدقى باشا وأبو النصربك تخابرا مع اللجنه فى أمر انفصالهما وقالا بأنهما لم يعلما بقرار الوفد فى هذا الشأن الا من حضرة محمد بك بدر فى الباخرة فناقشهما بعض الأعضاء فيما نسب اليهما من مخالفة مبدأ الوفد وخطته وتبين من هذه المناقشة أنهما لم يكونا على اتفاق مع الوفد فى خطته وأن لهما منهجا آخر يريان من المصلحة اتباعه فأفهمناهما أنهما لا يجدان مصريا واحدا يقرهما على خطتهما وأن الأمة بأسرها تقر الوفد على خطته كل الاقرار ولا تقبل أية مناقشة فيما دون الاستقلال التام وتحقق العضوان المنفصلان مما أكدناه لهما ووجدا من الرأى العام المصرى اجماعا على ذلك فعرضا أن يكتبا للجنة كتابة بعدولهما

(١) لعله يقصد (لا تناقض) .

عن سابق خطتهما ويعترفا فيها بأنهما لم يحيدا عن مبدأ الوفد ولا خطته وأنهما سيعملان على رعاية المبدأ والخطة اليوم وغدا وطلبنا أن تكون هذه الكتابة أساسا لتوسط اللجنة لدى الوفد ليعيد النظر فى أمر فصلهما . وقد أخذت المسألة أياما عديدة فى المناقشة وفي الاتفاق على نص الخطاب الذى يكتبانه . ونحن نرسل لكم هذا النص لتقرروا ما ترونه . أما الأصل فمحفوظ عندنا خوفا من ضياعة فى البريد » .

(وقد أشار سعادة محمود باشا سليمان بأن أؤكد لكم أننا لم نقبل التدخل فى هذه المسألة الا لتبليغكم اياها فقط فلا تجعلوا للوساطة معنى آخر لأنه يود أن تكونوا أحـرارا فى قراراتكم وهو يقول (يرى الحاضر ما لا يراه الغائب)) .

عبد الرحمن فهمى

ثم ورد فى نفس تقريرى هذا الى الوفد ما يأتى :
تناولت جريدة الأهالى الصادرة بتاريخ اليوم ورأيت فيها ما كنت أخشاه خاصا بهذا الموضوع وهو :

[٥٣٩] (هذا ولا بد أن يكون كثير من القراء قد وقفوا أمام الحديث الذى نشرناه لصاحب المعالى صدقى باشا متسائلين كيف اعتبر صـدقى باشا مستقيلا وقبلت استقالته فى البرهه نفسها وهو يقول انه لم يقـدم هذه الاستقالة لا تصريحا ولا تلميحا وما هو السبب الذى حمل الوفد على ان يسلك هذا المسلك مع صدقى باشا متى كان الثابت انه لم يطلب التوسع فى التوكيل ولم ينحرف عن سير الوفد كما يؤكد ذلك سينوت بك) ؟

(هذا سؤال يقتضى الانصاف ألا يتعرض له أحـد بجواب الا بعـد سماع كلمة فيه من الوفد نفسه أو من لجنته فى مصر فقد تكون هنـاك أشياء أخرى لم تعرف بعد) .

وعلى كل حال فقد علمنا انه لما عاد صدقى باشا الى القطر المصرى وسمع القائلين يقولون ان الوفد المصرى قرر فصله من العضوية لسبب معين هو انحرافه عن خطة الوفـد وطلبـة التوسيع فى التوكيل كتب الى اللجنة خطابا ينكر فيه هذه الدعوى ويطلب برهانا عليها فلم يسع اللجنه الا أن ترجع فى الأمر الى الوفد نفسه فأرسلت الخطابات اليه وهى تنتظر الآن جوابه) .

« هذا ما جاء بجريـدة الأهـالى المذكورة وأرى أن المسألة أصبحت محتاجه الى نشر قرار الوفد بنصه المدون بالدفاتر ان كان يرى الوفد عدم

التعويل على المساعى الأخيرة وفى هذه الحالة يرسل القرار بنصه موقعا عليه من سيادتكم لا بطريقتنا السرية هذه » .

عبد الرحمن فهمى

وفى نفس اليوم الذى كتبت فيه تقريرى هذا الى الوفد كتب الى الوفد فى تقريره يقول :

[٥٤] «نشرت بعض جرائد مصر انكم دعوتم اللجنة للاجتماع وان اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر سيحضران فى هذه الجلسة فلم نفهم ذلك لأننا سبقنا فأخبرناكم بأن المذكورين انفصلا من الوفد ولم يعد لهما به علاقة فلم يحضران اللجنة التى هى نائبة عن الوفد فى مصر أرجو أن تفيدنى عن الأسباب التى دعيت اليه اذا كان الخبر صحيحا وعن الأقوال التى عساها تكون قد صدرت منهما فى الجلسة المذكورة أو خارجا عنها وعما كان لها من الأثر فى النفوس .

سعد زغلول

وجاء فى تقرير الوفد المؤرخ أول سبتمبر سنة ١٩١٩ ولم يكن قد وصله بعد تقاريرى الأخيرة ما نصه :

« دلنا سوء استقبال صدقى وأبو النصر على روح جميلة جدا اغتبطنا بها وسررنا سرورا عظيما وما دامت هذه روح الأمة فأن النجاح مكفول باذن الله ولم ير الوفد وجها للعدول عن قراره بشأن المذكورين لأن ثقته بهما انعدمت ولا يصح بحال من الأحوال أن يعود للعمل معهما مباشرة أو بواسطه لأنه ليس شىء أضر على الأعمال من أن يشترك فيها من لاثقة بينهم . وأرجو أن تكون اللجنة قد أخذت بنصيحة الوفد وتجنبت مقابلتهما تجنبا كليا والوفد يرى ما رأته أغلبية لجنتكم من الاكتفاء بنشر انفصالهما عن الوفد من غير نشر تفصيلات) :

« أولا : لعدم اعطائهما أقل أهمية .

ثانيا : مداولات الوفد بطبيعتهما سرية والدخول فى التفصيلات يؤدى الى اذاعة شىء منها وهما لا يستطيعان أن يقولا شيئا حقيقيا للدفاع عن أنفسهما لأن كل الحقائق ضدهما وكفاهما ما أصابهما من خزى وعار (١) » .

سعد زغلول

---

(١) نص التقرير : محمد أنيس : المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٧ .

[٥٤١] وجاء في هذه الأثناء تلغراف من الوفد فحواه أن اسماعيل صدقى باشا ومحمود أبو النصر بك قد فصلهما الوفد من هيئته من غير أن يشرح التلغراف السبب فى هذا الفصل . فأرسلت الى الوفد أقول فى تقريرى المؤرخ أول سبتمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« ان تلغراف الوفد الذى ورد بخصوص فصل صدقى وأبى النصر لم ينه هذه المسألة التى شغلتنا زمنا طويلا واستغرقت كل أوقاتنا لأنه لم يبين فيه سبب انفصالهما ولأن سينوت بك حنا تمسك باقواله التى نشرها بجريدة الأهالى كما سبق أن عرفناكم بذلك وهى تخالف صراحة الأسباب التى وردت بمكتوب الوفد الوارد لنا . ولما أراد بعضهم أن ينشر سبب الانفصال حسبما نشر سينوت بك توقفت عن ذلك وقلت بلزوم احترام جواب الوفد . فتقرر أخيرا ارسال تلغراف لسعادتكم من سينوت بك بطلب توضيح السبب لنشره على الأمة المنتظرة ذلك من مدة (١) » .

عبد الرحمن فهمى

ولا يخفى على القارئ أنى كتبت الى الوفد بذلك قبل أن يصل الى تقريره السالف وكذلك كان الحال مع الوفد فقد كتب الى الآتى فى تقريره المؤرخ ٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ قبل أن يصله تقريرى السابق :

« لم يقرر الوفد فصل اسماعيل صدقى وأبو النصر من عضويته الا لأسباب هامة زعزعت ثقة اخوانهما بهما . ولا يمكن بعد ان تزعزعت هذه الثقة أن يشتركوا معهما فى عمل من الأعمال العمومية ولهذا أجبنا على تلغراف سعادة محمود باشا سليمان بعدم اركان العدول عن القرار الصادر بشأنهما أما الجامهما (٢) عن التكلم ضد الوفد فلا أهمية له . [٥٤٢] لانهما لا يستطيعان ان يطعنا على الوفد بحقيقة الا جرحتهما جرحا مميتا قبل ان ينال الوفد شئ من أثرهما فلا تهتموا بهما واتركوهما ينتحران (٣) .

سعد زغلول

وفى تقريرى الذى أرسلته الى الوفد بتاريخ ٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ - قبل أن يصلنى تقريره السالف الذكر - قلت له فيه :

---

(١) نص التقرير ، انيس ص ١٣٨ - ١٤١ .

(٢) سكوتهما .

(٣) نص التقرير ، انيس ص ٧٧ ، ٧٨ .

« يظهر مما جاء بالتقرير نمرة ١٦ خاصا بصدقي وأبو النصر انكم تخشون ان يكون لهما نفوذ أو كلمة مسموعة والحقيقة هي ضد ذلك على خط مستقيم وهي كما شرحتها لكم في خطاباتي السابقة أنهما أصبحا كالجربة (١) يفر منهما كل من رآهما من بعيد ولا يجتمع بهما الا نفر قليل جدا من أقاربهما لأن معظم الأقارب تبرأوا منهما ولا يلقبهما الناس في المجالس الا بالخونه والجواسيس ولقد أكد لى أن محمود أبو النصر لما توجه الى بلده عقب عودته من السفر قابله أهل بلده والبلاد المجاورة (الأطفال والشبان) بقذف الطوب والصراخ والمناداة عليه من بعيد بالخائن الأثيم مما كان سببا في رجوعه من البلد في يومها · فثقوا تمام الثقة بأن الأمة كلها ملتفة حول وفدها الأمين لا نقبل ان تقال عنه أية كلمة وان الخونة والمترددين قد انزوا وظهر انزواؤهم بجلاء شديد في المدة الأخيرة وعلى الأخص بعد وصول تلغرافكم فلا تخشوا شيئا من هذا واتركوه كله لنا لتتفرغوا لما هو أمامكم من المهام » ·

عبد الرحمن فهمي

وقلت أيضا في نفس هذا التقرير :

« أبو النصر وصدقي لم يجرؤا على ذكر شيء في الجرائد بعد الحديث الأول لأن صدمة اعلان انفصالهما عن الوفد أثرت فيهما جدا أمام الرأى العام وانهما ان تكلما بشيء فانما يتكلمان به داخل البيوت وفي المجالس الخصوصية جدا وأؤكد لكم مرة أخرى بأنهما فقدا كل احترام لهما عند الجميع فلا تشغلوا بالكم بهما » (٢) · [٥٤٣]

عبد الرحمن فهمي

وقد جاء في التقرير المرسل الى من الوفد بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ ما يأتي :

(ان رفت صدقي باشا وأبو النصر بك كان في الحقيقة بناء على مخالفتهما لمبدأ الوفد وخطته كما كتبت لكم · ولم يعد لأعضاء الوفد ثقة بهما واضطررنا أن نخفي عليهما أمورا كثيرة من أعمال الوفد خشية أن يعملا على تعطيلها ولكنا لانريد نشر شيء من ذلك لأن مداولات الوفد سرية لا تصح اذاعتها وقد أرسلنا لسعادة محمود باشا سليمان تلغرافا بأنهما

(١) مرض جلدى معدى ·

(٢) نص التقرير ، انيس ص ١٤١ ـ ١٤٤ ·

رفتا لا استعفيا وأن هذا ما يمكن نشره • وقد استحسن الوفد قفل هذا الباب بالمرة • وقد كتب لنا سينوت بك حنا يأسف على المحادثة التى جرت له مع جريدة الأهالى) فلا تشغلوا بهذه المسألة (١) •

سعد زغلول

فلما وصل الى هذا التقرير سارعت الى نشر البلاغ الآتى فى الجرائد التى نشرته فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وهو :

« لا علاقة لهما بالوفد ».

« تعلن لجنة الوفد المركزية أن سعادة اسماعيل صدقى باشا وحضرة محمود بك أبو النصر لم تصبح لهما أية علاقة بالوفد » •

[٥٤٤] وكان آخر خطاب منى الى الوفد بشأن فصل صدقى وأبى النصر بك من الوفد ذلك الذى أرسلته اليه بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ وقد قلت فيه :

« لقد انتهت مسألة صدقى وأبى النصر بأن أعلنت اللجنة بأنهما أصبحا ولا علاقة لهما بالوفد واننى أوكد لسعادتكم أن حالتهما ساءت جدا وأصبحا منزويين بحالة لا يرضاها أى عاقل حتى لعدوه فرحمهما الله » (٢) (*) •

عبد الرحمن فهمى

[٥٤٧] « صنعوا له ختما وجروه بالقوة الى عربة السكة الحديدية وقد روى أن مصريا من الطبقة المهذبة رأى شرطيا يسوق اثنين من القرويين بعنف وهما يرسفان فى الأغلال ويسيل الدم على وجهيهما من جرحين بليغين فى جبينهما فسأل الشرطى عن جريمتهما فقال انهما متطوعان يا سيدى » •

وقد سيق مليون ومائتا ألف من المصريين على هذا الوجه الى الخدمة فى فرقة العمال والنقل وما يتهم به الوطنيون المصريون السلطة العسكرية أن معاملتها للعمال كانت أسوأ من معاملتها لدواب النقل فقد كان طعامهم رديئا ومسكنهم فاسدا وكانت العناية الصحية بهم قليلة ضئيلة فمات هؤلاء المجندون التعساء كالذباب وكلما قضى منهم نفر وخلا بموتهم مكان

---

(١) نص التقرير ، المصدر السابق ص ٧٩ ـ ٨٠ •

(٢) نص التقرير : المصدر السابق ص ١٤٩ ـ ١٥٠ •

(*) الصفحات رقم ٥٤٥ ، ٥٤٦ غير موجودة فى أصل المذكرات •

ساق « الكرباج » (السوط) الآلاف غيرهم ليحلوا محلهم . ودم هؤلاء الرجال هو الذى يجرى بين مصر وانجلترا اليوم . وبعد أن وقعت الهدنة طلب المصريون الغاء الحماية البريطانية وندبت الأمة وفدا ليعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح بباريس وعلى رأسه سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية وأكبر نواب مصر . ومن بين أعضائه عدد من أذكى أبناء البلاد فكان رد السلطة العسكرية الانجليزية أن ألقت القبض على سعد باشا وزملائه ونفتهم إلى مالطة وكان هذا فى الثامن من مارس سنة ١٩١٩ فلما ذاع خبر ذلك قامت المظاهرات الوطنية فى جميع أنحاء البلاد ورغما عن أن المتظاهرين كانوا عزلا من السلاح كانت تقابلهم المدافع السريعة لتفريقهم وتشتيتهم .

وقد حدث كل هذا فى مارس ولكن العالم لم يسمع بشىء عنه الا فى يوليو حينما قام أحد أعضاء مجلس العموم واضطر الحكومة الى الاعتراف بأن قمع المظاهرات أفضى الى قتل ٨٠٠ من الأهالى وجرح ١٦٠٠ وحبس ٢٠٠٠ وقد نشر فى ذلك الوقت هذا البيان الذى أصدره جنرال اللنبى فقـال : [٥٤٨]

قام الوطنيون منذ شهور عديدة بحركة سياسية وبعد أن استمروا على التهييج العنيف ألقى عليهم القبض وأرسلوا الى مالطة وهذا الاعتقال هو سبب الاضطراب الحاضر وقد استدعى الجنود لرد الأمن والنظام .

« وقد تغيرت الحالة فجأة وأطلقت الحكومة البريطـانية الزعماء المعتقلين فى مالطة وأذنت للمصريين أن يرسلوا مندوبيهم الى انجلترا ليعرضوا شكواهم وقد سر المصريون لذلك بالبداهة وسمح لهم أن يقيموا الاحتفالات كما يسمح لأبناء انجلترا بالاحتفال بأى نصر سياسى . ومن سوء الحظ ان الجنود لا يفهمون هذا على ما يظهر ولذلك حدث مرة أو مرتين أن نفرا من الجنود قاموا بمظاهرات ضد المصريين الذين كانوا قد أقاموا احتفالا غير موجه ضد سلطتنا بالمرة وقد أدى عمل هؤلاء الجنود الى اضطرابات خطيرة والى خسارة فى الأنفس من الجانبين . على أن المأمول الآن أن يلوذ الجنود بالهدوء ويلزموا السكينة ويتركوا القانون والنظـام للقائد العام ومما يجب أن يفهم أن كل عمل مستقل يقوم به الجنود يضاعف صعوبة مركزنا عشر مرات » .

أما زغلول باشـا وزملاؤه الذين أطلق سراحهم « بسبب تغـير الحالة » كما يقول الجنرال اللنبى فقد وصلوا الى باريس فى ١٩ أبريل ولكنهم لم يكادوا يطأون أرض فرنسا حتى وجدوا أن مؤتمر الصلح قد اعترف بالحماية على مصر ولا يزالون فى باريس سجناء فى الواقع لأن

الحكومة البريطانية تحول دون اعطاء الجوازات لهم بالسفر الى انجلترا أو الولايات المتحدة .

[٥٤٩] هذه هى قصة مصر فبريطانيا على الرغم من هذه الحقائق لا تزال متشبثة بما ادعته ٣٧ عاما . ولقد أذاع المستر رونالد لندسى القائم بأعمال السفارة البريطانية بواشنطون بيانا يقرر فيه أن حكومته قد عنيت دائما بتحاشى الاعتداء على السيادة المصرية . فلا الحماية ولا الأحكام العسكرية وتدبيج المتظاهرين واعتقال الوطنيين ونفيهم وكل مظاهر انكار الحرية والعدل لا تمنعهم من القول « بأن الحكومة البريطانية تتحاشى القضاء على السيادة المصرية » .

وليست مصر وايرلندة على الخصوص فى نظر البعض الا سببين حيويين ينبغى أن يحملا الولايات المتحدة على عدم الدخول فى عصبة الأمم لأنه من الواجب أن تتجنب الارتباط بأطماع انجلترا الاستعمارية .

ولكن هذا كان يكون صحيحا لا غبار عليه لو أننا لم نتقيد مع شعوب العالم المظلومة بأقدس العهود وذلك لان من أكبر الأسباب التى بعثتنا على دخول الحرب مبدأ حق الأمم فى تقرير مصيرها ومنح الأمم الصغيرة والشعوب الضعيفة حقها . وعصبة الأمم تهيىء الفرصة الوحيدة للوفاء بهذه العهود . ولا شك أننا لا نريد أن نحارب الامبراطورية الانجليزية لأنها قابضة بيديها على ايرلندا ومصر لأنها تخرج بذلك المبادىء الأربعة عشر التى وافقت انجلترا عليها لما كانت محتاجة الى مساعدتنا ولكنا يجب أن نستخدم عصبة الأمم وأن نتخذ منها محكمة للرأى العام ندافع فيها عن قضايا الأمم الصغيرة والشعوب الضعيفة حتى تسوى أمورها على نحو ينطبق على ما قطعت به العهود والمواثيق أثناء الحرب » .

حديث اللورد ملنر مع جريدة انجليزية

قبيل مجيئه الى مصر

[٥٥٠] ولما بلغ اللورد ملنر وهو فى انجلترا عزم مصر على الخطة التى ستتبعها حيال لجنته وهى مقاطعتها مقاطعة تامة أراد أن يظهر للمصريين حبه لهم وعزمه على ارضائهم فأجرى الحديث الآتى مع مندوب جريدة « البال مال غازيت » الانجليزية فى ٢٩ سبتمبر ١٩١٩ ظنا منه أن هذا الحديث قد يقنع الأمة بالعدول عن قرارها الحكيم . وفاته أنه بتصريحه هذا يقوى روح التذمر والاستياء ضده :

قال اللورد « انى من الذين يميلون الى منح الحكم الذاتى بأوسع نطاق يمكن العمـل به • وتمكين الشعب من ادارة شئونـه بنفسه أولى وأفضل كثيرا من ادارتها بواسطة غيره لحسابه ويمكن التضحية بحسن سير الادارة الى حد ما فى سبيل الاقناع وجلب الرضا • ولكن لهذا الأمر حدا معينا • ومن الجلى أنه من الواجب اختيار وقت لا يترتب على انتقال السلطة فيه الى أيدى الوطنيين خسارة كبيرة فى الكفاية الادارية » •

ثم قال « وسأذهب الى مصر خالى الذهن من كل عامل مؤثر فأتلقى كل ما يقدم الى اللجنة دون أن أستسلم فى حال من الأحوال لتأثير ذكرى المدة التى قضيتها فى مصر منذ زمن بعيد » (١) •

واستطرد قائلا « وارجو أن تكون الشهادات التى تقدم للجنة واسعة النطاق صادرة ممن لهم صفة تمثيلية • وانى كثير الميـل والوداد لمصر والمصريين ولا غرض لى أنا وزملائى من ذهابنا الى مصر الا اعادة الوفاق والعمل على زيادة التقدم فى مصر لا من وجهة اليسر المادى فقط بل من وجهة التعليم والتدرب على الحكم الذاتى أيضا » •

[٥٥٩]

ثم قال « ان غاية اللجنة هى جمع المعلومات وسماع الشهادات من جميع طبقات الشعب ثم عرض اقتراحات تتعلق بمستقبل الحكومة فى مصر على الوزارة البريطانيـة • ولابـد أن يكون لمصر نـوع من النظـام الدستورى » •

ثم ختم حديثه بما يأتى :

« ان مسألة حق بريطانيا العظمى فى بسط الحماية خارجة خروجا تاما عن دائرة أعمال اللجنة المبنى برنامجها على افتراض وجود الحماية ومن أعمال اللجنة أن تضع دستورا ضمن دائرة التعليمات التى أعطيت لها وسيكون لدى اللجنة أعمال كافية فى درس الادارة الداخلية فى مصر دون أن تتناول مسألة الحالة الدولية فيها فهى ليست من أعمال اللجنة لأنى أعدها بمثابة مسألة قد سبق تسويتها ضمنا » •

---

(١) كان اللورد ملنر مستشارا ماليا للحكومة المصرية سنة ١٨٨٩ ــ ١٨٩١ وألف فيها كتابه المشهور « انجلترا فى مصر » الذى ظهر فى سنة ١٨٩٢ •

سفر محمد محمود باشا الى أمريكا
وبعض أعماله فيها

[٥٥٢] فاز الوفد المصرى أخيرا بالتصريح لبعض أعضائه بالسفر الى أمريكا بعد أن صرف فى ذلك مجهودا شاقا (١) . ولقد كان مفهوما أن يسافر الى أمريكا سعد زغلول باشا ومحمد محمود باشا ولكن صحة سعد باشا فى ذلك الوقت لم تسمح له بتجشم متاعب السفر لذلك قام بمهمة الوفد المصرى فى أمريكا محمد محمود باشا وحده ولا يغرب عن بال أحد أن سعادته من أعضاء اوفد البارزين يضاف الى ذلك انه من المتفوقين جدا فى اللغة الانكليزية (٢) .

هذا وقد غادر سعادته باريس فى أول أكتوبر ١٩١٩ وورد على لجنة الوفد المركزية تلغراف منه بتاريخ ١٠ أكتوبر يفيد أنه وصل نيويورك بصحة جيدة وأن الحالة فى أمريكا تبعث فى النفس آمالا كبيرة .

ومن الأعمال التى قام بها سعادته فى أمريكا اصداره « الكتاب الأبيض » عن المسألة المصرية ونشرة باللغة الانجليزية وقد تضمن هذا الكتاب جميع أعمال الوفد فى مصر وفى الخارج والمكاتبات التى وردت بينه وبين أعضاء مؤتمر السلام ابتداء من ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ الى ١٤ يولية سنة ١٩١٩ . والمذكرات التى وصفها يشرح فيها المسألة المصرية . وختم الكتاب ببيان شامل عن الحوادث التى وقعت فى شهرى مارس وابريل سنة ١٩١٩ مع بعض الصور لآثار الأعمال التى أتاها الجنود البريطانيون فى مصر . وقد وزع هذا الكتاب على أعضاء مجلس الشيوخ [٥٥٣] الأمريكى وجميع رجال السياسة والصحافة فى أمريكا . كما أرسل الى انكلترا ووزع على أعضاء البرلمان والمشتغلين بالسياسة .

ونحن ننشر لك هنا ما اذاعته لجنة الوفد المركزية فى الصحف المصرية فى هذا الوقت بناء على الأنباء التى كانت ترد لها من الخارج . ويتضمن بيان اللجنة أيضا تلغراف محمد محمود باشا بخصوص الاقتراح

---

(١) رأى الوفد ضرورة ايفاد مندوبين عنه للسفر الى « الولايات المتحدة الأمريكية » للادلاء برأيهم امام لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ - فتقدم ثلاثة من أعضائه الى القنصلية البريطانية فى باريس يطلبون منها الترخيص لهم بالسفر الى الولايات المتحدة وهم سعد زغلول وعبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود . وقد أثار طلبهم هذا اعتراضات شديدة من جانب الحكومة البريطانية ولكن وساطة مستر فولك احد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى لدى خارجية حكومته - نجحت فى السماح لهم بالسفر .
(د. عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ص ٢٤٧) .

(٢) تلقى محمد محمود باشا تعليمه فى (باليول) بانجلترا ونال شهادة جامعية فى التاريخ .

الذى قدمه عضو ديمرقراطى الى مجلس الشيوخ الأمريكى وهذا هو نص البيان :

[٥٥٤] « ترد الأنبـاء من أمريكا بما يبديـه مجلس الشيوخ من الاهتمام بالمسألة المصرية وضرورة حلها حلا يرضى المصريين وذلك بمناسبة المناقشة فى معاهدة الصلح ويعتقد المجلس أن هذه المعاهدة تتضمن أغلاطا كثيرة ولا يمكن التصديق عليها مع بقاء هذه الأغلاط ولكن الأعضاء مختلفون فى طريقة اصلاحها ففريق يرى وجوب النص على ادخال تعديلات صريحه على المعاهدة وعدم التصديق عليها الا بعد قبول هذه التعديلات وفريق يرى أن تشفع المعاهدة بتفسيرات من شأنها اصلاح هذه الأغلاط مع التصديق على المعاهدة كما هى وبذلك تكون موافقة الولايـات المتحدة على المعاهـدة مفيدة ـ بتلك التفسيرات وتبعا لهذا الخلاف فى طريقة اصلاح المعاهدة يذهب المدافعون عن المسألة المصرية فى مجلس الشيوخ الى رأيين ففريق يرى النص على ضرورة الاعتراف باستقلال مصر وعرض المسألة على جمعية الأمم (١) وفى مقدمة هذا الفريق الزعيم الشهير « بوراه » • وفريق يذهب الى تفسير المعاهدة تفسيرا يفيـد أن المصريـين هم أصحاب السيادة على بلادهـم وليس للانجليز أى حـق على مصر وهذا ما اقترحـــه النـائب الديموقراطى المستمر « واين » وأشار اليه التلغراف الذى ورد اليوم على اللجنة وهذا نصه :

« واشنطن فى ١٥ أكتوبر الساعة ٢٫٣٥ (وصل الى مصر يوم ١٨ أكتوبر الساعة ١٢٫٥٥ صباحا) •

[٥٥٥] محمود سليمان باشا بالقاهرة » •

« قدم « المستر أوين » العضو الديموقراطى فى مجلس الشيوخ الى ذلك المجلس شرطا تحفظيا لمعاهدة الصلح هذا نصه :

(ان الحماية التى تعترف بها المانيـا لبريطانيـا العظمى على مصر مفهومها أنها مجرد وسيلة تنتقل بموجبها سيادة تركيا الاسمية على مصر الى الشعب المصرى ولا تفسر بأنها تفيد اعتراف الولايات المتحدة لبريطانيا بأى حق للسيادة على الشعب المصرى أو بأنها تفيد حرمـان شعب مصر من أى حق من حقوقه فى تقرير مصيره » •

« وهذا الاقتراح فى غاية الأهمية لصدوره من عضو ديمقراطى معضد للحكومة وقد قوبل مقابلة حسنة جدا ولكن الاقتراح عليه لا يحصـل الا بعد عدة أسابيع » •

(١) عصبة الأمم •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«وانني على يقين أن جهادنا لايمكن أن ينتهي الا بالفوز وهو لا يفتقر الا الى الوقت والصبر والثبات على الهمة ورجائي منكم أن تشكروا جميع مواطني الذين أعربوا عن ثقتهم في بتلغرافاتهم المشجعة كل التشجيع» .

محمد محمود

تصريح رئيس الوزراء
بشأن لجنة ملنر

[٥٥٦] ذكرت للقارئ كيف نبتت لدى فكرى مقاطعة لجنة اللورد ملنر وموافقة الوفد على تلك الفكرة وقد عملت من هذا الوقت على بث تلك الفكرة في نفوس الشعب المصرى حتى أضحى الناس ولا حديث لهم الا لجنة ملنر ووجوب مقاطعتها .

ولما كان رأى الحكومة المصرية ازاء تلك اللجنة غير معروف في ذلك الوقت خشى المفكرون الا تكون على رأى الأمة لذلك ذهب جماعة من المحامين والمفكرين لمقابلة رئيس الوزراء (سعيد باشا) ليقفوا على رأيه . وفعلا قابلوا دولته في مساء الاثنين ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٩ وكان معه أحمد ذو الفقار باشا وزير الحقانية ومحمد توفيق نسيم باشا وزير الاوقاف فصرح لهم بما يأتي :

« ان مسألة حضور لجنة ملنر التي تشغل الأمة الآن علمي بها كعلمكم ولا يزال الأمر غامضا . ورأيي في أمر هذه اللجنة قد أعلنته فأنا وزملائي بأمر عظمة السلطان قد كتبنا وطلبنا بالاجماع تأجيل حضورها وليس غرضي كما تقول الصحافة بحسن نية أو بسوء نية ــ أن يكون التأجيل لحين التوقيع على معاهدة الصلح مع تركيا . فقد بينا للحكومة الانجليزية في لندن أوجه الضرر من مجيء اللجنة وطلبنا منعها من الحضور وقد قلنا لهم اننا أدرى منهم لما هو حاصل عندنا واننا نرى ضرورة منع اللجنة من الحضور. (لقد بينا للحكومة الانجليزية أن حضور اللجنة الآن الى مصر لافائدة فيه . وبما أننا لا نزال مرتبطين بتركيا ومعاهدة الصلح معها لم تتم فيلزم منع اللجنة من الحضور حتى تنتهي المعاهدة (١) وتتظف [٥٥٧] جميع المشاكل الواقعة في أوربا وتنجلي الحقيقة .

(١) تقول الوثائق البريطانية ان المندوب السامي عندما أبلغ محمد سعيد بقدوم اللجنة فان الأخير أبلغه انه سوف يقدم استقالته اذا ما جاءت اللجنة .

F.O. 407/185 No. 290 Allenby to Cyrzan.

كما كان هدف وزارة محمد سعيد من تأجيل قدوم لجنة ملنر حتى يعقد الحلفاء الصلح مع الدولة العثمانية وتتنازل عن حقوقها في مصر ــ هو كسر حدة الحركة الوطنية بهذا التنازل واصابتها بخيبة أمل فوق ما نصت عليه معاهدة فرساى .

(د. محمد أنيس ، دراسات في ثورة ١٩١٩ ص ٥٠) .

(فاذا كانت اللجنة تجيء بالرغم من هذا الطلب والتشديد فان الأمر واضح ويكون معناه انه لاقيمة لنا أنا والوزراء جميعا في نظرهم وانه ليست لهم فينا ثقة واننا لانستطيع أن نحكم البلد) .

« هذا ولقد قلت للمديرين وأكرره لكم ان وزارتي وزارة ادارية(١) ليس لها أن تتدخل في السياسة وانتم أيها المديرون عساكري الاداريون فلا يجوز أن تتدخلوا في أمر اللجنة ولا أن تضغطوا على حرية الأفراد . ولقد كان المستشار حاضرا الاجتماع وقلت لهم على مسمع منه انه اذا حضر عندكم أي انكليزي كبيرا كان أو صغيرا ليحملكم على التدخل فيجب عليكم أن تخبروني ويجب أن يفهم ذلك جميع المأمورين » .

وختم حديثه بقوله :

«انتم تعرفون أنني عرضت نفسي للنار والقنابل . كل ذلك لخدمة بلادي . وقد صرحت عند استلامي العمل تصريحات تعرفونها . فاذا وجدتم أنني حدت عنها قيد شعرة فقولوا لي ذلك . وأنا محافظ على ألا يكون في أي عمل من أعمالي ما يمس بمصلحة مصر أو يكون حجة علينا » .

ولقد أرسلت الى الوفد بخصوص هذا الحديث والغرض منه في تقريري المؤرخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ . ما يأتي :

[٥٥٨] « أظن أنني لست في حاجة لأن أذكر لسعادتكم أن الأمة على بكرة أبيها وفي مقدمتها رجال المجالس النيابية أعلنت على صفحات الجرائد رأيها بخصوص لجنة اللورد ملنر فان كل ذلك واضح وضوحا تاما (٢) وهو المقاطعة التامة وعدم مفاوضة اللجنة في شيء ما . »

ولقد تطور الشعور في هذه الحركة أيضا وقام وفد من سكان القاهرة يطلب من رئيس الوزراء توضيح رأيه ازاء اللجنة الانجليزية . ولقد صرح كبير الوزراء ببعض ما كان مطلوبا وسيقوم وفد آخر قريبا لاستجلاء باقي ما أحجم الوزراء عن ايضاحه في المرة الأولى .

---

(١) فشلت وزارة حسين رشدي الأخيرة في الوفاء بتعهدها بوضع حد للاضراب العام الذي شمل جميع مرافق الدولة وأصابها بالشلل التام واستمر طوال الشهر الذي أعقب الثورة ـ فقدمت استقالتهما لأن قوة الثوار كانت أكبر كثيرا من طاقتها . بل لجح الثوار في الحاق هزيمة ساحقة ليس فقط بالسلطات البريطانية ولكن أيضا بالوزراء المصريين أنفسهم ـ فقد عجزت السلطات البريطانية عن تشكيل وزارة أخرى .

(٢) في الأصل المنشور في كتاب د. أنيس (واضح وضوحا تاما على صفحات الجرائد كلها وهو ......) ص ١٥٣ .

والقصد من ذلك أما انضمام الحكومة للأمـة فى الشعور والرأى وأما احراج مركزها واظهار حقيقة موقفها ازاء الأمة وسنفيد سعادتكـم بالنتيجة فى أول فرصة » ٠

عبد الرحمن فهمى

سرور الوفد من حركة المقاطعة

وفى يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ أرسل الوفد الينا التلغراف الآتى يظهر فيه سروره الشامل من الخطة التى بدت ازاء لجنة اللورد ملنر وهى المقاطعة التامة لها ـ وهو :

[٥٥٩] « باريس فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ ٠

« محمود باشا سليمان بالقاهرة ٠

« وصلتنا انباء الحركة الذاتية المباركة التى قامت بها الأمة حيال لجنة التحقيق وقد ارتاحت نفوسنا اشد الارتياح لاجماع أعضاء الهيئات النيابية وكل طبقات الشعب بأسره على التصريح بضرورة مقاطعـة هذه اللجنة مقاطعة تامة ٠

« ولا غرابة ان تجمع الأمة على اختيار هذه الخطة الوطنية مادامت لا يمكنها ان ترضى بشىء غير الاستقلال التام ٠

« احذروا الفكرة القائلة بتعليق المسألة المصرية على توقيـع تركيا لمعاهدة الصلح وغـير ذلك من الحركات التى لاتحدث غـير الانقسام فى الداخل وتشويه جمال قضيتنا فى الخارج » ٠

سعد زغلول

الرغبة فى ضم محمد بك فريد الى الوفد والاحجام عن تنفيذها

رأيت أنا وبعض المشتغلين معى بالحركة الوطنية أن يضم الوفد اليه حضرة محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى (١) حتى تظهر وحدة الأمة بأجلى معانيها وحتى لا يقال ان فى البلد أحزابا تختلف فى طلب الاستقلال .

ولكن رؤى بعد ذلك العدول عن ذلك واليك نص الكتابات التى تبودلت بينى وبين الوفد فى هذا الشان :

ففى تقريرى المؤرخ ٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ (٢) كتبت الى الوفد ما يأتى :

« اننى أنا وكثير من اخوانى نستحسن أن يضم الوفد محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى الى أعضائه ليتم بذلك عقد تضامن الأمة وتكاتفها ونقطع بذلك قول من لا يزال فى قلبه مرض الحزبية . فارجو أن يصادف اقتراحنا هذا قبولا لديكم » .

عبد الرحمن فهمى

فرد على الوفد بخطابه المؤرخ ٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ (٣) بما يأتى :

« حضرة صاحب العزة الفاضل عبد الرحمن فهمى » .

« وصل تقريركم المؤرخ ١٨ أكتوبر وصورة التقرير المؤرخ ٢٤ سبتمبر واشكركم جميل الشكر على التفاصيل الورادة بهما » .

« فأما ضم محمد بك فريد الى الوفد فقد رأى الوفد عدم التعرض له لما فيه من الخطر الكبير على القضية المصرية التى تحتاج على الدوام لعطف الحلفاء الذين اشتهر فريد بك لديهم عموما ولدى الفرنساويين منهم خصوصا بممالأة أعدائهم والتدخل مع الخديوى وبولو ممن ساءت سمعتهم كثيرا فى أوربا ولا يخفاكم أن الانكليز كانوا يتهمون المصريين بأن حركتهم غير ذاتية وأنها حاصلة بدسائس من الترك والألمان . فضم مثل محمد فريد الى الوفد من شأنه أن يؤيد مطاعن الخصوم ويشوه جمال نهضتنا » .

سعد زغلول

(١) كان فريد فى ذلك الوقت وبعد هزيمة تركيا مقيما فى المانيا .

(٢) انظر نص التقرير (محمد أنيس) دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ . ص ١٥١ ـ ص ١٥٣ .

(٣) انظر نص التقرير المصدر السابق ص ٢٢٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى ذلك كتبت الي الوفد تقريرى المؤرخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩(١) بما يأتى وكانت الشركات التلغرافية قد جاءت بنبأ وفاته فى ١٧ منه :

« علمنا (٢) رأى الوفد فى مسألة عدم لياقة ضم فريد بك الى الوفد فوافقنا على أسباب ذلك . على ان الأخبار الأخيرة افادت انتقاله الى رحمة الله »

عبد الرحمن فهمى

مظاهرة فى القاهرة

[٥٦٢] فى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ نحو منتصف الساعة السادسة مساء كانت الموسيقى العسكرية تصدع فى حديقة الأزبكية فلما عزفت النشيد البريطانى أخذ جماعة من الشباب الحاضرين يهتفون بحياة مصر ثم خرجوا من الحديقة والفوا موكبا وساروا فى شارع كامل وميدان الأوبرا وهم يهتفون للوطن وسقوط لجنة ملنر اذا جاءت الى مصر فانضم اليهم جمهور كبير حتى غصت بهم الشوارع وقد تصدى لهم البوليس فى ميدان العتبة الخضراء فتفرقوا وقبض على أربعة منهم واوصلهم الى قسم الأزبكية (٣) .

مظاهرات الاسكندرية

وفى أيام ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ أكتوبر تألفت مظاهرات الاسكندرية الهائلة احتجاجا على قدوم لجنة ملنر الى مصر وكانت مظاهرات رائعة تجلى فيها الشعور الوطنى وتمسك (٤) الأمة بحقها ونحن نكتفى هنا بنشر التقرير الوافى الذى أرسله الينا شاهد عيان ثقة من أهالى اسكندرية وهو يتضمن وصف الحالة من يوم ٢٤ أكتوبر حتى ٣١ منه وهاهو بنصها ..

---

(١) التقرير المرسل من عبد الرحمن فهمى الى الوفد مؤرخ فى المذكرات بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ولكنه فى كتاب د. أنيس بدون تاريخ – والذى يتضمن معرفة عبد الرحمن فهمى لرأى الوفد فى عدم ضم محمد فريد اليه .

(٢) التقرير الصادر من عبد الرحمن فهمى فى المذكرات يبتدىء بكلمة (علمنا) أما فى كتاب « المراسلات » فيبتدىء بضمير المتكلم (علمت) .
(التقرير – المصدر السابق ص ١٥٥) .
(محمد أنيس . دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ – ص ١٥٤ – ١٥٥) .

(٣) أخذت حركة المعارضة لمجىء ملنر منذ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ تصطبغ بصيغة العنف وتلجأ الى التعبير عن موقفها بالمظاهرات (د. عبد العظيم رمضان . تطور الحركة الوطنية فى مصر . ص ٢٢٦) .

(٤) كلمة غير واضحة وهى اقرب الى أن تكون (تمسك) .

تقرير واف عن حوادث مدينة الاسكندرية

[٥٦٣] « حوادث يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٩ وأسبابها » .

« لما كانت حوادث ذلك اليوم من الجسامة بمكان وتعتبر فاتحة ما تلاها من الحوادث كان حقا على من تصدى لاثباتها ان يبدأ بذكر أسبابها لأن الأسباب تعتبر مقدمات انبنت عليها النتائج التى جعلت المدينة فى حداد عام :

« معلوم أن انجلترا أرادت أن تحارب الوفد وتعرقل أعماله الناجحة وتذهب ثمرة كده وجده ففكر دهاة الانجليز فى ارسال لجنة برئاسة أحد أساطين الاستعماريين اللورد ملنر تأتى الى مصر لتحقق مظالم المصريين وتعمل على تحقيق أمانيهم وتعطيهم من المطالب ما يرضيهم تحت ظل الحماية الى آخر ما هو معلوم ومعروف للجميع .

أدركت الأمة هذه الحيلة المكشوفة والفخ المصنوع لايقاعها فيه فضحكت من جهل انجلترا لعزيمة الأمة وقوتها وثباتها فى موقفها وتصميمها على ان تحارب اللجنة حربا مشروعة قوامها الحق وسلاحها القانون وميدانها العقل والحكمة فأعلنت مقاطعة اللجنة واهمالها لترجع بخفى حنين اذ احضرت . وكانت الأمة فى هذا الموقف موضع اعجاب ذوى البصائر السليمة والضمائر الحية لتضامنها واتحادها واجماع كلمتها واعلان رأيها على لسان جميع الطوائف مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ مصر بل فى تاريخ كثير من الأمم حين جاهدت لاستقلالها كمصر اليوم .

[٥٦٤] « وصادف أن قرأ الاسكندريون على صفحات الجرائد نبأ قطار مخصوص قام من الثغر وصدرت التعليمات لجميع المحطات لأجله وراجت اشاعات وصول اللجنة وانها سافرت لمصر على هذا القطار . ولم تسرع الحكومة وتعلن الحقيقة بصفة رسمية فخشى أهل المدينة أن تؤخذ الأمة على غرة وان يخادعها رجال انجلترا المسيطرون على الحكومة وخافوا أن يكون مكتب اللجنة فى سميراميس (١) بالقاهرة قد رتب لها أعمالا فى مصلحة انجلترا . فلم يجدوا مناصا من اعلان رأيهم وابلاغ احتجاجهم الى العالم أجمع فى أوربا وغيرها فكانوا يتظاهرون ليلا حتى منتصف الليل وينادون أحرار الأمم بأعلى صوت ويشهدون الله والسماء والأرض على مقاطعة اللجنة وظلوا على هذه الحال فى كل ليلة . يقومون بمعاشهم وأولادهم نهارا . وبحق وطنهم وواجب بلادهم ليلا . وكانت تفيض صفحات الجرائد وأنهرها باحتجاجاتهم كما كانت تضيق شوارع المدينة على سعتها

---

(١) الفندق المعروف بهذا الاسم فى العاصمة المصرية .

بهم ليلا وغير خاف على أحد اجتماع الاسكندريين عقب صلاة كل جمعة لهذا السبب ولغيره مما تقتضيه مصلحة القضية التى يدافع عنها الوفد » .

« فأراد أهل المدينة أن يكون اجتماعهم فى يوم الجمعة الموافق ٢٤ الجارى جامعا حافلا بالغا منتهاه وشعرت الحكومة بذلك فأصدرت التعليمات للأقسام لابقاء قوى البوليس الاحتياطى وغيره فى الأقسام ونبهت على الدوريات باخطار الأقسام من أقرب تليفون بما يمر من المظاهرات ويحدث من المتظاهرين .

[٥٦٥] ومعروف أن الأمر والنهى هنا فى يد الخصم ورؤساء البوليس منهم ويعرفون ما كان للمظاهرات العظيمة السلمية من الأثر الحسن لمصر والسيء عليهم .

فأصدروا الأوامر لمأمور قسم الجمرك بمقاومة المظاهرات لانها عادة يبتدىء تكوينها فى جهة سيدى أبى العباس حيث الجهة صالحة لذلك . وكان المأمور عاجزا عن منعها ومقاومتها خصوصا بعد أن أقنعته التجارب وعلمته ثورة ارادة الشعب السكندرى أنها لاتغلب .

« فجمع المستر انجرام بعض مأمورى الأقسام الذين يحسن الظن فيهم وبعد أخذ ورد وقع اختياره على مأمور قسم كرموس : محمود أفندى (١) عنايت وطلب اليه منع المظاهرات ووعده بالترقى اذا نجح فتعهد له الرجل وعلى هذا الاتفاق حصلت تنقلات بين مأمورى الأقسام وجىء بمأمور قسم كرموس المذكور الى قسم الجمرك فى يوم ٢١ أكتوبر سنة ١٩١٩ تنفيذا لفكرة مقاومة شعور الأمة وعدم اظهار ما تكنه عواطفها نحو قضية مصر وما تنوى مقابلة لجنة ملنر به » .

« ويقضى علينا الانصاف ان نقول عن مأمور قسم الجمرك محمود أفندى عنايت أنه رجل قليل الحيلة قصير النظر ولا نصمه بتهمة الخيانة لأننا لا نعرف مصريا أيا كان يخون وطنه خصوصا فى هذه الأيام .

« ففى يوم الجمعة كان تحت امرة ذلك المأمور المغرور السيء الحظ قوة من بلوك الخفر المشاة نحو ستين جنديا ومن الفرسان نحو العشرين قد رتبهم هو وضابط أخر أسمه حسن أفندى فهمى ترتيبا نظاميا من قبل الصلاة بساعة » .

---

(١) فى ٢٧ أكتوبر تقدم وفد من أعيان الاسكندرية بعريضة بها عدة مطالب رفعوها الى رئيس الوزراء محمد سعيد بالنيابة عن اهالى الاسكندرية كان منها ــ نقل هذا المأمور فورا واحالته الى مجلس تاديب .

(عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ، ص ٦١ ، ص ٦٢) .

«صلى الناس الجمعه كعادتهم فى جامع أبى العباس وبعد الفراغ من الصلاة اراد الخروج بعض أفراد لم تسمح لهم ظروفهم أو حالتهم الصحية بالاشتراك فى المظاهرة مع العدد العظيم الذى عقد النية على القيام بالمظاهرة بعد الصلاة وبينما كان هذا النفر القليل ينصرف الى أبواب الجامع للذهاب الى حيث يريد اذ وجدوا أبواب المسجد الخارجية الحديدية موصدة ـ أو صدها البوليس • ومن تمكن منهم من الخروج من أبواب أخرى • قابله الجند الركبان بضرب موجع بعصى ونبابيت وكان الجند يضربون الناس مرغمين بأمر المأمور والضابط المساعد له لأنه كان يمتنع عن الضرب اذا بعد عنه المأمور لجهة أخرى فاذا ما رجع وأمره بالضرب نفذ الأمر كرها •

[٥٦٦]

« شعر المصلون فى المسجد بهذه الحركة فخرجوا بجمعهم وفتحوا الأبواب عنوة فانهالت عليهم الجنود بالضرب وهجم عليهم الجنود بخيلهم فلم يتفرق الناس بل ثبتوا وصاروا يتقدمون لكثرتهم فلاحظ المأمور كثرة العدد وقلة القوة فأرسل جنديا بموتوسيكل ليأتى بنجدة وكان ذلك الجندى مخصصا لهذا فقط اذ لا عمل له غير ذلك مما يفهم منه ان هناك ترتيبا للمقاومة وان فى التصميم ارسال قوة كبيرة مدخرة لوقت الحاجة • وكان الناس من كثرتهم قد امتلأت بهم ساحة أبى العباس وقوة الجند تطاردهم وتدفعهم الى منافذ الحارات لأن حضرة المأمور جزاه الله بما يستحق كان يقول لجنوده (اكنسوا هذه الساحة من هؤلاء) » فلما ضاق الناس ذرعا ووجدوا ان حضرة المأمور لم يبق للصلح محلا تناولوا من الأرض أوانى الفخار التى يملأ بها الباعة فراغا واسعا من افريز هذه الجهة ودافعوا بها عن أنفسهم وهنا حدثت المعركة الأولى بين الفريقين ـ فانهزم الجند وولى الفرسان الأدبار واذا بالمحافظ (١) قد حضر بعربته فأحاط به الناس ورفعوا اليه ظلامتهم وقبل ان يحرك فاه بالاجابة هجمت الخيل ثانية لادراك المحافظ ولكن قوة الشعب ارجعتها على عقبها وهنا قام المحافظ وحيى مصر وهدأ ثائرة الشعب وأباح له المسير حيث شاء •

[٥٦٧]

« سار الناس بنظام تام وترتيب عجيب قاصدين الأحياء الأفرنجية ليشهدوا ضيوف مصر ويسمعوا قناصل الدول صوتهم بيد أن قوة الاستبداد حالت دون ذلك فسدت الطريق من المينا الشرقية الى المينا الغربية بقوة كبيرة مدججة بالسلاح من جنود بلوك الخفر وأخرى أكبر منها من السوارى وعلى رأسها رؤساء الضبط من الانجليز وهجمت على الأهالى هجوما عنيفا جعلهم يتحاشون خطر المصادمة فانسلوا فرادى من طرق

---

(١) حسن باشا عبد الرازق •

متعددة • وبقى أمام القوة عدد غير قليل من الأطفال متفرجين يهاجمهم الجند فيهربون ثم يعودون وهكذا • وأخيرا أصاب الأولاد أذى كثير من ضرب الجنود فأرادوا أن ينتقموا لأنفسهم فصاروا يجمعون أحجار يقذفون بها الجند واستمرت الحال كذلك حتى أعيت الجنود الحيلة وقهرهم الأولاد فهزم الجند مرارا فاستنجد كبير القوة بالجنود الانجليزية التى جاءت مسرعة ببنادقها وصارت تطلق النار على الأطفال الذين لم يتزحزحوا ولم ترهبهم نيران البنادق بل اتخذوا من الأحجار وبلاط الشوارع متاريس وفتحوا خنادق فى جميع الجهات التى يمكن الجنود أن يمروا منها اليهم وبذلك لم [٥٦٨] يكن فى طاقة الجند الانجليز أن يعملوا أكثر من اطلاق الرصاص من بعد • فأصابوا من أصابوا من أولئك الأطفال

وكثرت الاصابات وعلى كثرتها لم يرجع الأولاد بل ظلوا يجمعون الأحجار ويقذفون بها الانجليز الذين لم يجدوا مناصا من الانزواء وراء جدران المنازل فرارا من أحجار الأطفال •

« أما القوم المتظاهرون الذين انسلوا فرادى فقد تجمع منهم فى المنشية عدد كبير سار حتى شارع شريف باشا واحتج لدى سفراء الدول فى سفاراتهم (١) • ولم يحدث أى مكدر من الحوادث بل كانت المظاهرة سلمية ككل المظاهرات • أما الأولاد فما زالوا يحملون جرحاهم وينقلونهم الى أماكن أمينة بعيدة عن الخطر ثم يهجمون بأحجارهم ويظهر انهم أعجبتهم مناظر هذه الحرب الصبيانية فلم ينتهوا حتى ولى الجند وغادوا الى ثكناتهم منهزمين بانتظام أى تحت حماية طلقات البنادق فى الهواء وكان الليل قد أرخى سدولة والاسعافات بنقالاتها تنقل الجرحى الى المستشفيات فبلغ عدد المصابين نحو الخمسين والقتلى سبعة •

« ومما يحسن ذكره عن الجنود الانجليزية أن أحدهم كان مختبئا بحديقة المنشية أمام « اوتيل ماجستيك » فبعد انتهاء المعركة نحو الساعة السابعة ليلا ظهر من خلف سور الجنينة وبيده مسدسه فأطلقه على بنت فى السابعة من عمرها تتعيش من جمع أعقاب السجاير وبيدها أخوها الصغير البالغ عمره خمس سنوات فأصابت البنت طلقتان والولد طلقة [٥٦٩] فسمع دوى الرصاص أحد الضباط الانجليز وكان قريبا من مكان الحادثة فشاهد هذا المنظر ويظهر انه خشى عواقب تعدى الأهالى على المعتدى فقبض عليه بيده وأخذ يعنفة وسلمه لقوة البوليس السيارة الانجليزية والله يعلم ماذا جرى معه وبماذا عوقب • وكان المار فى شارع فرنسا وشارع

---

(١) لم يكن فى مصر وقتذاك سفارات وانما قنصليات ، اما فى الاسكندرية فقد كانت الدول ممثلة فى قنصليات •

رأس التين يمشى فى ظلام حالك حيث لم يبق مصباح فى الطريق سليم وموقد ٠

« وحدث ان سيارة (١) انجليزية كانت مارة أمام المحافظة القديمة قرب سراى محسن باشا بشارع رأس التين وبها بضائع على ما يقال فانفجر مخزن البنزين فيه فالتهب واحترق فادعى ان الأولاد أحرقوها بصب البترول عليها بعد أن هرب واختفى سائقها ولا دليل على ذلك وانما الذى يرجحه الناس أن الأطفال تمكنوا باحجارهم من التغلب على اتوموبيل مسلح كان يطلق عليهم النيران من مدفع رشاش فهرب منه الجند واستولى عليه الأطفال ولم يعرفوا كيف ينتفعوا به فكسروه وهشموه تهشيما ولم يذكر ذلك فى البلاغات خوف العار ولهم الحق لأنه أمر مخجل والحق يقال ٠

« ومن أعجب ما رأى الناس ان المتراس فى الشارع كان يمتد بعرض الشارع وهو من ١٤ الى ١٦ مترا وكان ارتفاعه لايقل عن متر » ٠

« ولقد قال الحكمدار لبعض محدثيه انه لايصدق ان الأطفال وحدهم يمكنهم أن يقوموا بهذا العمل وسن أكبرهم لا يتجاوز الثانية عشرة أو الرابعة عشرة لأن كل منافذ الطرق الموصلة الى شارع فرنسا ورأس التين بالمينا الشرقية سدت بالمتاريس كما أقيم نحو عشرة متاريس أخرى من قرب محكمة المنشية الى ما بعد أجزاخانة النيل ٠ [٥٧٠]

وبالجملة كانت الحالة سيئة واليوم أسوأ والليل أشد وقد أصيب من الجنود المصريين نحو الثلاثة عشر باصابات مؤلمة ومن الانجليز فى قلم الضبط اثنـــان يمباشيان (٢) مفتشان بقلم الضبط ومأمور قسم الجمرك وضابط آخر ببلوك الخفر وعسكرى بحرى انكليزى وجنديان ٠

« ولا يمكن لقلم كاتب ان يأتى على جميع ما حصل تفصيلا وافيا بالغرض تماما لشدة الهول وكثرة الحوادث واستمرار الفزع وسوء الحال وتعذر المسير والوقوف٠فالمحال التجارية أغلقت فى قسمى المنشية والجمرك وتعطـل سير العربـات والترام وصعب على الناس الرواح الى منازلهـم واستحال على كل مرتد ملابس عسكرية ان يخطو خطوة فى قسم الجمرك أو تقع عليه عين طفل فى الطريق ٠

هذه حقائق لامراء فيها يقربهـا رجال البوليس وضباطـه وكلهـم ساخطون على من تسبب فى هذه النكبـة وجلب عليهـم هذه المصـائب

(١) مكتوبة فى الأصل (اتوموبيل) ثم مصححة الى (سيارة) ٠

(٢) مثنى يمباشى أو بكباشى وهى رتبة عسكرية تساوى رتبة العقيد ٠

والبسهم ذلك العار والمهانة والذلة والمسكنة وحل عليهم غضب نتيجته غير محمودة من الأطفال » (١) .

« يوم السبت ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ م »

« ما كاد صبح ذلك اليوم يتنفس حتى كان رصيف المينا مملوءاً بجنود انجليزية ومدافع متراليوز ورشاشة وكأننا فى ميدان قتال وكان الاسعاف يحمل جرحى وقتلى ما بين شيخ فان عائد من صلاة الفجر [٥٧١] يذكر الله فى طريقه وامرأة فقيرة تريد أن تدرك قطار الصباح ماشية لتلحق ابنة لها على وشك الوضع فى بلدة بعيدة وطفل يخدم بائع فطائر ملزم بحكم خدمته أن يكون قبل طلوع الشمس فى حانوت معلمه فاختبل الناس وحار العقلاء واشتد الخطب واختلط الأمر وبلغ نبأ سوء الحال الناس جميعا فهرعوا ليتثبتوا الحقيقة ويقفوا على جلية الخبر فوجدوا عساكر ومدافع مصفوفة ونيرانا تطلق ودخانا يصعد وجرحى تحمل ومستشفى كثير الحركة ثم صبيان تتجمع وأطفال تتوجع ونساء فى عويل ورجال فى حزن طويل وما جاءت الساعة الثامنة حتى امتلأت جهات ميادين أمس بأطفال لا تحصى فأغلقت المتاجر وتعطل المسافر وتفرق مخبرو الصحف يدونون من مؤلمات الحوادث ومدلهمات الخطوب ما يبكى العين ويكمد النفس ولا سبيل للعقلاء غير قول لا حول ولا قوة الا بالله .

« فاراد الناس معرفة السبب وهل جد شيء ترتب عليه ما ترتب فتبين لهم ان السلطة الانجليزية استبدت بالمدينة وامتنعت الحكومة والادارة فلا ترى جنديا مصريا ولاعسكريا منها نظاميا بل الكل من الانكليز ومن المدهش ان كبار الضباط المصريين الانجليزى الجنسية كالحكمدار فمن دونه كانوا يقودون ويامرون وينهون . ثم اذا انتقلت الى دار المحافظة وتكلمت قالوا ليس بيدنا شيء الأمر بيد القوة الانجليزية ولادخل للحكومة فهل فى الامكان تفسير هذا انه لبهتان عظيم .

(ظل الحال طول النهار على ذلك حتى انتصف فزيدت القوة أورطتين من المشاه وأورطة من الخيالة وثمانية مدافع وسبب الزيادة كثرة الأولاد [٥٧٢] على ما يظهر واشتداد قوتهم على هذه القوات العظيمة ولا بأس من وصف معارك الجيشين . أقول الجيشين ولا أستطيع خدمة للحقيقة أن أقول غير

---

(١) تقول الوثائق البريطانية انه ترتب على أحداث يوم ٢٤/١٠ فى الاسكندرية قتل ثلاثة مواطنين .

F.O. 407/185 No. 245.

ذلك • فالأولاد أقاموا أمام جيش انجلترا على ساحة المينا الشرقية وهو ميدان مكشوف خطر على الأطفال من المدافع ورصاص البنادق الا انهم بارك الله فيهم جعلوا لهم طوابى ترابية وتلال مرتفعة من عمارات أوجدتها الصدف قريبا منهم وأحجار كبيرة وفحروا خنادق يختبىء فيها الطفل فلا تصيبه الرصاصة ويقذف بالحجر على الجند ثم يختفى •

« وكان منهم فريق يجلب الأحجار وفريق يحمل فى ثوبه التراب وفريق يرصد الطرق الخلفية وجعلوا لهم راية حمراء أقاموها فى منتصف الطريق وسدوا طريق المينا الشرقية كلها عرضا فتعذر مسير العربات والاتومبيلات لما فى الطريق من المتاريس حتى ان الوزراء لم يمكنهم ان يصلوا الى سراى رأس التين من الشارع العمومى لانهم رفعوا بلاطه وأقاموا فيه متاريسهم فالتزموا ان يسيروا من طريق البحر مارين بميدان القتال على المينا الشرقية فرأوا أمامهم الراية الحمراء وتقدم أمامهم بعض أطفال منعوهم من المسير قائلين لهم ، لاتمروا فهذا خط الدفاع الوطنى ، فرجعوا وأتوا بأوتومبيلات مدرعة مرت أمامهم تمهد لهم السبيل وتحرسهم فى ذهابهم وايابهم حتى انعقد مجلس النظار فى ذلك اليوم •

[٥٧٣] « ولعل القارىء يدهش اذا علم ان تلا من التلال التى أقامها الأطفال كان يمتلكه ويحتله كل فريق من الجيشين ساعة فتارة يستولى عليه الجند ثم ينجلون عنه لشدة الأحجار عليهم وكثرتها لقربهم من الأطفال فيتركونه فيحتله الأطفال ويضعون عليه الراية الحمراء ويلتفون حوله • فاذا أطلقت عليهم النيران انبطحوا على بطونهم تفاديا من الرصاص حتى لايصيبهم ولولا ذلك لكانت الضحايا عديدة وكثيرة جدا (١) •

« هال أهل المدينة الأمر وارادوا أن يضعوا لهذا الحال حدا لما لم يجدوا من الحكومة غير الحياد التام فاجمعوا أمرهم على ان يقصدوا رئيس الوزراء ويتفاوضوا معه وحددوا لذلك الساعة السادسة وانتخب فريق من المحامين والأعيان والأطباء والعلماء والصحفيين لهذا الغرض الا انهم قبل حلول هذا الموعد علموا بان الحكومة خرجت من حيادها ونادى محافظ المدينة أعيانها وذوى الحيثيات فيها للاجتماع عنده للمفاوضة فى الأمر والتشاور فيما بينهم •

« وفى الساعة السادسة غصت سراى المحافظة بالمجتمعين من الكبراء

---

(١) تقول الوثائق البريطانية ان ضحايا يوم السبت ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ بلغ اربعة من القتلى وأربعة عشر مصابا •

F.O. 407/185 No. 274.

والوجهاء وكل ذى صفة ممتازة وبعض وزراء سابقين فقام المحافظ فيهم خطيبا بكلام معناه ان الأهالى معتدون وانه آسف لما أصاب الناس وانه يقر بأن من المصابين أطفالا لا يتجاوزون الثانية عشرة سنة وان الحكومة استنجدت بقوة الانجليز لما عجزت عن مقاومة الأطفال وان الحكومة قادرة على تأديب المعتدين وانزال العقاب بهم الا انها تريد قبل ذلك ان تستعين بكم لاعادة السلام والأمن الى نصابهما وهكذا مما نشرته جريدة الأفكار بعدد يوم الأحد ٢٥ ، ٢٦ على ما اتذكر ٠ [٥٧٤]

« فرد عليه وكيل جريدة الأفكار وأقام الحجة عليه وأظهر ان التعدى كان من البوليس أولا ومن الجنود الانجليزية ثانيا ومنشؤه خطأ من استنجد بهم فلم يقاوم المحافظ وطلب مساعدة الأهالى له فرد عليه المذكور بامكان ذلك بشرط أن تسحب القوة الانجليزية حالا فاشترط المحافظ منع المظاهرات فاجابه بأن هذا حقا مباحا لكل الأمم وخصوصا مثل مصر المهضومة الحق فمن الظلم أن تحرم حتى من المظاهرات السلمية التى لايحرمها قانون ولا يمنعها عقل فأصر المحافظ على رأيه ٠ فاقترح عليه وكيل الأفكار حلا يخفف وطأة الهول الذى نزل بالبلد وهو أن يقرر المجتمعون أمامه بصفته الرسمية مقاطعتهم للجنة ملنر ويبلغ احتجاجهم على مجيئها رسميا ثم تسحب القوة ـ ومقابل ذلك يسعى الموجودون فى اعادة الأمن والطمأنينة ومنع المظاهرات ٠ فقال المحافظ لامعنى للاحتجاج بعد ان احتج رئيس الحكومة ٠ فقال له أنه رجل حكومى وأما هذا فهو صوت الأمة وهنا قام المجتمعون ونادوا بمقاطعة اللجنة وحيوا مصر والتضامن والمحافظ ضمنا ٠

« وبذلك تكون قوة الشعب قد انتصرت ونفذت ما تريده بعد ان صودرت وقوومت بالنار والرصاص ٠ » انصرف الناس على ذلك من المحافظة على ان يجتمعوا فى احدى (١) النوادى العمومية حيث يجدون القوة الانجليزية قد سحبت تماما كوعد المحافظ لهم اذ طلب منهم اثنى عشر ساعة لا أكثر » ٠

« يوم الأحد ١٦ منه »

[٥٧٥] « فى الساعة السابعة كان كثير من كبار المدينة والمفكرين من أبنائها فى المكان المعين للاجتماع وقامت لجان منهم يطوفون الميادين وينظرون هل

(١) مكتوبة احدى وصحيحها أحد ٠

من باقية من قوة الانجليز أم ذهبت الى حيث كانت . فوجدوا فى مرورهم قوات متفرقة فى بعض جهات المينا الشرقية وخيالة تسير فى الشوارع وقوات كثيرة احتلت كثيرا من المساكن ومدافع تسير بسرعة البرق الخاطف فى كثير من الأحياء فقرروا الاحتجاج على هذا لمحافظ المدينة . وأرادوا ان يجعلوا احتجاجهم ابلغ بأن يثبتوا حسن نيتهم وسوء نية من عداهم . فقرروا أن يهدئوا الخواطر ويعلنوا الناس وينصحوهم بما فى وجود أولادهم من الخطر عليهم اذا تركوهم يمرون أو يقربون من القوات الانجليزية فكان الخطباء منهم عديدين فى كل قهوة وأمام كل حى حتى انهم كانوا يستعينون بغيرهم ممن يصادفهم من الناس فصار كل رجل فى المدينة ناصحا للأطفال مانعا لهم عن الذهاب أصلا لجهة المينا الشرقية أو ما يقرب منها .

« ولكن الجنود الانجليزية كانوا يقابلون هذا العمل بتكليف المارين فى الطرقات بحمل الأحجار من الطريق والأتربة لافرق بين مريض وصحيح وكبير وصغير وأمير وحقير ومن تباطأ أو بدت منه بادرة شبه اعتراض كان الرصاص نصيبه .

« فلم ينقض ذلك اليوم الا باصابات احدى عشر ما بين خطيرة وغير خطيرة .

[٥٧٦] ومن المدهش ان بلاغات المحافظة عن الاصابات كانت غاية فى الغرابة اذ تجعل عشرات الأهالى أحادا وأحاد الجنود عشرات حتى ان المحافظ نوقش فى ذلك فى اجتماع يوم السبت مناقشة لا يحتملها حر . « ومن حسن حظ الأهالى ان المحافظ مر عليهم فى اجتماع الساعة الثامنة صباحا فوجدهم يكلفون الأولاد رفع الأحجار من الطرق فى المينا الشرقية وينصحونهم ويعدونهم خيرا اذا لم يتعرضوا للانجليز فكان الأطفال يقتنعون بصعوبة ويصممون على الأخذ بالثأر . وناهيك بأطفال كانوا يكتبون لأعدائهم أوراقا كانت تعتبر منتهى الحكمة والحذق لو كان صدورها من رجال ــ كأن يقولوا مثلا (لا نهادنكم الا قليلا ريثما يحضر أعضاء مؤتمر الصلح فيفاوضننا (١) فى الاستقلال) أو كقولهم (نحن أطفال نحاربكم بالطوب وترموننا بالرصاص ونحن نطالب بحرية وأنتم تغتصبونها بقوة السلاح فانظروا الفرق بين أطفال عزل وجنود مسلحين) وكثير من هذا مما يتفكه به الناس فى مجالسهم .

« وفى الساعة العاشرة كان عند المحافظ وفود المدينة محتجين على

---

(١) الصحيح فيفاوضننا (فيفاوضوننا) .

بقاء القوة فظهر من اجابته عدم قدرته على سحبها الا فى الوقت المناسب .
فانصرفوا بعد ان قدموا له احتجاجا بماجرى وطلبوا عقاب من اعتدى ونقل المأمور السيء التصرف الى آخر ما ذكرته الجرائد مفصلا ثم دعا سعادته فى منتصف الساعة الحادية عشرة ممثلى الصحف فى المدينة وحادثهم حديثا طلب منهم ان يجعلوه خصوصيا لاينشر وكان يقصد بما قاله ان يكتبوا بالكف عن المظاهرات وعدم فائدتها وان مجيء اللجنة خير من عدم مجيئها لأن رجوعها من مصر بالفشل خير من فشلها قبل مجيئها وهكذا من النظريات والآراء التى ان رآها فى نظره وجيهة فانها فى نظر غيره قد تكون غير وجيهة . ولقد كان يجاوبه وكيل الأفكار عن زملائه فأقام عليه الحجة باقامة المظاهرات عند المناسبات تأييدا لرجال الوفد فى الخارج حتى لايتخذ الاعداء سكوت الأمة ذريعة على عدم تأييدها للوفد . ويتقولون بذلك وان سعد باشا رأى مقاطعة اللجنة والأمة عززت رأية ونصرته وأيدته وخذلت الخصم وان الواجب على كبار الحكام المصريين أن يعملوا على تأييد قضية مصر وخدمتها فانهم مصريون قبل كل شيء وانه خير للمحافظ أن يكون مأمور قسم فى مصر المستقلة من أن يكون محافظا وهى بشكلها الحالى حتى ان الرجل أخيرا قال لهم هذا رأيى أرجو أن تحملوه على محمل حسن ولكم رأيكم وانصرفوا . [٥٧٧]

« وفى مساء ذلك اليوم لما وجد الأهالى ان التعدى لم ينقطع وان القوة لم تزل محتلة منزل شماع ووكالة البطاشى ومنزل أخر بشارع البحرية والمدافع تتجول أحيانا فى بعض الجهات كتبوا احتجاجا طويلا وقع عليه كثيرون وقام به وفد لسراى جناكليس لتقديمه لرئيس الوزراء وعرض مطالب ـ رأى أن فيها علاجا للحالة ـ فلم يسمح الوزير وقته بمقابلة الوفد بينما كان يسمح بمقابلة بعض أحبائه وامتنع الوفد عن تقديم الاحتجاج بغير مقابلة واحتج على ذلك وقتيا تلغرافيا وكتابة على لسان الصحف بعد ذلك .

« وقد دفن بعض القتلى فى هذا اليوم باحتفال مشت فيه المدينة بأسرها وأبنت الموتى وكان يوما مشهودا » . [٥٧٨]

يوم الاثنين ٢٧ اكتوبر

« لم تسحب القوة أيضا والأهالى لم ينفكوا عن نصيحة الأطفال .
ولكن الجنود لم يتركوا الناس حتى فى متاجرهم ومحالهم دون عدوان .

فاحتج تجار الميدان للصحف على وقوف دولاب أعمالهم لأن الجنود

مرابطة أمامهم فى الطريق وبوكالة البطاشى فى الداخل ومن النوافذ تشاهد البنادق والمدافع الصغيرة مصوبة فيذعر الناس ولا يقدمون على المتاجر خوفا من العدوان » ٠

« ومما يدل على منتهى الفظاعة أن أربعة من المعلمين باحدى المدارس كانوا يتناولون الطعام فى مطعم قريب من مدخل وكالة البطاشى فبينما هم يأكلون واذا بجندى انجليزى ضرب أحدهم بكرنافة(١) بندقيته فى ظهره فألقى اللقمة من فمه فقام متألما يجرى من خطر الرصاص ويتبعه اخوانه فأخطأهم الرصاص وأصاب ملابس شيخ مار بالطريق ٠ ولا يفوتنا طعنهم يوم الأحد لرجل من المدرسين بسونكى طعنتين فى جنبه وهو يصعد سلم الترمواى فقضى نحبه وصعدت روحه تشكو الى ربها ظلم الانسان لأخيه الانسان وترك خلفه صبية صغارا وزوجة فقيرة مقطوعة من الأهل والنصير الا الله المنتقم الجبار واذا حاولنا أن نعدد مثل هذه الفظائع فاننا نعد شيئا كثيرا » ٠

يوم الثلاثاء ٢٨ أكتوبر

[٥٧٩] « بقيت القوة كل ذلك اليوم أيضا حتى انهم لما لم يجدوا مبررا لوجودها فلا الأطفال يتحدونها ولا الكبار يقربون منها سحبت بعد أن قيل بأن الحكمدار – أعطى على نفسه تعهدا كتابيا بحفظ الأمن فهل هذه الروايات حقيقية ؟

ويذكر توفية (٢) للموضوع أن عربات السجون كانت يوم الجمعة تمتلىء بالأهالى المارين باعتبار أنهم متظاهرون أو محرضون على المظاهرات ولقد قرب الأطفال من عربة منها ففتحوها عنوة وأخرجوا منها الرجال المحجوزين ثم هشموها فلم يبقوا لها أثرا الا القطع الحديدية فانها ملقاة فى الطرقات ٠

وبلغ عدد من قبض عليهم نحو الأربعة والأربعين رجلا بينهم من لم يكن له يد فى المظاهرات ولا سعى لها ٠

يوم الخميس ٣٠ أكتوبر

جمع المحافظ الأعيان وخطب فيهم وشكر لهم صنيعهم وطلب اليهم أن يساعدوه على منع المظاهرات ٠ فقر رأيهم على أن يجتمعوا فيؤدوا صلاة الجمعة بأبى العباس ليصلوا الى الغرض وهو منع المظاهرات ٠

(١) الكرنافة هى القطعة الخشبية من البندقية أو ما يسمى بالدبشك

(٢) توفية للموضوع أى استكمالا له وجعله وافيا ٠

"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

يوم الجمعة ٣١ أكتوبر

« فى ذلك اليوم اجتمع المصلون وكان عددهم لا يقدر وبعد الصلاة قام المحافظ واعتلى كرسى الخطابة وبيده ورقة ليتلوها فما كاد يقف فى مكانه حتى علت الأصوات من كل مكان (مظاهرة مظاهرة) فلم يسع الأعيان والمحافظ ومن معه سوى المسير أمام الشعب الذى كان خارجا من الجامع فالتحم بالجمع الغزير الذى كان خارج المسجد وتقدم الجمع كمال أفندى [٥٨٠] الطرابلسى (١) وحده دون غير وأربعة من البوليس فكان من شاهد كمال أفندى والشعب وراءه — كما يشاهده يقود جيشا يفتح به عيونا أعماها الغرض وقلوبا طمس عليها الجهل من قوم انكروا علينا الحياة وادعوا أننا فى عداد الموتى والله يعلم انهم لكاذبون .

« قدر عدد الجمع من خمسة وعشرين ألفا على حساب بعضهم أو أربعين ألفا على حساب البعض الآخر . وكان يجمع طوائف متعددة من الأمة فكان فيهم سر تجار المدينة (٢) ومن على شاكلته كما كان فيه حوذية الركوب وغيرهم ممن أضربوا فى ذلك اليوم احتجاجا على فظائع الانجليز ولكثرة العدد تفرقوا ثلاث فرق بعضهم عن طريق الميدان كان مسيره . والبعض من شارع فرنسا . والبعض من الميناء الشرقية . فكانوا عنوان الهدوء على كثرتهم والنظام مع اختلاف طبقاتهم وطوائفهم حتى وصلوا جميعا الى ميدان محمد على فصاروا كتلة واحدة وساروا تبارك الله لاقوة الا بالله اذا طرت من فوقهم فلا ترى قدر سم الخياط من الأرض . وان سرت فى وسطهم لاتستطيع أن تلتفت من الزحام وان حيوا مصر شعرت بأن قلبك ينادى معهم لا لسانك . ان جوانب الفضاء تتجاوب مع صدى هذه الأصوات فدهش الأجانب وبهرهم هذا المنظر بجلاله وجماله وأكبروا هذا الشعور الحى وهذه الحياة الصحيحة فلم يستطيعوا أن يمنعوا اكفهم من التصفيق لهم تارة ورفع القبعات تحية تارة أخرى ومازالوا على هذه الحال حتى اخترقوا شوارع المدينة . وأعجب ما كنت ترى منهم انهم اذا رأوا احد الانجليز أحاطوه بقلوبهم وحرسوه بأجسامهم وافسحوا له الطريق [٥٨١] على شدة ما بهم منه حتى أوصلوه الى ما يريد معززا مكرما فشكرهم وادى لهم التحية العسكرية بعد أن كان الوهم يسطو عليه فيكاد يقتله ويقضى عليه الخوف فيكاد يستل روحه من حيث لا يشعر » .

---

(١) الصاغ كمال الطرابلسى مامور القسم وقد سار أمام المظاهرة بملابسه الرسمية ممتطيا جواده (انظر برقية الأعيان المرسلة الى رئيس الوزراء فى أول نوفمبر ١٩١٩) .

(٢) رئيس تجار المدينة .

« مروا من المنشية الى شارع شريف باشا فشارع السلطان فؤاد مارين أمام كلوب محمد على وكان به بعض العظماء ومنهم اسماعيل صدقى باشا فلم يتمالك نفسه وحياهم وهتف لمصر ونادى باستقلالها فحيوه وحيوا مصر فى شخصه ثم ساروا الى شارع محطة الرمل فشارع المسلة مارين أمام التلغراف الانجليزى وهناك المأساة الكبرى والبلاء العظيم والوحشية التى ما بعدها وحشية والهمجية التى تتنزة عنها وحوش مجاهل أفريقيا بل العدوان المقصود والتعمد المرصود وسوء النية المجسم بل السفالة بكل ما فيهما حيث اقتحمت هذه الجمع ــ الذى تطأطىء لعظمته وكبريائه القياصرة والملوك ذوو التيجان المرصعة ــ سيارتان انجليزيتان يقال بأن سائقها جن فلم يستطع ضبط جماح سيارته ففلتت منه تعلو اجساما وتسبح فى دماء وتهشم عظاما بلا حياء ٠ ثم لما توسطتا القوم فوق أشلاء الأبرياء قاما يخطبان فى الجمع برصاص البنادق فارديا من أرديا فيا رحمة الله أدركى من أخذ مظلوما ويا غضب الله أنزل بخيلك ورجلك على الظالمين٠

« كثر عدد المصلين وا حسرتاه فحمل بعضهم الى بعض الحلوانية من الاروام (١) فقاموا بما تقتضيه الانسانية ــ وحمل بعضهم الى صيدلية انجليزية فأوصدت بابها فى وجه المصابين لأنها لا تعرف الانسانية وليس صاحبها من بنى الانسان ٠ فلما يقو الشعب على احتمال هذه الصدمات المتوالية وضاع رشاده فصار يتمايل من هول الحادث كمن أصابه مس أو كان به خبل فتصادم فى الصيدلية فتصدعت بعض زخارفها وألواحها الزجاجية فاتهم الشعب بالسلب والنهب وسار الجمع لايلوى على شىء من الهم والجزع حتى اذا وصل ميدان محمد على واذا بنذير السوء يدوى رصاصه من أعلى محل موروسس (٢) فأصاب بعض أفراده فأراد أن يقبض الشعب على المعتدى فضل السبيل ولم تقو حوائط موروسس الزجاجية على احتمال زفرات غضب الشعب ولالمس أنامله فتحطمت وامتدت الأيدى الى ما فيها من توافه البضائع فالقتها فى الطريق فانتهز بعض موظفى المحل الفرصة التى وجدها سانحة وملأ فراغ بيته منها كما أثبت التحقيق ذلك العمل وذاك التعدى ٠

[٥٨٢]

« وليت الحال وقفت عند هذا الحد بل جاءت سيارة من سيارات خفر السواحل مسرعة أيضا كأن هناك اتفاقا بين السيارات على هذه

---

(١) الأروام هم اليونانيــون الذين كان لهم طول الوقت موقف مشرف من الثورة المصرية ٠

(٢) موروسس اسم أحد المحلات الشهيرة فى الميدان ٠

المفاجأة والا فكيف اجتمعت الصدف السيئه فى وقت واحد وساعة واحدة لغرض واحد وقامت بعمل واحد • رأى الناس راكبيها يطلقون النار عليهم وهم يذهبون ويجيئون مرارا والرصاص يتوالى طلقه والأرواح تحصد ولما سئلوا فى التحقيق قال سائقوا السيارات عند التلغراف الانجليزى أمرنا بذلك ضابط انجليزى وأركب معنا جنديين انجليزيين يهددانا بالسلاح ان احجمنا ففعلنا مرغمين فهل قرأت أن هذا جاء حتى فى عهد نيرون (١) أو فى أساطير الأولين من المعتدين • واعترف سائق سيارة الحدود بما شابه ذلك » •

[٥٨٣]

« وأثبت التحقيق شهادات كثير من الأفرنج بتعديهم • وصبرنا وحلمنا وعدم مقابلة العدوان بمثله » •

« وهل جاءك نبأ من أخذ خمس بندقيات من بنادقهم وسلمها للمحافظة فلم يقتص من أحد منهم » •

« لقد بلغ عدد المقبوض عليهم بسبب هذه الفظائع المتوالية نحو المائة وخمسين مصريا بعضهم فى أعماق السجون يقاسى ألوان العذاب والبعض فى غرف وحيشان (٢) الأقسام حتى ينقضى ما كتب عليهم من الأيام وزاد عليهم من قبض عليهم بسبب حوادث الحضرة(٣) وانها لمن الغرابة بمكان واليك البيان :

« سكر بعض عساكر الانجليز وكانوا أربعة وقاموا من الحانة قاصدين معسكرا لهم هناك قريبا من الحضرة فأدى بهم سكرهم الى التعدى على من يصادفهم فى طريقهم يطلبون منه « شلنا » فان نجا وساعدته قدماه كان من المسعدين وان لم يستطع وامتنع عن دفع الجزية أخذ من (البوكس) (٤) ما أنساه الشهادة » •

« فصادفوا فى طريقهم رجلا كبيرا أحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وكالوا له كيل بعير حتى أناخ بما أصيب به من قبضات أيديهم فأدركه شبان كانوا عائدين من فرح ولما أرادوا تخليصه عز على الجنود ذلك وسهل لهم سكرهم ضرب الشبان فدافعوا عن أنفسهم ويظهر أنهم تغلبوا على

---

(١) طاغية من طغاة الرومان •

(٢) حيشان جمع حوش أى فناء القسم •

(٣) من الأحياء الشعبية بالاسكندرية •

(٤) البوكس أى اللكمات مأخوذة عن الانجليزية •

الجنود فأفاقوا من سكرهم وولوا مدبرين الى المعسكر شاكين لكبيرهم بعبارة تبرر عملهم أى أن الشبان اعتدوا عليهم وأرادوا بهم سوء . فما كان من ذلك الضابط الا أن أمر الجند ومن معهم بالانتقام من كل من رآوه من الأهالى فحملوا بنادقهم وهجموا على الناس فى القهوات وهم يتسامرون فمات اثنان وجرح سبعة وكاد يقتل الحكمدار الذى جاء لما استدعاه المحافظ فى صباح يوم الحادثة .

[٥٨٤]

وقرر بعض ما يؤيد هذا العدوان ـ حتى أن المحافظ فى صباح يوم الحادثة أعطى الناس من ماله عشرة جنيهات ليدفنوا منها فقيرا يعول عائلة كبيرة قتل بغيا ولازال التحقيق يأخذ مجراه » .

« فليسمع العالم المتمدين وليحكم على أمتنا ومدنيتنا ومدنية انجلترا وليقل لنا بعد ذلك هل هناك سبيل لبقائهم هنا أو صبر على احتمالهم بعد الذى جرى ؟ كلا وربك » .

بـــلاغ المحـــافظة

وهذا هو بلاغ المحافظة عن حوادث يوم ٢٤ أكتوبر وقد نشر فى ٢٦منه وهو :

[٥٨٥]

« حدث يوم ٢٤ الجارى مظاهـرة بجهـة سيدى أبى العباس نحو الساعة ١٢ والدقيقة ٢٥ بعد الظهر ولما أراد البوليس المحافظة على النظام تعدى المتظاهرون عليه بالقائهم الأحجار و (القلل) (١) وغيرها فأعطيت الأوامر لفرقة بلوك الحضرة لمنع التعدى فاشتدت حركة المتظاهرين ولأنه تبين أن القوة المصرية الموجودة أصبحت غير كافية لكبح جماح المتظاهرين ومنعهم عن الاستمرار فى الاعتداء استنجدنا بفصيلة من القوة البريطانية. فحضرت فاستمر المتظاهرون على الاعتداء وجرح اثنان من ضباط البوليس أحدهما مأمور وأربعة وعشرون عسكريا » .

« وأما الأهالى فقد أصيب منهم عشرة توفى من بينهم ثلاثة ولقد استمر الشغب الى المساء ثم عادت السكينة » .

---

(١) جمع (قلة) وهو الاناء الفخارى لحفظ الماء وتبريده صيفا .

بـــلاغ وزارة الداخليـــة

واذاعت وزارة الداخلية البـلاغ الآتى عن حوادث يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٩ وهـو :

[٥٨٦]

« فى البيان الآتى وصف لحقيقة الحوادث المتعلقـة بالاضطرابات التى حدثت بالاسكندرية أمس كما أبلغت الى ادارة المطبوعات لغاية الساعة العاشرة من هذا الصباح .

« بدأ جمهور المتظاهرون الأصليين مسيرهم من مسجد أبى العباس فى موكب حتى وصلوا الى شارع الرمل وعنـد مضيـق فى هذا الشارع أقبلت من الخلف سيارة للصليب الأحمر تتبعها سيارة من طراز « فورد » وارادتا اجتياز الجمهور فلما رأى سائق سيارة الصليب الأحمر أن طريقه مسدود فقد صوابه على ما يظهر وزاد من سرعته فصدم عددا معينـا من الناس » ..

«وجاء بلاغ بان شخصين قتلا وان عددا جرح بسبب هذه السيارة فغضب الجمهور وقد كان على تمام النظام حتى حدوث هذا الحادث . وتلا ذلك ان ألحق بالمحال التجارية الواقعة بجوار الحادثة بعض التلف » ..

« ثم انه حدث حادث مستقل عما سبق وصفه وذلك ان سيارة لخفر السواحل جاءت من « العوامرية » ودخلت المدينة وكان بها ثلاثة من الجنود المصريين فاندفعوا مسرعين فى الشوارع الرئيسية وهم يطلقون النار فى الجو بغير تدبر حتى قبض عليهـم . وقد أظهر التحقيق الابتدائى الذى اجرى معهم انهم فزعوا من الجماهير ففقدوا قوه ضبطهم لانفسهم » ..

[٥٨٧]

« هذا وقد حطم جمهور من الرعاع اقبلوا من حى مينـا البصـل والجمرك وأحياء فقيرة أخرى « مخازن موروم » وسلبوا خمسة حوانيت اوروبية . وربما كان الدافع لهؤلاء الرعاع الى عملهـم هذا اضطرابهـم لمشاهدة هذه السيارة وسماعهم الطلقات النارية ثم شتت السالبون واعيد النظام بواسطة الاجراءات السريعة التى اتخذها البوليس .

وجاء فى بلاغ من جناب قائد عام منطقة الاسكندرية أنه لم تطلب من الجنود البريطانية أى مساعدة للبوليس المحلى وانه لم يطلق أحد من الجنود البريطانية بندقيته فى كل ذلك اليوم أما حوادث الاصابات التى وصلت الى المستشفيات فقد جاء عنها هذا البلاغ :

« ٤ قتلى ٢ ماتوا بسبب سيارة بشارع الرمل » .

« ١ - + خادم فى مخازن موروم » ..

« ١ - سبب وفاته غير معروفة » ..

« ١٤ - جرحى - ويظهر ان اصاباتهم حدثت بسبب الطلقات التى كان يطلقها رجال سيارة خفر السواحل السابقة الذكر » .

احتجاج الأعيان

[٥٨٨] وقد أرسل أعيان الاسكندرية الى رئيس الوزراء التلغراف الآتى بالاحتجاج على تلك الاعتداءات فى أول نوفمبر سنة ١٩١٩ وهو :

« قام الأعيان بالواجب عليهم ازاء تعهد الحكمدار بسحب القوات الانجليزية وحضروا أمس صلاة الجمعة ولم يحدث حادث فى الأحياء الوطنية . وقد ألح بعض المجتمعين خارج المسجد بالقيام بمظاهرة سلمية فلم تعترضهم الحكومة فساروا محافظين على النظام . وفى مقدمتهم الصاغ كمال أفندى الطرابلسى بملابسه الرسمية ممتطيا جواده فطافوا شوارع المدينة الشهيرة ولم يعترضوا لأحد . غير أنه عند وصولهم الى جهة التلغراف الانجليزى داهمتهم السيارات المدرعة ومرت من فوقهم وداست كثيرا منهم قيل أن بينهم أجانب واستعمل الرصاص فقتل كثيرون وجرح عدد عظيم . كل ذلك رغم تعهد الحكمدار بعدم تدخل الانجليز الا اذا اضطر الى استدعائهم . فماذا حصل ؟

وما هو رأى دولتكم ازاء هذه التعديات على الأرواح البريئه وعلى العزل من السلاح هذا التعدى المتكرر المتواصل ؟

وهل نحن فى مأمن على أرواحنا وأولادنا وأموالنا وأهل بلدنا ؟ ومن المسئول ؟

أوضحوا رأيكم ببلاغ رسمى للأمة التى انتم أحد أبنائها ولا ترضون بسفك دمائها وبهذا نحتج بشدة ونلح بالتصريح منكم » ؟

محمد صادق أبو هيف . عبد الحميد أحمد باشا . عمر المراكشى . دكتور عبد السلام .

احتجاج نقابة المحامين

[٥٨٩] وقد احتج أيضا مجلس نقابة المحامين على ما حدث فى مظاهرات الاسكندرية وهذه صورة قراره الصادر بجلسة ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ :

« قرر مجلس النقابة أن يرسل احتجاجا هذا نصه الى الجهات المبينة به :

نقابة المحامين وهى تمثل الرجال الذين من شعارهم دائما استصراخ العدالة فى كبح جماع المعتدين على الحرية الشخصية وطلب براءة الأبرياء لايسعها أمام الحوادث الدموية المريعة التى تكرر وقوعها بمدينة الاسكندرية فى أيام ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٩ الا أن تظهر جزعها من هذه الحوادث اذ أقل ما فيها ان القوة المسلحة أطلقت الاعيرة النارية على المتظاهرين المسالمين وهم العزل من السلاح .

« كانت تظن النقابة ان ما وقع فى اليومين الأولين من العساكر الانجليزية اقنع كل السلطات بفظاعة ما جرى فاتفقت جميعها على أن تعهد الى سلطة البوليس المحلية دون سواها المحافظة على النظام ولكن تعليل البلاغ الرسمى لسفك الدماء الذى وقع يوم ٣١ أكتوبر (أى فى اليوم الذى حصل الاتفاق فيه على أن تكون المحافظة على النظام بقوة البوليس المصرى) بأن سائق سيارة الصليب الأحمر والعساكر التابعين لخفر السواحل كانوا فى حالة فقدان صواب من الأمور التى وقعت موقع الاستغراب .

« ذلك فضلا عما فى البلاغ من الابهام فى ذكر ما وقع من سيارة الصليب الأحمر واهمال ما وقع من سيارة (فورد) التى كانت تتبع السيارة الأولى مباشرة — نعم قد قيل فى البلاغ انه القى القبض على عساكر خفر السواحل المصريين وعلى سائق سيارة الصليب الأحمر ولكن هذا لم يمح أثر دهشة الجمهور فسائقوا السيارات سواء كانوا تابعين للجيش الانجليزى أو خفر السواحل يطوفون فى الشوارع كل يوم ولم يسمع قط انهم مروا على اجسام الماره فهشموها لانهم فقدوا صوابهم .

[٥٩٠] « لم ترد نقابة المحامين أن تكون رأيها فى هذه الحوادث قبل أن تكون على علم بوجه التشويه فيها فعمدت الى الطريقة التى الفتها فى كشف الحقائق بالرجوع الى معلومات حضرات المحامين الذين عهد اليهم أمر الدفاع عن بعض المقبوض عليهم فاذا بها صادفت مانعا لم تكن تتوقعه حيث اتصل بها أن سعادة النائب العمومى نفسه (محمد توفيق رفعت باشا) وهو مباشر تحقيق بعض تلك القضايا — تقدم اليه بعض حضرات المحامين

مستأذنين فى حضور التحقيق عن موكليهم فلم يسمح لهم لا بحضور التحقيق ولا بمقابلته » ٠

« والنقابة مع تسليمها بأنه يجوز لمن يتولى التحقيق أن يباشره فى أحوال استثنائية بدون حضور المحامى عن المتهم ترى من المصلحة العامة بعد السرية عن تحقيق مثل هذه القضايا التى يتطلع الجمهور الى معرفة مع (١) تقع عليهم المسئولية فيها ٠

على أنه لو كانت هناك أسباب خاصة تعجز النقابة الى الآن عن ادراك حقيقتها فان الطريقة التى رفض بها حضور المحامين كانت مخالفة للقانون اذ الواجب على المحقق أن يستدعى المحامى بقاعة التحقيق ويثبت طلبه ثم يقرر رفضه ـ هذا فضلا عن كونها لاتتفق مع كرامة المحاماة فان المعلوم للنقابة أن النائب العمومى أبلغ أمره بالمنع بواسطة أحد الحجاب الى حضرات المحامين دون أن يقابلهم ٠

« فباسم المحامين عامة الذين استفزتهم فظاعة هذه الحوادث وباسم النقابة التى تمثلهم نرفع احتجاجنا هذا الى صاحب الدولة رئيس الوزراء والى صاحب المعالى وزير الحقانية والى صاحب السعادة النائب العمومى ٠٠

طبق الأصل ٠

منع (٢) المظاهرات

[٥٩١] وفى يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ أصدر مجلس الوزراء القرار الآتى :

« لاحظت الحكومة أن فئات من الأهالى اعتادوا اقامة مظاهرات كانت خاتمتها فى الغالب وقوع حوادث مكدرة لظروف تطرأ على غير انتظار ولو كان الغرض من تلك المظاهرات سليما ٠ وأنه يؤلم الحكومة أن ترى من حين الى حين تكرر تلك الحوادث المؤدية الى القتل والاضطراب ولذلك قررت منع المظاهرات مؤملة من الجمهور اتباع نصحها فى العدول عنها من تلقاء نفسه وقد أصدرت الأوامر اللازمة الى الجهات المختصة بهذا الشأن » ٠

رئيس مجلس الوزراء
(محمد سعيد)

---

(١) المفروض أن سياق الكلام يتفق مع كلمة (من) وليس (مع) كما هو موجود فى الأصل ٠

(٢) يعد هذا أول نداء يصدر من قبل الحكومة الوطنية منذ بداية الحركة الوطنية ٠ اذ كان مثله يصدر من السلطات البريطانية فقد أحست حكومة محمد سعيد باشا بان الأمور تفلت من يدها ٠ وكانت قد استطاعت فى خلال الشهور التى قضتها فى الحكم أن تستخلص من السلطات الانجليزية كثيرا من الأمور الادارية ٠ وهنا سارعت باتخاذ قرارها السالف الذكر خشية أن تتدخل السلطات البريطانية من جديد ٠

(د٠ عبد العظيم رمضان وتطور الحركة الوطنية فى مصر ٠ ص ٢٢٧) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من محمد محمود باشا
الى رئيس مجلس الشيوخ
بامـريكا

[٥٩٢] ولقد أرسل سعادة محمد محمود باشا بأمريكا الى المستر مارشال رئيس مجلس الشيوخ الأمريكي الخطاب الآتي بمناسبة تقرير ارسال لجنة اللورد ملنر الى مصر وطريقة قمع المظاهرات السلميـة في مصر بالشدة والقسوة :

« قد أفلحت انجلترا في ادخالها على معاهدة فرساي قسما تدعو فيه المانيا الى الاعتراف بحمايتها المزعومة على مصر واملت من وراء هذه الحيلة اعتراف كل موقع على المعاهدة بتلك الحماية لأن انجلترا كما أشار الى ذلك المسيو جود في مجلس النواب الفرنسي يوم ٤ سبتمبر لم تجرأ أن تعرض على الدول المصادقة على تلك الحماية في عقد خاص وأدركت أن الدول الراغبة في انتهاء حالة الحرب بينها وبين المانيا لا تحجم عن المصادقة بلا اعتراض على ذلك القسم المشئوم من المعاهدة ولم يخطر ببالها أن دولة تمتنع عن التصديق حتى تسمع شكاة (١) مصر التعسة التي دخلت الحرب الى جانب الحلفاء كأمة حرة ثم خرجت من حومتها بعد أربع سنين أسيرة رق بريطانيا العظمى ٠

اعترف سفير بريطانيـا في واشنطن رسميا يوم ٢ سبتمبر الماضي (أن الحكومة البريطانية عنيت كل العناية بالأ تمس السيادة المصرية) وانها سترسل الى مصر لجنة للتحقيق تحت رئاسة اللورد ملنر لوضـع دستور بأي شكل كان تحت الحماية ٠ وقد نشر حديث اللورد ملنر في مجـلة « يومل » بعددها الصادر يوم ٢٩ سبتمبر المـاضي ويؤخذ منه أن مصر قد ضمت نهائيا ٠ فقد قال اللورد أن مسألة حق بريطانيا العظمى [٥٩٣] في وضع الحماية على مصر خارجة عن دائرة اللجنة التي بنى برنامجها على افتراض وجود الحماية وسيكون لدى اللجنة في الحقيقة أعمال كثيرة اذا قصرت همها على النظر في النظام الداخلي للبلاد المصرية ٠ دون أن تتناول النظر في المسألة من حيث مقامها الدولي فهذه مسألة خارجـة عن دائرة اختصاص اللجنة وانها تراها قد سويت تسوية نهائية ٠

---

(١) شكاية ٠٠

فمصر لاتقبل اللجنة والشعب المصرى يراها أداة من شأنها أن تزيد فى ارهاق البلاد ٠

(وبعد أن تكلم سعادته على مظاهرات الاسكندرية ومصر قال :)

يأبى الشعب المصرى أن تأخذ منه القوة أو الخديعة اعترافا صامتا بالحماية وستصل، لجنة ملنر الى مصر معتقدة أن الاعتراف بالحماية قضية مسلم بها ٠ وتباشر البحث فى مسألة ادارة البلاد الداخلية ولكن مصر تأبى أن تسلك معها طرق مفاوضات معوجه تبعدها عن مسألتها الرئيسية وهى حقها فى الاستقلال التام أجلت لجنة ملنر سفرها الى مصر جملة أشهر حتى تمهد لها السلطة الطريق والأن توجه الأسئلة الى الأعيان لابداء رأيهم فى أنجح الوسائل لتحسين الادارة على أن أعيان مصر امتنعوا بتاتا عن الاجابة عن هذه الأسئلة ٠ وقال البعض ان البلاد تعتمد فى الاجابة عنها على الوفد المصرى الذى يمثل مصر أمام العالم ٠

[٥٩٤] فاذا كانت انجلترا مخلصة فى ارسالها الى مصر لجنة تحقيق واذا كانت صادقة الرغبة فى حل مسائل الثورة المصرية فما عليها الا أن تتبع ما طلبناه يوم ١٤ يوليو سنة ١٩١٩ فى مجلس النواب البريطانى ٠ فترسل لجنة دولية تمثل عدة دول فتكون لجنة يمكن الاعتماد عليها فى اعلان العالم بحقيقة الحال فى مصر ٠

ولكن انجلترا تريد اطفاء نور الحرية المصرية فلا تسمح لاحد فى العالم أن يقف على عدالة مطالب مصر فى الاستقلال وقد شدد الاستعماريون فى مجلس النواب (١) ومجلس اللوردات النكير على الحركة المصرية قائلين ان الوفد المصرى الذى يمثل المصريين مؤلف من متطرفين غير مسئولين وان الشعب المصرى جاحد للجميل غير أهل لحكم نفسه ٠ وأن على بريطانيا وحدها يجب الاعتماد ٠ فى حكم البلاد لضمان سعادتها ورفاهيتها ٠

فما أشد اوجه الشبه بين هذه الحوادث وحوادث أمريكا من قبل والتاريخ يعيد نفسه فقد روت مجلة « براجاتترد جيستر » (الجريدة الرسمية) سنة ١٧٧٥ أحاديث المناقشة فى دار الندوة البريطانية فى المسألة الأمريكية ولا شك أن وجه الشبهة تام بين ما قاله المحافظون البريطانيون فى القرن الثامن عشر للمفاوضة فى استقلال أمريكا وبين

---

(١) يقصد مجلس العموم ٠

ما يقوله الاستعماريون فى القرن العشرين عن الاستقلال المصرى فحجج الخصمين فى الحالين هى هى تقريبا فى ٢٠ يناير سنة ١٧٧٥ (انظر برلمان رجيستر سنة ١٧٧٥ جزء ثان صحيفة ١١) قال الكونت سوفولك غاضبا انه من الواجب المحتم على الادارة متابعة اخضاع الأمريكيين المعتدين الثائرين وطلب الى الوزارة الزامهم الطاعة بحد السيف . [٥٩٥]

وتساءل الفيكونت توتستد (فى الكتاب ذاته صحيفة ١٥) هل يجب تعطيل المصالح المتبادلة بين البلدين ارضاء لمطامع شعب جاحد المعروف ثائر ؟

وكرر اللورد جوار (صحيفة ١٥ ، ١٦) القول « بأنه علم من ثقة أن ما يقول الأمريكيون الأن انما هو قول الغوغاء ونفر من رؤساء العصابات وان النواب فى المؤتمر أبعد من أن يمثلوا عواطف الحزب المحترم من منتخبيهم (١) » .

ونحن لانظن الأمريكيين يبخلون بعطفهم على مصر فى موقفها الحالى عندما يتبينون أن حركتها اليوم هى ذات حركة الأمريكيين . وان هناك جهدا يراد به خنق الرغبة فى الاستقلال ويوجه اليوم ضد مصر كما وجه بالأمس ضد أمريكا بحجة أن الشعب غير أهل لحكم نفسه . فمصر تستصرخ أمريكا لمنع الاستعماريين البريطانيين من التحكم فى مصيرها .

الا يمكن مصر أن تلجأ الى أمريكا : التى خاضت غمار الحرب لانقاذ العالم من الروح الاستعمارية البروسية ولتثبيت دعائم الحرية فى جميع البلاد ؟

أيمكن أن تكون الضحايا التى قدمتها مصر فى سبيل تحرير الشعوب مجلبة لعبوديتها ؟

أبعد أربع سنوات يبذل فيها كل مرتخص وغال لنصرة الحلفاء يريد العالم أن يصدر قراره بعقاب مصر عقابا لم ينزل بالمغلوبين على أمرهم .

ان مصر تنتظر عطف الشعب الأمريكى وعمل مجلس الشيوخ .

محمد محمود

عن الأمة المصرية المنتخب من الجمعية التشريعية فى الهيئات النيابية الأخرى .

---

(١) الواضح ان محمود هنا يسعى الى اجتذاب عطف الأمريكيين من خلال عقد المقارنة

ضم على بك ماهر الى الوفد

[٥٩٦] وفى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ قرر الوفد المصرى ضم حضرة على بك ماهر الى أعضائه (١) وهذا هو الخطاب الذى ورد الى حضرته من رئيس الوفد فى باريس فى نوفمبر سنة ١٩١٩ .

« حضر صاحب العزة على بك ماهر » .

« نظرا لما يعهده اخوانى وأنا فى حضرتكم من الكفاءة الواسعة والهمة العالية والوطنية الصادقة وما قمتم به من الخدمات الجليلة للقضية المصرية ولما اتصل بعلمنا من رغبتكم فى الاستمرار على هذه الخدمة بالاشتراك مع الوفد قرر الوفد مع السرور قبولكم عضوا فيه ، وبما ان اللجنة المركزية فى حاجة لمثل همتكم وخبرتكم نرجوكم الانضمام اليها والاشتغال معها نجح الله مسعانا ومسعاكم ووفقنا لما فيه مصلحة البلاد » .

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

وأرسل الى الوفد بخطابه المؤرخ ٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« قرر الوفد اليوم أن يكون حضرة على بك ماهر عضوا من أعضائه وفضل بقاءه فى مصر يشتغل معكم فى اللجنة المركزية بهمته المعهودة لانها محتاجة لمثله »

سعد زغلول

فكتبت الى الوفد بتقريرى المؤرخ ١٩ (٢) نوفمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« أعلنت اللجنة بقرار الوفد المؤرخ٧ نوفمبر القاضى بضم على بك ماهر لأعضائه . وهو يشتغل معنا باللجنة باستمرار » .

عبد الرحمن فهمى

---

(١) قرار الوفد بضم على ماهر الى عضويته انظر (د. محمد أنيس . دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩) . ص ٢٣٩ .

(٢) هذا التقرير منشور فى المصدر السابق بدون تاريخ . ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

ذكرى ١٣ نوفمبر

[٥٩٧] يوم ١٣ نوفمبر من الأيام المقدسة لدى المصريين جميعا اذ هو اليوم الذى ارتفع فيه أول صوت بالمطالبة باستقلال مصر فتردد صداه فى كل أنحاء البلاد ثم تضخم هذا الصوت فعم مشارق الأرض ومغاربها وهو يوم ابلغ ما تقول فيه أنه يوم ١٣ نوفمبر وكفى فيه تذكر المصريون توا عظمة هذا اليوم وقدسيته .

ولما أخذ هذا اليوم يقترب شرع المصريون جميعا فى الاستعداد للاحتفال به . فما بزغت شمسه حتى كنت ترى الطلبة قد غادروا مدارسهم والتجار والصناع قد هجروا متاجرهم ومصانعهم وألفوا جميعا المظاهرات والمواكب احياء لهذا اليوم العظيم وقد بلغ الاحتفال بهذا اليوم غاية الروعة والجلال فلم يحدث فيه ما يكدر الخاطر . ولا نبالغ اذا قلنا أن المصريين جميعا فى طول البلاد وعرضها . قد اشتركوا فى احياء ذكرى هذا اليوم .

ولكن الوزارة التى كانت ترى تلك الاحتفالات الباهرة فـذى فى عينها قد ساءها ما شهدته من عظمة اليوم وروعته فلم تجد من تشفى فيه غليلها سوى طلبة المدارس الذين هم دائما فى الطليعة فأصدرت وزارة المعارف أمرا بتعطيل المدارس التابعة لها أسبوعا ولم يكفها ذلك بل جعلت هذا القرار يسرى على المدارس الخاضعة لتفتيشها فلم يسع الطلبة الا أن يصدروا احتجاجا على قدوم لجنة اللورد ملنر .

ولم يكن هذا وحده هو ما تبغيه انجلترا من ارسال هذه اللجنة ذلك ان انجلترا قد هالها اتحاد الأمة المصرية المتين وتضامنها القوى والتفافها حول الوفد فقدرت أن ارسال هذه اللجنة لابد أن يصرفها عن وفدها ويوجد الشقاق بين رجالها وقد تصلح اللجنة فى تغيير بعض أساليب الحكم فى الظاهر فينخدع بعملها هذا بعض البسطاء ويقبلون ما تعرضه عليهم من تغيير ظاهرى وبذلك يدب دبيب الفشل فى صفوف الأمة وتفوز انجلترا بنصيبها .

من الوفد الى المستر لويد جورج

[٥٩٨] ولما علم الوفد بما اقترفه الجنود الانجليز فى مظاهرات الاسكندرية أرسل الى المستر لويد جورج رسالة يحتج فيها على السياسة الانجليزية وقد نشرت جريدة الدايلى هرالد الصادرة فى ١٥ نوفمبر مقتطفات من هذه الرسالة تحت العنوان الآتى :

خنق مصر

ملنر بدل الحزية

« يعلم الله أن بريطانيا لا تريد شبر من الأرض » هذه الجملة التي وردت في خطبة للمستر لويد جورج ألقاها في العاشر من نوفمبر سنة ١٩١٤ قد عاد فاقتبسها الوفد المصرى بباريس وضمنها رسالة الى رئيس الوزارة البريطانية قال فيها :

(لقد وثق المصريون بهذا العهد واطمأنوا اليه كما وثقوا بغيره من وعود بريطانيا فماذا بلغ من وقائكم بها ؟ ثم أشار الوفد الى ضحايا المظاهرات في الاسكندرية وقال مخاطبا المستر لويد جورج) .

ان مثل هذه الفظائع المتكررة التى تقشعر لها الانسانية هى النتائج المحسوسة للسياسة التى رأيتم أن تتوخوها بازاء المصريين والآثر الملموس لمسلككم الجديد فى تقليد السياسة البريطانية وقد استطعتم بذلك أن تطأوا بأقدامكم كل عهودكم المقدسة وأن تعدوا معاهدة سنة ١٨٤٠ قصاصة ورق والا تعبأوا بالمبادىء السامية الجليلة التى أراقت الانسانية أذكى دمها فى سبيل تحقيقها ونحن على يقين من أنكم اذا ناجيتم ضمائركم تستطيعون أن تعرفون على من تقع تبعة هذه السياسة التى معزه ووصمة للانسانية فى القرن العشرين ونقطة سوداء فى تاريخ السياسة الانجليزية .

(والمصريون فى الوقت الذى يطالبون فيه برد استقلالهم المغتصب يعلنون أن مصالح بريطانيا فى قناة السويس وامتيازات الدول الأخرى يجب أن تراعى ولو أن الحكومة البريطانية قبلت مثل هذا الحل لفازت بصداقة شعب أثبت بكل طريقة أن حصوله على استقلاله مسألة حياة أو موت فى نظرة ولكنكم لسوء الحظ لم تقبلوا هذا الحل الخليق أن يرضى كل فريق يعنية الأمر — ولما عجزت وسائل الارغام المختلفة عن تحقيق الغاية منها شرعتم تهدئون الأمة وتخدرون أعصابها بتأليف لجنة للتحقيق على رأسها اللورد ملنر .

[٥٩٩]

ولكن المصريين المنتبهين لكل ما يجرى حولهم أبوا أن يفاوضوا هذه اللجنة وقرروا أن يقاطعوها أفلا ترون فى هذه الظروف أن السياسة الانجليزية فى مصر — التى ينتقدها كل الناس — مقضى عليها بالفشل المحقق لانها عاجزة عن الحصول على رضا الأمة المصرية ولانها تناقص روح العصر الحاضر وتنافى كل العهود التى قطعتها انجلترا على نفسها وأقسمت عليها بشرفها ؟ ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

بلاغ الى دار الحماية عن قدوم لجنة ملنر الى مصر ومهمتها فيها

[٦٠٠]

وفى يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ نشرت دار الحماية البلاغ الرسمى الآتى وقد بينت فيه سياسة بريطانيا فى مصر وأغراض اللجنة التى أوفدتها تحت رياسة اللورد ملنر (١) وهذا هو نص البلاغ .

ان سياسة بريطانيا العظمى فى القطر المصرى هى للمحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانيا وانشاء نظام حكومة ذاتية تحت حكم سلطان مصرى .

وغرض بريطانيا العظمى الدفاع عن مصر من كل خطر خارجى أو من تدخل أية دولة أجنبيـــة وهى ترمى فى الوقت نفسه الى تأسيس نظام دستورى تحت ارشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجـة والنظام الذى يمكن عظمة السلطان ومعالى وزرائه وحضرات مندوبى الأمة فى دوائرهم الخاصة من الاشتراك فى ادارة الأمور المصرية وذلك على أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مر الأيام .

وعليه فقد قررت حكومة جلالة الملك ارسال لجنة الى مصر مهمتها تقرير نظام الحكم للوصول الى تلك الغاية وبعد أن تستشير عظمة السلطان

---

(١) ملنر الفرد ـ فيكونت ١٨٥٤ ـ ١٩٢٥ .

سياسى بريطانى ـ وادارة بالمستعمرات ـ ولد بالمانيا وتعلم الآداب القديمة باكسفورد واشتغل فى بادى الأمر بالصحافة ثم عين ١٨٨٩ بوساطة جورج جوشن وزير الخزانة البريطانية وكيلا لوزارة المالية المصرية قضى فى منصبه هذا سنوات أربعا ونشر ١٨٩٢ كتاب (انجلترا فى مصر) فكان له تاثير كبير فى الرأى العام البريطانى عين ١٨٩٧ مندوبا ساميا فى جنوب أفريقيا أو حاكما عاما لمستعمرة الكاب وكان يشغل هذين المنصبين حينما أعلنت حرب البوير ١٨٩٩ ، وظل بجنوب أفريقيا حتى ١٩٠٥ . وكان محافظا فى مذهبة السياسى وعارض لويد جورج فى ميزانيته الشهيرة ١٩٠٩ . ولكن لويد عينه ١٩١٦ أحد وزرائه ثم عين ١٩١٨ وزيرا للمستعمرات وحينما نشبت ثورة مارس ١٩١٩ المصرية اختير لرياسة الوفد الذى أرسلته الحكومة البريطانية ١٩٢٠ ، لدراسة الحالة فى مصر وتقدم الاقتراحات بشأن حل القضية المصرية .

أصدر فى أواخر ذلك العام تقريره الشهير الذى أوصى فيه الحكومة البريطانية بالغاء الحماية على مصر واعلانها دولة مستقلة ذات سيادة وقام ١٩٢١ بمفاوضة سعد زغلول زعيم تلك الثورة ورئيس الـــوفد المصرى ووكيل الأمة المصرية الناطق باسمهـــا ولكن المفاوضات لم تصل الى نتائج حاسمة .

الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣

ومعالى وزرائه وأصحاب الرأى والشأن من المصريين ، تباشر الأعمـــال الأولية اللازمة قبل وضع قوانين الحكومة المستقبلة النهائية .

« وليس من اختصاص اللجنة أن تستقل بوضع شكل الحكومة على مصر فان مهمتها هى أن تدرس الأحوال درسا دقيقا وتبحث مع أصحاب الشأن فى البلاد فى الاصلاحات اللازمة وان تقترح نظام الحكم الذى يمكن تنفيذه فيها آخر الأمر والمأمول أن يكون بالموافقة التامة مع السلطان ومعالى وزرائه الكرام » .

الاحتجاج على بلاغ دار الحماية

[٦٠١] ولم يكد هذا البلاغ ينشر حتى قابلـه الجمهور بمظاهـر الدهشة والاستنكار وألفت فى الحال المظاهرات وراح المتظاهرون يطوفون الشوارع والميادين وهم يهتفون بحياة مصر والاستقلال والوفد وسقوط لجنة ملنر .

وفى صباح اليوم التالى ألف طلبة المدارس المظاهرات الكبيرة وقد ركبوا قطارات الترام وهـم يصيحون ويهتفون محتجـين على بـلاغ دار الحماية .

وبعد الظهر تألفت مظاهرة كبيرة سار فيهـا طلبة المدارس وبعض السيدات . ثم عمت المظاهرات كل انحاء القاهرة وانتهى هذا اليوم دون أن يحدث فيه ما يكدر صفوه (١) .

هذا وقد هبت الهيئات والأفراد محتجة على هذا البلاغ وتناولـــة الكتاب بالنقد والبحث ونحن نكتفى هنا بنشر بيان لجنـة الوفد المركزية وهو يعبر عن شعور الأمة كلها ازاء هذا البلاغ وهذا هو نصه .

من لجنة الوفد المركزية
الى الأمـة المصرية

[٦٠٢] « صدر بلاغ من الوكالة البريطانية بمصر يفيد أن سياسة بريطانيا العظمى فى القطر المصرى :

---

(١) تعترف الوثائق البريطانية أن ضحايا مظاهرات القاهرة يوم ١٦ نوفمبر بلغت ١٣ قتيلا ٨٧ جريحا .

F.O. 407/185 No. 298.

(هى المحافظة على وضع مصر تحت الحماية البريطانية وتأسيس نظام يمكن عظمة السلطان ومعالى وزرائه وحضرات مندوبى الأمة فى دوائرهم الخاصة من الاشتراك فى ادارة الأمور المصرية وذلك على أسلوب يزيدهم فى نفوذهم على مر الأيام · وعليه فقد قررت الحكومة الانكليزية ارسال لجنة انكليزية الى مصر لتقترح نظاما لتنفيذ هذه السياسة) ·

« صدر هذا البلاغ فأدهش الناس لأنه مخالف لمبادىء الحق والعدل ·

« مخالف لمعاهدة لندره الموقع عليها من انجلترا وغيرها من الدول فى سنة ١٨٤٠ والتى تضمن استقلال مصر الذى كسبه المصريون بدمائهم ·

« مخالف للستين عهدا الرسمية التى قطعتها بريطانيا العظمى على نفسها للجلاء عن البلاد ·

« مخالف للمبادىء التى أعلن الحلفاء أنهم خاضوا غمار الحرب من أجلها وهى تحرير الشعوب الصغيرة والقضاء على القوة الغاشمة ·

« مخالف للمبادىء التى جعلت أساسا للهدنة والصلح وللقواعد التى بنيت عليها عصبة الأمة ·

« مخالف للروح الاستقلالية السائدة فى انحاء العالم ·

« مخالف لارادة الشعب المصرى الذى بيده وحده مصير بلاده ·

[٦٠٣]

« ولاشك أن الأثر الطبيعى لهذا البلاغ فى نفوس المصريين هو ازدياد تمسكهم بحقوقهم المقدسة وانصرافهم عن كل مناقشة خاصة ، وتوثيق روابط الاتحاد والتضامن بينهم ومضاعفة جهادهم الوطنى وتوجيه كل عزائمهم لخدمة القضية العامة بالوسائل المشروعة ·

« ان الساعة عصيبة · والوطن يدعوا أبناءه ليكتبوا له تاريخا مجيدا فكل مصرى مهما كان مركزه وأيا كان عمله مطالب بأداء واجبه ·

« فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام » ·

سكرتير لجنة الوفد العام
عبد الرحمن فهمى

رئيس لجنة الوفد
محمود سليمان

تعـدد المظاهرات

تعددت بعد ذلك المظاهرات وانتشرت وانضـم الأهالى للطلبـة فى مظاهراتهم • ولكن البوليس لم ترق فى عينيه تلك الاحتجاجات الصارخة فراح يطلق رصاصه على الآمنين الوادعين العزل من أى سـلاح فقتـل وجرح كثيرون •[1]

وليس لدينا دليل أصـدق على أن البوليس كان يطلق النـار على المتظاهرين الوادعين أكثر من بلاغات الحكومة الرسمية نفسها التى ننشرها لك فيما يلى :

بلاغ رسمى فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ ــ « أمر ضابط بلوك الغفر التابع لبوليس القاهرة رجاله باطـلاق الفشنك لتفريق الناس المتجمهرين برحبة عابدين هذا الصباح • ولكن ظهر أن شخصـين من العامة أصيبا برصاص ولم يعرف للآن سبب هذا الحادث الذى يؤسف له لأن جنـاب قومندان بوليس العاصمة قرر بأن بلوك الغفر كان معه فشنك فقط عندما استعرضهم جنابه هذا الصباح •

[٦٠٤]

وقد حجز ضابط عسكرى من بلوك الغفر حيث يجرى عمل تحقيق رسمى معهم الآن • »

١٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ مساء ــ « بدأت المظاهـرات من الصبـاح الباكر فى انحاء شتى من القاهرة • وحوالى الساعة ١١ من الصباح اجتمع فى ميدان عابدين جمهور من الأشخاص عليهـم علامـات الغضب وهـم مسلحون بالحجارة فدعى بلوك الغفر وصدر الأمر الى البلوك من ضابطة بأن يطلق الفشنك فى الفضاء لتشتيت الجماهير فنشأ عن ذلك اصابـة شخصين كما جاء فى البلاغ السابق الذى صدر الساعة ١ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر • وحوالى الساعة ٢ بعد الظهر ازداد هيـاج الجماهـير بجوار قرقول (٢) الموسكى وقرقول عابدين وحاصرت الغوغـاء قرقول عابـدين وأضرمت النار فى أتومبيل (٣) كبير كان واقفـا أمام القسم وبعد هنيهة أضرمت النار الى قسم من القرقول نفسه فذهب جنود الجيش المصرى الى

---

(١) الطلقات الصوتية •

(٢) قسم البوليس •

(٣) سيارة •

القرقول ولكنهم لم يتمكنوا من معالجة الحال فدعيت الجنود البريطانية وتمكنت من رد الجمهور والأفراج عن رجال البوليس الذين كانوا محصورين فى القرقول وفيما كان الجنود البريطانيون ينسحبون عائدين أدراجهم شرع الجمهور برشقهم بالحجارة والقوارير وحاول أن يعوق سيرهم فاضطر الجنود والحالة هذه أن يطلقوا النار ليخرجوا من مكانهم فأصيب خمسة أو ستة من الناس ·

« واتفق أن مركبتين من مركبات الترامواى مملوءتين بالمتظاهرين من الداخل والخارج التقتا من جهتين متقابلتين فقتل واحد وجرح عدة أشخاص

[٦٠٥] « ويوخذ من آخر التقارير التى جاءت حتى الساعة أن النظام أعيد وان المدينة ساكنة » ·

« أما فى الاسكندرية فقد حدث هذا الصباح مظاهرات صغيرة قام بها التلاميذ ففرق شمل المتظاهرين وبعد ذلك حدثت مظاهرة أكبر من هذه بدأت فى قسم الجمرك وسارت فى شوارع المدينة ثم تفرقت من غير ان يقع ما يخل بالنظام ·

« وفى الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ سار مشهد الجنازة لبعض قتلى الشغب الذى حدث فى الليلة السابقة فى الاسكندرية » ·

١٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ ــ « ان ٦٤ شخصا قد أصيبوا أثناء اضطرابات الأمس منهم عشرة أصيبوا باصابات بالغة واحد عشر ماتوا »

وفاة محمد فريد
رئيس الحزب الوطنى

[٦٠٦] وفى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ وصل الى مصر هذا النبأ المحزن وهو وفاة محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى فى برلين اذ كانت تجرى له عملية جراحية هناك · وبوصول هذا الخبر عم الأسى جميع المصريين لموت هذا المجاهد الشاب غريبا عن وطنه الذى تفانى فى الاخلاص له والذود عن حريته واستقلاله ·

وهذا هو الكتاب الذى أرسلته لجنة الوفد المركزية الى أسرته فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ :

القاهرة فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

[٦٠٧] الى أسرة فقيد الوطن المرحوم محمد بك فريد

الخطب جلل والرزء عظيم وما المصاب مصاب عائلة وحدها وانما هو مصابنا جميعا هو مصاب الأمة بأسرها هو مصاب الوطن الحزين على فقيده فالعزاء للمصريين على بكرة أبيهم ٠

« ذهب الفقيد ضحية الاخلاص والجهاد فكان فى موته بطلا كما كان فى حياته وكانت حياته مثالا عاليا للمجاهدين الصابرين وآية جليلة من آيات الارادة القوية والعزيمة الصادقة ٠

وقد أبى الا أن يكون فى موته آيات وعظات فهو بتحمله مشاق النفى وبداية على الجهاد حتى آخر نسمة من نسمات حياته بعيدا عن وطنه وأهله وأصدقائه قد رفع رأس أمته وأشهد العالم على ان المصرين يضحون بكل شىء فى سبيل وطنهم وحريتهم واستقلالهم ٠

« فاذا كانت الأمة فقدته فانها لم تفقد مبادئه وآيات وطنيته والدروس السامية التى ألقاها عليها فى جميع مواقفه وبموته تمكن من نفسها مبدأ التضحية فى سبيل الدفاع عن الوطن وفى هذا تخفيف لوقع المصاب على النفوس » ٠

« ولما كانت كل أمة تعنى بتخليد ذكرى أبطالها فان لجنة الوفد ستعمل على القيام بهذا الواجب المقدس : [٦٠٨]

« أمطر الله على جدث (١) الفقيد رحمته وألهمنا نعمة الصبر » ٠

سكرتير لجنة الوفد العام	رئيس لجنة الوفد
عبد الرحمن فهمى	محمود سليمان

اقامة حفلة تأبين للفقيد

ولقد قررت لجنة الوفد فى جلستها المنعقدة فى يوم ١٨ نوفمبر اقامة حفلة تأبين للفقيد العظيم فى يوم الأربعين ودعت الشعراء والخطباء والكتاب الى ارسال رثائهم لسكرتارية اللجنة ببيت الأمة ٠

(١) صحتها جسد ٠

مظاهرة السيدات

[٦٠٩] وفي الساعة العاشرة من صباح يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ اجتمع وفد من نخبة السيدات المصريات في ميدان الحلمية الجديدة تحت رئاسة حفيدة المرحوم اسماعيل صبرى باشا الطوبجي (١) وركبن فى نحو عشرين عربة طفن بها انحاء القاهرة هاتفات لمصر والحرية والاستقلال والوفد المصرى ورئيسه وبسقوط لجنة ملنر وقد اخترق هذا الموكب الرائع شارع محمد على والعتبة الخضراء وميدان الأوبرا وشارع كامل وشارع عماد الدين مارا بالوكالة الفرنساوية فقصر البستان فمنزل محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية وقد حياهن سعادتة وشكرهن كثيرا ٠

وظللن في طوافهن هذا حتى وزارة الداخلية وهناك فرق الجند موكبهن الذى التأم فى ميدان السيدة زينب ثانية ٠

ومما يدعو الى الأسى والأسف أن شابا يدعى أحمد خلوصى ـ وهو كاتب عمومى كان يسير بدراجته وراء موكبهن عند السيوفية فرماه أحد رجال الدورية الانجليزية برصاصة اخترقت احشاءه فنقل الى مستشفى عباس ولكنه مات فى الحال ٠

وهكذا راح هذا المسكين ضحية طيش ذلك الجندى الانجليزى ٠ وقد احتفل بجنازته فى اليوم التالى بمشهد رهيب ٠

مظاهرة الاسكندرية

[٦١٠] تجددت المظاهرات يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ فى الاسكندرية فاحتشد جمهور كبير من الشبان والطلبة في ميدان أبى العباس الساعة الثامنة صباحا وألفوا موكبا ثم ساروا هاتفين للوطن حتى وصلوا الى شارع فرنسا حيث كانت ترابط قوة من البوليس المصرى تحت قيادة البكباشى بلاتينر من مفتش البوليس (١) فاطلق بعض الجنود الرصاص فى الهواء

---

(١) **اسماعيل صبرى باشا** (١٨٥٤ ـ ١٩٢٣) ٠

من شعراء الطبقة الأولى فى عصره ـ وهو من شيوخ الادارة والقضاء فى الديار المصرية ٠ تلقى تعليمه بالقاهرة ٠ ودرس الحقوق بفرنسا ٠ تدرج فى مناصب القضاء بمصر ٠ فعين نائبا عموميا فمحافظا للاسكندرية ٠ فوكيلا لنظارة الحقانية ٠

وهو وكيلا للحقانية (العدل) رفض مقابلة « كرومر » عندما كان يمهد له ليكون رئيسا للوزارة ٠

وأجاب « لن اكون رئيسا للوزارة واخسر ضميرى » الاعلام للزركلى ـ المجلد الأول ٠ ص ٣١٥ ٠

لارهابهم فلم يثنهم ذلك عن عزمهم وظلوا سائرين في طريقهم فأمر البكباشى أحد الامباشية أن يطلق الرصاص على المتظاهرين أنفسهم فلم يصدع بالأمر فغضب البكباشى منه واطلق عليه رصاص مسدسه · ثم أمر باطلاق الرصاص فاصيب رجل يدعى محمود قناوى فقتل فى الحال ولم يكن هذا الرجل ضمن المتظاهرين بل أنه كان يغلق باب المخزن الذى يشتغل فيه وعندئذ حمله المتظاهرين وساروا به الى المحافظة وأروه للمحافظ حسن عبد الرازق باشا الذى لم يكن عالما بحوادث هذا اليوم اذ كان ذلك يحدث من غير أمره أو اشارته فاستاء لذلك جدا وفى الحال خاطب وزارة الداخلية بالتليفون مقدما استعفاءه ثم كتب تلغرافا الى عظمة السلطان والى الحكومة ثم غادر سعادته المحافظة وذهب الى منزله أما المتظاهرون فكانوا فى حالة تأثر شديدة فحملوا القتيل على أذرعهم الى ميدان محمد على حيث عرضوا هذا المنظر المحزن على جمهور التجار والأعيان الذين فى البورصة حتى جاء أقارب القتيل وأخذوه ·

[٦١١] وعند الساعة الثانية بعد الظهر قامت مظاهرة فى جهة العطارين وقامت أخرى جهة المنشية الصغرى ·

وقد قتل فى هذه المظاهرات اثنان وجرح ثلاثة عشر بعضهم اصابتهم خطيرة ·

وبعد الظهر بينما كان الناس يشيعون جنازة فتى صغير قتله الجند فى مظاهرة سابقة اذ خرجت قوة مسلحة من الحماية البريطانية الى شارع محمد على فشطرت صفوف المشيعين شطرين ·

وعند الساعة الرابعة مرالموكب فى شارع توفيق وفيه الألوف من التجار والأعيان والأدباء والطلبة وكانت ٤٠ تلميذة من احدى المدارس الوطنية سائرات فى صفين على جانبى الطريق وبينما كان الموكب سائرا بهدوء وسكون اخترقت سيارة عسكرية انجليزية مدرعة جموع المشيعين وهى تسير بسرعة عظيمة فاضطرب الموكب وتفرق الناس وهلعت قلوب البنات وفزعن فأدخلهن مأمور دائرة الأمير يوسف كمال منزله وأخذت عربات الاسعاف تنقل القتلى والجرحى الذين لم يعرف عددهم بالضبط ·

وقد نشر البلاغ الرسمى الآتى فى القاهرة مساء :

« تجدد الاخلال بالنظام فى الاسكندرية اليوم صباحا فاقتحمت المخازن ودار النهب فى أنحاء كثيرة من المدينة ولا سيما شارع السبع

---

(١) كان مفتشو البوليس وقتذاك من الانجليز ·

بنات وجهات الجمرك واللبان وشارع الرمل . والفت مظاهرة كبيرة بين الساعة ٨ والساعة ٩ من الصباح وعجز البوليس المواكب عن تفريقهـا فاضطر الى اطلاق النار على الرعاع الذين كان معظم المتظاهرين منهـم . وقد رابط الجنود البريطانيون فى أنحاء شتى من المدينة الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر وجاء الخبر بأن السكينة سادت من ذلك الحين) .

[٦١٢]

وفى المساء وصل الى القاهرة سعادة حسن عبد الرزاق باشا محافظ الاسكندرية كى يقابل ولاة الأمور ويبسط لهم الحالة فى الاسكندرية . ولما وصل الى داره بادرت طائفة من طلبة الحقوق والجامعة المصرية وبعض المحامين والأدباء لمقابلته وبعد أن بسطوا له ارتياح الأمة الى مسلكه ومسعاه قال أحدهم :

سرنا انضمامكم الينا .... فأوقفه سعادته بقوله :

انى لاعترض على هذه الكلمة . نحن منكم وانتم منا .

ثم بسط لهم الحوادث حتى أغرورقت عينـاه بالدموع فأثر منظره فيهم تأثيرا كبيرا ثم صدر أمر السلطة العسكرية بوضع الاسكندرية تحت الأحكام العسكرية ابتداء من يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ فاحتلها الجنود البريطانيون ومنعوا الناس من السهر بعد الساعة التاسعة مساء .

[٦١٣]

ولقد كتبت الى الوفد عن هذه الحوادث بتقريرى المؤرخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« ان المظاهرات التى حصلت أمس بالاسكندرية قوبلت بعنف وشدة متناهية . والأخبار متناقضة فى عدد القتلى والجرحى ولذلك لم نتمكن من ذكرها بالتلغراف الذى أرسلناه لسعادتكم اليوم » .

« وأهم شىء فى هذا الموضوع هو استقالة محافظ الاسكندرية التى يقول فيها حرفيا (ان الرصاص يطلق من شوارع المدينة من غير داع وقد ارتكب أحد المفتشين خطأ لا مبرر له ولم أبلغ شيئا من الحوادث ولهذا أقدم استقالتى) (١) » .

---

(١) حضر حضرة صاحب السعادة حسن باشا عبد الرازق محافظ الاسكندرية أمس الساعة الواحدة بعد الظهر الى وزارة الداخلية وقابل حضرة صاحب السعادة عبد الفتاح باشا يحيى فى مكتبة بهذه الوزارة ثم توجه الاثنان معا الى مكتب جناب الجنرال كلايتن المستشار الداخلى حيث لبثا معه مدة يتفاوضون فى استقالة سعادة محافظ الاسكندرية والأسباب التى حملته على ذلك فأسفرت هذه المفاوضة عن الاتفاق على أن جميع الأعمال الخاصة بحفظ الأمن فى شوارع الاسكندرية تتخذ من الآن فصاعدا بالاتفاق مع سعادته وعلى ذلك استرجع سعادته استقالته وينتظر أن يقوم اليوم ظهرا الى الاسكندرية لاستلام مهام وظيفته .
المقطم /٢٠ نوفمبر ١٩١٩ .

« وحقيقة الحال أن المفتش المذكور أمر أحد ضباط الصف بأن يطلق الرصاص على المتظاهرين فأبى عليه ذلك فما كان منه الا أن قتله بمسدسه ويظهر من الأنباء المختلفة أن الضحايا هائلة بين قتلى وجرحى وسنفيدكم بها متى وقفنا على حقيقتها » .

عبد الرحمن فهمى

ثم استطردت بعد ذلك الى ذكر مايأتى :

« الشعب متهيج جدا لما رآه من تعسف الانجليز واستهتارهم بمطالب المصريين الحقة واستهتارهم أيضا بأرواحنا . والجيوش الانجليزية تطلق الرصاص بلا حساب وبلا مبالاة ولا يعلم الا الله نتيجة هذه المأساة فنسأل الله الخلاص » .

عبد الرحمن فهمى

ولقد قلت فى هذا التقرير أيضا ما يأتى :

[٦١٤] « عدد الضحايا بمصر فى مظاهرة يوم ١٦ كانت ١٣ قتيلا و٧٩ جريحا منها ٦٥ اصابة شديدة . وأما ضحايا اسكندرية فليست معلومة تماما » .

عبد الرحمن فهمى

هذا ولقد استرد محافظ الاسكندرية حسن عبد الرازق باشا استقالة . وصرح لمكاتب جريدة الريفورم تصريحا نوه عنه الوفد فى تقريره المؤرخ ٨ ديسمبر سنة ١٩١٩ بما يأتى :

« استقر بنا جدا للمحادثة التى جرت بين محافظ الاسكندرية حسن باشا عبد الرازق ومكاتب الريفورم خصوصا واننا كنا أستندنا على استفعاثه فيما قدمناه من الاحتجاجات عن الفظائع التى ارتكبتها العساكر الانجليزية فى الاسكندرية فجاءت هذه المحادثة مكذبة لهذا السند ومتبتة بأشنع صورة تعدى المصريين وأحقية الانجليز فيما استعملوه معهم وزادت بأن نسبت للمصريين التعدى على حياة الاسرائيليين وأموالهم ولم نر مصريا طعن أمته بمثل هذه الطعنة التى أصاب بها حسن باشا عبد الرازق كبد أمته . سامحة الله »(١) .

سعد زغلول

---

(١) نص خطاب زغلول الى فهمى فى ٨ ديسمبر انظر : د. محمد أنيس : وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٨١ — ٨٣ .
سلسلة تاريخ المصريين عدد رقم ٢٠ .

فرددت على هذه النقطة فى تقريرى الى الوفـد بتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ بما يأتى :

« حقا ان حسن عبد الرازق باشا أتى أمرا ادا • وطعن أمته طعنة الخائن الأثيم ولولا ما أعرفه عنه من العبط وقصر النظر لعد فى نظرى من أكبر الخائنيين والكل هنا ساخط عليه » •

عبد الرحمن فهمى

استدعاء اللورد اللنبى لزعماء لجنة الوفـد المركزيـة

[٦١٥] لما اشتدت الحالة فى مصر وانتشرت الاضطرابـات فى جميع أنحاء البلاد ولم تأت الاضطهادات البالغة كل حد بالغاية المقصودة منها استدعى اللورد اللنبى كلا من محمود باشا سليمان وابراهيم باشا سعيد وفتح الله باشا بركات وكاتب هذه السطور (عبد الرحمن فهمى) •

وضرب لنا موعدا الساعة السابعة من مساء يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ وفى الميعـاد المذكور توجهت مع كل من صاحبى السعادة محمود باشا سليمان وابراهيم باشا سعيد فقط لتغيب فتح الله باشا بمزارعة وبعد أن قابلنا اللورد وفى منتصف حجرة مكتبه مبالغا فى تحيتنا جلسنا على ثلاثة مقاعد كبيرة حول مكتبه وبدأ اللورد حديثه معى قائلا وهل تتكلم الانجليزية ؟

فأجبته سلبا فكلف شخصا انكليزيـا من الحاضرين بأن يترجـم بما يفوه به الى العربية وبعد صدور بضع جمـل لاحظت خلطا كثيرا فى الترجمـة فأخبرت اللورد بها وبعد مشاورة بينـه وبين شخصين آخرين انجليزيين كان أحدهما خلفه والثانى عن يساره قرر أن يتكلم بالانكليزية والشخص الموجود خلفـه يترجـم أقواله الى الفرنسية (١) ثم أقوم أنـا بالترجمة الى العربية •

بعد ذلك استمر اللورد فى تهديداته ووعيده بحالة لا تتفق فى شىء من الاحترام الزائد الذى قابلنا به عند دخولنا • واراد من كان يترجـم أقوال اللورد أولا الى العربية أن يقابل ملاحظتى على عدم اتقانه الترجمة بشىء يماثليا اذ أنه انحنى الى اللورد وأسر اليه ببعض كلمات لم تصل

---

(١) كانت اللغة الأجنبية الأساسية لأغلبية المثقفين المصريين وقتذاك هى الفرنسية •

الى سمعى واذا باللورد يوجه الكلام الى قائلا • وأنت لست مترجما بل انك مسئول عن هذه الاضطرابات كزميليك فقلت لزميلى « اننى مسئول معكما » •

[٦١٦] واستمر اللورد فى تهديداته ووعيده فلم يترك لفظا من هذا القيل الا ذكره ولم يسمح لاحد منا بالدفاع أو ذكر الحقيقة وكان كلما أراد أحدنا التكلم يسارع بقوله له « اسكت » أو « أخرس » •

وبعد أن فرغ جنابه من القاء درسة القاس علينا جميعا التفت الى قائلا « وأنت ؟ ماذا تعمل ؟ هل تظن اننى أعطيت الحرية للجرائد لأجل أن تسيرها أنت وتقود زمامها ؟ اننى ما أعطيت هذه الحرية الا لأتعرف حقيقة الرأى العام وما يريده • فقلت له « ان مخبريك لم يصدقوك القول » فأجابنى بحدة ان مخبريه صادقون واننى حقيقة أسير الجرائد • وكنت كلما حاولت اقناعه بعدم صحة هذه الأخبار برفض الاصغاء لقولى •

وأخيرا أمرنا نحن الثلاثة بمغادرة القاهرة صباح اليوم التالى الى مزارعنا فترجمت هذا الأمر لزميلى ثم التفت الى اللورد وافهمته بأننى لا امتلك عزبا ولا أباعد • ففكر برهة ثم قال فلتبق هنا تحت رقابة البوليس فأجبته بألا لزوم لهذه الرقابة حيث أسكن بجواره فقال ولو فلتكن تحت المراقبة الشديدة •

ولما انصرفنا من عنده أردت أن أتبين ما اعتزمه كل من صاحبى لاننى كنت أخشى دائما عدم اقتدار ابراهيم باشا سعيد على تحمل مثل هذه التهديدات • فسألت محمود باشا سليمان عما انتواه فى هذا الأمر فأجاب بلهجة أهل الصعيد الصريحة : [٦١٧]

هوه جال (قال) ايه ؟ (يعنى اللورد) •

فقلت له مندهشا : ـ كيف هنا والرجل قد استمر ٤٥ دقيقة تقريبا يهددنا ولم يترك كلمة واحدة من صيغ التهديد الا ذكرها •

فقال : ـ يابنى ياما دج (دق) على الرأس طبول كلامه دخل من هنا وخرج من هنا (مشيرا بيده الى أذنيه الأولى بعد الثانية) •

ملأ محمود باشا سليمان قلبى سرورا فقد تبينت من لهجته أنه لم تؤثر فيه ولا كلمة واحدة من كلام اللورد مما يجعله يغير شيئا من عاداته ومحل اقامته وهكذا حقق ما كنت اتوسمه فيه من الشجاعةوالرجولة •

وعندئذ التفت الى ابراهيم باشا سعيد قائلا :

وأنت ياباشا ؟ ماذا تنوى عمله « فقال : « اننى لا أعرف كيف يتكلم محمود باشا بهذا اللسان واللورد اللنبى رجل عسكرى لا يعرف الضحك ولا الهزار اننى اعتزمت الرحيل الى بلدى » ٠

عند سماعى هذه الجملة تكدرت جدا لأنه بذلك يضرب أسوأ الأمثال للمجاهدين فى سبيل انقاذ البلاد فحاولت اقناعه بالتريث حتى يقاد الى عزبته رغم أنفه فلم يقبل وأخيرا اضطررت لتكليف بعض أصدقاء أبنه مصطفى سعيد لاقناعه بعمل كل الممكن للتاثير على والده كى يتريث فى مغادرة القاهرة حتى تأخذه السلطة قسرا الى عزبته ٠

وقد كان ونجحت المساعى والحمد لله وتأخر ابراهيم باشا حتى أتاه ضابط بريطانى واستصحبه الى عزبته بالغربية وجاءت السلطة برقاص صغير قاد ذهبية محمود باشا سليمان الى ساحل سليم بأسيوط ٠

السعى فى انضمام محمد صدقى باشا الى لجنة الوفد المركزية واعتذاره

[٦١٨] رأى الوفد أن نضم الينا فى لجنة الوفد المركزية سعادة محمد صدقى باشا لما يعلم عنه من الكفاية ولهذا كتب فى خطابه الى سعادة محمود سليمان باشا المؤرخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ بما يأتى :

« علمت أن سعادة محمد صدقى باشا المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا ليس عضوا فى اللجنة ولا يشتغل معكم أنه من أخلص الرجال وأصدقهم وطنية واوسعهم حرية وأوفاهم أمانة ٠ فأرجو أن تدعوه لأن يكون معكم ٠ وأملى أنه لا يتأخر عن اجابة دعوتكم » ٠

سعد زغلول

فلما عرض هذا الأمر علينا كان من رأيى عدم اشتراكه معنا فى العمل لما ظهر منه فى بعض المواقف الوطنية التى لاتشهد له بكثير أو قليل من الشجاعة ولكن اذعانا لرأى الوفد سعيت فى ذلك ٠

وهذا ما كتبته الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ وهو :

« اطلعت على ما جاء بمكتوب سعادتكم المرسل لسعادة محمود باشا

سليمان خاصا بمحمد صدقى باشا ولو أن بعض الاخوان لاحظ ضعفا شديدا وجبنا زائدا فى أخلاق محمد صدقى باشا فى حوادث ابريل الماضى فاننا اجابة لأمركم سنسعى الى ضمه الى اللجنة وعسى ألا يتأخر هو عن القبول بعد أن دعينا وهددنا من الوكالة » .

عبد الرحمن فهمى

[٦١٩] ولقد صدق نظرى فى محمد صدقى باشا اذ عرضت عليه رأى الوفد فاعتذر فكررت عليه القول فاعتذر أيضا .

وعلى ذلك كتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٨ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى :

« فاتنا أن نعرف سعادتكم اننى توجهت لمقابلة محمد صدقى باشا لأخذ رأيه فى الانضمام الى اللجنة المركزية عملا باشارتكم فاعتذر رغما عن الحاحى عليه قائلا أنه لايمكنه الاندماج فى لجنة مكونة هذا التكوين » (١).

عبد الرحمن فهمى

ابتعاد على شعراوى باشا عن الحركة

[٦٢٠] غادر على شعراوى باشا باريس فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ قادما الى مصر على أثر خلاف فى الرأى قام بينه وبين الوفد لم تعلم الأمة عنه فى مصر شيئا .

ولقد كتب الى الوفد فى تقريره المؤرخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« يصلكم قبل هذا (التقرير) شعراوى باشا وأرجو أن تكتبوا الى بكل ما يتعلق بقدومه من استقبال ومحادثة وتأثير فى النفوس وغير ذلك من

---

(١) نص التقرير المذكور فى

د. محمد انيس : مصدر سابق ص ١٨٥ - ١٩٠ .

الأحوال التى لها ارتباط بالحركة العمومية » (١) ٠

سعد زغلول

فلما وصل شعراوى باشا الى مصر كتبت الى الوفد بتقريرى المؤرخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

وصل سعادة شعراوى باشا يوم الأربعاء الماضى الى الاسكندرية ولم يحضر للقاهرة الا يوم أمس ورغما عن كوننا طلبنا منه تلغرافيا تحديد موعد وصوله لمصر فانه حضر بدون أخبار ولما عاتبته على ذلك وعرفته بأنه لا يملك نفسه وأنه كان يجب أن يكون طوع ما تقتضيه الحركة الوطنية اعتذر قائلا (بأنه خشى أن يكون ما يقابل به من المظاهرات الحماسية ربما لاينتهى بخير ويكون هو وحده السبب فى ذلك)فقبلنا عذره هنا ولو أنه ليس وجيها ٠

[٦٢١] « أما تصريحاته التى صرح بها للجرائد فلا بأس بها لاننا كنا نخشى ان يجره سوء التفاهم البسيط الى مالا يرضينا ٠ والحمد لله على ذلك » ٠

عبد الرحمن فهمى

وفى تقريرى المؤرخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ قلت فيه ما يأتى أ

« بالأسف أخبركم أن سعادة شعراوى باشا متباعد عنا كل التباعد رغما أنى كررت زيارتى له منفردا وكذلك استصحبت صاحبى السعادة محمود سليمان باشا وابراهيم سعيد باشا فى زيارته مرارا ٠ كل هذا كى استدرجة للاشتراك معنا فى العمل ٠ ولكن بالأسف لم أنجح فيما

---

(١) وذات يوم دخلت حجرة مجلس ادارة الوفد فوجدت سعد يخاطب على شعراوى بحدة وسمعته يقول له : يا باشا انت غنى ولكن الثروة ليست كل شىء ونحن أيضا عندنا بعض الشىء ، وأنت فى الوفد لثروتك ٠ وكان على شعراوى هادئا هدوءا ممزوجا بالألم لا ينطق بكلمة نابية وانما يكرر قوله « وما ضرورة هذا الكلام يا باشا » وقد فهمت من بعض أعضاء الوفد أن سعد طلب مالا وان على شعراوى تردد وعز على على شعراوى ، وهو من كبار قومه ومن أكبر سراه المصريين ، والمتبرع بثلاثة آلاف من الجنيهات والذى غادر بلده وترك مصالحه لغاية وطنية ، والذى كان شجاعا فى كلامه مع ونجت يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ عز عليه أن يسمع من صديقه القديم مثل هذا الكلام فلم يعد الى مقر الوفد بعد ذلك ، وصمم على الرجوع الى مصر ، وقضى بضعة أيام فى انتظار الباخرة حزينا مهموما وحدة فى الفندق الذى يسكنه لا يكلم احد لانه لا يعرف لغة اجنبية وقد سعينا فى رأب الصدع وغاية ما وصلنا اليه أن اتفقنا مع سعد على اقامة مأدبه لعلى شعراوى ليلة سفره ٠

د٠ عاصم الدسوقى / محمد على علوبة ٠ ذكريات اجتماعية وسياسية ص ١٢٢ ٠

قصدت للآن ولعلى أنجح فيمـا بعد • ولقد ذكرت لكم شيئا كثيرا عنـه بجوابى المؤرخ ٢٤ سبتمبر خاصا بقدومه وبتصريحاته بالجرائد وهو فيه الكفاية » (١)

عبد الرحمن فهمى

وفى تقريرى المؤرخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩قلت فيه ما يأتى :

على باشا شعراوى لا يزال مبتعدا عن أعمال اللجنة ولم يحضر بها الا صباح اليوم بعد أن علم بمسألة دعوتنا لمقابلة اللورد اللنبى بالوكالة مساء أمس•ولا أعرف هل سيستمر على العمل معنا أم سيستمر على الابتعاد عنـا » •

عبد الرحمن فهمى

استقالة وزارة سعيد باشا (٢)

[٦٢٢] وفى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ قبلت استقالة وزارة محمد سعيد باشا وهذا هو نص كتاب الاستقالة الذى رفعـة سعيد باشا الى عظمـة السلطان :

« ياصاحب العظمـة

« حينما تفضلتم عظتكم فطلبتم معاونتى فى تاليـفالوزارة قد رأيت أن الواجب المفروض على أمـام وطنى يقضى على بقبول هـذه المهمة التى ما كنت أتجاهل أعباءها الثقيلة • فمع تعضيد عظمتكم وتأييدها قد بذلت كل ما فى وسعى للتغلب على المتاعب المتجددة فى كل يوم بقصـد ايجاد ما كان مرغوبا فيه من تهدئة الخواطر فى البلاد • على أنه قد حدث الأن اختلاف فى النظر بشأن ملائمة حضور اللجنة المعلن عن مجيئها الى مصر لما قد عرضته على مسامع عظمتكم • وهذا الاختلاف من شأنه أن يجعـل استمرارى فى العمل عديم الفائدة بالمرة للبلاد ولعظمتكم •

---

(١) نص التقرير : محمد أنيس : مصدر سابق ص ١٥١ ـ ١٥٤ •

(٢) سياسى مصرى ، ورئيس وزراء درس القانون واشتغل بالنيابة المختلطة • عين مستشارا فى محكمة الاستئناف ١٩٠٥ • اختير وزيرا للداخلية ١٩٠٨ ألف وزارته الأولى (١٩١٠ ـ ١٩١٢) ووزارته الثانية ١٩١٩ ، واستقال احتجاجا على لجنة ملنر التى ارسلتها الحكومة البريطانية للتحقيق فى مطالب المصريين • اشترك فى وزارة سعد زغلول ١٩٢٤ وزيرا للمعارف •

الموسوعة العربية الميسرة ص ٢ •

« لذلك أرنى مضطرا للتقدم بين يدى عظمتكم راجيا التكرم بقبول استقالتى من رياسة الوزارة مع خالص الشكر لما كنت ألاقيه على الدوام من التعطف العالى الذى كنتم تتفضلون به على ذلك الذى لايزال لعظمتكم (٢) .

« الخاضع الخادم المطيع »

« والعبد المخلص الأمين »

محمد سعيد

تاليف وزارة يوسف وهبه باشا (١)

[٦٢٣] وفى يوم ٢١ نوفمبر تم تاليف وزارة يوسف وهبه باشا . وقد أثار قبوله لرئاسة الوزارة ضجة شديدة واستياء بين عظيما بين صفوف الأقباط .

وهذا هو المرسوم السلطانى الخاص بتأليف الوزارة :

(٢) لمزيد من التفاصيل عن أسباب استقالة محمد سعيد ـ انظر د. يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٢١٤ .

(١) ولد ١٨٥٢ بالقاهرة عين عام ١٨٨٣ كاتب سر لجنة التحقيق مع العرابيين ترقى حتى عين مستشار فى محكمة الاستئناف المختلطة عين عام ١٩١٤ وزيرا للمالية وكان أول وزير مصرى يوقع أوراقا مالية مصرية هى التى صدرت خلال الحرب .

المرسوم السلطانى

[٦٢٤] « نحن سلطان مصر

« بعد الاطلاع على الأمر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩

« وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر فى ٢٧ صفر سنة ١٣٣٨

(٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٩) ٠

« وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ٠

رسمنا بما هوآت

« المادة الأولى »

« عين : « يوسف وهبه باشا وزير للمالية ٠

« واسماعيل سرى باشا ــ وزير للأشغال العمومية وللحربية والبحرية ٠

« وأحمد زيور باشا ــ وزيرا للمواصلات ٠

« وأحمد ذو الغفار باشا ــ وزير للحقانية ٠

« ومحمد توفيق نسيم باشا ــ وزيرا للداخلية ٠

« ومحمد شفيق باشا ــ وزيرا للزراعة ٠

« ويحيى ابراهيم باشا ــ وزيرا للمعارف العمومية ٠

« وحسين درويش بك ــ وزيرا للأوقاف ٠

« المادة الثانية »

« على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا)

صــدر بسراى عابـدين ٢٨ صفر سنة ١٣٣٨ (٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩) (١) .

« فـؤاد

بأمر الحضرة السلطانية رئيس مجلس الوزراء .

يوسف وهبـه »

اختيار الأستاذ مرقص بك حنا لوكالة لجنة الوفد المركزية

[٦٢٥] وعقب القاء القبض على رئيس اللجنة المركزية محمود سليمان باشا ووكيلها ابراهيم باشا عملت بكل ما أوتيت من قوة وحيلة لانتخاب مرقص بك حنا وكيلا للجنة وسبب ذلك يتضح للقارىء جليا فيما كتبته الى الوفد بعد ذلك بمدة بتقريرى المؤرخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ وهو :

« لما اعتقل صاحب السعادة محمود باشا سليمان وابراهيم باشا سعيد ونظرا لابتعاد محمود باشا أبو حسين عن أعمالنا خلا بذلك محلا الرئيس ووكيله ونظرا لاننا فهمنا من سياق الحوادث أن السلطة المتصرفة فى شئون مصر والملتفين حولها أرادوا باسناد مركز الرئاسة الى يوسف وهبه باشا بأن يكون هذا سببا من أسباب فتور العلائق بين عنصرى الأمة الأصليين ، أجمعنا كلمتنا على اختيار قبطى نسند اليه مركز الوكيل ليترأس اللجنة مدة ابعاد محمود باشا وابراهيم باشا رامين بذلك سهام كيد المضللين فى نحرهم ولنثبت لهـم أن هذه السفاسف أصبحت بعيدة عن أفكارنـا وان مبادئنا وطلباتنا القومية لا يمكن أن يقف أمامها أى عائق . فكان لذلك أحسن وقع فى نفوس الجميـع هنا وكان موضع الدهشـة والعجب فى نفوس من كانوا يريدون التفرقة » .

عبد الرحمن فهمى

[٦٢٦] وكتبت الى الوفد بشأن هذه المسألة فى نفس التقرير تعقيبا على ما أسلفت ما يأتى :

---

(١) نص المرسوم [illegible] المصرية العدد ١٠٦ فى ١٩١٩/١١/٢٢ .

« قبل أن نقرر هذا الانتخاب رسميا لمح عبد الخالق باشا مدكور الى أنه يميل الى اسناد هذا المركز اليه ، ففهمته القصد الذى نرمى اليه بهذا الانتخاب وكان متفقا معنا فى الرأى · ولكن قبل ان نقرر انتخاب مرقس بك حنا لهذا المركز رأيت من باب اللياقة أن أعرض رئاسة اللجنة (بالنيابة) على سعادة شعراوى باشا وبالفعل أرسلته على بك ماهر وآخر معه ·

وبعد مناقشة طويلة دارت بينهم أسفرت عن عدم قبوله لما عرض عليه » (١) ·

عبد الرحمن فهمى

احتجاج اللجنة المركزية
على اعتقال رئيس لجنة الوفد ووكيلها

وفى يوم ٢٠ نوفمبر أصدرت لجنة الوفد الاحتجاج الآتى :

[٦٢٧] اعتقلت السلطة العسكرية الشيخين الجليلين محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية وابراهيم سعيد باشا وكيلها وأمين صندوقها بالرغم من تقدمهما فى السن وبغير مراعاة لحالتهما الصحية ·

اعتقلتهما السلطة لا لسبب سوى قيامهما بواجبهما الوطنى داخل حدود القانون ·

وهذا مظهر من مظاهر سياسة الشدة التى لايمكن أن تؤثر فى حياة شعب مجيد كالشعب المصرى الواثق من عدالة قضيته والمعتمد على سلاح الحق فى الفوز النهائى ·

« من أجل ذلك تتقدم اللجنة للأمة معلنة أن العقابات التى تصادفها فى طريقها تزيدها تضامنا واتحادا وثباتا فى جهادها المشروع لخدمة الوطن العزيز » ·

---

(١) كان على شعراوى قد أخذ موقف « الانسحاب » من الحركة الوطنية بعد غضبة من حدة سعد فيما سبق الاشارة اليه فى المذكرات ·

« وقد قررت في جلستها المنعقدة يوم ٢٠ نوفمبر انتخابى حضرتى مرقس بك حنا المحامى وكيلا للجنة وفؤاد بك سلطان نائبا لأمين الصندوق » .

سكرتير اللجنة العام	وكيل اللجنة
عبد الرحمن فهمى	مرقس حنا

فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام

الاجتماع العظيم فى الكنيسة المرقسية الكبرى

وفى صباح يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ أى قبل أن يصدر المرسوم السلطانى بتشكيل وزارة وهبه باشا اجتمع ما يربو عن (١) الفين من أقباط الكنيسة المرقسية الكبرى للاحتجاج على قبول يوسف وهبه باشا رئاسة الوزارة الجديدة وهاك وصف الاجتماع :

[« وفى هذا الوقت كانت الحكومة الانجليزية تعد العدة لارسال لجنة برياسة اللورد ملنر الى مصر لدرس الحالة واقتراح النظام الذى نرى أنه يلائم مصر فى ظل الحماية البريطانية كما سيجىء وقد رأيت عندئذ أن خير ما يجب عمله فى هذا الظرف هو أن تقاطع البلاد اللجنة وأن تحيلها على الوفد المصرى بباريس لأنه يمثل الأمة تمثيلا تاما وأيدنى فى ذلك الوفد نفسه وأخذت الأمة بهذا الرأى وتلقت الأمة كلها هذا الرأى بالارتياح والتأييد ورأى محمد سعيد باشا رئيس الوزراء أن يجارى الأمة فى هذه الرغبة فأعلن انه هو والحكومة وعظمة السلطان لا يوافقون على حضور اللجنة وانها اذا حضرت كان معنى ذلك ان الحكومة الانجليزية لا تثق به هو وزملائه وأنه يفضل عندئذ أن يستقيل من منصبه .

فلما نشرت دار الحماية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ بلاغها الرسمى الذى تعلن فيه قدوم اللجنة وحددت غرضها بأنه هو اقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت ظل الحماية لم ير محمد سعيد باشا بدأمن الاستقالة كما أعلن من قبل فرفعها الى عظمة السلطان وقبلت هذه الاستقالة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ . وسيأتى ذكرها هذا بالتفصيل عند الكلام على لجنة ملنر .

وقد خلف محمد سعيد باشا فى رياسة الوزارة يوسف وهبه باشا وكان قبوله لهذا المنصب فى ذلك الوقت سببا فى استياء الأمة كلها منه

---

(١) صحتها على .

وقد اظهرت ذلك الاستياء بشتى الطرق وكان أشدهـا استياء الأقباط أنفسهم »] ٠

[٦٢٨] ازدحمت كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس بجمهور كبير من نخبة الشعب القبطى يربو عدده على الألفين فامتلأت بهم مقاعد الكاتدرائية ومماشيها ٠

ورأس الاحتفال حضرة القمص باسليوس وكيل البطريركية وافتتح الآباء القسوس الحفلة بصلاة شكر وكان شماسة الكنيسة واقفين بملابسهم الرسمية يحملون الشموع فشاركوا الآباء القسوس بترنيم بعض الأناشيد الدينية ٠

ثم نهض حضرة القمص سلامة منصور رئيس المجلس الملى بالقاهرة وبارك الحاضرين ودعالهم بالنجاح فى مقاصدهم الوطنية ٠ ثم دعا الخطباء فتقدمهم حضرة توفيق أفندى حبيب محرر جريدة الأخبار والقى الكلمات الآتيـة :

« أيها الاخوان فى هذا المكان الذى وصفه السيد المسيح بقوله ٠

« بيتى بيت الصلاة يدعى » نقف نحن المصريين لا فرق بين مسلم ومسيحى لنكرر أمام المذبح المقدس عهد التضامن والاخاء ٠

ينادى القبطى أخاه المسلم بأنه شريكه فى السراء والضراء لاتقصم عرى اتفاقهما خيانة فرد أو جماعة « يقف الآخران (١) ليشهدا العالم على براءة المجموع المصرى من كل لايقاسمهـم شعورهم وليعلنـا حكمهـم على القائد الذى سلم مفاتيح الحصن » ٠

نحن اليوم فى حرب معقلها الوطن العزيز ٠ المسئول عنه الجنود فردا فردا والرؤساء والزعماء قبل الجنود ٠

[٦٢٩] (أنتم تعلمون أن هناك فرقا عظيما بين زعيـم يسلم سيفه للعـدو مختارا ٠ وزعيم يحارب حتى يسقط مجندلا بين القنا والقنابل ليس لنا محكمة عسكرية تحكم على الخائن الا محكمة الرأى العام الذى لا نملك سواه فليعلن هذا الجمع براءته ممن سلم مفتاح الحصن وليعلن بلسان خطبائه أن المصريين كلهم يدا واحدة ينشدون الحق وللحق قوة لاتصرع مهما بذل فى اخماد نوره » ٠

---

(١) مكتوبة الاخران وصحتها الاخان ٠

وعقبة حضرة الشماس فرج أفندى جرجس فشرح الغرض من هذا الاجتماع الوطنى وأسهب فى بيان تضامن العنصرين ثم تكلم حضرة القمص حنا الياس قسيس كنيسة العذراء وأبان الفرق بين حى فى عداد الموتى وميت فى عداد الأحياء وختم كلامه بوجوب التضامن لنصرة النهضة المصرية .

ثم تكلم حضرة الفاضل توفيق أفندى عزوز فقال ان هذا الشعور الذى ترونه هذه الساعة ليس مقصورا على الرجال بل يشمل السيدات بدليل ما جرى أمس فى جمعية السيدات القبطيات فى شارع حمدى كما أنه يشمل حضرات الآباء القسوس بدليل اشتراكهم معنا فى هذه الحفلة ورياستهم لها واقتراح أن يقوم كل فرد بواجب فى الاحتجاج على تشكيل الوزارة وقبول يوسف وهبه باشا لرياستها .

وعقبة الفاضل لويس أفندى أخنوخ فانوس فقال ما مؤداه :

حيى الله شعبا ناهضا فى سبيل الحق ساهرا على المحافظة عليه أما بعد فيحسن بنا ونحن فى بيت الله أن نرجع الى كتابه المقدس ونعرف ما يعلمنا فى مثل هذا الموقف العصيب .

وقرأ من انجيل متى اصحاح ١٨ الآيات الآتية :

[٦٣٠] وأن أخطأ اليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ان سمع منك فقد ربحت آخاك وان لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار ثم قال لا مسلم ولا قبطى بل كلنا مصريون اذا انشق فرد فهو أخ مخطىء للجميع لا لفريق خاص وقد اجتمعنا هنا لأن المصريين يضطرون للاجتماع فى الكنائس والجوامع لعدم وجود مجالس نيابية تمكن الشعب من التعبير عن أفكاره وأمياله السياسية وها نحن أولا نجتمع هنا بالتضامن ويد الله مع الجماعة ما داموا فى سبيل الحق سائرين .

وخطب حضرة الشاب النبيه كامل أفندى جرجس عبد الشهيد(١) بالنيابة عن الطلبة فأبان واجب كل وطنى نحو من يخون بلاده وختم كلامه بقوله :

---

(١) كان واحدا من المتهمين الذين قبض عليهم فى قضية المؤامرة الكبرى التى اتهم فيها عبد الرحمن فهمى وآخرون ، حكم عليه بالسجن ٥ سنوات وتغريمه ١٠٠ جنيه وعدلت الى السجن ثلاث سنوات .

الوطنيــــة ديننـا والاستقلال حيـــاتنا .

وعقبة حضرة الخطيب المفوه القمص مرقس سرجيوس فقوبل بتصفيق عظيم والقى خطبة مناسبة للمقام (١) .

وكان فى الكنيسة منضدتان أعدت عليهما ادوات الكتابـة وصورة بيان احتجاج عنوانه الى الأمة المصرية فوقعه الحاضرون وهم خارجون كل بامضائه واتفق الحاضرون على ارسال التلغراف الآتى فأرسل بتوقيع رئيس الاجتماع حضرة القمص باسليوس وكيل الدار البطريركية :

" حضرة صاحب المعالى يوسف وهبه باشا مصر "

الطائفة القبطية المجتمع منها ما يربو على الألفين فى الكنيسة الكبرى تحتج بشدة على اشاعة قبولكم الوزارة اذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر . وهذا يخالف ما اجمعت عليه الأمة المصرية من طلب الاستقلال التام ومقاطعة اللجنة فنستحلفكم بالوطن المقدس وبذكرى أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن .

الامضــــاء

القمص باسيليوس وكيل البطريركية القبطية

---

(١) كان القمص سرجيوس قد اكتسب شهرة واسعة نتيجة لمشاركته في الخطب الثورية التي كانت تلقى في الأزهر .

احتجاج الأقباط
على وزارة يوسف وهبه باشا

[٦٣١] وهذا هو نص الاحتجاج المشار اليه والذى وقعه بعض البارزين والمفكرين من الأقباط :

« الى الأمة المصرية »

علمنا أن صاحب المعالى يوسف وهبه باشا قد قبل فى الظروف القاسية العصيبة التى تجتازها الأمة أن يقوم بتشكيل الوزارة بعد البلاغ الرسمى الأخير الذى تضمن تمسك الانجليز بالحماية على مصر .

وحيث أنه لا يمكن تفسير هذا القول الا بقبول الحماية والعمل تحت لوائها ومعاونة لجنة اللورد ملنر فى تقرير مصير البلاد .

وحيث أنه يخشى أن يعتبر الانجليز الذين يسنون جهدهم لتشويه حركتنا الوطنية ووحدتنا القومية قبول الرجل لهذا المنصب بمثابة رضاء أقباط مصر أوفريق منهم عن وزارته أو عن سياسة هذه الوزارة أو أى سياسة لاترمى الى اناله مصر استقلالها التام .

وحيث أن وهبه باشا لم يمثل فى وقت من الأوقات أمانى الأقباط ولم يشترك معهم فى شعورهم القومى أيا كان نوعه .

وحيث أنه فى الوقت الذى اجمعت فيه الأمة المصرية وتوحدت كلمتها على المطالبة بجميع حقوقها والسعى اليها يدا واحدة وقلبا واحدا .

وحيث أنه لافرق بين مسلم وقبطى بل المصريون كلهم شخص واحد ولكن الأقباط يرون أنفسهم مضطرين الى أن يتقدموا بصفتهم أقباط لاظهار شعورهم حيال هذا الحادث .

لذلك هم يعلنون براءتهم من كل رجل أو هيئة تقبل الحماية أو تساعد على تعضيدها فلكل هذه الأسباب يعلن الموقعون على هذا

اشتراكهم مع سائر طبقات الأمة المصرية فى الاحتجاج على تشكيل الوزارة الجديدة ٠

وقد وقع الاحتجاج من جميع الحاضرين ٠

[٦٣٢] ولقد كتبت الى الوفد عن هذا الاجتماع فى تقريرى المؤرخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« حصـــل اجتماع كبير بالكنيسة المرقسية يوم الجمعة ٢١ نوفمبر حضره أكثر من ألفى شخص (١) من عليه الأمة القبطية وكتبوا احتجاجا شديدا جدا ضد ترشيح يوسف باشا وهبه لرئاسة الوزارة وضده اذا قبل وهو غاية فى الأحكام ٠ ولقـــد أرسلت صـــورة منه داخل ملف الجرائد الذى أرسل من هنا بتاريخ ٢٣ نوفمبر وهذا التنويه هنا هو للعلم بهذا الاحتجاج وما اشتمل عليه فيما اذا كان لم يصل مع ملف الجرائد ٠

« وكان الاجتماع تحت رئاسة القمص باسيليوس وكيل البطريركخانة وبحضور خمسة آخرين من القمامصة ولقد أوجد هذا الاحتجاج رجة شديدة فى المقامات العالية وسبب مضايقة شديدة ليوسف باشا وهبه ٠

ولما علمنا بأن الأمة القبطية الكريمة استاءت جدا من قبول يوسف باشا وهبه رئاسة الوزارة فى هذه الظروف الحرجة وانها تخشى أن يسبب هذا نفورا بينها وبين الأمة الاسلامية ، استصحبت ستة من اخوانى أعضاء الوفد واللجنة وتوجهنا الى الكنيسة يوم الأحد ٢٣ نوفمبر الماضى وابدينا لهم مشاركتنا لهم فى تألمهم من قبول يوسف باشا وهبه لمركزه الجديد ، وأكدنا لهم أن هذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يسبب أى فتور فى علاقاتنا لأنه اذا كان وجد من بينهم خارج على رأى أمته قبل الوزارة فى هذه الظروف الحرجة فقد وجد عندنا من سبقة كذلك من المسلمين ٠ ولقد كلفنا الأستاذ [٦٣٣] مصطفى القاياتى بأن يخطب فى القوم فى هذا المعنى ٠ وبالفعل قال كلمة كان لها أحسن وقع فى نفوس الجميع ٠

عبد الرحمن فهمى

---

(١) مكتوبة اربعة آلاف ثم مشطوب ومعدلة الى « الفى شخص » وبالعودة الى نص الخطاب وجد انها اربعة آلاف ٠

انظر النص فى محمد أنيس مصدر سابق ص ١٥٧ ـ ص ١٦٢ ٠

المحامون ولجنة ملنر

[٦٣٤] ولما علم حضرات المحامين بقرب قدوم لجنة ملنر الى مصر وخشوا أن يفاجئهم حضور اللجنة قبل أن يتخذوا قرارا ضدها عقدوا جمعيتهم العمومية فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ وقرروا بالاجماع الاضراب عن العمل اسبوعا يبتدىء من اليوم التالى لحضور اللجنة احتجاجا على قدومها وان يجتمعوا قبل انتهاء الأسبوع بيوم كى يقرروا الخطة التى يتبعونها حسب الظروف (١) ٠

اعتقال على بك ماهر عضو الوفد وبعض البارزين

[٦٣٥] وفى يوم ٢١ نوفمبر اعتقلت السلطة الانجليزية حضرةعلى بك ماهر (٢) عضو الوفد ٠ وكيفية هذا القبض أن قصد منزل حضرته بمصر الجديدة ضابطان أحدهما مصرى والآخر انكليزى ومعهما جنديان انكليزيان وسألا عنه بواب المنزل فابلغهما أنه خرج للتجول على دراجته حسب عادته يوميا وأثبت لهما ذلك بأثر سير الدراجة فوقفا مع الجندين على الباب ٠

ولما حضر على بك ماهر دخل من باب المنزل الخلفى وصعد الى مسكنه فابلغ الخبر وعندئذ غير بذلته وحمل حقيبة صغيرة فيها أدوات الحلاقة ونزل لمقابلة الضابطين اللذين أبلغاه أمر القبض عليه فسار معهما الى ثكنة قصر النيل ٠

وفى المساء ذهب الدكتور محمود بك ماهر ومحمد بك بدر الى الثكنة المذكورة وقابلا القومندان وسلماهفراشا وغطاء لعلى بك ٠

وفى نفس الوقت كان قد صدر الأمر بالقبض على الأستاذ عاطف بركات بك ناظر مدرسة القضاء الشرعى ومن كبار المشتغلين بالحركة

---

(١) اجتمع المحامون أمس العصر بناء على دعوة نقابتهم فحضر منهم نحو مائة محام فعرضت عليهم النقابة قرارها بالاحتجاج على حضور لجنة اللورد ملنر فوافقوا عليه ثم اقترحوا ان يضرب المحامون عن العمل اسبوعا علامة الاحتجاج فوافق المحامون الحاضرون على ذلك ٠

المقطم ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ ص ٢ ٠

(٢) على بك ماهر قانونى وسياسى مصرى عين قاضيا بمحكمة مصر شقيق محمود واحمد ماهر وقريب عبد الرحمن فهمى نفسه (ابن أخيه) ٠

انظر مقدمة الجزء الأول من المذكرات ٠

الوطنية ولما بحث عنه فى منزله بمصر لم يوجد ولذلك القى القبض عليه فى عزبته واحضر الى القاهرة .

وفى يوم ٢٥ نوفمبر اعتقل الأستاذان مصطفى القاياتى ومحمود أبو العيون . وتوالت بعد ذلك الاعتقالات وأمر كثير من الكبراء بأن يلزموا عزبهم أو بلادهم .

[٦٣٦] هذا ولما اتصل نبأ تلك الاعتقالات الأخيرة للوفد أرسل سعد زغلول باشا التلغراف الآتى الى لجنة الوفد المركزية وهو :

باريس فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

مرقس بك حنا المحامى بالقاهرة ..

ساءنا نبأ الحوادث المحزنة الأخيرة التى تقع فى مصر كما ساءنا اعتقال محمود باشا سليمان وابراهيم باشا سعيد وعلى بك ماهر .

ولاشك ان هذه الاضطهادات الواقعة علينا تحمل العالم على اجلال حركتنا وتمجيدها كما تحملنا على زيادة تضامننا وعلى تذرعنا بالثبات والشجاعة اللائقين بصعوبات الساعة العصيبة التى نجتازها الآن .

وقد احتججنا لدى ذوى الشأن فى العالم الغربى على هذه التصرفات وقد صادفت تعيينات اللجنة المركزية ارتياحا عظيما فى نفوسنا وخففت كثيرا من الآمنا .

والأنباء الواردة لنا من محمد باشا محمود من أمريكا تدل على التفاؤل الحسن بخصوص المسألة المصرية .؟

سعد زغلول

[٦٣٧] ولقد كتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ عن أنباء الاعتقالات ما يأتى :

« سعادة الرئيس

« تحية واحتراما وسلاما لحضرات الاخوان الأعزاء وبعد فلقد عاد اللورد اللنبى من انجلترا مزودا بشدة متناهية فى كل شيء وسبق عرفنا سعادتكم مادار بيننا وبينه من الحديث يوم أن استدعانا لمقابلته بدار

الحماية صحبة صاحبي السعادة محمود باشا سليمان وابراهيم باشا سعيد اللذين بقيا معتقلين بثكنة قصر النيل يومى الخميس والجمعة وبعد ظهر يوم السبت احضرت السلطة مركبا بخاريا قاد ذهبية محمود باشا الى جهة أسيوط فوصل سعادته الى بلدة فى ستة أيام وكان بالرفاص ضباط وجنود انجليز لتوصيل الباشا الى بلده ٠

« أما ابراهيم باشا سعيد فقد رحل الى بلده صحبة ضابط بطريق السكة الحديد صباح الأحد ٢٣ نوفمبر ٠

« وأما على بك ماهر فقد بقى فى قصر النيل الى يوم السبت ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ورحل فى المساء مع ضابط الى جهة الاقصر وأمر بعدم مبارحتها ٠

« واعتقلت السلطة بعد اعتقال على بك ماهر كلا من الشيخ مصطفى القاياتى والشيخ محمود أبو العيون (١) من قواد الحركة بالأزهر » ٠

عبد الرحمن فهمى

خطاب اللورد كيرزون فى مجلس اللوردات الانجليزى

[٦٣٨] وفى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ أذاعت شركة روتر التلغرافية الخطاب الذى ألقاه اللورد كيرزون (١) فى مجلس اللوردات الانجليزى وهذا نصه :

« أبدأ بكلمات قليلة عن الحالة المحلية فى مصر فأقول :

« لما وقفت أمام حضراتكم فى شهر مايو ـ واذكر أن ذلك كان يوم ١٥ منه ـ كانت وزارة ـ رشدى باشا القصيرة الأجل قد انتهت ولم يكن اللورد اللنبى قد وفق الى اختيار خلف له ٠ وبعد ذلك بأيام قلائل تقلد الوزارة محمد سعيد باشا الذى سبق له تقلدها من سنة ١٩١٠ الى سنة

---

(١) فى نص التقرير أبو العنين وليس أبو العيون ٠

انظر محمد أنيس : المصدر السابق ص ١٥٧ ، ص ١٦٢ ٠

(١) وزير الخارجية البريطانية ٠

١٩١٤ فألف ادارة مصرية . وكانت مهمته الأولى اعادة النظام والسكينة فى البلاد التى كانت لاتزال مضطربة بآثار الثورة الفجائية التى حدثت فى الربيع الماضى فوجه هو وزملاؤه كل مجهوداتهم الى هذه المهمة ونجحوا فيها نجاحا حمل اللورد اللنبى فى شهر يوليو على تحويل قضايا الاضطرابات التى وقعت فى شهرى مارس وابريل الى المحاكم الأهلية ما عـدا قضايـا التعدى على قوات جلالة الملك وأعرب عن اطمئنانه الى الوزارة وتعقل الأمة بالغاء الرقابة التحفظية على الصحف .

« وكانت الأحوال فى هذا الوقت قد عادت الى مجراها الطبيعى وكان الفلاحون هم نحو تسعين فى المائة من مجموع السكان يتمتعون برغد لم يسبق له مثيل مما أنساهم عواصف الفترة التى مرت بهم أثناء الحرب ، أما فى المدن فقد كان غلاء المعيشة ـ الذى أخشى أن يكون باقيا الى الآن ـ سببا فى استمرار التـذمر فاستخدم زعمـاء الوطنيين هذه الظروف فى مواصلة حمـلاتهم على رئيس الوزارة والدولة الحاميـة التى اتهمهـا هذا الرئيس بالخضوع لها خضوعا لايليق .

[٦٣٩]

«فى أوائل يونيو حدثت فى القاهرة مظاهرات صغيرة لم ينشأ عنها أى اضطراب خطير أو اخلال بالأمن العام .

وفى شهر أغسطس بدت علامات القلق فى دوائر العمل بين طبقات مختلفـة من عمال المدن وكانت الأسباب الأساسية لهذا القلق اقتصادية ولكن المحرضين صرفوها الى الأعراض السياسية ولم تفتهم فائدة اتخـاذ الاضراب سلاحا يتذرعون به الى أغراضهم . ومن ثم أنشئت النقابات وكان للاشتراكيين الأجانب دخل غير قليل فى اشعال جذوة القلق الذى كان قد شاع بين عمال المدن الكبرى .

« وفى يوم ٢ سبتمبر حاول بعضهم قتل رئيس الوزراء بالقاء قنبلة عليه . فقبض على الجانى وهو طالب صغير فى الجامع الأزهر ولاشك أن الباعث على الجريمة دافع سياسى .

« وشرعت الحكومة فى نظر مطالب العمال المشروعة بتأليف لجنة توفيق لم تقصر فى الوصول الى تحسين محسوس لأحوال العمـال وسنت الحكومة نفسها سنة حسـنة فى هذا الموضوع فمنحت الموظفين من جميع الدرجات علاوات طيبة .

« وكانت دعوة المتطرفين قد لقيت مشجعا كبيرا فى أوائل سبتمبر بما أذيع من باريس تلغرافيا وفحواه أن مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة

قرر أن مصر لا تعد تابعة لتركيا أو لبريطانيا العظمى وانها مستقلة من الوجهة السياسية ومع أن هذه الاشاعة كذبت رسميا ببلاغ صدر من الوكالة [٦٤٠] الأمريكية فى القاهرة فقد كان تأثيرها كبيرا ولم يكف حزب الوطنيين عن الاعتقاد بأن دعوتهم لقيت العطف وستلقى المساعدة من بعض الدول العظمى • وحضراتكم تعلمون أن فرنسا وأمريكا من هذه الدول العظمى قد اعترفتا رسميا بالحماية البريطانية ووعدت ايطاليا بالاعتراف بها وقد تضمنت معاهدة الصلح مع ألمانيا الاعتراف بالحماية البريطانية وايدها جميع الموقعين على المعاهدة فكل أمل من هذه الناحية مقضى عليه بالخيبة التامة •

كذلك كان مجرى الحوادث فى مصر الى منتصف الخريف وفى شهر أكتوبر بدرت رجعة (١) شديدة الى الاضطراب وسأتكلم عليه فيما بعد • وكان لهذا الاضطراب علاقة واضحة مباشرة بتوقيع سفر اللجنة التى يراسها صديقى النبيل اللورد ملنر ولهذا أرجع بحضراتكم الى التاريخ الذى أعلن فيه العزم على ارسال هذه اللجنة لأول مرة والغرض الذى ترسل من أجله •

«ففى شهر مايو الماضى أعلنت عزم حكومة جلالة الملك على ارسال لجنة من هذا القبيل وعينت غرضها بأنه « البحث عن أسباب الاضطراب الأخير فى مصر والتبليغ عن حالة ذلك القطر الحاضرة وشكل الدستور الذى يكون تحت الحماية أوفق لاطراد الأمن والرفاهية فيه وتطورة المترقى فى أنظمة الحكم الذاتى وحماية المصالح الأجنبية » •

« وانى ألفت النظر بنوع خاص الى عبارة « التطور المترقى فى انظمة الحكم الذاتى » (٢) فقد تجوهلت هذه العبارة فى الهياج التالى تجاهلا تاما وعلى عمد كما يظهر مع أنها مفتاح السياسة التى ستضعها اللجنة نصب أعينها • وكانت النية فى ذلك الوقت ارسال اللجنة بمجرد اتمام تشكيلها [٦٤١] ولكن المصاعب اعترضت من عدة سبل فقد تبين أنه ليس من السهل الاهتداء الى الأعضاء الذين لديهم من المكانة والخبرة ما هو مطلوب لهذه المهمة ولم يكن فصل الصيف بأحسن الأوقات الملائمة لاجراء البحث فى داخل قطر جوه كجو مصر • وكان من المستحسن أن يترك للادارة المصرية الجديدة فرصة لتوطيد مركزها • ثم كان من المظنون فى ذلك الوقت

---

(١) يقصد « عودة نشطة الى الاضطراب » •
كان النص الانجليزى
"The sharp recrudescence of disorder in October ..."

(٢) ترجمة لعبارة •
"Progressive development of self governing institution".

ـ وهو أمل خاب ـ ان مؤتمر الصلح بباريس ربما يصل قبل الخريف الى حل للمسألة الشرقية . وقد أبلغنا اللورد اللنبى الذى تعتمد حكومة جلالة الملك على رأيه اعتمادا كبير أن سلطان مصر ورئيس الوزارة يميلان الى ارجاء حضور اللجنة الى الخريف وانه يوافق على رأيها فلهذه الأسباب تأخر موعد سفر اللجنة على أن حكومة جلالة الملك وافقت الى تاليفها من أعضاء مارس ثلاثة منهم العمل فى الادارة المصرية (١) وكلهم ممن تؤهلهم صفتهم التمثيلية ومنزلتهم الرفيعة وسمعتهم الذائعة لاكتساب الثقة العامة بتوافر روح العدالة والعطف فى البحث الذى يوفدون لاجرائة ولست أشك فى أنهم سيخدمون مصر خدمة عظيمة برياسة صديقى النبيل اللورد ملنر الذى طالما اقترن اسمه بتلك البلاد .

« اتقدم الآن الى بيان الغرض الذى يعمل له اللورد ملنر وزملاؤه . ولابد أن حضراتكم قرأتم فى الصحف ان الحملات التى وجهت الى اللجنة كانت تدور فى أكثر الأحيان حول كلمتى « الحماية البريطانية » وان هاتين الكلمتين كانتا أشبه بنهليله الحرب فى الهياج الذى اضطرم فى مصر وأرى من اللازم أن نزيل اللبس عن مسألة لا أقول انها مسالة حيلة لاننى أعتقد أن الشكوك التى حامت حولها صادرة عن اخلاص وان كانت نتيجة سوء تفاهم بارز محسوس .

[٦٤٢]

« فالحماية البريطانية أعلنت على مصر فى سنة ١٩١٤ بعد أن اضطررنا الى اشهار الحرب على تركيا . ولم يكن يقصد بهذا العمل ولا كان يفهم منه انتهاك حرية مصر بل قررته وزارة المستر اسكويت معتقدة أنه الطف وأكرم كثيرا من الضم الذى كان يلح الكثيرون فى طلب اعلانه .

وقد أعلن يومئذ ضم قبرص التى كانت تديرها وزارة المستعمرات منذ زمن طويل كأنها قطعة من الامبراطورية البريطانية ورفض ذلك فى أمر مصر عن عمد وحكمة ـ على ما أرى ـ اذ كان الغرض افساح المجال لآمال المصريين السياسية وكفايتهم للحكم الذاتى فى الدائرة الواسعة التى تتضمنها صيغة الحماية .

« والاحظ أن كثيرا من الأخذ والرد يدور اليوم حول قول القائلين بأن الحكومة لم تحاول عند اعلان الحماية البريطانية على مصر فى سنة

---

(١) تكونت اللجنة من اللورد ملنر رئيسا وعضوية كل من الجنرال سير جون مكسويل وسير رينل رود وبريجادير جنرال سير اوين توماس ومستر سنبدر وكل من المستر لويد والمستر انجرام بصفتهم سكرتيرين .

١٩١٤ أن تفسر كنهها ومقتضياتها . على انني لا اذكر أن هذه العبارة تكررت أو وردت على لسان أحد قط في ذلك العهد . وربما لاح للناظر من خلال الحوادث الأخيرة انه كان الا جدر بوزارة المستر أسكويث — وقد كان اللورد كتشنر على مقربة منها — أن تتوسع شيئا ما في التفسير . ولكني أظن حضراتكم تفهمون بسهولة لماذا لم يحصل ذلك . فليست مصر وحدها بل العالم الغربي كله تقريبا والعالم الشرقي على وشك أن يلحق به هي التي كانت حينئذ في شغل شاغل بتلك الصدمات الأولى من العراك العنيف الذي قدر له أن يستمر أربع سنوات بعد ذلك . وكانت مصر نفسها مهددة وحدودها في خطر . وقد احتشدت على أرضها جيوش جرارة أما للدفاع عن قناة السويس أو في طريقهم الى ميادين الحرب المختلفة فأصبحت مصر خلية تدوي بأشغال الحرب وانفعالاتها «وبين السيوف تصمت القوانين» (١) [٦٤٣] فلم يكن في الوقت متسع للتكلم في السياسة وصوغ التعريفات الدستورية .

« ولو فرضنا أن هذه المحاولة حصلت بصفة جدية لتقرير شكل الدستور المصري بعد الحرب بالاتفاق مع السلطان حسين ووزراء ذلك العهد فلست أظن انه كان يرى من الممكن عمليا الافضاء بها في ذلك الوقت . أما اليوم فقد تغيرت الحالة وأصبحت الأسئلة التي ربما كان يصعب الاجابة عنها مما يسهل عرضها اليوم والاجابة عليه بالجواب الصائب . فما هي حقيقة مركزنا في مصر وما هي المهمة التي تزود بها اللجنة لاستنباط شكل الحكومة في المستقبل ؟

« لا أراني في حاجة الى بسط الأسباب التي اضطرت بريطانيا العظمى الى الاهتمام بحظ مصر السياسي وجعلتها في موقف لا تستطيع معه أي تشجيع للمطالبة بالاستقلال القومي التام . ففضلا عن أن مصر اذا تركت وشأنها لا تقوى على حماية حدودها من الاغارة الخارجية أو على اقامة حكومة قوية منصفة في داخلها فأن موقعها الجغرافي على أبواب فلسطين التي يحتمل قريبا أن تلقى فيها على عاتقنا تبعة خاصة ووجودها على مدخل أفريقيا وفي طريق الهند تجعل من المستحيل على الامبراطورية البريطانية اذا أرادت المحافظة على سلامتها وسلامة ملحقاتها أن تتخلى عن تبقها في مصر .

[٦٤٤] « ولاشك إن المصلحة الأولى في هذه المسألة هي المصلحة المصرية ويجب أن تكون العناية بحسن نظام الحكومة ورفاهية المصريين وسعادتهم

---

(١) ترجمة للتعبير اللاتيني Inter arma silent leges.

أول ما يلتفت اليه . الا انها أيضا مصلحة بريطانية ذات أهمية رئيسية وأظن انه قل أن يوجد أحد ينكر أنها كذلك مصلحة تهم العالم أجمع . ولا ضمانة لمصلحة العالم أفضل من بقاء مصر تحت اشراف دولة عظيمة متمدينة .

فاذا سلمنا بهذه الأمور الأساسية التى تنطوى على المسألة بحذافيرها والتى لا يمكن ان تقبل المناقشة فيها حكومة بريطانية أو حزب من الأحزاب فقد يبقى بعد ذلك مجال للاختلاف البعيد فى الآراء على الشكل الذى يجب ان تتمثل به المصلحة البريطانية ولا أريد الآن أن احاول تعريف صيغة الحماية تعريفا علميا فهى من الوجهة الدستورية معروفة فى جميع الأمم والعصور ومعانيها تتفاوت من درجة راقية فى المراقبة السياسية أو الادارية الى حالة تزيد قليلا عن منطقة النفوذ السياسية وفى كلتا الحالتين لا تخلو الحماية من تعهد الدولة الحامية برد الاغارات الخارجية عن الحكومة المحمية وضمانة المعاملة للرعايا الأجانب فيها وصيانة مصالحهم وعلى العموم الهيمنة على علاقاتها السياسية والأجنبية . أما الدرجة التى يصل اليها حق التدخل فى شئون الادارة الداخلية فلم يتصد قانون لتقديرها وانما تقدر فى كل حالة على حسب كفاية الحكومة المحمية والظاهر ان هذه القواعد الدستورية الشائعة قد أصبحت على خطر النسيان فى مسالة مصر فصار يفهم من الحماية خطأ أنها نوع من الضم مغشى بغشاء رقيق .

« أن تاريخ مصر الدستورى منذ منحت النظام الانتخابى الذى وضعته لجنة لورد دفرين منذ أربعين سنة تقريبا والذى آل أمر الى قانون ١٩١٣ الأساسى ـ وهو القانون الذى لم تكن له نتيجة عملية قط بسبب نشوب الحرب فى السنة التالية لصدورة هذا التاريخ كان ينبغى أن يكون فيه الجواب المقنع على هذه الظنون . ولو كان الغرض الضم الصريح أو المقنع لتم ذلك فى شتاء سنة ١٩١٤ ولكنه لم يقصد يومئذ ولا هو مقصود الآن .

[٦٤٥]

« ان الفكرة القائلة بأن الأمال المصرية أو القومية المصرية ستسحق أو تنكر لهى تصور فاسد لا يسعنى الا تأكيد نفيه مهما بالغت فى ذلك . فقد عين الغرض الذى توفد من أجله لجنة ملنر ببلاغ أصدره اللورد اللنبى فى القاهرة بناء على تعليمات حكومة جلالة الملك . وقد نشر البلاغ فى الصحف هنا وفى كل مكان ولابد ان حضراتكم اطلعتم عليه . وارجو أن تسمحوا لى فى هذه المناسبة ان أزيد كلمات قليلة فى هذا الموضوع .

« تكلمت على التبعات المسندة الينا وعلى واجباتنا نحو مصر تلك التبعات التى لا يسمح بريطانيا العظمى التجاوز عنها أو التفريط فيها .

فمصر تعتمد على بريطانيا لاجل وقايتها من الاغارة الأجنبية وتبقى لها قوميتها. الا ان فى داخل هذه الحدود ميدان واسعا يدعى فيه المصريون الى الاشتراك فى حكم بلادهم اشتراكا يزداد لا محالة على توالى الأيام . ونحن نعترف بمشروعية هذه الآمال ونريد ان نهيء لها ما يرضيها فان التطور المترقى فى أنظمة الحكم الذاتى فى مصر هو أمنية لهم أن يشاطرونا اياها كما نشاطرهم فيها فانه لا يليق أن يظن بأن شعبا كالشعب المصرى تتمتع طبقاته العليا بآداب عالية وله ذكرى تاريخية مشهورة يرضى أن يقنع فى ادارة بلاده بالخضوع والتسليم . وسيكون غرض اللورد ملنر وزملائه أن يضعوا باستشارة السلطان ووزرائه ومندوبى المصريين من جميع الطبقات ـ تفاصيل نظام به تستطيع جميع هذه الفئات فى دوائرها أن تشترك بدرجة متزايدة فى ادارة شئون البلاد . أما المساعدة البريطانية والارشاد البريطانى فلا يزالان لازمين وعندى انه لايعارض فى ضرورة هذا الاشراف أحد ممن تتبعوا تاريخ مصر فى الأربعين سنة الماضية ورأوا التقدم المدهش الذى نالته تحت وصايتنا .

[٦٤٦]

« ان لجنة اللورد ملنر ليست ذاهبة الى مصر والدستور فى حقيبتها ولكنها تنوى استشارة جميع الهيئات قبل أن تكون لديها أية فكرة ولم تخول اللجنة فرض دستور على مصر وكل ما عليها عمله هو القيام بالأعمال المبدئية اللازمة قبل تقرير شكل الحكم فى المستقبل . وستستطيع اللجنة أثناء اشتغالها بهذه المهمة أن تكون ـ بمساعدة ما جمعه اللورد اللنبى من المواد ـ فكرة عن أسباب القلاقل الأخيرة والامتعاض الحالى ـ وبعض هذه الأسباب غامض ولكن غيرها جلى يمكن ازالته ـ فتستطيع كما أرجو أن تقدم علاجا لها ـ وستسمع اللجنة بلا مراء كثيرا من الشكاوى وانى واثق بانها اذا وجدت عيوبا فى الادارة أقيم عليها البرهان والدليل أشارت بازالتها غير دانية ولا مترددة » .

برنامج الوزارة المصرية

« ولا ريب فى أنه لو كانت هذه النيات معروفة لوثقت لجنة اللورد ملنر لا من مقابلة غير ودية بل من أحسن ترحيب ودى من جانب جميع أصدقاء الجنسية المصرية والتقدم المصرى . وانى واثق من أن اللجنة ستستقبل بمثل هذا الاستقبال على يد الوزارة المصرية الجديدة التى ألفت برئاسة يوسف وهبه باشا والتى تولت ادارة الأعمال عند استقالة محمد سعيد باشا منذ أيام قليلة. وقد أرسل الينا المندوب السامى يثنى على صفة

[٦٤٧]

الوزارة وتأليفها . وقد تولت الآن أعمالها وهي تشاطر حكومة جلالة الملك آراءها المنطوية على الرجاء وقد صممت أن تعاون باخلاص وولاء في تنفيذ هذه الآراء ...

« سبب تأجيل اللجنة »

« لاحظت أن بعض الدوائر تساءلت لماذا لم تسافر اللجنة في أوائل الخريف – اذا كان هناك من الأسباب الجوهرية ما دعا الى تأجيل سفرها في منتصف فصل الصيف – وقيل ان تأخير سفرها أوجد اعتقادا ينطوي على عدم الحزم والتردد . فجوابا على ذلك أقول اننا كنا راغبين كل الرغبة في ارسال اللجنة واتخذنا جميع الوسائل اللازمة لسفرها في شهر سبتمبر ولكن حال دون تنفيذ مشروعنا سببان : الأول أن رئيس الوزراء السابق طلب غير مرة بأشد لهجة ممكنة تأجيل قدوم اللجنة وكنا نميل بقدر الامكان الى السير به معنا . ثانيا – استدعى اللورد اللنبي الى أوربا لأغراض أخرى فقد كنا نريد الانتفاع بمشورته فلم نشأ أن نعمل وهو غائب عن مصر . وقد اشار – على أثر عودته الى القاهرة وتقديره الحالة – بسفر اللجنة مع أقل تأخير ممكن . وتتخذ الآن الاستعدادات اللازمة لسفرها عما قريب .

« وقد تقدم طلب آخر وجد ارتياحا كبيرا في مصر وهو ألا تقوم اللجنة بمهمتها حتى يمضي الصلح مع تركيا . وقد يكون لهذا الطلب شيء من القيمة في خلال الصيف الماضي عندما كان يرجو كل انسان ان يوجه مؤتمر باريس – بعد فراغة من الأعمال الأخرى – اهتمامه الى وضع الصلح مع تركيا بدون تأخير . على أن هذه الآمال قد خابت ومع أن حكومة جلالة الملك تتوق الى أن تأخذ على عاتقها في أقرب وقت القيام بالادوار الأخيرة من أعمال المؤتمر . وقدمت اقتراحات رسمية الى دول الحلفاء الأخرى بما يتضمن ذلك فاننا لم نصل بعد الى النقطة التي تستطيع عندها البدء في بحث هذا الموضوع أو اعداد الطريق لتسوية مسالة الشرق . على انني أود أن أقول انه مهما كان شكل الصلح الذي يبرم مع تركيا وأيا كان تاريخ ابرامه فان ذلك لا يؤثر باية حال من الأحوال في حل المشكلة المصرية فان العلاقة السياسية التي كانت تربط تركيا بمصر قد انتهت ولا يمكن التصور بأن هذه العلاقة ستعود . وليس على مصر أن تتطلع الى تركيا لتحقيق أمانيها الخاص بمستقبل شعبها ومهما كانت الشروط التي تفرضها الدول على تركيا فان الاعتراف بالحماية البريطانية الذي قامت

به ووعدت بالقيام به جميع الدول الكبرى ـ سيكون جزاء لاينفصل عن معاهدة الصلح فى حين أنه ليس فى المعاهدة شرط واحد يغير بأية حال من الأحوال المبدأ الأساسى الخاص بالتحقيق الذى عهد به الى لجنة اللورد ملنر وأعنى به التطور المترقى فى انظمة الحكم الذاتى المصرى تحت الحماية البريطانية » ٠

« الحوادث الأخيرة »

« بقى على أن أذكر كلمات وجيزة عن القلاقل والاخلال بالنظام والاضطراب الذى تجدد لسوء الحظ فى مصر خلال الأسابيع القليلة الماضية ٠ ففى شهر أغسطس صارت نقمة الوطنيين فى مصر تزداد مرارة لما ظهر تأخير مؤتمر الصلح فى معالجة المسألة العثمانية وعجزت لجنة زغلول عن أن يسمع صوتها فى باريس ثم عمل الوطنيون المصريون على مقاطعة لجنة ملنر باشارة حزب زغلول الذى عاد من أعضائه كثيرون الأن الى مصر واستمر التحريض يزداد شدة الى أن ختم بمشاغبات شديدة وقعت فى الاسكندرية فى أيام ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ أكتوبر وتطلب الأمر الالتجاء الى مساعدة الجنود البريطانية لاعادة النظام وقد تكررت الاضطرابات بعد ذلك بأسبوع ثم عادت فتجددت فى القاهرة يوم ١٦ نوفمبر ٠ وقد بذل البوليس المصرى والجنود المصريون فى كلتا المدينتين جهدهم للتغلب على حال شاقة (١) ولكنهم طلبوا مساعدة قوات جلالة الملك التى أظهرت من ضبط النفس والاعتدال فى أعمالها ما يضرب به المثل ٠ ولا أريد فى هذه الأونة أن ابحث بعناية كبرى فى أسباب هذا الهياج الذى هو نتيجة حوادث هذا الوقت والذى يوجد على السواء فى كثير من أجزاء العالم الشرقى فانه يصعب التفريق بالضبط بين الأدوار المختلفة التى تعزى فى هذا الهياج الى التحريض السياسى وتأثير الحرب والأسباب الاقتصادية وقوات الفوضى غير النظامية ٠ وقد فرض ذلك على ولاة الأمور من المصريين والبريطانيين معا واجبا أوليا يقضى عليهم بتنفيذ القانون والنظام ومعاقبة مرتكبى الاعتداء والجرائم ٠ وانا لنثق بحزم المندوب السامى وحكمته فى معالجة هذا الوجة من الأمر وستنال الوزارة المصرية الجديدة منه ومنا كل تأييد يحقق المبادئ الأولى للهيئات المتمدنية ٠

(١) ترجمة ل very difficult situation .

وكان أفضل لو ترجمت « للتغلب على موقف صعب للغاية » ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« على أن الحوادث لاتمنعنا من مواصلة السير فى الطريق التى رسمها لنا أعظم ادراك للواجب نحو مصر ونحو أنفسنـا • ونحن نناشد الرأى المعتدل فى مصر أن يساعدنا فى المهمة التى وضعناها على عاتقنـا وفى معاونة اللورد ملنر وزملائه فى مهمتهم فانه لايمكن أن نلقى عن عاتقنا فى وسط الطريق المجهود الذى بذل لرفع مصر من الشقاء والاضطهاد اللذين كانت منغمسة فيهما منذ أقل من نصف قرن والنتائج الناجحة التى هى [٦٥٠] فخرنا ومجدنا » •

« ولاء السودان »

« وقبل أن أختم خطبتى أريد أن أشير بكلمة الى الحالة المضـادة المشجعة الموجودة فى السودان فان سكان تلك البلاد لايزالون تحت حكم السرلى ستاك الحاكم العام ـ محافظين على النظام العام • وقد أقاموا برهانا واضحا على حبهم لبريطانيا العظمى بزيارة وفد من أعيانهم لهذه البلاد فى شهر يوليو استقبلته حكومة جلالة الملك • وقد أعرب أعضاء الوفد لجلالة الملك ثم لى عن تقديرهم الكبير للأعمال التى قامت بها بريطانيا العظمى لأحياء بلادهم (١) وعن عدم اشتراكهم فى الحوادث التى وقعت فى مصر وقالوا ان غرضهم الوحيد هو البقاء ضمن الامبراطورية البريطانية وعدم الانفصال عنها • ويرجع هذا الدليل على الولاء جله ان لم يكن كله الى الأعمال التى تدعو الى الاعجاب والتى قام بها السير رجنلد ونجت الحاكم العـام السابق للسودان فقد وقف مقدرته العظيمة مدة أعوام عدة على ترقيـة السودان وفلاحة وعلى وضع أساس حكومة لقيت وسائل الحكم البريطانى فيها أعظم تحقيق وتبرير » (٢) •

---

(١) ترجمة Regentation of their country وكان افضل لو ترجمت « بعث بلادهم » •

(٢) نص هذه الخطبة بالانجليزية فى
F.O. 407/185 No. 329 speech by Earl Curzon in the house of Lords, Nov. 25, 1919.

رد سعد زغلول باشا على

خطاب كيرزون

[٦٥] ولما اطلع الوفد بباريس على تصريح كيرزون هنا انبرى سعد باشا للرد عليه وهذا رده :

« فى يوم ٢٥ نوفمبر وقف اللورد كيرزون فتكلم فى مجلس اللوردات باسم الحكومة الانجليزية عن الحالة فى مصر وكان من المنتظر بعد الاضطراب الذى استمر أكثر من سنه ونظرا للحوادث الخطيرة التى تجرى فى الوقت الحاضر أن يتكلم اللورد كيرزون بالصراحة والدقة اللائقين لسياسى خرجت مملكته من حرب تحققت فيها جميع مطامعها فان أعضاء الوفد المصرى الأمناء على التعبير عن مطالب أمتهم الاجتماعية قد بسطوا هذه المطالب بصيغة واضحة منطقية أدهشت كثيرا من رجال السياسة وكلها مطالب مؤيدة بحجج قانونية مفحمة ولكن اللورد كيرزون اكتفى بالعودة الى نبش سفسطة المصالح لينقص بها منطق الحق ورجع الى القوة الصماء ليدحض بها حكم العقل وكانت سدى سياسته ولحمتها تلك المطامع الجامحة التى أثارها انتصار انجلترا على حلفائها وأعدائها على السواء · وما كان أوهى تلك الحجج التى استند عليها ليتذرع بها أمام مجلس اللوردات الى تغليب سياسة هى أشد ما رسمته حكومة بريطانية من سياسات الفتح والاستعمار ·

« هذه أول مرة منذ سنة ١٩١٤ أعلنت فيها الحكومة الانجليزية خطتها ومقاصدها وقد جاء اعلانها مؤيدا لمخاوف المصريين من تلك الخطة وهذه المقاصد · فلم يتغير فى الأمر شىء سوى اتساع الهاوية بين القاهرين [٦٦] والمقهورين واشتداد النزاع المستمر بينهما وهو نزاع لا تتعادل كفتاه متى حكمنا عليه من جانبه القريب ، جانب القوة الصماء أمام الحق الأعزل · ولكنه نزاع ستخرج منه مصر ظافرة عاجلا أو آجلا لانها تدافع عن المبدأ الأعلى وليس فى الأرض قوة تتغلب الى النهاية على مبدأ الحرية ·

« ففى اللحظة التى ينهض فيها شعب كامل نهضة رجل واحد للمطالبة باستقلاله وهو لايملك وسيلة واحدة من وسائل المقاومة يقف

بها أمام مدافع الجنود الانكليزية وبنادقها • وفى اللحظة التى يسيل فيها دم مئات من الشبان فى شوارع القاهرة والاسكندرية ـ فى هذه اللحظة يقف اللورد كيرزون فلا يجد حجة يبرر بها سياسة حكومته أو طرقا يتوخاها لارغام مصر على قبولها غير المصالح البريطانية • لأن هذه الحقيقة هى بيت القصيد من خطبته وأما ما عداها فما هو الا نسيج من الدعاوى السقيمة الباطلة والفصاحة السياسية العقيمة ـ والنظريات المجردة من الحكمة ، والآراء الخالية من كل ما هو جليل ونبيل •

« ان الحكومة الانجليزية يهمها ولا ريب أن تحيط هذه القضية البسيطة فى ذاتها بحجاب كثيف من الغيوم لتخرجها من بساطتها الى الغموض والاختلاط ، فبماذا أجاب اللورد كيرزون عن هذا السؤال الصريح وهو : اليس لمصر الحق أمام القانون وأمام الواقع فى طلب استقلالها ؟ وهل تعد الحماية التى أعلنت عليها بالقوة ذات صبغة شرعية ؟؟

[٦٥٣] « لم يجب بكلمة واحدة • وانما اكتفى بقولة ان مصر ينبغى أن تغبط نفسها على حماية أنقذتها من الضم الذى كان يدعو اليه حزب قوى فى انجلترا (١) • أما المعاهدات التى ضمنت حكم مصر لنفسها وانضمام مصر فى الحرب الى جانب الحلفاء وحقها فى استقلال يخولها اياه النصر ويقدسه ، فلم يشر الى شىء منه أقل اشارة فما الذى حدث اذن فى أثناء المداولات السياسية التى دارت فى مؤتمر الصلح ؟؟ وبأية حجة اقنع مندوبو انكلترا الرئيس ويلسون بتضحية مبادئة ومبادىء الحلفاء بل بتضحية الغرض الصميم من الحرب ؟ هذا هو اللغز المخيف الذى كان يحوم حول الحالة الدولية فى غد ذلك الصراع : لغزيجثم كالكابوس على صدر ذلك الصلح الذى لم يؤد الى غير الاستياء والذى لم يخرج منه الاظافر واحد هو الاستعمار الانجليزى •

« فكأن مصر على هذا أصبحت لا تعد مسألة بريطانية داخلية ولكن سياسة التراضى وتبادل المنافع بين الدول لن تصلح لانشاء نظام جديد يقوم مقام الحقوق الثابتة • اذ ليست المصالح مقاييس المبادىء ولكن المبادىء هى القواعد التى تنظم المصالح • وليس فى الدنيا قوة ـ ولو كانت قوى الدول كلها مجتمعة ـ تستطيع أن تجعل الحق باطلا أو تخرج مسألة مصر عن كونها دولية •

---

(١) كان هناك اتجاه قوى فى دوائر الحكومة البريطانية ان تكون علاقتها مع مصر هى علاقة ضم Annexation وليست علاقة حماية Paotectorate

« ولا ريب ان هذه الحقائق لا تربك ضمير اللورد كيرزون · فهو قد عقد النية على تجاهلها · واذا سألنا كيف ولماذا أصبحت مسألة مصر مسألة بريطانية داخلية ؟؟ فهنا لا ينقطع ذلك السكوت · فالمسألة مسألة واقع واللورد كيرزون يتكلم عن هذا الواقع كانه قضية مسلم بها لاتقبل المناقشة ورايه أن المصريين أصحاب الشأن الوحيد فى المسألة غير أهل للاعتراض على سياسة تجرهم الى الأبد فى أصفاد انكلترا وتسد عليهم باب كل أمل فى الاستقلال أو طموح الى أية حكومة قوية منفصلة ·

[٦٥]

« فبعد تلك المكافحة ضد ألمانيا لانها كانت ترمى الى حكم العالم · وبعد ذلك النصر الذى احرزباسم مبادىء الحق والعدل وتحرير الأمم الصغيرة نقول ما أغرب هذا المنظر الذى تتمثل به بريطانيا العظمى بعد كل ذلك فى سعيها الى السيادة على العالم أجمع ؟؟ ماذا نرى ؟؟ ألم ينقشع بعد ذلك الخطر الداهم خطر أمة واحدة أو امبراطورية واحدة تنزع الى سيادة العالم كله ؟ أو لم ينقشع بعد ذلك الخطر بعد هزيمة ألمانيا ؟ أو لم تهدم مع ما تهدم من سيئات الماضى بسقوط دولتى الوسط تلك السياسة العتيقة ، سياسةالغلو فى الطمع الذى كاد يهوى بالانسانية الى قرار الوحشية والدمار ؟ هذه هى الأسئلة التى يناجى بها الانسان نفسه كلما رأى روح السيادة البريطانية ناجحة فى كل مكان ·

« ان مصر المعذبة المتألمة : مصر المطالبة باستقلالها المتطلعة الى حفظ حقوقها القوميــة والحلول فى مكانها بين أمم العالم الحرة · هذه الأمـة لا نصيب لها عند اللورد كيرزون غير الاحتقار الفاتر · واذا جردنا تصريحاته من زخارفها الخطابية لم نجدها الا عبارة عن جملة واحدة هى بمثابة قوله :

«اننا نريد مصر وسنبقى فيها على الرغم من كل أحد ومن كل شيء لاننا نحن الأقوياء » وهكذا يصير الحق للقوة ويقضى على الأمم الضعيفة بأن تعيش بلا غاية ويتقرر أن المصلحة دون سواها هى قانون الأقوياء ·

[٦٥]

« ولكن فلننظر عن كثب الى محاجة الحكومة الانجليزية الرسمية فهىتقول ان مصر يجب أن تبقى تحت الحكم الانجليزى · وهذا هو المقصد والغاية الأساسية · ولكن ما هى الدواعى التى يستشهد بها وما هو المبرر الذى يمكن تقديمه لمثل هذا المقصد ؟ كيف تستطيع انجلترا بعد أن أكدت للعالم من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩١٤ فى ستين تصريحا رسميا عزمها على الجلاء عن وادى النيل · نقول كيف تستطيع بعد ذلك أن تنسى كرامتها الى حد أنتحاول ارغام مصر على قبول حماية تستلزم حتما ضياع سيادتها

وفقد استقلالها الذاتي ؟؟ وفوق ذلك كيف تبلغ منها القسوة ان تعلن هذه الحماية في نفس الوقت الذى برهنت فيه مصر على نضوجها الأدبى والسياسى بما قدمتة للحلفاء من المساعدة الكبيرة في سبيل احراز النصر .

« هنا نرى مرة أخرى خلو الخطبة من تفسير ، له صيغة شرعية أو آدبية ، وكل ما فيها أسباب خاوية لاقيمة لها تستند الى الواقع فقط . فهناك كما يقول اللورد كيرزون ثلاث مصالح توجب على انجلترا البقاء في مصر . وهى مصلحة مصر نفسها ومصلحة الأمم الأجنبية والمصلحة البريطانية . فاذا سلمنا جدلا بصحة هذه الأسباب فقد كان من الضرورى اقامة الدليل على أن هذه المصالح مهددة حقيقة اذا نالت مصر استقلالها [٦٥٦] ولكن من هو الذى يعتقد ان مصر بعد ما عرف من تاريخها الماضى وشوهد من تطورها الحاضر لاتستطيع اذا هى نالت استقلالها ان توجد لنفسها حكومة نزيهة وانظمة كفيلة بسعادة أهلها ورفاهتهم ؟؟ على اننا اذا نظرنا الى هذا السبب من الجانب الانجليزى علمنا انه سبب ثانوى بالنسبة الى انجلترا . والا فما أكثر البلاد المستقلة التى احتلت حكوماتها ومزقتها الفوضى والاضطراب فأصبحت بمقتضى الرأى المتقدم مستحقة لتدخل الأجانب فى شئونها وهى مالم يحصل ولن يحصل فى يوم من الأيام ؟

« ننتقل الى المصالح الاجنبية . فهل هى فى خطر ؟ انها لدعوى باطلة :وهل لاترى الدول ان مصالحها ومصالح رعاياها تكون مع بقاء الامتيازات الأجنبية وصندوق الدين آمن مما تكون فى ظل حماية لا شك أن نتيجتها المحققة هى ازالة كل امتياز للأجانب ؟

« بقيت المصلحة البريطانية . وليس فى استقلال مصر ما يهددها . لأن المصريين أنفسهم يقترحون أن توضع قناة السويس ـ أى سكة الهند ـ تحت تصرف عصبة الأمم متى أنشئت وان لم تنشأ فتوضع بقرار من الدول الكبرى تحت المراقبة الدولية . فهذا هو المحور الوحيد الذى تتعلق به المصالح البريطانية فى مصر أو على الأقل المصالح التى يمكن التصريح بها . أما حراسة حدودنا من الغارات الأجنبية فنحن لانعلم من هو الذى يهدد تلك الحدود اليوم أو سيهددها غدا . وهل لاتكفى حيدة مصر بضمانة الدول الكبرى كما هو الحال فى بلجيكا لتسكين مخاوف انكلترا أو هى [٦٥٧] ياترى لا تاتمن حلفاءها ؟ واذا صح هذا فكيف تنسى أنها سيدة البحار وانها ستظل كذلك عدة أجيال ؟

« كلا : ان هذه الدعاوى والحجج والمعاذير كلها عقيمة واهية وهى لا تجدى شيئا لأن الألفاظ لاتسد مسد الحقائق الراهنة . ولا يسع الانسان

ـ على كراهته لكشف اللثـام عن الدقائق المتغلغلة ـ الا أن يسلم بأن انجلترا ترى أن تثبت قدمها فى مصر لانها تريد أن توطد سيادتها على العـالم كله باستيلائها على جميـع الأصقاع التى تمكنها بفضـل غنـاها أو موقعها الحربى من الاستئثار بسيطرة لا منـازع لها بين دول العالـم الكبرى ٠

« كل هذا معروف لايجهله انسان وليس حلفاء الامس بأقل الناس معرفة بحقيقة هذا المركز الذى أقل ما يقال فيه أنه موجب للقلق ٠ ولكن كيفما كانت الأسباب التى هيأت للمساعى الانجليزية الفوز فى جميع مفاوضات الصلح تقريبا لا يسعها على كل حال ان تطأطىء الرأس صاغرة أمامها ولا تستطيع ان تضحى باستقلالها وحريتها لاجل مصالح الدول الكبرى ٠ وما هى فى الحقيقة الا مصالح يساء فهمها لأن مصر قوة لا يغفل شأنها فى سياسة الشرق أجمع فمن الحكمة والروية أن يدقق فى فهم موقفها لأن أثرة المزعج لا يقتصر عليها بل يمتد الى سواحل البحر الأبيض الأفريقية والأسيوية ٠ فما يهم الجميع أن يستقر السلم فى مصر اذا شاء وألا تطير من وادى النيل شرارة تشعل وراء حدوده نارا متى هبت فليس أطفاؤها من السهولة كما يتبـادر الى بعض الأذهـان ٠ ومن الضرورات الحيوية أن يتجه الشرق بعين الثقة الى أوربا الحديثة والى سياسة جديدة تجرى على نهج العدل وتحذير الأمم الذى تعهدت الدول باتباعه فى كل مكان ٠ ولعمرى كيف يثـق الشرق بـدول أوربـا سواء كانت الحمايـة أو الوصاية نصيب بعض بلاده ما دام يرى بعينيه مثل مصر المحزن ٠ [٦٥٨]

« ان اللورد كيرزون هو الرجل الوحيد الذى يظهر عليه أنه لايشغل نفسه بهذه الأزمة التى اشتغلت بها الصحف الكبرى الممثلة للرأى العام فى انكلترا وأوربا ٠ فان الحركة القومية قد تجاوزت فى عمقها وامتدادها كل ما كان يقدر لها ٠ وليست المنح الضئيلة أو الوعود الخادعة هى كل ما يرضى شعبا يطلب حقوقه بالطرق السلمية غير مبال بالموت الذى تصبه عليه نيران المدافع والبنادق والأفكار اليوم هائجة فى مصر الى الحد الاقصى ولكنها لا تندفع الى النزق والتهور فكل خطوة توزن قبل الشروع فيها ثم تنفذ عن تبصر وروية ٠ واذا كان هذا الشعب الهادىء اللين العريكة قد أجمع أمره رغم كل مقاومة على رد الحكم الأجنبى عن بلاده ـ بعد صبره على الاحتلال أربعين سنة ـ فما ذاك الا لأنه قد عول على رفع نير الحماية عن عاتقة مهما كلفه ذلك وبكل الوسائل المشروعة التى فى استطاعتة ٠

فى صبحية يـوم ١٤ يوليو الماضى مشت جنـود الحلفاء تحت قوس

النصر فخفقت قلوب الأمم لحظة من الزمان بايمانها الجديد فى ذلك اليوم الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ مشت الجنود من جميع الأمم والأجناس أولئك الأبطال الذين أعدوا بصبرتهم وبنوا بأشلائهم أساس العالم الجديد فى أربع سنوات قضوها بين أوحال الخنادق والنيران القاتلة فكان كل فريق منهم يمشى تحت علمة · وأحس المشاهدون الذين بهرهم هذا المنظر أنه ايذان بمستقبل زاهر ينشق عنه الماضى العتيق · مستقبل أمن وسلام·

[٦٥٦]

« هل كانت جميع الأمم التى حاربت فى سبيل الحق ممثلة هناك ؟ كلا وأسفاه فقد غاب من بينها شعب ساعد بضحاياه العديـدة وبأعمال أكثر من مليون من رجاله على احراز النصر · فما كان أشد حزن المصريين الذين رأوا ذلك العرض فى ذلك اليوم المشهود وما كان ابلغ دلالة القرار الذى نحاهم عن الاشتراك فى هذا العيد لقد كان ذلك حيفا يسيرا ولاشك · ولكنه حيف ــ باضافته الى ما نال مصر من مؤتمر الصلح ــ كان مؤيدا لذلك القرار القاس الذى أبى عليها الحق المقدس · فمصر ــ دون سواها لم تجن من انتصار الحق الا الخيبة · وشعبها دون سواه هو الذى تلقى وحدة حكم الاستعباد وضياع ما لديه من الحقوق من مؤتمر الصلح الذى جاد على أمم العالم بالحرية » ·

سعد زغلول

التحريض على المظاهرات

منشور

[٦٦٠]

وفى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ نشر المنشور الآتى :

« من حيث أن بعض الأشخاص من أهـل السوء قد سعوا حديثـا ولايزالون يسعون بالنشر فى الصحف وبتوزيـع المنشورات وبـالخطب العمومية وخلافها بالتحريض على المظاهرات والاضطرابات التى من شانها جعل النظام العام والأمن العام فى خطر ·

« فانا ادمند هنرى هينمان فيكونت اللنبى القيلد مرشال القائد العام لجيوش جلالة الملك فى مصر ·

« انذر بأن جميع أعمال التحريض على المظاهرات المخلة بالنظام وغير الجائزة والاشتراك فيها وجميع الأعمال التى من شأنها أن تعطل السلطة

وتجعل النظام العام فى خطر تعتبر مخالفة للأحكام العرفية وتجعل مرتكبيها عرضة للقبض عليهم ولمحاكمتهم أمام محكمة عسكرية ؟ (١) ٠

« اللنبى »

نشر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ ٠

تعسف السلطة وقسوتها

ازاء الحركة

[٦٦١]

كانت أعمال السلطة الانجليزيـة تزداد فى كل يوم شدة وقسوة مما لا يمكن تصـويره بحال واليك ما كتبته الى الوفد بتقريرى المؤرخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ (٢) عن ذلك :

١ ـ صدرت أوامر السلطة العسكرية بابطال الخطابات وغيرهـا التى من شأنها تنبيه الأفكار وتذكير العامة بواجبهـم الوطنى فلا حول ولا قوة الا بالله ٠

« ولقد نشط قلم المطبوعات نشاطا زائدا فى مراقبـة الجرائـد والتضييق عليها فهو يستدعى من وقت الى آخر أصحاب الجرائد ورؤساء تحريرها ويهددهم بقفل جرائدهم ان لم يعتدلوا فى لهجتهم ولا يتعرضوا للسلطان والوزراء والحالة العامة ٠ حتى ان مستشار الداخلية اشترك مع قلم المطبـوعات فى هـذه المأمورية وهو الآخر يستدعى أصحاب الجرائد ويهددهم بهذه الصفة ٠

٢ ـ اصدرت السلطة العسكرية أمرها أمس باقفال جريدة مصر وأظن ان مقالات سينوت بك حنا من أكبر الأسباب فى هذا العمل ٠

« ولا نعرف الى أى حد تصل بنا هذه المعاملة القاسية ولا أدرى ماهى قيمة ابحاث لجنة ملنر فى الشئون المصرية بعد اقفال ثلاثة جرائد عربية

---

(١) يربط اللنبى بين هذا المنشور وبين الأحداث التى جرت فى الاسبوع السابق علية بما فيها قرار حظر التجول بالاسكندرية بعد الساعة التاسعة مساء الصـادر يوم ١٩ نوفمبر والأمر بترحيل كل من محمود سليمان وابراهيم سعيد وعبد الرحمن فهمى الى الأقاليم واطلاق النار على كل من الكابتن كومب والكابتن كومن والملازم بول وخمسة من الجنود البريطانيين بين يومى ٢٠ ، ٢٣ نوفمبر ٠
F.O. 407/185 No. 391 Allenby to Curzon Nov. 27, 1919.

(٢) نص التقرير : د٠ محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (سلسلة تاريخ المصريين) ص ١٥٧ ـ ص ١٦٢ ٠

وكم افواه الجرائد الباقية وسيف الأحكام العرفيـة لا يزال مسلولا على رقاب الجميع بل مسلولا بحالة أشد مما كان عليها فى ابان الحـرب . نسأل الله الخلاص .

[٦٦٢]

٣ ــ « استدعى الجنرال موريس قائد الحملة الانجليزية بالقاهرة صباح اليوم سينوت بك حنا وكلفة بمغادرة القاهرة والاقامـة بعزبتـه بالفشن (١) كالأمر الصادر من القائد العام للجيوش الانجليزية فتوقف سينوت بك عن اجابة الطلب مختارا وقال انه لا ينفذ ذلك الا قهرا عنه . وأخيرا قال له اذا كان القصـد الابتعاد عن مصر فصرحوا لى بالسفر الى باريس لالتحق بالوفد فقيل له يمكن النظر فى هذا الطلب على شرط أن تقوم حالا الى العزبة فأجاب بالرفض . وأخيرا دعى لمقابلة الجنرال كلايتن مستشار الداخلية الساعة ٣٠ر١٢ ظهر اليوم وبعودته أفيدكم بنتيجـة المقابلة .

٤ ــ (نوه) « الأهرام » هذا الصباح بأن لديه مقـالا من سعادة اسماعيل باشا صدقى ردا على خطة كرزون وانبنى على ذلك أن استدعاه الجنرال موريس صباح اليوم وكلفه بمغادرة مصر بعد ظهر اليـوم الى عزبة (الغريب) وعدم مبارحتها قبل أن يصدر له أمر آخر .

« وهكذا يظهر أن السلطة تريد أن تبعد كل من تفهم أنه قائـم بحركة تنافى تأييد الحماية سواء كان خطيبا أو كاتبا وتقفل الجرائد التى تتكلم بلسان الوطنيين وكل ذلك تمهيدا لقدوم لجنة ملنر كى يخلو الجو للخونة والمنافقين . حمانا الله شر ضلالهم .

٥ ــ عـاد سـينوت بك بعـد أن قابل الجنرال كلايتن مستشـار الداخلية ومجمل ما دار بينهما لا يخرج عما دار بينه وبين الجنرال موريس وأخيرا عرفه بأن اللورد اللنبى متغيب اليوم وسيحضر فى المساء فيعرض عليه فكرة السفر الى أوربا ويظن الجنرال كلايتن أن اللورد اللنبى لا يمانع فى ذلك .

[٦٦٣]

٦ ــ نفذ اسماعيل باشا صدقى الأمر الصادر اليـه من السلطـة العسكرية وقام بقطار الساعة ٤ بعد الظهر الى طنطا ومنها الى عزبته بجهة زفتى .

---

(١) غضب الانجليز على سينوت بك حنا نتيجة للحملة العنيفة التى شنها فى جريدة مصر على يوسف باشا وهبة لقبوله تاليف الوزارة .

F.O. 407/185 No. 400 Nole on Egyption Press.

٧ ـ ان وسائل الشدة والارهاب التى تعامل بها الأمـة الآن لم تزدها الا تمسكا بمطالبها وتضامنا بين أبنائها والفائده الوحيدة التى جنتها السلطة هى أن بعض الخونة ابتدأ يظهر نوعا على مرسح العمـل ولكن بقدم كلها خور وخوف وعشمنا فى الله القدرة على القضاء عليه ان بقيت طليق الاعتقال ولم أنف الى جهة قصية ٠

عبد الرحمن فهمى

وكتبت فى نفس التقرير عن حركة جمع التبرعات للوفد ما يأتى :

« فاتنى أن أذكر لسعادتكم أن بعض اخوانـنا سافر الى طنطـا من أسبوعين للتشجيع على جمع التبرعات وفى أثناء الاجتماع أهدت فتـاة طنطاوية صورتكم المحبوبة فوضعت فى المزاد الذى ابتدا بعشرة جنيهات

ج ـ ـ ج ج ـ ج ـ ج ـ ج ـ

ثم ١٢ ثم ٢٠ ثم ٥٠ ثم ١٠٠ ثم ١١٠ ثم ٢٠٠ وبيعت بهذا الثمن لطلبة المدراس بطنطا وجمع ثمنها ودفع قبل مضى اليوم فأهنئكم بهـذا المركز الذى تغبطون عليه ٠ وأهنىء البلاد التى تقدر الرجال العاملين حق قدرهم»٠

عبد الرحمن فهمى

استفتاء الوفد كبار المشترعين بأوربا

[٦٦٤] لم تقتصر جهود الوفد المصرى على ما أسلفنا لك فقطبل انه اراد أن يستعين بآراء بعض كبار المشترعين المتفوقين فى القوانين الدولية فيما يختص بشرعية الحماية التى بسطتها انجلترا على مصر لأن آراء اولئك القانونيين حجة يستطيع الوفد أن يدلى بها أمام خصومه .

وممن استفتاهم الوفد فى مسألة الحماية السير «توماس باركلاى» وهو من أشهر المحامين فى انكلترا وأحد كبار المشترعين فيها كما أنه الوكيل الأول لمعهد القانون الدولى ووكيل جمعية القانون الدولى ومما يدلك على مبلغ تضلعه فى علمه ان الحكومة الانجليزية استعانت به فى وضع صيغة بعض المعاهدات الكبرى واليك نص الاستفتاء (١) الذى وجهه اليه الوفد :

« يعرض الوفد المصرى المستندات المرفقة بهذا وهى :

(عدد الوفد ثلاثة وعشرين مستندا من الاتفاقيات الدولية والوثائق التى حررت أثناء الحرب العظمى والمكاتبات التى تبودلت بين سعد باشا والقومسير العالى البريطانى (٢) بمصر وغيرها مما أرسله سعد باشا لرئيس الحكومة الانجليزية واستقالات رشدى باشا الخ) ثم قال :

« ويرجو الوفد السير توماس باركلاى ان يشير عليه برأيه فى المسائل الآتية :

١ ـ هل الحماية الموضوعة على مصر بغير موافقة شعبها شرعية ؟

٢ ـ « ما هو مركز مصر من المبادىء التى وضعها رئيس جمهورية الولايات المتحدة وقبلتها الدول ؟ [٦٦٥]

٣ ـ ما هى سلطات عصبة الأمم بالنسبة لمصر ؟

---

(١) بمعنى ان يستفتيه أو يطلب مشورته .

(٢) أى المندوب السامى البريطانى .

٤ ـ أى مسلك يستحسن اتباعة للحصول على استقلال مصر بغير اضرار بالمصالح البريطانية ؟

ثم أتبع هذه الأسئلة بمذكرة موجزة عن القضية المصرية تناولت تاريخها منذ محمد على الكبير فقال :

« يرجع تاريخ الحركة الوطنية التى ترمى الى الحصول على استقلال مصر الى سنة ١٨٣٢٠ اذ تولى قيادتها محمد على (١) ولكن تنافس الدول الأجنبية فى السيطرة على مصر واستثمارها ومقاومة الدول الأخرى جعلها تحت رحمة دول أوربا الغربية التى سوت اختلافاتها فى اتفاقية ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ دون نظر الى أمانى المصريين (٢) وقد أجازت تلك الاتفاقية لمصر نوال استقلالها الداخلى دون أن تسمح لها بجنى ثمار انتصارها على تركيا ٠

« وقد زاد التدخل الأجنبى شعور الأهالى ٠ وقصة الجهود التى بذلها المغفور له اسماعيل باشا لارضائهم والدستور الواسع الذى أعطى له سنة ١٨٨١ ، هذا الدستور هو لجنة مجلس النواب التى كان يرأسها المرحوم عبد السلام المويلحى وكاتم سرها المرحوم أديب اسحق معروفة ذكرها جميع المؤرخين فى كتبهم عن مصر الحديثة ٠

« وقد فشلت الرقابة المزدوجة فى وقف تحرير الحركة ثم انهارت انهيارا تاما عندما طلب من فرنسا الاشتراك مع انجلترا فى سياسة الاخماد ٠

« فى ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ضرب اسطول بريطانى بعض قلاع الاسكندرية بدعوى انها تقوى لمنع التدخل الأجنبى الذى يمكن أن ينشأ عن ثوران الخواطر المنتشر بين الأهالى ٠ [٦٦٦]

« واعقب الضرب نزول الجنود البريطانين ، وقد قاوم عرابى باشا على رأس جنود مصريين هذا الاحتلال العسكرى ٠ ولكن الاحتلال أبقى لحفظ النظام ٠

---

(١) يقصد بالحركة الوطنية التى قادها محمد على عام ١٨٣٢ الحرب التى شنها ضد الدولة العثمانية ٠

(٢) يقصد معاهدة لندن ٠

« وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ تكلم المستر غلادستون فى مجلس العموم (١) فقال ان القوات البريطانية فى مصر انزلت ١٢٠٠٠ رجلا وان الاحتلال ليس الا مؤقتا وان الحكومة البريطانية ستضع شروطا قريبا بالاتفاق مع الحكومة المصرية ٠

« وفى١٩ديسمبر من السنة المتقدم ذكرها خطب المستر تشمبرلن(٢) فقال ان انجلترا لا تريد سوى ضمان رخاء مصر واستقلالها ٠

« وفى ٦ أغسطس ١٨٨٣ قال غلادستون فى مجلس العموم ان الجنود البريطانيين لن يبقوا يوما واحدا زيادة عن الزمن الضرورى ٠ وقال فى ٩ منه ان الحكومة البريطانية لم تحلم بضم مصر ٠

« وقال السير وليام هاركوت فى ١٥ ابريل سنة ١٨٨٤ ٠ لا ضم ولا حماية فاننا سنجلو عن مصر بمجرد ما يبسط السلام والنظام ٠

« وفى ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٥ صرح السير هيكس بيتش فى مجلس العموم بأن غاية الحكومة البريطانية الوحيدة انما هى اعداد البلاد للاستقلال ٠

« وفى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥ صرح المستر غلادستون بأن الاحتلال البريطانى بنى على غلطة (وقد ذكر اللورد كرومر فى تقريره عن مصر سنة ١٩٠٥ صفحة ٢ ان الحركة التى ادت الى الاحتلال كانت فى جوهرها ثورة صحيحة ضد سوء الحكم ٠ ولم تكن فى جوهرها موجهة ضد الأوربيين) ٠ [٦٦٧]

ثم استمر الوفد فى ذكر تصريحات الساسة الانجليز عن مصر واستقلالها ثم انتقل الى شركة السودان فقال ان المصريين لا يعترفون بصحة معاهدة سنة ١٨٨٩ ولو أنها من جانب انكلترا تضع مصر فى موضع الحليفة ٠

ثم انتقل الى الحرب الكبرى فتكلم عن دخول تركيا الحرب وما نشأ

---

(١) رئيس وزراء بريطانيا وكان فى نفس الوقت رئيس حزب الأحرار الذى لم يكن متحمسا لاستمرار الاحتلال العسكرى ٠

(٢) المستر جوزيف تشمبرلين والذى كان عضوا فى وزارة الأحرار التى الفها جلادستون والتى جرى فى عهدها الاحتلال البريطانى لمصر وهو والد ينفل تشمبرلين الذى رأس الوزارة البريطانية (١٩٣٧ ـ ١٩٤٠) ٠

عن ذلك • وفسر اعلان الحماية بأنه كان ضرورة حربية لا تؤثر فى استقلال مصر • وأورد الأدلة على ذلك • وأشار الى مساعدة مصر للحلفاء •

ثم عطف على الحركة الوطنية عند عقد الهدنة وتأليف الوفد والمكاتبات التى حصلت ليسمح له بمغادرة القطر الى أوربا وما الى ذلك مما لا داعى لذكره الآن اذ قد سبق عرضه • ثم أشار الى اعتقال أعضاء الوفد الأربعة ثم الافراج عنهم وسفرهم وما حدث بعد ذلك فى مؤتمر الصلح وذكر اعتراف دولتى الوسط (١) بالحماية البريطانية وما يترتب عليها •

فتناول السير باركلاى أول سؤال فقال « انه يشمل عدة مباحث فرعية وهى :

(أ) ما هى مميزات الحماية ؟ أو الحماية التى نحن بصددها •

(ب) ما معنى كلمة (شرعية) فى هذا السؤال المطروح ؟

(جـ) ما معنى موافقة الشعب ؟

ولقد أسهب السير باركلاى فى الكلام عن كل مبحث من هذه المباحث ثم خرج منها الى الاجابة التالية وهى : [٦٦

« وعلى هذا يكون ردى على السؤال الأول هو : أن حماية مستديمة تبسط على مصر بغير موافقة الشعب المصرى تكون مخالفة للقانون الدولى ولكن بسط حماية موقتة كضرورة حربية بمثابة أمانة يكون مبررا الى الحد الذى يظهر فيه الاخلاص » •

وبعد ان تناول السؤال الثانى بالبحث الطويل أيضا قال :

« أرى أن المسألة المصرية بقيت ، عند انتهاء الحرب ، فى المركز الذى كانت فيه قبلها • أى انها لاتزال مطروحة مفتوحة • وانها تدخل فى دائرة المبدأ الخامس من مبادىء الرئيس ولسون الأربعة (٢) عشرة واجاب على السؤال الثالث مبرهنا على ان مسألة مصر تدخل فى اختصاص جمعية الأمم •

وقال فى الاجابة على السؤال الرابع والأخير يجب أن تكون مصر فى

---

(١) دولتا الوسط المانيا والنمسا •

(٢) انظر الجزء الأول عن المذكرات ص ص ٤٠ ، ٤١ •

مركز يمكنها أن تحكم نفسها بنفسها بعد أن دربها مساعدون بريطانيون أكفاء نحو ثلاثين عاما • وتدل مطالبة كبار ــ المصريين بالاستقلال ــ بمثل هذا الالحاح على أنهم يشعرون بأن فى استطاعتهم الأن أن يتولوا مقاليد الحكم الذاتى دون أن تتعرض البلاد لفوضى الحكم ثانية •

« وان فى انتهاك الساسة البريطـــانيين حرمة التعهـــدات الرسمية البريطانية نحو مصر فى الوقت الذى كنا نحارب فيه ألمانيا لخرقها حرمة عهدها لبلجيكا (١) قبولا غير جدير ببريطانيا لنفس الوسائل التى كانت الحــكومة البريطـــانية تستخدم جميع قوى الامبراطورية ومواردها للقضاء عليهـــا •

« وهناك من جهة أخرى ، مصالح بريطانية مرتبطة بمصر ارتباطا كبيرا ولا يمكن الاغضاء عنها وهذه يمكن حفظها بالاتفاق •

« ومن الضرورى أن تتنـــاول معاهـــدة تحالف بين الامبراطوريـــة البريطانية ومصر ، الدفاع عن قناة السويس • [٦٦٩]

« وتثير مجاورة طرابلس ، تحت حكم ايطاليا (٢) ، لمصر اعتبارا آخر يجب أن يكون نصب الأعين عند وضع شروط المعهدة وفوق هذا فان خفارة البحر الأحمر يجب أن يدبر أمرها فان حرية هذا البحر ضرورية للتجارة كحرية قناة السويس نفسها وهو التكملة العملية لها •

ويمكن ضمان سلامة القناة والبحر الأحمر الحالية بالتعاون الودى الفعلى بين الامبراطورية ومصر أكثر منه بنظام يكون من شأنه ابقاء السيادة البريطانية بالقوة رغم ارادة شعب معاد •

وهنا أورد السير باركلاى فى هامش الفتوى رأيين للمستر (سدنى لـــو) جاء فى كتابه (مصر فى دور الانتقال (٣) وهما :

أولا : اننا (الانكليز) لسنا محبوبين فى مصر ويحتمل أن يكون البعض يهابنا • ولا شـــك عنـــدى فى أن الكثيرين غيرهم يحترموننا ولكن الذين يحبوننا حقيقة قلائل) •

---

(١) معلوم ان بريطانيا دخلت الحرب الأولى ضد المانيا لخرق الأخيرة لحياد بلجيكا •

(٢) كانت ايطاليا قد شنت حربها على ليبيا ١٩١١ ـ ١٩١٢ وارغمت تركيا على الانسحاب من طرابلس والتسليم بالوجود الايطالى فيها •

(٣) عنوان الكتاب بالانجليزية •

Egypt in Transition

ثانيا : من الصعب على أية فئة من الناس لا سيما صغار السن ذوى المطامع والروح السامية أن يحكموا بقوم غرباء عنهم فى الدين وفى الجنس وفى العاطفة ولو كان الحكم لمصلحتهم » .

[٦٧٠] واستمر السير باركلاى فى اجابته على السؤال الرابع قائلا :

« يصح أن أشير فى النهاية الى أن الدول عدت مبدأ تقرير الأمم لمصير نفسها بنفسها ضروريا فى جميع الحالات التى وجد فيها سبب معقول للشك فى رغبات أى شعب فيما يخص بتبعيتة .

« واعيد القول أن مثل هذه الرغبات لايمكن تحديدها الاباستشارة عامة ويصح مع هذا أن أشير أيضا الى أنه فى حالة قبول الحكومة البريطانية مبدأ الجلاء التام باستشارة الأهالى أو بدون استشارتهم . فقد لا يكون من المستحسن طلب الجلاء فى الحال . اذ ان من الضرورى أن يكون هناك طور انتقال . وانى اقترح أن يوضع جدول بالوظائف المختلفة التى يشغلها البريطانيون وغيرهم من الأجانب ، وبعد شروع تدريجى لا نقاص الموظفين والضباط الذين لا تريد الحكومة المصرية استبقاءهم . أو لفصلهم واحالتهم الى المعاش على التعاقب . ويعرض هذا المشروع على الحكومة البريطانية » .

ثم ذكر الحيثيات التالية وختمها بما يراه فى الموضوع كله فقال :

« حيث أنه قيل فى سنة ١٨٨٢ ان الغاية من التدخل البريطانى فى مصر فى تلك السنة كانت اعادة سلطة الخديو وحفظ السكينة فى البلاد .

« وحيث أن التأكيدات أعطيت وقت الاحتلال البريطانى الذى أعقب التدخل بأن الاحتلال مؤقت وكررت هذه التأكيدات من وقت لآخر مدة ثلاثين عاما .

[٦٧١] وحيث ان هذه التأكيدات كانت ترمى دائما الى أن الجلاء البريطانى متوقف على وصول المصريين الى الدرجة التى تمكنهم من ادارة شئونهم بأنفسهم .

وحيث ان السبب الوحيد الذى ذكر دائما لبقاء الاحتلال انما هو خير المصريين أنفسهم .

وحيث ان المصريين قد جربوا الحكم فى أكثر من طبقة ولم يعد ينقصهم موظفون خبيرون .

وحيث أنه لا يمكن أن ينتظر منهم الرضاء بالبقاء تحت وصاية دائمة وان هناك شعورا قويا بوجوب تحديد تاريخ الجلاء .

وحيث أن بريطانيا سلمت ، مع غيرها من الدول ، بمبدأ مساعدة الجنسيات الشرقية التى لم تتدرب على حكم نفسها مساعدة بغير بسط حماية عليها أو ابقائها تحت وصاية دائمة أو طويلة . وبما ان مصر بقيت مدة طويلة تحت الوصاية وأصبحت تشعر بانها الأن أقدر على تولى شئونها من موظفين يرسلون الى مصر ويتعلمون كيفية ادارة تلك الشئون .

وحيث ان الأسباب الوحيدة التى يمكن أن تتذرع بها الحكومة البريطانية لابقاء سيطرتها على مصر هى حماية قناة السويس وتحقيق مشروع سكة حديد القاهرة الى الكاب (١) .

وحيث أنه فيما عدا هذين الغرضين ، ليس لبريطانيا مصالح فى مصر لا يمكن حمايتها وحفظها باتفاق مع حكومة مصرية مستقلة .

وحيث أن للامبراطورية البريطانية مصالح مشتركة سياسية واقتصادية مثل دفاع محتمل ضد أى اعتداء ومثل نشر التجارة . وهى مصالح لايمكن الا أن تؤلف بينهما وتجمع كلمتهما على اتباع سياسة مشتركة . ومن المستحسن ان يصلا الى اتفاق مرضى لكليهما باسرع وقت ممكن » . [٦٧٢]

« فلهذه الأسباب »

تكون الحماية ضرورة حرب وبعد انتهاء الحرب غير مشروعة .

وتكون مصر بانفصالها عن تركيا نهائيا مستقلة شرعا بطبيعة الحال.

وارجو فى الختام ان اشير بأن تعاون الطرفين تعاونا وديا صريحا بمعاهدة تعترف لمصر باستقلالها وتضمن هذا الاستقلال كما تضمن حفظ مصالح الفريقين الدائمة هو خير حماية لتلك المصالح من ضغط يتلوه عداء وان جاء متأخرا ، عداء شعب يطلب الاستقلال بدعوى الحق والعدالة » .

الامضاء

نوفمبر سنة ١٩١٩ — توماس باركلاى

---

(١) مشروع كان يدعو اليه الاستعماريون البريطانيون على نطاق واسع فى أواخر القرن التاسع عشر وهو المشروع الذى قاد بريطانيا الى حرب البوير والى مواجهة مع فرنسا فى فاشودة قبل ذلك .

التفكير فى ضم الأستاذ
مكرم عبيد الى الوفد والعدول عنه

[٦٧٦] كان الوفد فى حاجة شديدة الى رجل ذى مواهب علمية وله من المقدرة فى اللغة الانكليزية ما يمكنه من التحرير بها ومن الترجمة منها واليها باللغتين العربية والفرنسية لنشر الدعوة للوفد فى أمريكا وهذه الصفات تنطبق على الأستاذ مكرم عبيد الذى كان فوق ذلك يمتاز بروح وثابة ثائرة ولهذا كتبت الى الوفد أكل هذه المهمة الى حضرته فوافق الوفد على ذلك • وقد ارسل لى فى تقريره المؤرخ فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« لعله تيسر لوليم مكرم السفر الى أمريكا ونحن نحاول هنا أن يسافر محمد محمود باشا اليها ولكن نجد صعوبات كثيرة من الانجليز فى هذا الموضوع » (١) •

سعد زغلول

ثم أرسل الى الوفد فى تقريره المؤرخ فى أول سبتمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

لا نزال نرى ضرورة سفر وليم مكرم لأمريكا واذا كان معه آخر كان أفضل فالرجاء مضاعفة الهمة فى تيسير هذه المسألة بأية طريقة كانت وستعلمون من حضرات ويصا بك واصف وحافظ بك عفيفى تفصيلا أتم وأخبارا أشمل لانهما يصلان مع هذه الرسالة (٢) •

سعد زغلول

وفى نفس هذا اليوم ــ وقبل أن يصلنى تقرير الوفد كتبت الى الوفد فى تقريرى ما يأتى :

« فاتنى أن أخبركم ان سينوت بك عرض علينا مسألة مأمورية أمريكا

---

(١) نص التقرير : محمد أنيس : المصدر السابق ص ٦٩ ــ ص ٧١ •

(٢) نص التقرير : نفس المصدر ص ٧٥ ــ ص ٧٧ •

[٦٧٤] المكلف بها من قبل الوفد والكل استحسنها ولما عرف ابراهيم باشا سعيد (وكيل اللجنة المركزية) أن وليم مكرم لايتأخر عن القيام بهذه المأمورية والسفر الى أمريكا مادام يضمن له العمل لمدة سنتين على الأقل الا اذا انتهت قضيتنا وأخذنا استقلالنا قبل هذا التاريخ - ونظريته (مكرم) فى ذلك جلية معقولة فهو يقول انه ليس من الانصاف أن يكلف بترك وظيفته وهو محتاج لها كى يعمل شهرين أو ثلاثة أو أربعة ولكن اذا انتدب للعمل بأمريكا وان يفتح هناك مكتبا للقضية المصرية يعمل فيه بجد لمدة لا تقل عن سنتين فهو مستعد لتضحية كل شىء فى هذا السبيل ولا يطلب أكثر من مصروفه الخصوصى ولقد فكرت مع اخوانى فى تقدير هذا المصروف وقدرنا له ٢٫٥٠٠ جنيها مصاريف سفر واقامة مدة سنتين .

فعندما سمع ابراهيم باشا سعيد بهذا قال انه لايدفع شيئا من هذا بدون تصريح بالكتابة من سعادتكم فأرجو ان كنتم لا تزالون مصممين على هذه المأمورية أن تصدروا الأمر لابراهيم باشا سعيد بدفع هذا المبلغ(١) .

عبد الرحمن فهمى

وفى تقريرى الى الوفد المؤرخ ٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ قلت ما يأتى :

« بالأسف أخبركم انه لم يتيسر للأن تسفير وليم مكرم لأن ابراهيم باشا سعيد لا يريد دفع شىء من المال اليه قبل أن يصله جواب منكم كما سبق عرفناكم بذلك فنرجو النظر » (٢) .

عبد الرحمن فهمى

[٦٧٥] وبناء على المشورة التى قدمتها الى الوفد فى تقريرى المؤرخ أول سبتمبر سنة ١٩١٩ أرسل الى صورة من قراره الذى قرره فى هذا الأمر وهو :

« صورة قرار صادر من الوفد المصرى »

« بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ »

قرر الوفد بجلسة ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ قبول حضرة وليم مكرم

---

(١) نص التقرير : نفس المصدر ص ١٣٨ - ص ١٤١ .

(٢) نص التقرير : نفس المصدر ص ١٤١ - ص ١٤٤ .

عبيد للمساعدة فى أعمال الوفد لما يعهده فيه من الكفاءة وان يعطى اليه مائة جنيه شهريا مقابل مصاريفه ٠وان استغنى عن خدماته قبل مضى سنتين من تاريخ مباشرة العمل فيعطى اليه مكافأة قدرها خمسمائة جنيه » ٠

« هـذه الصـورة طبـق الأصـل » ٠٠

الرئيس	كاتب السر
سعد زغلول	مصطفى النحاس

ولكن الأستاذ مكرم لم يقنع بهذا اذ أن نفسه الكبيرة أبت عليـه الا أن يطلب الانضمام الى هيئة الوفد ٠

وهذا ما كتبته الى الوفد بتقريرى المؤرخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

« سبق أن أرسل لسعادتكم تلغراف من حضرتى حافظ بك عفيفى وويصا بك واصف بطلب ضم وليم أفندى مكرم لعضوية الوفد حيث أنه جعل ذلك شرطا أساسيا لقبول السفر وترك وظيفته ولما نعهده جميعا فى كفاية ومقدرة وليم مكرم وآدابه العالية أرسلنا لسعادتكم تلغرافا آخـر بامضاء سعادة محمود باشا سليمان استعجالا لاجابة الطلب وانى أؤكد لسعادتكم شخصيا أن وليم مكرم هو أحسن شبان مصر تربية وأخلاقـا وكفاية فأرجو ألا يحرم الوفد من خدماته » (١) ٠

عبد الرحمن فهمى

ولكن الوفد امتنع عن اجابـة هذا الطلب للأسباب التى جاءت فى خطابه المرسل لسعادة محمود باشا سليمان رئيس اللجنة المركزية وهى :

وليم مكرم يرغب أن يشتغل معنا لاتفاق الكلمة على جودة معرفته للغة الانكليزية وسعة كفاءته وحسن أخلاقه ٠ ولكن اتفق أن جميع اخوانى هنا لايعرفونه معرفة شخصية ومن الصعب جدا أن يشترك الانسان فى عمل هام مثل العمل الذى نحن نقوم به مع من لايعرفه شخصيا ٠

فلم يستحسن قبوله بصفة عضو خصوصا وقد اشترط أن يدفع الوفد له المصاريف وهذا مخالف للائحة ولكن احتراما لرأى سعادتكم

---

(١) نص التقرير ـ نفس المصدر السابق ص ١٥١ ـ ص ١٥٤ ٠

الذى هو عندى فوق كل رأى رأيت أن يحضر على مصاريف الوفد ويقيم معنا مدة يعقد فيها لتعارف بيننا ثم نقرر قبوله عضوا كما اشرتم معاليكم (١) ٠

سعد زغلول

وفى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل الى الوفد خطابا أيد فيه رأيه السابق وزاد فيه بتأجيل هذا الأمر ٠ وهذا يعنى ما جاء فيه خاصا بهذه المسألة ٠

٠٠ أما ضم حضرة وليم مكرم لم نقبله مع توفر حسن الشهادة فيه لعدم معرفته شخصيا من أغلب حضرات الاخوان ولأن اشتراط تحمل الوفد بمصاريفه مخالف للائحته رلو آن حضرته قبل أن يحضر ويشتغل معنا مدة يمكننا فيها أن نعرفه كما عرفه من شهدوا له بسعة الكفائة وكرم الأخلاق لبادرنا الى قبوله ٠

« على أن زيادة أعضاء الوفد ليس هناك حاجة اليها الآن وانما الأمر محتاج أشد الاحتياج الى سكرتير يجيد اللغة الانجليزية والعربية ٠ وقد [٦٧٧] علمت انكم توقفتم لوجود من توفرت فيه هذه الصفات وفهمت انكم كنتم على وشك ارساله وارسلت لسعادة محمود باشا سليمان تلغرافيا غير مرة بسرعة أرساله » ٠

سعد زغلول

ولقد أتت بعد ذلك تلغرافات من بعض أعضاء الوفد ورئيسة بارسال الأستاذ مكرم وأخرى بعدم لزومه الآن وهذا ما دعانى الى أن أكتب الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« لقد تضاربت الأخبار الآتية من الوفد فى مسألة وليم مكرم فبينما يرد تلغراف من مصطفى بك النحاس والمكباتى بك بسرعة أرساله يرد جواب من سعادتكم بعدم لزومة وها هو ذا جواب سعادتكم المؤرخ ٧ نوفمبر فى يدى تذكرون فيه أسباب عدم امكان ضمه للوفد وبعد ذلك أتى تلغراف

---

(٢) تثير مسألة رفض ضم مكرم الى الوفد فى هذه المرحلة تساؤلات عديدة ، وفى تقديرنا أن السبب لا يعود فقط الى عدم المعرفة الوثيقة بالرجل أو الى طلبه لمصاريفه ، بل أيضا الى أن الرجل لم يكن من أسرة تنتمى الى الارستقراطية القبطية التى انضمت بعض رموزها للوفد آنذاك مثل واصف غالى وسينوت حنا ٠

من سعادتكم بارساله فالرجا بمجرد وصول هذا ارسال تلغراف بالرأى النهائى فى هذه المسألة لتنفيذه » (١) ٠

عبد الرحمن فهمى

فجاءنى الرد على هـذه النقطـة فى تقرير الوفد المؤرخ ٨ ديسمبر بما يأتي :

« ٠٠٠٠ أما مسألة مكرم عبيد فيحسن تأجيلها الآن » (٢) ٠

سعد زغلول

وعلى ذلك ارجئت هذه المسألة نهائيا ٠

(١) نص هذا التقرير فى المصدر السابق ص ١٥٤ ــ ص ١٥٧ وان كان غير مؤرخ ووضعه د٠ أنيس فى مكانه تبعا للسياق كما أشار فى الهامش ٠

(٢) نص التقرير الذى لم يشر فيه الى مكرم الا فى هذه العبارة ص ٨١ ــ ص ٨٣ ٠

وصول لجنة ملنر الى مصر
ومقاطعة الأمة لهـا

[٦٧٨] في صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ وصلت الباخرة التى تقل اللورد ملنر وأعضاء لجنته الى مرسى بور سعيد وكان القطار الخاص الذى أعـدته مصلحة السكك الحديدية واقفا فى المحطة ينتظرها وفى الساعة التاسعة ركب اللورد ومن معه القطار وقد تقدم قطار آخر كشاف وخفرت القطار خمس طيارات فى مسيرة من بور سعيد الى محطة القاهرة ٠

وقد وصل القطار المخصوص الى محطة القاهرة فى الساعة الثانية بعد الظهر فنزل اللورد وزملائه من القطار وهم :

١ ـ السير رنل رود الذى كان سفيرا لانجلترا فى رومه ٠

٢ ـ الجنرال السرجون مكسويل الذى كان قائد القوات البريطانية فى مصر عند نشوب الحرب ٠

٣ ـ الجنرال السير أربن توماس الخبير بالرى ومسائل المياه ٠

٤ ـ المستر سبندر رئيس تحرير « انوستمنستر غازيت » ٠

٥ ـ المستر هرست من النواب ٠

وكان معهم الكولونيل وطسون المندوب العسكرى بدار الحمايـة والمستر لويد من موظفيها وكانت دار الحماية قد أوفدتهما لمقابلة اللجنة فى بور سعيد ٠

فحياهم الجنرال كونجريف نائب القائد العام وبعض الضباط من أركان حرب الجيش البريطانى والميرآلاى رسل بك حكمدار بوليس القاهرة ونائب مدير السكك الحديديـة وأدت لهـم فصيلة من جنود الأورطـة السادسة عشرة التحية وقام البوليس بحراسة الطريق ٠

[٦٧٩] وبعد أن حيي اللورد ومن معه مستقبليهم وشكروهم ركبوا السيارات الى دار الحماية ونزلت الحاشية فى فندق سميراميس المتخذ مقرا لمكتب اللجنة ٠

الاحتجاج على قدوم اللجنة

ولم تكد تشرق شمس يوم ٨ ديسمبر حتى هجر الطلبة معاهدهم ومدارسهم احتجاجا على قدوم اللجنــة كما أرسلت البرقيــات الى عظمــة السلطان والوزراء واللورد ملنر من مختلف الهيئات والأفراد بالاحتجاج على لجنة ملنر ٠

وفى يوم ٩ ديسمبر قام الطلبة والشعب بمظاهــرات عدة فى كل أنحــاء القاهرة ٠ وقد وجد الناس عندما ذهبــوا لفتح محلاتهم اعلانات ملصقة على أبوابها وقد كتب عليها :

« المحل مقفل احتجاجــا على مجيء لجنة ملنر لبسط الحماية غــير المشروعة » فمنهم من احترم الاعلان وابقى محله مغلقا وهم كثيرون والقليلون هم الذين فتحوا محالهم بعد مرور الجنود المصرية بالشوارع (١) ٠

[٦٨٠] وبمجرد وصول اللجنة الى مصر أصدرت لجنة الوفد البيان الآتى للأمة وهو :

من لجنة الوفد المركزية

أجمعت الأمة المصرية على مقاطعة لجنة اللورد ملنر وبنت هذه الخطة السياسية على الأسباب المشروعة الآتية :

أولا : لأن المسألة المصرية مسألة دولية فقبول المفاوضة مع لجنة انجليزية يفقدها هذه الصبغة ويجعلها مسألة داخلية بيننا وبين انجلترا ٠

ثانيا : لأن اللجنة تريد المفاوضة على أساس الحماية مع ان الأمة لم تقبل هذه الحمــاية بل رفضتها رفضــا باتا وأعلنت انها لا ترضى بغــير الاستقلال التام ٠

ثالثا : لأن كل استفتاء سياسى لا يجوز أن يكون تحت الأحكام العرفيــة والقوانين الاستثنائية فاصرار الحكومة الانجليزية على ارسال هذه اللجنة بالرغم من الاجماع الذى تجلى فى كثير من المظاهر لا يفيد الا أن السياسة الحاضرة تريد أن تستخدم كل ما لديها من الوسائل للتأثير فى الاجماع القومى ٠

---

(١) أخذ البوليس فى مراقبة الذين يهددون أصحاب المحال الذين قاموا بفتحها للقبض عليهم المقطم ١٠ ديسمبر ١٩١٩ ٠

« ولكن هذا الاصرار من جانب الحكومة الانجليزية ليس من شأنه أن يحمل الأمة على ان تحيد قيد شعرة عن خطتها الوطنية المشروعة التى رسمتها لنفسها والتى أقرها الوفد وأعلنها فى أوربا وأمريكا ·

ان الحكومة الانجليزية فى حاجة الى موافقة المصريين على حمايتها لأن هذه الحماية لا يمكن ان تكتسب أية صفة شرعية ولو صدقت عليها جميع الدول ما دام الشعب المصرى وهو وحده صاحب الشأن لم يقبلها ·

« فتمسك الأمة بعدم مفاوضة اللجنة أو بالحرى (١) تمسكها برفض الحماية أمر مشروع فضلا عن أن المصريين لا يملكون اتباع سبيل آخر لأن كل مساومة للتنازل عن الاستقلال أو لنقل السيادة المصرية الى دولة أجنبية لا قيمة لها من الوجهة الطبيعية ولا القانونية لأن الاستقلال حق للأجيال التى تقدمتنا ونحن مطالبون بالاحتفاظ به حتى ننقله للأجيال التى ستخلفنا لأنه حقها أيضا · [٦٨١]

« الاستقلال تراث الأمة فى جميع العصور ولا يجوز التصرف فيه بأى حال من الأحوال ·

« الاستقلال عنوان مجد الأمة وليس هذا المجد سلعة تباع وتشترى ·

« من أجل ذلك تكون كل مفاوضة فى هذا الشأن مجردة من أى صبغة شرعية ولا تلزم الأمة شيئا فحرية الوطن فوق كل مفاوضة ومساومة ·

« حرية الوطن مقدسة وكل اعتداء عليها لا يؤدى الى المساس بها من الوجهة القانونية ·

« حريتنا قائمة واستقلالنا موجود قانونا وكل محاولة لتعطيلهما تعد عرضا من أعراض مناهضة الحق والفوز للحق ولو بعد حين ·

« فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام » ·

سكرتير اللجنة العام	وكيل اللجنة المركزية
عبد الرحمن فهمى	مرقص حنا

(١) يقصد بالأحرى ·

[٦٨٢] وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ تألفت مواكب المظاهرات فى أكثر أنحاء القاهرة وهتف المتظاهرون لمصر والمصريين ونادوا بمقاطعة لجنة ملنر ٠

وتألف وفد من السيدات ركبن العربات وحملن الاعلام المصرية وذهبن الى قصر عابدين حيث ارتفعت أصواتهن بالهتاف لمصر وبمقاطعة لجنة ملنر ثم ذهب الموكب الى الوزارات والدواوين ٠

هذا وقد أراد بعض الشبان أن يتظاهروا أمام مركز اللجنة فى فندق سميراميس ولكن لما كان ذلك من المتعزر عليهم ركبوا المراكب فى النيل ولما صاروا قبالة الفندق لوحوا بالأعلام المصرية هاتفين بمقاطعة ملنر ولجنته فاطل عليهم الجنود الانجليز وظلوا ينظرون اليهم حتى انصرفوا ٠

واجتمع بعد الظهر عمال المجزر وقاموا بمظاهرة ففرقها البوليس وجرح ستة من المتظاهرين ٠

وقد أقفل كثير من المحلات وأضرب تجار روض الفرج عن العمل ٠

احتجاجات مجالس المديريات

[٦٨٣] ولم تكد لجنة اللورد ملنر تصل الى الديار المصرية حتى انهالت عليها وعلينا وعلى الجرائد المصرية برقيات الاحتجاج على قدوم اللجنة من الأفراد والجماعات والهيئات النيابية والتى حاولنا أن ننشرها كلها أو جزءا وافيا منها لتطلب ذلك كتابا ضخما لذلك نكتفى بنشر بعض ما وصل الينا من احتجاجات مجالس المديريات (١) لانها مجالس نيابية تعبر عن رغبات وشعور الأهلين ٠ أما احتجاجات العمد والأعيان فقد تجاوزنا عن نشرها نظرا لكثرتها وهذه هى نصوص الاحتجاجات المشار اليها وبعضها سابق لحضور اللجنة الى مصر :

احتجاج مجلس مديرية القليوبية

[٦٨٤] تحقيقا لرغباتنا ورغبات من أنابونا عنهم اجتمعنا اليوم وقررنا الاحتجاج على حضور لجنة اللورد ملنر ونعلن مقاطعتنا لها لاننا وكلنا عنا

---

(١) هيئات اقليمية تمثل المديريات ويتراوح عدد اعضائها بين ثلاثة وثمانية ينتخبهم المندوبون الذين ينتخبون بدورهم من الناخبين ، ولم تكن هذه المجالس ذات رأى قطعى وانما كانت تستشار فى المسائل المحلية الخاصة بمصالح المديريات وكان يرأس كل مجلس مدير المديرية ٠

الوفد المصرى فى طلب الاستقلال التام يرأسه صاحب المعالى سعد زغلول باشا .

أعضاء المجلس

بحيرى حلاوة . حسن نصر مدينه . محمد ابراهيم حشيش . ابراهيم مراد ابراهيم خضر حشيش .

١١ أكتوبر سنة ١٩١٩

احتجاج مجلس مديرية الدقهلية

[٦٨٥] انعقد مجلس مديرية الدقهلية برياسة سعادة المدير وبحضور جميع الاعضاء الموقعين على هذا فتقرر باجماع الآراء فى محضر الجلسة مقاطعة لجنة اللورد ملنر لمنافاتها طلب الأمة للاستقلال التام والاحتجاج على الفظائع التى ارتكبتها الجنود ضد أبرياء الاسكندرية (١) .

حسن طوبار . أحمد الحلوانى . ابراهيم الشهاوى . أحمد عبده عبد الله شريف . محمود عبد النبى . الدكتور الوكيل .

٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ ..

احتجاج مجلس مديرية جرجا

[٦٨٦] « باعتبارنا نوابا عن الأمة نعمل لخير البلاد ونعبر عن أفكار من وضعوا ثقتهم فينا واانابونا عنهم نصرح بمطالبنا الآتية :

أولا : مقاطعة لجنة اللورد ملنر وعدم مفاوضتها فى شيء يتعلق بالمسألة المصرية .

ثانيا : نطلب الاستقلال التام وقد انبنا عنا معالى سعد زغلول باشا فى المطالبة بذلك والدفاع عن هذه القضية أمام العالم الحر .

ثالثا : نطلب من دولة رئيس الوزراء أن يسعى بكل الطرق المكنة بماله من الصفة الرسمية فى منع المجازر البشرية التى نسمع

---

(١) يلاحظ ان الاحتجاجات الأولى قد اقتصرت على القرار بمقاطعة لجنة ملنر .

أخبارها المزعجة كل يوم وأن يزيل بحكمته كل سبب أحدث أو يحدث هياجا فى هذه الأمة الهادئة لتعيش آمنة مطمئنة » .

٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

صورة من قرار مجلس مديريـة البحيرة

[٦٨٧] « بمناسبة وصول لجنة اللورد ملنر اجتمع مجلس مديرية البحيرة يوم الخميس ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٩ فى جلسة رسمية وقرر ما يأتى :

أولا : الاحتجاج على حضور هذه اللجنة بالرغم من اجماع الأمة على عـدم مفاوضتها والاصرار على مقاطعتها مقاطعة تامة من جميع الوجوه .

ثانيا : ارسال تلغراف الى لورد ملنر هذا تعريبه :

« قرر مجلس مديرية البحيرة فى جلسته المنعقدة يوم ١٨ ديسمبر اظهار أسفه الشديد لحضور لجنة لورد ملنر الى مصر خلافا لارادة الأمة التى وكلت الوفد المصرى المرؤس بسعد زغلول باشا للدفاع عن قضيتها والمجلس يحتج على الحماية التى أعلنت على مصر بغير حق ويكرر احتجاجه على حضور هذه اللجنة ويصرح بأنـه يرفض المفاوضة معها رفضا باتا ويعلن بأنه لا يطلب له سوى الاستقلال التام » .

ثالثا : ارسال صورة من محضر هذه الجلسة الى اللورد ملنر .

رابعا : ابلاغ ذلك القرار تلغرافيـا الى سعادة سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى الذى تتمسك الأمة بتوكيله للدفـاع عن قضيتهـا والمطالبـة بحقوقهـا وارسـال صورة من محضر هذه الجلسة الى سعادته .

خامسا : ابلاغه أيضـا الى سعادة محمد محمود باشا فى أمريكا وارسال صورة من محضر الجلسة الى سعادته .

سادسا : ارسال صورة من المحضر الى لجنة الوفد المركزية بالقاهرة (١) .

---

(١) توسع اعضاء مجلس مديرية البحيرة فى احتجاجهم فاضافوا الى القرار بمقاطعة لجنة ملنر التمسك بوكالة الأمة للوفد .

التوقيعـــــات

عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية
عن مركز كوم حمادة	عن مركز كفر الدوار	عن مركز ايتاى البارود
أمين اسماعيل حسين	على الطحاوى المغازى	محمد أمين البهى

[٦٨٨]

عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية
عن مركز ايتاى البارود	عن مركز أبى حمص	عن مركز رشيـد
خالد الحناوى	محمد ابراهيم حبيب	محمد عجـــوة

عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية
عن مركز رشيد	عن مركز أبى حمص
مصطفى المنياوى	محمد على عكاشة

احتجاج مجلس مديرية الغربية

[٦٨٩] « بجلسة المجلس المنعقدة فى يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ الساعة ١١ صباحا تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة حافظ حسن باشا مدير الغربية وأصحاب السعادة والعزة محمد أبو الفتوح باشا وعبد الرازق بك الفار وأبو العينين بك رجب وسراج الدين بك شاهين وعبد العزيز بك خضر ومحمد بك الشعراوى وبسيونى بك الخطيب وسليم بك سليمان وحماد بك اسماعيل ومحمد بك الشريف ومحمد بك غنـام وأحمد بك الشيخ أعضاء المجلس ومحمد أفندى عزمى السكرتير .

وبعد قراءة محضر الجلسة الماضيـة طلب حضرات الأعضاء اثبـات ما يأتى :

ان مجلس مديريـة الغربية التى هى عبـارة عن ثمن سكان القطر المصرى يثبت فى هذا المحضر باجماع الآراء بصفة رسمية باسم مديرية الغربية ما هو آت :

أولا : يحتج المجلس على اعلان الحماية الانجليزية على مصر التى لم تطلبها ولن ترضى بها ويرى فى اعلان هذه الحماية اعتداء على الاستقلال الذى نالته مصر بمجهوداتها بمقتضى معاهدة سنة ١٨٤٠ ولا يقر

هذه الحماية بل يطلب الاعتراف باستقلال مصر التام خاليا من كل شرط وقيد ويطلب من حكومة انجلترا تنفيذ وعودها وأقسامها الرسمية ·

ثانيا : يحتج المجلس أيضا على استمرار الأحكام العرفية بعد أن ساد السلام فى كل أنحاء العالم وعلى الفظائع التى نجمت عنها مثل هتك حرمة المعاهد الدينية المقدسة وهتك أعراض النساء وقتل الأبرياء واعتقال فريق من الأمة بلا ذنب جنوه الا اخلاصهم لوطنهم ومطالبتهم باستقلاله ·

[٦٩٠] **ثالثا :** يحتج المجلس أيضا على ابقاء العساكر البريطانية بالمدن والقرى ويطلب سحب هذه الجنود حفظا للسلام ·

رابعا : يحتج المجلس أيضا على وجود لجنة اللورد ملنر بالصفة التى حضرت بها لمصر ويقرر مقاطعة المديرية لها وعدم مفاوضتها ·

خامسا : يعلن المجلس تمسك مديرية الغربية بتوكيلها للوفد المصرى الذى وكلته الأمة للدفاع عن قضيتها برئاسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا ·

سادسا : يقرر المجلس أن الوزارة المصرية التى تبث فى أمر له مساس باستقلال مصر التام لا تعبر عن رأى الأمة بل عن رأى أعضائها شخصيا ·

سابعا : يقرر تبليغ هذا القرار الى ـ ١ ـ عظمة السلطان ـ ٢ ـ رئاسة الوزارة ـ ٣ ـ اللورد ملنر ـ ٤ ـ معالى سعد زغلول باشا ـ ٥ ـ قناصل الدول ـ ٦ ـ لجنة الوفد المركزية بمصر ·

تلى هذا القرار بالجلسة التى صدر بها وصودق عليه ·

« مجلس مديرية اصوان »

[٦٩١] بجلسة المجلس المنعقدة فى يوم الثلاثاء ١٣ يناير سنة ١٩٢٠ الساعة

---

(١) فاق احتجاج أعضاء مجلس مديرية الغربية سائر الاحتجاجات بحكم ان هذا المجلس منذ ان تكون كان أكبر مجالس المديريات تبعا لكون الغربية كبرى مديريات مصر وقتذاك وهو ما نوه به أعضاء المجلس المذكور ، وكان مجلس الغربية أول المجالس التى احتجت على وزارة يوسف باشا وهبة ·

١٠ أفرنكى صباحا تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة محمود عبد الرازق بك واصحاب العزة نجار محمد داود بك ومحمد حسن أفندى مصطفى والشيخ على محمود والشيخ أحمد عبد الطاهر زيد الخولى أعضاء المجلس ومحمد شفيق أحمد أفندى السكرتير .

وبعد قراءة محضر الجلسة الماضية طلب حضرات الأعضاء اثبات ما يأتى :

ان مجلس مديرية أسوان بصفته هيئةنيابية عن سكان المديرية يثبت فى هذا المحضر باجماع الآراء بصفة رسمية باسم مديرية أسوان ما هو آت :

أولا : يحتج المجلس على اعلان الحماية الانجليزية على مصر التى لم تطلبها ولم ترض بها ويرى فى اعلان هذه الحماية اعتداء على استقلال مصر الذى نالته بمجهوداتها بمقتضى معاهدة سنة ١٨٤٠ وبالأخص مساعدتها لحكومة انجلترا بالمال والرجال حتى نالت النصر بفضل هذهالمساعدة ولا يقر بهذه الحماية بل يطلب الاعتراف باستقلال مصر التام خاليا من كل شرط وقيد ويطلب من حكومة انجلترا تنفيذ عهودها وأقسامها الرسمية .

ثانيا : يحتج المجلس أيضا على استمرار الأحكام العرفية بعد أن ساد السلام فى أنحاء العالم وعلى الفظائع التى نجمت عنها مثل هتك حرمة المعاهد الدينية المقدسة وقتل الأبرياء واعتقال فريق من الأمة بلا ذنب جنوه الا اخلاصهم لوطنهم ومطالبتهم باستقلاله .

[٦٩٢] ثالثا : يحتج المجلس أيضا على وجود لجنة اللورد ملنر بالصفة التى حضرت بها لمصر بالرغم من اجماع الأمة على مقاطعتها مقاطعة تامة ويقرر مقاطعة المجلس لها بصفته النيابية عن المديرية وعدم مفاوضتها .

رابعا : يعلن المجلس تمسك مديرية أسوان بتوكيلها الوفد المصرى الذى وكلته الأمة للدفاع عن قضيتها برياسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا وان لامفاوضة لاحد الا مع معاليه المفوض من الأمة .

خامسا : يقرر المجلس أن الوزارة المصرية التى تبت فى أمر له مساس باستقلال مصر التام لا تعبر عن رأى الأمة بل عن رأى أعضائها شخصيا وكذلك كل من يفاوض فى مصير مصر بخلاف الوفد يعبر عن رأيه فقط .

سادسا : تقرير تبليغ هذا القرار الى :

١ ـ عظمة السلطان ٠   ٢ ـ رياسة الوزارة ٠

٣ ـ جناب اللورد ملنر ٠   ٤ ـ معالى سعد زغلول باشا ٠

٥ ـ قناصل الدول ٠

٦ لجنة الوفد المركزية بمصر (١) ٠

وقد تلى هذا القرار بالجلسة التى صدر بها وصودق عليه ٠

التوقيعات

عضو مركز أسوان	عضو مركز أسوان	عضو مركز ادفو
نجار محمد داود	على محمود حسن	أحمد عبد الطاهر

عضو مركز الدر
محمد حسن مصطفى

مجلس مـديرية أسـيوط

[٦٩٣] **بجلسة مجلس مديرية أسيوط** المنعقدة فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٠ الساعة ١٠ أفرنكى صباحـا تحت رياسة حضرة صاحب العـزة أحمد مختار حجازى بك وبعضـوية حضرات أصحاب العزة عبد العزيز سيف النصر بك وعبد الهادى عبد الرحيم بك ومهران فرج بك وسمعان القمصى بك وشاكر غزالى بك ومحمود خشبة بك ومحمد عبد العال بك وكاتب أسرار المجلس حسن يسرى أفندى ٠

تقرر قبول عرض المقترحات الآتية فى الجلسة المذكورة ثم تقررت الموافقة عليها بالاجماع ٠ وتلى هذا القرار وصودق عليه :

---

(١) يلاحظ ان نص احتجاج مجلس مديرية اسوان كاد يكون مطابقا لنص احتجاج مجلس مديرية الغربية بالرغم من ان هناك فارقا زمنيا بين الاحتجاجين يزيد عن اسبوعين (٢٩ ديسمبر ١٩١٩) ـ ٢٣ يناير ١٩٢٠ مما يشير الى أن قيادة الثورة فى مصر كانت نشطة فى التنسيق بين هذه المجالس ٠

«اقتراح مقدم الى هيئة مجلس المديرية»

نقترح الموافقة على ما يأتى :

أولا : يحتج المجلس على اعلان الحماية الانجليزية على مصر التى لم توافق عليها ولن ترضى بها ويرى فى اعلان هذه الحماية اعتداء على الاستقلال الذى نالته مصر بمجهودها بمقتضى معاهدة سنة ١٨٤٠ ولا يقر هذه الحماية بل يطلب الاعتراف باستقلال مصر التام خاليا من كل شرط وقيد ويطلب من حكومة انجلترا تنفيذ وعودها وأقسامها الرسمية ٠

ثانيا : يحتج المجلس أيضا على استمرار الأحكام العرفية بعد أن ساد السلام كل أنحاء العالم وعلى الفظائع التى نجمت عنها مثل هتك حرمة أكبر معهد دينى وهو الأزهر الشريف وقتل الأبرياء واعتقال فريق من الأمة بلا ذنب جنوه الا اخلاصهم لوطنهم ومطالبتهم باستقلاله ٠

ثالثا : يحتج المجلس أيضا على ابقاء العساكر البريطانية بالمدن ويطلب سحب هذه الجنود حفظا للسلام ٠

رابعا : يحتج المجلس أيضا على وجود لجنة اللورد ملنر بالصفة التى حضرت بها لمصر ويقرر مقاطعتها وعدم مفاوضتها رغما عن بلاغها الأخير ٠ [٦٩٤]

خامسا : يعلن المجلس تمسكه بتوكيل الوفد المصرى الذى وكلته الأمة للدفاع عن قضيتها برياسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا ٠

سادسا : يقرر المجلس أن الوزارة المصرية التى تبت فى أمر له مساس باستقلال مصر التام لا تعبر عن رأى الأمة بل عن رأى أعضائها شخصيا ٠

سابعا : يقرر تبليغ هذا القرار الى :

١ ـ عظمة السلطان ٠

٢ ـ رياسة الوزارة ٠

٣ ـ اللورد ملنر ٠

٤ ــ معالى سعد زغلول باشا ٠

٥ ــ سعادة محمد محمود باشا ٠

٦ ــ قناصل الدول ٠

٧ ــ لجنة الوفد المركزية بمصر ٠

٨ ــ اللورد اللنبى ٠

٢ ــ تقترح أن يتلى هذه القرار بالجلسة بعد تقريره والمصادقة عليه (١)٠

أسيوط فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٠ وأول جمادى الأول سنة ١٣٣٨ ٠

عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية	عضو مجلس المديرية
سمعان القمصى	عبد العزيز سيف النصر	مهران فرج

عضو مجلس المديرية
شاكر غزالى

مجلس مديرية المنوفية

[٦٩]

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الوفد المصرى المركزية ٠

نحن أعضاء مجلس مديرية المنوفية المجتمعون نقرر الآتى :

أولا : الاحتجاج على لجنة ملنر ونقرر مقاطعتها مقاطعة تامة ونؤيد توكيلنا للوفد المصرى برئاسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا ٠

ثانيا : الاحتجاج على بقاء الأحكام العرفية بعد الهدنة بأربعة عشر شهرا وعلى كم أفواه الجرائد والاعتقال ٠

ثالثا : الاحتجاج على بقاء الحماية ونطلب الاستقلال التام ٠

رابعا : الاحتجاج على الفظائع التى ارتكبت والتى ترتكب كل يوم ضد الأهالى المسالمين العزل من السلاح٠

---

(١) احتجاج مجلس مديرية أسيوط يكاد يكون مطابقا أيضا للاحتجاجين السابقين (لمديريتى الغربية وأسوان) ٠

خامسا : نقرر أن احتجاجنا على الفظائع التى ارتكبت فى الشوبك والعزيزية يسارى المفعول وان قرار السحب الذى عمل بعده انما كان نتيجة الارهاب بالأحكام العرفية وهو لاغ لذلك . وقد حررنا هذا ليكون مستندا لسعادتكم للدفاع عن حقوقنا وقت اللزوم (١) .

أعضاء مجلس مديرية المنوفية

عضو مجلس مديرية المنوفية	عضو عن مركز شبين
حسن زكى	عبد الله رجب
عن مركز اشمون	عن مركز اشمون
سيد دياب	عبد الواحد

مجلس مديرية المنيا

[٦٩٩٦] انعقد مجلس مديرية المنيا يوم الأحد ٨ فبراير سنة ١٩٢٠ تحت رئاسة حضرة صاحب العزة محمود نصرت بك مدير المنيا وبحضور حضرات أصحاب العـزة على بك اسماعيل ومحمد بك ابراهيم ومحمد بك موسى ونجيب بك برعى وناشد بك حنا وعبد الرحمن بك للوم وحضرة عثمان أفندى الكبتى سكرتير المجلس وقرر الموافقة بالاجماع على الاقتراح الآتى المقدم الى المجلس :

نحن أعضاء مجلس مديرية المنيا نقترح ما هو آت ونطلب اثباته فى محضر الجلسة :

اولا : يحتج المجلس على اعلان الحماية الانجليزية على القطر المصرى تلك الحماية التى هى اعتداء على استقلال مصر الذى نالته بمجهوداتها والمجلس يقرر بأن البلاد لاتقبل الا الاستقلال التام خاليا من كل شرط وقيـد ويطلب من حـكومة انجلترا تنفيـذ وعودها وأقسامها الرسمية .

ثانيا : يحتج المجلس على بقاء الأحكام العرفية بعد أن ساد السلام فى كل أنحاء العالم وعلى الفظائع كهتك حرمة المعاهد الدينية المقدسة وقتل الأبرياء واعتقال العاملين من أبناء الوطن والمجلس يحتج بصفة خاصة على الحوادث المؤلمة التى وقعت أخيرا بمدينة طنطا وعلى سوء معاملة

---

(١) احتجاج مجلس مديرية المنوفية يختلف عن سائر الاحتجاجات انه لم يكن مؤرخا ، ثم انه لم يأت على شكل قرار مجلس وانما على شكل خطاب موجه الى رئيس لجنة الوفد المركزية .

صاحب المعالى وزير الداخلية لوفد تلك المدينة المنكودة الحظ عندما اراد مقابلته ليخبره بحقيقة ما حدث وبرغبات السكان ٠

ثالثا : يحتج المجلس على القسوة التى يعامل بها المعتقلون والمسجونون السياسيون الذين لاذنب لهم سوى اخلاصهم للوطن العزيز ومطالبتهم باستقلالة التام ويطلب المجلس الغاء الأحكام العرفية فى الحال حيث لامبرر لبقائها وفك المعتقلين والمسجونين السياسين كما أنه يطلب سحب الجنود البريطانية من المدن والقرى منعا أوقوع الحوادث المؤلمة التى يسببها احتكاكهم بالسكان ٠

[٦٩]

رابعا : يحتج المجلس على لجنة اللورد ملنر ويقرر مقاطعة مديرية المنيا لتلك اللجنة وعدم مفاوضتها فى شىء كما أنه يعلن تمسك المديرية عموما بتوكيلهم للوفد المصرى الذى وكلته الأمة المصرية للدفاع عن حقوقها تحت رياسة صاحب المعالى سعدزغلول باشا ٠

خامسا : يقرر المجلس بأن الوزارة التى تبت فى أمر له مساس باستقلال مصر التام لا تعبر عن رأى الأمة بل عن رأى أعضائها شخصيا ٠

سادسا : يحتج المجلس على ضريبة القطن التى وضعها مجلس الوزراء لأن فى ذلك ضررا عظيما على الأهالى وعتداء على القانون الأساسى للبلاد ولا يملك مجلس الوزراء فرض الضرائب الابعد مصادقة الجمعية التشريعية ٠

سابعا : يقرر المجلس وجوب تبليغ هذا القرار الى :

١ ــ عظمة السلطان ٠

٢ ــ مجلس الوزراء ٠

٣ ــ اللورد ملنر ٠

٤ ــ حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى ٠

٥ ــ قناصل الدول ٠

٦ ــ لجنة الوفد المركزية بمصر ٠

فتقرر بالاجماع اثباتة بمحضر الجلسة وتنفيذه حالا (١) ٠

تحريرا فى ٨ فبراير سنة ١٩٢٠

---

(١) احتجاج مجلس مديرية المنيا هو آخر الاحتجاجات وهو مشابه الى حد بعيد لاحتجاجات مجالس مديريات الغربية وأسوان واسيوط وان كان قد اضاف الى القضايا الوطنية قضية اقتصادية وهى الاحتجاج على ضريبة القطن والفارق الزمنى بين أول احتجاج (١٩١٩/١٠/١١) وآخر احتجاج (١٩٢٠/٢/٨) نحو أربعة شهور مما يدل على استمرار حملة الاحتجاجات وان كان يلاحظ ان أربعة مجالس مديريات لم تشارك فى حملة الاحتجاجات وهى الشرقية الجيزة والفيوم وقنا ٠

سعد زغلول باشا

واحتجاجات مجالس المديريات

[٦٩٨] ولقد انهالت صور احتجاجات المجالس على لجنة ملنر على الوفد بباريس فأرسل سعد زغلول باشا الى اللجنة المركزية التلغراف الآتى :

باريس ٥ يناير سنة ١٩٢٠ ·

مرقص بك حنا بالقاهرة ·

لاتزال ترد علينا باستمرار احتجاجات مجالس المديريات على لجنة اللورد ملنر وعلى حادثة الأزهر وغيرها من التصرفات وعلى الحماية الانجليزية ·

فنرجو تبليغ هذه المجالس أننا نفخر أمام العالم بوطنية هيئاتنا النيابية وسنقوم بما يجب لابلاغ هذا الصوت لكل ذى شأن ·

وان استمرار الشعب المصرى على المطالبة بحقوقه والتمسك بها وما يتجلى من مظاهر اتحاده فى كل الظروف لابد أن يحمل جميع الشعوب على الاعجاب بحركتنا ·

ولا شك أن كل قضية عادلة لابد أن تنتهى دائما بالفوز وتكلل بالنصر ·

سعد زغلول

منى الى الوفد

[٦٩٩] وبمناسبة وصول لجنة ملنر والاحتياطات الشاذة التى اتبعت عند وصولها من بورسعيد الى القاهرة وما لقيته بعد ذلك من الاعراض عنها ومقابلة الطلبة والناس بالاضراب والاحتجاج عليها كتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢٠ ديسمبر ما يأتى :

وصلت لجنة اللورد ملنر صباح الأحد الجارى بطريقة مستترة جدا بحيث لم يعلن عنها فى الجرائد الا بعد وصولها الى القاهرة ·

فقد وصلت صباح اليوم المذكور الى بور سعيد ثم قامت فى قطار خاص الى القاهرة تتقدمه قاطرة للاستكشاف والاستطلاع من ورائها قطار لا ركاب فيه يتركب من صالونات وعربات مشابهة تماما للقطار الذى يقل اللجنة ويتبع ذلك القطار الذى ركبت فيه اللجنة نفسها وكانت الطيارات تحوم فوق القطار المقل للجنة وقليل منها على القطار الفارغ ثم وصلت اللجنة الى محطة القاهرة وكانت أبوابها كلها موصدة ولم يسمح حتى لعمال المحطة نفسها بالوجود بها الا نفرا قليلا جدا . وكان بانتظارها حكمدار البوليس ونائب قائد القوات البريطانية فقط . وقد اندهش الكل من اتخاذ هذه الاحتياطات الخارقة للعادة بل كان المفهوم أن تقابل اللجنة رسميا باطلاق المدافع كما استقبل اللورد دوفريم سنة ١٨٨٢ ، ثم عرجت على ما يسمى الحزب المستقل الحر فقلت حيا الله الأمة المصرية. فقد نفذت ارادتها التى أعجب لها الوفد واحكمت مقاطعتها لهذه اللجنة احكاما شديدا جدا وراقبت ذوى النفوس الصغيرة الذين كان يظن تقدمهم للتكلم مع اللجنة مراقبة شديدة حلت اعصاب (الحزب المستقل الحر) الذى كونته يد الغاصب وأمواله لهذه الغاية فلم يجرؤ أحد من هذا الحزب [٧٠٠] الضئيل الحقير على أن يتقدم لهذه اللجنة وليس هذا فقط بل رجال الأمة العاملين اتخذوا من الطرق والأساليب ما جعل معظم أعضاء هذا الحزب ينفض من حول مؤسسيه الخونة . واضطر الحزب المذكور أخيرا أن يعلن فى جريدته الساقطة (المنبر) الانضمام فى آرائه الى برنامج وفدنا المحبوب مع بعض خلاف يريد أن يتخذه وسيلة للانتقاض عند سنوح الفرصة . ولكنه سيخذل ان شاء الله فى كل ما يريد السعى اليه مخالفا لرغبات الأمة ومصلحتها .

(وان من أعظم مؤسسى هذا الحزب محمد عرفى باشا (رئيسه) ومحمد شريعى باشا ومحمد أفندى ابراهيم هلال وتوفيق بك شهاب الدين وحسن بك مراد وعبد العليم بك أبو الليل من المنيا وحسين تيمور التشريفاتى السابق (١) .

عبد الرحمن فهمى

---

(١) هذا الخطاب فى أصله مؤرخ يوم ٢٣ ديسمبر وليس يوم ٢٠ ديسمبر (انظر النص محمد انيس : مرجع سابق ص ١٦٢ – ١٦٣) .

اعتداء الجنود الانكليزية على حرمة الأزهر

[٧٠١] في يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث أن مواكب المظاهرات كانت تسير في ميدان الأزهر بكل هدوء ونظام وعين الذين ألفوا هذه المظاهرات اناسا ليحفظوا النظام ويبعدوا عنهم المشاغبين(١) ولما وصلت المواكب الى السكة الجديدة أرادت أن تواصل سيرها حتى دور قناصل الدول وسواها ولكن قبل وصول المواكب الى الموسكي وصل الجنود الانكليز بالأوتومبيلات وهجموا على المتظاهرين ففروا من وجههم وتفرقوا غير أن الجند ظلوا يطاردونهم حتى شارع الدراسة ومن هناك رجعوا الى الجامع الأزهر فكان الناس جميعا يفرون من وجه الجنود خشية أن يلحقوا بهم أذى اذ انهم لا يميزون بين المارين في الشارع وبين مؤلفي المظاهرات ولكن الانجليز ظلوا يطاردونهم كذلك فاحتمى الناس بدخولهم في الجامع الأزهر فدخل وراءهم الجنود الانجليز وهجموا على غرفة التفتيش فأفهم الكاتب الجنود أن هناك مكتب الادارة .

« وعندئذ ثارت ثائرة المشايخ فقصدوا فضيلة شيخ الأزهر وقصوا عليه ما جرى » .

وهذا هو البلاغ الرسمي الذي أذيع بمناسبة هذا الحادث .

« في الساعة العاشرة والنصف صباحا قامت مظاهرة من أربعمائة طالب تقريبا من جميع الطبقات ومعهم أيضا جماعة من الرعاع وقد غادر المتظاهرون الأزهر وشرعوا يرشقون بالأحجار أصحاب الحوانيت الذين لم يغلقوا حوانيتهم فحضر مأمور القسم الى محل الحادث ومعه بعض رجال البوليس .

[٧٠٢] وأرسل أيضا أوتوموبيل يقل جنودا انجليزية بطريق شارع السكة الجديدة لحماية ما في الحوانيت فلما وصل هؤلاء الجنود الى هناك رجمهم المجتمعون بالحجارة ولما اقتفوا أثر بعض هؤلاء الأشخاص دخل عدد من الجنود من الباب الخارجي للجامع الأزهر على غير علم منهم بحقيقة المكان فسحبوا للحال بامر من الضابط القائم بالعمل » .

---

(١) تم تغير الرعاع بالمشاغبين من جانب أولئك الذين تدخلوا بالتغيير في المذكرة ربما لأن الصحافة الموالية للانجليز كانت تتهم الثوار بأنهم رعاع .

ولم ينقض هذا اليوم حتى اجتمع أصحاب الفضيلة علماء الأزهر وهيئة كبار العلماء وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية ورفعوا احتجاجا على ما حدث من الجنود الانجليزية داخل الجامع الأزهر وقد أبلغوة لعظمه السلطان ورئيس الوزراء والمندوب السامى وهذه هى صورة الاحتجاج : ـ

[٧٠٣] حدث فى منتصف الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ هـ (١١ ديسمبر سنة ١٩١٩) أن فصيلة من الجنود البريطانية كانت تطارد جماعة من الناس اقتحمت الجامع الأزهر الشريف بنعالها وعصيها منتهكة حرمة هذا المعبد المقدس والجامعة الاسلامية الكبرى التى يؤمها طلاب العلوم من جميع الأقطار ثم أخذت تضرب وتروع وتجاوزت ذلك الى الاعتداء على محل الادارة والعمال يؤدون وظيفتهم محاولة كسر الباب الموصل الى القاعة المخصصة لشيخ الجامع الأزهر لولا متانته . ثم صعدت الى الدور الأعلى من الرواق العباسى (١) فكسرت باب غرفة رئيس الحسابات وكان الرعب قد استولى على من فيها من العمال فاوصدوها على أنفسهم .

« ان هذا الحادث قد أحزن جميع المصريين المقيمين فى القاهرة وآلمهم أشد الايلام وسيزداد هذا الأثر السيء بنسبة انتشار الخبر فى أرجاء مصر وتردد صداه فى انحاء العالم الاسلامى .

[٧٠٤] « فنحن الموقعين على هذا من علماء الجامع الأزهر وأعضاء مجلسه الأعلى نحتج على هذه الحادثة السيئة قياما بالمفروض علينا من خدمة الأزهر الشريف وأهله » .

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٨

١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

---

(١) الرواق العباسى هو أحد اروقة الأزهر المخصصة للمصريين وهو اكبر الأروقة وأحدثها وقد أقيم فى عصر الخديو عباس الثانى وسمى باسمه .

انظر عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعا وجامعة ص ٢٨٥ ص ٢٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسماء ووظائف الموقعين

الاسم	الوظيفة	ملاحظات
محمد أبو الفضل	شيخ الجامع الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى .	امضاء
محمد بخيت	مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ومن هيئة كبار العلماء وعضو المجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية .	امضاء
أحمد نصر	نائب شيخ السادة المالكية بالديار المصرية ومن هيئة كبارالعلماء وعضو مجلس الأزهر الأعلى .	امضاء
محمد النجدى	شيخ السادة الشافعية بالديار المصرية ومن هيئة كبار العلماء وعضو بمجلس الأزهر الأعلى .	امضاء
محمد ربيع الذهبى	نائب شيخ السادة الحنابلة بالديار المصرية وعضو بمجلس الأزهر الأعلى .	امضاء
أحمد زكى	عضو المجلس الأعلى للأزهر الشريف والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية .	امضاء
عبد الرحمن قراعة	وكيل الجامع الأزهر والمدير العام للأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية وعضو المجلس الأعلى .	امضاء
محمد ابراهيم	عضو بمجلس الأزهر الأعلى .	امضاء
محمد الأحمدى	عضو بمجلس الأزهر الأعلى .	امضاء
محمد شاكر	وكيل الجامع الأزهر سابقا ومن هيئة كبا رالعلماء .	امضاء
محمد حسنين	وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية سابقا ومن هيئة كبار العلماء .	امضاء

[٧٠٥]

الاســـم	الوظيفـة	ملاحظات
محمود الجزيرى	من هيئـة كبار العلمـاء .	امضـاء
عبد الحميد زايد	من هيئـة كبار العلمـاء .	امضـاء
ابراهيم الحديدى	من هيئـة كبار العلمـاء .	امضـاء
دسوقى العربى	من هيئـة كبار العلمـاء .	خاتم
محمد أحمد الطوخى	من هيئـة كبار العلمـاء .	امضـاء
عبد المعطى الشرشيمى	من هيئـة كبار العلمـاء .	امضـاء
مصطفى عبد الرازق	السكرتير العام لمجلس الأزهـر الأعلى والمعاهد الدينية العلمية الاسلاميـة	امضـاء
عبد الغنى محمود	عضو بمجلس الأزهر الأعلى .	امضـاء
نبوى نجا الابيارى	من علماء الأزهر الشريف .	امضـاء
محمود الامام	من علماء الأزهر الشريف .	امضـاء
حفناوى السيد الجيزاوى	من علماء الأزهر الشريف .	امضـاء
عمر محمد الهجرسى	من علماء الأزهر الشريف .	امضـاء
صادق عـزام	من علماء الأزهر الشريف .	امضـاء
محمد نجاتى	هيئة كبار العلماء .	امضـاء
عبد الرحمن عيد المحلاوى	« علمـاء الأزهـر واستاذ الشريعـة الاسلامية بالجامعة المصرية .	امضـاء
ابراهيم زيان	من علمـاء الأزهر .	امضـاء
عبد الغنى مهنا	من علمـاء الأزهر .	امضـاء
أحمـد الصفتى	من علمـاء الأزهر .	امضـاء
عبد السلام البشرى	من علمـاء الأزهر .	امضـاء

كتاب اللورد اللنبى الى شيخ الأزهر

[٧٠٦] ولما تسلم اللورد اللنبى هذا الاحتجاج اسرع الى الاعتزار عن الحادث اذ أنه كان يعرف ما يحدثه عمل الانجليز هذا من الآثر السيء فى نفوس المسلمين كافة فى جميع أقطار العالم (١) وهذه صورة خطابه الذى أرساه الى شيخ الأزهر وهى :

« حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر .

« لقد تلقينـا كتابـكم الذى وجهتموه الينـا مع حضرات أصحاب الفضيلة والسيادة علماء الأزهر الشريف وأعضاء مجلسه الأعلى وقد أمرنا باجراء التحقيق اللازم فى حادثة يوم ١١ ديسمبر .

« وقد يظهر أن بعض الأفراد السيىء النية كانوا قد هاجموا الحوانيت ولما طاردتهم الجنود البريطانية التجأوا الى الأزهر وجعلوا يقذفـون منه الأحجار على الجنود حتى اذا ما آثاروا غيظهم اقتفوا آثر المعتدين اللاجئين فى جوانب الأزهر ولا يغرب عن فضيلتكم أن ذلك قد حدث فى الوقت الذى تهيجت فيه نفوس الجنود » .

« ولكم أن تثقوا بأنه لم يقصد البتة انتهاك حرمة الأزهر ولا التعدى على كرامة فضيلتكم أو السادة العلماء أو الطلاب المسالمين وبينما نأسف فى هذه الأونة لوقوع هذا الحادث الا أننا نرجو أن نوجه نظر فضيلتكم الى أنه من الواجب على الهيئة الرئيسية للأزهر الشريف أن تمنع استعمال جوانب الجامع لأعمال الاعتداء المخالفة للقانون » .

المندوب السامى

رأى علماء الأزهر الشريف فى
الحال الحاضرة

[٧٠٧] هذا ولقد رفع أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف وهيئة كبار العلماء وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية عريضة تتضمن

---

(١) كان الانجليز حذرين للغاية فى التعامل مع المؤسسات الاسلامية فى مصر ، وهى سياسة استمروا فى اتباعها منذ حدوث الاحتلال عام ١٨٨٢ ، وهو الأمر الذى جعلهم يقبلون بعدم التدخل فى شئون الأزهر والأوقاف وترك هذه الشئون للحكام من أبناء اسرة محمد على .

رأيهم فى الحالة الحاضرة بالقطر المصرى وقد أبلغوها الى عظمة السلطان ورئيس الوزراء والمندوب السامى وهذه هى صورة الاحتجاج (١) ٠

[٧٠٨] ان علمــاء الأزهــر الشريف وأعضــاء مجلسه الأعلى بازاء الظروف الحاضرة (٢) وما جرته على البلاد من خطوب تفاقمت فى هذا العهد حتى بلغت من الشدة درجة لايحسن السكوت عليها ، يرون من أقدس الواجبات التى فرضها الله عليهم الا يتوانوا عن القيام بوظيفتهم من ابداء النصح والارشاد الى ما فيه تأييد السلم فى الأرض وتوطيد العلائق الحسنة بين الأمم والشعوب على دعائم الصفاء والعدل طبقا لما أمر الله به فى جميع الشرائع المنزلة ولا سيما الشريعة الاسلامية الغراء ٠

« أجمعت الأمة المصرية على التمسك بحقها الشرعى فى الاستقلال التام وأصرت على المطالبة به بكل ما لديها من الوسائل المشروعة دون أن يظهر من جانب الحكومة الانجليزية ميل الى الاعتراف بهذا الحق فأدى ذلك الى أحوال تشعر بما يخالج النفوس من الريب والحذر والقلق . فكانت النتيجة استمرار الاضطراب وتعطيل المصالح العامة والخاصة ٠

« لذلك يرى علماء الأزهر الشريف ورجال مجلسه الأعلى الموقعون على هذا ان الطريقة الوحيدة لتوطيد السلام وللتوفيق بين الطرفين ولصون المصالح المتبادلة هى :

[٧٠٩] « أن تفى الدولة الانجليزية بوعودها وتعترف بالاستقلال التام لهذا البلد الممتاز بميراثه المجيد وبمكانته الخاصــة وبمقامة الراجــح فى بلاد الشرق أجمع ٠

« وبذلك تمتنع وسائل الشدة التى طالما ظهرت آثارها بما يوجب الأسف الشديد ، ويخلد أبناء الأمة كلهم الى الهدوء والسكينة ولا يضمرون ضغنا ولاحقدا للحكومة الانجليزية ويقومون بالمحافظة على مصالحها مثــل مصالح سائر الدول الأجنبية ٠

« هذه هى الأمانة التى وضعها الله فى أعناقنا ، قد أديناها قياما بالواجب على خدام الدين ونشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين ٠

---

(١) صورة الاحتجاج توجد أيضا فى :

ـ عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ٢ ص ٧٩ ٠

ـ المقطم ١٧ ديسمبر ١٩١٩ ٠

(٢) يقصدون ظروف الثورة ٠

أسماء ووظائف الموقعين

الاسم	الوظيفة	ملاحظات
محمد أبو الفضل	شيخ الجامع الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى .	أمضاء
محمد بخيت	مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ومن هيئة كبار العلماء وعضو المجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية	أمضاء
أحمد نصر	نائب شيخ السادة المالكية بالديار المصرية ومن هيئة كبار العلماء وعضو بمجلس الأزهر الأعلى .	أمضاء
محمد النجدى	شيخ السادة الشافعية بالديار المصرية ومن هيئة كبار العلماء وعضو بمجلس الأزهر الأعلى .	أمضاء
محمد ربيع الذهبى	نائب شيخ السادة الحنابلة بالديار المصرية وعضو مجلس الأزهر الأعلى .	أمضاء
أحمد زكى	عضو المجلس الأعلى للأزهر الشريف والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية .	أمضاء
عبد الرحمن قراعة	وكيل الجامع الأزهر والمدير العام للأزهر والمعاهد الدينية الاسلامية وعضو المجلس الأعلى .	أمضاء
محمد ابراهيم	عضو بمجلس الأزهر الأعلى .	أمضاء
محمد الأحمدى	عضو بمجلس الأزهر الأعلى .	أمضاء
محمد شاكر	وكيل الجامع الأزهر سابقا ومن هيئة كبار العلماء .	أمضاء
محمد حسنين	وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية سابقا ومن هيئة كبار العلماء .	أمضاء
محمود الجزيرى	من هيئة كبار العلماء	أمضاء

[٧١٠٦]

الاســـم	الوظيفـــة	ملاحظات
عبد الحميد زايد	من هيئة كبار العلماء	أمضـــاء
ابراهيم الحديدى	من هيئة كبار العلماء	خاتـــم
دسوقى العربى	من هيئة كبار العلماء	أمضـــاء
محمد أحمد الطوخى	من هيئة كبار العلماء	أمضـــاء
عبد المعطى الشرشيمى	من هيئة كبار العلماء	أمضـــاء
مصطفى عبد الرازق	السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية .	أمضـــاء
عبد الغنى محمود	عضو مجلس الأزهر الأعلى	أمضـــاء

مظاهـــرة الطلبة المصريين بلندن

[٧١١] عرفت أيها القارىء مقدار شعور الأمة المصرية نحو قضيتها الكبرى ووقفت على دقائق حركتها ضد الغاصب المحتل ومشايعيه ولاجل أن نبين لك تمكن ذلك الشعور الوطنى وتغلغله فى أبناء الأمة المصرية المقيمين فى الخارج واهتمامهم بقضية مصر التى هى قضية الجميع نروى لك وصف المظاهرة التى قام بها الطلبة الموجودون فى انجلترا حوالى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩١٩ وهذا هو نص ما أرسله أحد الطلبة بلندن الى احدى الصحف لنشره :

« قام الطلبة المصريون الموجودون فى بريطانيا العظمى بمظاهـــرة كبرى فى أهم شوارع لندن . وقد حضر الى لندن خصيصا لهذا الغرض وفود تمثل المصريين الذين فى جامعات منشستر وبرمنجهام وليفربول وجلاسجون وغيرها .

« اجتمع الطلبة أولا فى ساحـــة كبرى فى أوتيل أمبريـــال وألقوا كثيرا من الخطب الحماسية التى تدل على حزنهم الشديد لأحوال بلادهم وبعد الانتهاء من الخطب تقرر بالاجماع أن يكون قرياقص أفندى ميخائيل الصحافى المصرى وهو أحد طلبة الفلسفة بجامعة لندرة منظما للمظاهرة

وبناء عليه خرج الطلبة الى ساحة ميدان عمومى كبير فاصطفوا وفى مقدمتهم راية كبرى مرسوم عليها الهلال والصليب ومكتوب عليها اسم المجتمع المصرى فى بريطانيا العظمى (١) وهذه الكلمات بالانكليزية « مصر تنادى الديموقراطية البريطانية أن تمنع اطلاق الرصاص على السكان العزل ، وسارت المظاهرة فى هلبورن وشارع فلبت وشارع اكسفورد (٢) فكانت الجماهير تتزاحم على قراءة الكلمات المكتوبة على العلم وأبدى كثيرون [٧١٢] علامات الأسف·ولما وصل الموكب الى الحديقة المشهورة «هايدبارك» (٣) اجتمع حول المتظاهرين عدد وافر من الناس وبناء على الحاح كثير من الانجليز ارتجل قرياقص أفندى (٤) خطابا قصيرا بصوت رنان شرح لهم فيه الغرض من هذه المظاهرة وقال انه لولا ثقتنا العظمى فى انسانية الشعب البريطانى لما خرجنا فى شوارع لندره بهذا الشكل اليوم ثم أبدى شكر المصريين للجمهور على ما أظهرة من العطف وقال أنه يؤكد بانه لو عرف الشعب الانكليزى حقيقة ما يحصل بمصر لطلب من حكومته أن تقدم حسابا عن الفظائع التى تحصل بها ·

« ومما يذكر هنا أن العلم كان أسود مجللا بعلامات الحزن والكتابة عليه كانت بحروف حمراء كالدم » ·

« وبعد المظاهرة ذهب وفد وعلى رأسه قرياقص أفندى الى ادارات الجرائد لتنويرها عن الحالة فى مصر فنشر كثير منها عبارات مختلفة فى اليوم الثانى ·

الحجر على حرية الأستاذين عاطف بركات بك
وعلى عمر بك واحتجاج نقابة المعلمين

[٧١٣] كانت السلطة العسكرية قد الزمت كلا من حضرتى الأستاذين محمد

---

(١) ترجمة Egyption community in great Britain.

وكان يستحسن ان تترجم الجالية المصرية فى بريطانيا العظمى ·

(٢) من شوارع وسط لندن ·

(٣) الحديقة المشهورة بحرية التعبير عن الراى فى لندن ·

(٤) ميخائيل قرياقص أحد المثقفين الاقباط الذين كانوا موالين للانجليز قبل عام ١٩١٤ هاجر الى انجلترا وصدر له كتاب معروف بالانجليزية تحت عنوان
Copts and Moslems under British control London, 1911.
غير انه مع قيام ثورة ١٩١٩ تحول ولاءه بمقدار ١٨٠ درجة الى الحركة الوطنية المصرية وأصبح من كبار أنصارها فى انجلترا ·

عاطف بركات بك ناظر مدرسة القضاء الشرعى وعلى عمر بك بأن يبرحا القاهرة ويلزما بلدهما .

وقد اجتمعت نقابة المعلمين فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ وقررت أن ترفع احتجاجها على هذا التعسف الى رئيس الوزراء وهذه هى صورة الاحتجاج .

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

[٧١٤] (١) « فى يوم الجمعة ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ نبهت السلطة العسكرية على حضرة محمد عاطف بك بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعى ووكيل نقابة المعلمين أن يبارح القاهرة الى عزبته بمديرية القليوبية وألا يبرحها لأسباب لم تعلن .

وفى يوم السبت ٦ ديسمبر سنة ١٩١٩ أرسلت وزارة المعارف العمومية الى حضرة على عمر بك المفتش بالوزارة ونقيب المعلمين تلغرافا مستعجلا أن يبقى بمدينة سوهاج ولا يعود منها الى القاهرة .

ولما كانت نقابة المعلمين ترى فى الحجر على حرية نقيبها ووكيلها ما يمس كارمتها بصفتها جمعية الغرض منها المساعدة على نشر التربية العامة فى جميع طبقات الأمة كما جاء فى المادة الأولى من قانونها .

من أجل ذلك قرر مجلس النقابة المنعقدة فى يوم الاثنين ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ الاحتجاج لدى دولتكم على هذا العمل باسم نقابة المعلمين » .

التوقيعات

أعضاء مجلس نقابة المعلمين

« احتجاج السيدات المصريات المجتمعات »

[٧١٥] « بالكاتدرائية المرقسية فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ » (٢)

ولقد اجتمع عدد عظيم جدا من السيدات المصريات بالكتدرائية

---

(١) هذه الصفحة مرقمة فى أصل المذكرات (٦١٤) غير أن ترقيمها الصحيح كان ينبغى أن يكون (٧١٤) لذا رعينا أن توضع فى مكانها الصحيح بما يتناسب مع صياغة الأحداث .

(٢) لم يات اختيار الكاتدرائية المرقسية للاحتجاج على وزارة يوسف باشا وهبة من فراغ فقد كان مقصودا الا تبدو الحركة موجهة لرئيس الوزراء بسبب قبطيته .

المرقسية للاحتجاج على قيام وزارة وهبه باشا وقدوم لجنة ملنر وهذه صورة الاحتجاج :

طالبت الأمة المصرية باستقلالها الذى تريد انجلترا الاعتداء عليه وسلكت فى ذلك كل السبل السلمية المشروعة فأصرت انجلترا على نية سلب ذلك الاستقلال ومناوأة المصريين العدوان ٠

« أصرت انجلترا على تلك النية بالرغم من الوعود الصريحة المتكررة التى ارتبط بها كبار ساسة الانجليز المسئولين بالنيابة عن حكومتهم وامتهم بأن انجلترا لاتنوى اطالة أجل احتلال مصر ولا فى اعلان الحماية عليها وبالرغم من التصريحات الرسمية التى جاهروا بها فى السنوات الخمس الأخيرة من أنهم انما خاضوا غمار الحرب العالمية الأخيرة لنصرة الحق والقضاء على القوة الغشومة وتأييد استقلال الأمم الصغير وبالرغم من مبادىء الرئيس ويلسون التى أقرها جميع الحلفاء واتخذها فريقا المتحاربين أساسا للهدنة ولعقد الصلح وهى المبادىء التى قررت صراحة أن الشعوب ليست من السلع التى تنتقل من يد الى أخرى وان لها وحدها الحق فى تقرير مصيرها ٠

« وبالرغم من اجماع المصريين من كل الطبقات والعناصر اجماعا لم ير التاريخ له مثيلا على المطالبة باستقلالهم ورفض الحماية ٠

« وبالرغم من كل الضحايا التى قدمها المصريون فى سبيل تأييد قضية الحلفاء التى قيل لهم انها قضية العدل والحق :

« وبالرغم من ان الحياة الحرة المستقلة حق طبيعى لجميع الشعوب فليس لشعب ان يسلب شعبا آخر هذا الحق كما لا يجوز لانسان أيا كان أن يعتدى على حرية انسان آخر ٠

« وبالرغم من اننا نملك استقلالا داخليا تاما كسبناه بدماء أبنائنا ولولا مؤامرت أوربا علينا خوفا من أن تغزوها جيوشنا لكان استقلالا مطاقا من كل الوجوة منذ زمن بعيد على اننا نملك اليوم الاستقلال المطلق ٠ قانونا بمجرد زوال علاقتنا بتركيا ٠ [٧١٦]

« بالرغم من كل ذلك أصر الانجليز على اهتضام (١) حق الأمة المصرية

---

(١) اهتضام الحق بمعنى هضمه ٠

فى الاستقلال بدعوى انهم يسلبون استقلالنا ليدافعوا عنا ويدوسون على حريتنا ليعلمونا كيف نحكم أنفسنا ٠

« أصروا على ذلك مع ما فيه من حنث العهود واخلاف الوعود وامتهان المعاهدات الدولية واعتبارها قصاصات أوراق فحاربوا الوفد الذى أثابته جميع طبقات الأمة ووكله جميع ممثليها للدفاع عن قضية مصر أمام العالم واعتقلوا كبار أعضائه ولم يطلقوا سراحهم الا بعد أن ثارت الأمة رجالا ونساء ثورتها التاريخية العظيمة ٠

واسمعت العالم صوتها ثم أوصدوا دون الوفد أبواب مؤتمر السلام وحملوا ذلك المؤتمر على تقرير الحماية الانجليزية على مصر من غير سماع أقوال ممثليها خلافا لقواعد العدالة العامة ثم أرادوا اليوم أن يتصيدوا من المصريين نفرا من الخونة يقرونهم على الحماية عساهم يصلون الى اكسابها غشاء شرعيا مهما كان شفافا فأرسلوا لجنة ملنر لهذا الغرض على الرغم من اجماع المصريين كافة على مقاطعة هذه اللجنة التى جاءت لتأييد دعائم الحماية الباطلة ٠

« وبما أن النساء المصريات قد قمن بواجبهن فى جميع ادوار الحركة المصرية فاحتججن مرارا على كل ما أوقعة الانجليز بهذه الأمة من القهر والمناوأة وحكم الارهاب فهن يرين الآن أن يقمن بهذا الواجب مرة أخرى بمناسبة قدوم لجنة ملنر ٠

« فلذلك »

« اجتمعت السيدات المصريات الموقعات على هذا زوجات وأخوات وبنات النواب والأعيان والموظفين والمحامين والأطباء والمهندسين والفلاحين وغيرهم من ممثلى طبقات الأمة وعناصرها فى يوم الجمعة ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ فى كنيسة الأقباط الكبرى بالقاهرة وقررن تأييد مقاطعة هذه اللجنة الاستعمارية والاحتجاج على قدومها لمناوأة الأمة فى مطلبها الحق المشروع والاصرار على التمسك باستقلال مصر التام ٠ [٧١٧]

« فلتحى مصر ولیحی الاستقلال التام »

التوقيعـــات

نعمت حمدى ٠ سنية عبد الوهاب ٠ فاطمة خالد حمدى ٠ نجية سالم ٠ فاطمة على ٠ شريفة رياض حرم محمود رياض باشا ٠ بديعة شكرى

بطرس • لولو طوخى • اليس طوخى • برلنته ويصا واصف • متلده الدكتور ابراهيم المنياوى • نعيمة أبو أصبع • شاهته شريف • نعمت حجازى • ملكة سعد • زينب يحيى • نعيمة رمزى • فردوس يحيى • عنايت سلطان • فتحية أسعد • وهيبة شاروبيم حرم الدكتور نجيب اسكندر • بلسم عبد الملك • حرم محمد بك على المحامى • دولت أبو أصبع • عطية فواز • حرم حسن بك نبيه • حرم السيد حسين صابر • اعتدال شكرى • حرم ميخائيل بك شاروبيم • حرم الدكتور ابراهيم حسن • درية الباجورى • ندية لبيب • جميلة محمود • عليه سعد الدين • عائشة أبو شادى • أمينة فؤاد • عطية عزيز الفلكى • بديعة منصور • فاطمة حسيب • فهيمة مختار • عائشة فهمى • نعيمة شريف • فايقة فتحى • فاطمة لبيب • سوخ ميخائيل • استر فهمى ويصا • زينب محمد ابراهيم • نفيسة عفت • منيره مختار • البارودية عزبة البارودية • رفيقة حجازى • أمينة نجيب • احسان أحمد القوصى • اليس رياض • الفت راتب • فاطمة نجيب • حرم الدكتور راشد يوسف • هدى شعراوى • شفيقة عبد الرازق • حرم محمد بك نجيب • جليلة فريد • بديعة قلادة • فاطمة سليمن • احسان ثابت • رنك كلى جميلى • زينب شريف • فهيمة ثابت • فاطمة رجب • عزيزة سامى • لبيبة حفظى • رجيته خياط • رفقة توفيق • أمينة القوصى • فتنة شنودة • حكيمة أمين فكرى • استر منقبادى • مارى ابراهيم مدرسة • عايدة جرجس مدرسة • نبيهة خليل مدرسة • روزينا بولس مدرسة • فايقة وهبة مدرسة • ليزة مينا • ايدا لوقا • روزينا اسحق • مارى بطرس مدرسة • ليديا جرجس ، تريزه بشارة • تساموں لبيب • أميمة تمام • اليس نسيم • منيرة حبيب • زيزف بولس • خديجة سعد • بدور جندى • شفيقة ناشد • عايدة جورجى • بهجة أيوب • انصاف ابراهيم • ملكة ميخائيل • عطيات راغب • فايزة ميخائيل • عزيزة أرمانيوس • روزة مرقص • أوجينى مسيحة • بديعة راغب • اديل برسوم • برلنتة فهمى مدرسة • بدور داود • ليزة جندى • مارى جندى • سوسانة أبادير • مارى زكى • حكيمة حنا • منيرة صليب مدرسة • بهجة جرجس مدرسة • مارى ملك • مارى عبده • يفكتوريا وهبة • وديعة حنا • فرحة شاء الله • صوفى مكرم • كوكب بولس • بهجة حنا • ملكة بولس • لولو ابراهيم • سارة ميخائيل • لولو جرجس • ليلى فرج • منيرة عوض • بهيجة عوض • زبيده أحمد • زينب حسن • أمليه عوض • اسكندرة ميخائيل • الست أم جرجس • زينب حسن • الست عزيزة حنا • جميانة بولس • فاطمة حسن • نبوية على • وحيدة على • فريدة فريد كامل • مارى فريد كامل •

[٧١٨]

حـرم ميخائيل غبريال · حـرم بولس أفنـدى جرجس · حـرم القمص بولس · حرم على يونس الجزار · حرم برسوم غبريال · كريمة القمص غبريال بشارة · حرم نقولا ابراهيم · كريمة نقولا ابراهيم · حرم حماية حنا · دولت حماية · منيرة حماية ·ماتلدة ميخائيل · عفيفة فهيم · ليزة جندى · ملة سعد · حرم ابراهيم عبد الله · حرم شاكر حسن · سعاد حسنين حرم المرحوم الشيخ موسى عفيفى · نبوية موسى التلميذة · فاطمة حسنى · خديجة على حرم على الكفراوى · حرم ابراهيم حسن · معجبة على · فريدة محمد · جليلة متولى عبد العال · فاطمة محمد الخشاب · زوجة الشيخ على غنيم · جماية على · فريدة محمد · كريمة متولى عبد العال · حرم الشيخ يوسف غنيم · زوجة شديد غنيم · عفيفة عبد الملك · محبوبة موسى · فهيمة سيداروس · بلسم بنت القمص يوحنا · ذكية القمص فلينى · افراسينه سيداروس · فريدة شنودة · عزيزة سيد اروس (١) ·

الاعتداء على يوسف وهبة باشا
رئيس الوزراء

[٧١٩] في منتصف الساعة العاشرة من صباح يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ خرج دولة يوسف وهبة باشا من منزله بشارع الشواربى قاصدا ديوان المالية ومعه الضابط سليم أفندى زكى الذى يرافقه وراء سيارته جنديان من راكبى الموتوسيكل لخفارته · فلما وصلت السيارة فى شارع سليمان باشا الى قبالة النادى الطليانى أسرع شاب كان جالسا فى «الكفيه ريش» الى يمين الشارع المقبل منه الأوتوبيل فاستقبل الأوتوموبيل بوجهه ورفع يده فارتاب السائق فى أمره وأدار الأوتوموبيل ليتحول عنه وفى أثناء هذه الفوضى ألقى الشاب قنبلة أخطأت غرضه لدوران الأوتوموبيل بسرعة فالقى قنبلة أخرى تجاوزت الأوتوموبيل أيضا فاندفع الجندى راكب الموتوسكل للقبض عليه فسقط على الأرض وبعد أن ألقى الشاب القنبلتين وضع يده فى جيبه ليخرج منه مسدسا ولكن الضابط سليم أفندى زكى كان قد وصل اليه قبل أن يتمكن من اطلاق المسدس وصوب اليه مسدسه

---

(١) يلاحظ على هذه القائمة انها ضمت نسبة كبيرة من الأقباط والمسلمين وان بعض شخصياتها كانت ذات مكانة كبيرة (هدى شعراوى) أو اصبحت لها هذه المكانة فيما بعد (نبوية موسى) وانه كلما كانت الاشارة للزوج أو الأب لها دلالة بسبب مكانته الاجتماعية أو موقعه السياسى تمت الاشارة الى ذلك ·

طالبا منه أن يسلم نفسه ففعل ثم سأله هل يحمل سلاحا آخر فأنكر ولكنه لما فتشه وجد معه مسدسا آخر و ٢٤ خرطوشة وبعد ذلك أخذه معه فى عربة الى وزارة الداخلية أما رئيس الوزراء فقد رجع الى منزله ثم ذهب الىوزارة المالية ٠

وهذا هو نص البلاغ الرسمى الذى اذيع فى اليوم التالى لهذه المناسبة :

[٧٢٠] « بينما كان صاحب الدولة يوسف وهبة باشا كبير الوزراء ذاهبا فى سيارته من منزله الى الوزارة فى منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم اذا يطالب قبطى من طلبة مدرسة الطب اسمه عريان يوسف سعد قد تقدم الى الطريق أمام (كافيه ريش) بميدان سليمان باشا ألقى قنبلتين نحو سيارة دولته وكان سائق السيارة لحسن الحظ قد رأى هذا الطالب يتأهب لالقاء القنبلة الأولى فأوقف السيارة وكانت النتيجة أن انفجرت القنبلة على بعد بعض ياردات من السيارة الى الأمام عند ذلك أسرع الطالب الى القاء القنبلة الثانية فعدت السيارة وتجاوزتها ثم انفجرت فى الطريق ٠ ولم تحدث أى ضرر لاحد ٠

وقد كان اليوزباش سليم أفندى زكى من ضباط بوليس القاهرة مرافقا لصاحب الدولة كبير الوزراء فى سيارته فأسرع الى القبض على الجانى الذى كان حينئذ يحاول اخراج مسدس من جيبه فأمكن اليوزباشى بمعونة الحرس من « كنستبلات » العجلات السيارة (١) أن يجردوا الجانى من السلاح قبل أن يطلق مسدسه وكان معه مسدسان محشوان بالرصاص و ٢٤ خرطوشة ٠

« وقد اعترف الجانى بانه كان يفكر فى قتل صاحب الدولة كبير الوزراء منذ سبعة أيام وانه لبث ينتظر مرور دولته بجوار « كافيه ريش » صباح أمس حتى الساعة التاسعة والدقيقة ٤٥ ولما لم يمر دولته بها لأنه اتخذ طريقا آخر انصرف الجانى ٠

ويتولى التحقيق صاحب السعادة النائب العمومى ٠

المحامون ولجنة اللورد ملنر

[٧٢١] كان المحامون قد قرروا فيما بينهم قبل حضور لجنة ملنر الى مصر الاضراب أسبوعا عند مجىء اللجنة احتجاجا على قدومها٠

(١) يقصد الدراجات النارية (الموتوسيكلات) ٠

وفى يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ اجتمع حضراتهم (١) وقرروا الاضراب أسبوعا ابتداء من يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ وهذا هو نص قرارهم :

« قرر المحامون المصريون المقيدون فى جدول المحاماة أمام المحاكم الأهلية والمحاكم المختلطة المجتمعون فى جمعية عامة يوم الاثنين ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ الساعة العاشرة صباحا ما يلى :

« من حيث أنه على الرغم من رغبة الشعب المصرى الذى أيدها باجماع فى الدفاع عن استقلاله التام بجميع الوسائل المشروعة فان مجهود الاستعماريين الانجليز يرمى الى جعل مسألة مصر مسألة انجليزية داخلية .

« ومن حيث أنه توجد فى مصر الآن لأجل هذا الغرض لجنة يرأسها اللورد ملنر تصرح انها ستسعى فى منح مصر نوعا من الاستقلال الذاتى فى حدود الحماية البريطانية .

« ولكن من حيث أن الشعب المصرى يرفض كل نظام يجىء من دولة أجنبية ولا يقبل غير الاستقلال التام الذى حصل عليه من قبل بدم أبنائه الغالى .

« ومن حيث أنه أكد بجميع الوسائل التى قدر عليها رغبته التى لا تتحول فى ألا تكون له علاقة ما بتلك اللجنة .

[٧٢٢] « ومن حيث أن تشبث السلطات البريطانية فى أن تطبق على شعب كامل نظاما يرفض هذا الشعب بشدة تحمله يعتبر خرقا واضحا لحرمة حقوق الشعب فى تقرير مصيرها تلك الحقوق التى اعترف بها وصرح بها أيضا .

« ومن حيث أن الاحتجاجات عامة تجىء من جانب كل طبقات السكان .

« ومن حيث أن المحامين على الخصوص وقد ميزتهم مهنتهم بواجب الدفاع عن الحق المهضوم ينبغى عليهم الاشتراك فى اظهار الرغبة القومية .

« ومن حيث أنه ليست هناك طريقة أخرى أدل على التضامن فى المهنة تقرر بالاجماع .

---

(١) تم الاجتماع فى قاعة محكمة الاستئناف الأهلية وكان على شكل الجمعية العمومية لنقابة المحامين .

انظر ـ المقطم فى ١٩١٩/١٢/١٣ .

«أن يمتنعوا عن الحضور الى الجلسات وعن مباشرة أى عمل من أعمال مهنتهم مدة أسبوع يبدأ من ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ » .

الموظفون ولجنة ملنر

[٧٢٣] أراد الموظفون أن يبدوا للجنة ملنر استياءهم من حضورها وتضامنهم مع الأمة فى خطة المقاطعة فاجتمعوا فى يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ بمسجد الشيخ صالح أبى حديد بشارع الحنفى (١) وقرروا الاضراب عن العمل يوما واحدا مراعاة لمصلحة الجمهور وهو يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ احتجاجا على قدوم لجنة ملنر واعلانا لمقاطعتها .

وقد وزعوا هذه المنشورات على الناس وهى كما يأتى :

« قرار الموظفين »

« قرر موظفو وزارات الحكومة ومصالحها فى اجتماعهم العام الساعة الثالثة والنصف بعد ظهرالاثنين الاضراب العام يوما واحدا مراعاة لمصلحة الجمهور وهو يوم الأربعاء ١٧ ديسمبر احتجاجا على قدوم لجنة ملنر واعلان مقاطعتها » .

ولكن مجلس الوزراء اجتمع فى صباح يوم ١٦ ديسمبر وحضر اجتماعة المستشار المالى وتباحثوا فى مسألة قرار الموظفين بالاضراب يوما واحدا واتفقت آراؤهم على دعوة رؤساء المصالح والمكاتب وأبلغوهم شفويا أن يبلغوا مرؤسيهم بأن من يضرب عن عمله تتخذ ضده الاجراءات الشديدة فأبلغ هؤلاء الرؤساء هذا النبأ الى الموظفين قبل انصرافهم من الدواوين وقد وزع بعض الرؤساء قرار مجلس الوزراء على الموظفين كتابة من غير أن يعرفوا نص البلاغ . مثال ذلك ما جاء فى احدى البلاغات وهو : « ليعلم موظفو الوزارة ومستخدموها وموظفو ومستخدمو المصالح والأقسام التابعة لها انه اذا حصل اضراب أحدهم عن عمله ولم يحضر الى الديوان فانه لا يتخذ معه ما سبق اتخاذه فى الاضراب السابق (١) بل ان العقاب الذى توقعه عليه بشأن ذلك سيكون شديدا » . [٧٢٤]

الرافعى ـ ص ٧٥ .

(١) يوجد هذا المسجد بالناصرية .

(١) هدد الرؤساء موظفيهم بان أول عقاب سيقع عليهم هو قطع علاوة الحرب والزيادات الأخرى التى تبلغ فى مجموعها ٨٠٪ من المرتب وفصل كل موظف لا تزيد مدة خدمته عن عشر سنين .

وعلى ذلك امتنع الموظفون عن الاضراب فى هذه المرة خشية استعمال الشدة معهم •

ولكن وان كان هذا التهديد قد جعل الموظفين يحجمون عن الاضراب الذى اعتزموه فانه لم يمنع موظفى بعض الوزارات من الاحتجاج على الحماية وعلى الاعتقالات والاضطهادات التى توقعها السلطة على الشعب وعلى مصادرة الموظفين فى شعورهم الذى أرادوا اظهاره بالاضراب ولنقدم الى القارىء مثالا من ذلك باثبات احتجاج موظفى وزارة الأوقاف وهو :

احتجاج موظفى وزارة الأوقاف (١)

[٧٢٥] «أعلنت انجلترا حمايتها على مصر فنكثت العهود الرسمية الصريحة التى قطعتها على نفسها أمام مصر والعالم من أنها لن تطيل أجل احتلالها هذه البلاد أو تسعى لبسط الحماية عليها •

ونقضت التصريحات العديدة التى جاهرت بها على ملاء العالم من أنها اقتحمت غمار الحرب الكبرى لتأييد الحق على القوة ونصرة الأمم الصغيرة •

« وامتهنت مبادىء ولسن التى اتخذتها مع حلفائها وأعدائها أساسا لعقد الهدنة والصلح وهى المبادىء التى نصت على أن الشعوب وحدها صاحبة الحق فى تقرير مصيرها •

« وانتهكت حرمة معاهدة لندن التى كانت هى احدى الدول العظمى الموقعة عليها •

« فانكر المصريون على انجلترا اعتداءها على استقلالهم وأجمعوا على المطالبة به ورفضوا الحماية الانجليزية رفضا باتا لأن الاستقلال كالحياة الحرة حق طبيعى تأبى أصغر الأمم وأضعفها أن تسلم بسلبه فكيف بالأمة المصرية التى كانت بالأمس أعرق الأمم فى المدنية القديمة وأصبحت اليوم صاحبة المقام الراجح فى الشرق وواسطة عقد الاتصال بينه وبين الغرب وقد نالت بدماء أبنائها منذ ثمانين عاما استقلالا يكاد يكون تاما وقد تم بعد انقطاع صلتها بتركيا •

---

(١) ينبغى ان يلاحظ فى هذا الصدد ان وزارة الأوقاف على وجه التحديد كانت من الوزارات التى لم يعرف الوجود الانجليزى طريقه اليها بحكم طابعها الدينى الأمر الذى جعل موظفيها أكثر جراة فى التعبير عن موقفهم •

«على أن انجلترا استرسلت فى التمسك بالحماية الباطلة التى أعلنتها وأرادت قهر المصريين على قبولها بحكم الارهاب فمنعت الوفد المصرى من السفر الى أوربا لبسط قضية مصر أمام شعوب العالم وحكوماته .

« وقبضت على رئيس الوفد وثلاثة من أعضائه ونفتهم ولم تطلق سراحهم الا بعد أن قام الشعب المصرى قومته التى قهرتها انجلترا بالوسائل التى لاتزال ذكراها المؤلمة قائمة فى الأذهان وجروحها دامية فى القلوب

[٧٢٦] « ثم اتخذت من نفوذها فى مؤتمر السلام سبيلا الى اقفال باب المؤتمر فى وجه الوفد وحمل الدول على الموافقة على الحماية من غير سماع صوت مصر خلافا لمبادىء العدالة .

« وها هى اليوم بعد أن مهد السبيل لحضور لجنة ملنر باعتقال وابعاد كثير من زعماء المصريين وأعضاء لجنة وفدهم وبالضغط الشديد على حرية الصحافةومنع الخطابة والاجتماع وباطلاق رصاص البنادق والمدافع الرشاشة فى شوارع المدن على المتظاهرين العزل من السلاح تريد أن تلجىء المصريين الى مفاوضة هذه اللجنة التى أتت لتأييد الحماية بعد أن أعلنوا جميعا بكل وسائل الاعلان تصميمهم على مقاطعتها .

« وبما أن الموظفين المصريين قرروا فى أوائل شهر ابريل الماضى تمسكهم باستقلال مصر التام ورفض الحماية رفضا باتا نفيا لما عزاه اليهم اللورد كرزون من الرضا بحالة مصر الحاضرة وأضربوا حينذاك ثلاثة أيام تأييدا لذلك القرار ثم استمروا فى الاضراب احتجاجا على اراقة دماء المتظاهرين البريئة فى الشوارع ومدوه لمطالبة الوزارة الرشدية بأن تعلن وكالة الوفد رسميا عن الأمة وأن تعمل على ابطال الأحكام العرفية والغاء القوانين الاستثنائية وسحب الجنود الانجليزية من المدن والقرى ولم يعد الموظفون الى أعمالهم الا بعد ما استقالت الوزارة لما حيل بينها وبين اجابة المطالب القومية .

« وبما ان الاستهانة باجماع الأمة على طلب الاستقلال ورفض الحماية استهانة تجلت فى ارسال لجنة اللورد ملنر للقيام بمهمتها الاستعمارية فى وجه شعب مصمم على ابتغاء الحياة الحرة المستقلة مما يفرض على الموظفين أن يقوموا بواجبهم الوطنى مرة أخرى .

فبنـــاء عليـــه

[٧٢٧] « يقرر موظفو وزارة الأوقاف الموقعون على هذا انهم يحتجون أشد احتجاج على لجنة ملنر ويؤيدون مقاطعتها كل التأييد ويتمسكون كل التمسك برفض الحماية وبالمطالبة باستقلال بلادهم التــام الذى أنابوا عنهم الوفد المصرى برئاسة صاحب المعالى سعد زغلول باشا للسعى فى تحقيقة ·

« ويحتجون أشد احتجاج على بقاء حكم الارهاب فى البلاد وتعطيل الصحف والضغط على حريتهم والقبض على الزعماء الوطنيين وابعادهم واستمرار قتل المتظاهرين العزل من السلاح برصاص البنادق والمـدافع الرشاشة ·

« واخيرا يحتجون أشد احتجاج على مصادرة الموظفين فى شعورهم الوطنى بما اتخذ ازاءهم من التهديد والوعيد لمنع الاضراب الذى كانوا قد قرروا القيام به فى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ · »

فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام

اضراب المحامـين

[٧٢٨] وما ان حل يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ المذكور حتى نفذ المحامون قرارهم الذى اتخذوه ضد لجنة ملنر وهو الاضراب أسبوعا ·

وقد أنتدب مجلس النقابة بعضا منهم فى المحاكم ليطلبوا تأجيـل القضايا التى تعرض خلال الأسبوع المذكور ·

ومما يذكر بالفخار والابتهاج أن حضرات رؤساء المحاكم قد أجابوا مطالب المحامين واحترموا قرارهم وتضامن مع هؤلاء فى الاضراب : حضرات المحامين الشرعيين والمحامين المصريين لدى المحاكم المختلطة ·

اضراب الطلبة والتجار

وفى هذا اليوم كذلك أضربت جل مدارس القطر واستمر اضرابهم أياما طويلة · وكذلك اضرب فى هذا اليوم كثير من التجار والعمال فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم ·

ولقد كتبت بهذا الخصوص الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« لم تكتف الأمة المصرية بمقاطعة اللجنة الانكليزية بل ارادت أن تظهر استياءها للملأ بطريقة محسوسة فاضربت تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد الدينية عن الدراسة ولا يزالون مضربين للآن وأظن أن هذا الاضراب يستمر مادامت اللجنة الانكليزيـة بمصر . واضرب المحامون الاهليون وكذلك المحامون الشرعيون لمدة سبعة أيام ابتداء من ١٧ ديسمبر الجارى (ذكرى تاريخ وضع الحماية على مصر) وكذلك أضرب المحامون الوطنيون لدى المحاكم المختلطة سبعة أيام وكل ذلك ارسلناه لسعادتكم تلغرافيا فى حينـه . وكذلك أضربت الطوائف الآخرى كالحوذيـة وعمال الترام ولفافى السجاير الخ .

[٧٢٩] وكانت الصيغة التى اعلنوا بها اضرابهم لا تخرج عن احتجاجهم على الحماية وعلى قدوم اللجنة الانكليزية . وطلب الاستقلال التام .

« وبالجملة فالأمة كلها أظهرت من العواطف الوطنية ما يشرف كل مصرى ويرفع رأسه حتى فى أعين أعدائه الاحرار .

عبد الرحمن فهمى

ثم تناولت فى التقرير مسألة اضراب الموظفين وتهديدهم فقلت :

موظفو الحكومة بمصر والاسكندرية والوا الاجتماع أكثر من مرة لتقرير خطة احتجاج قاطع نحو اللجنة الانجليزية ونحو الحماية فقرروا الاضراب العام يوم ١٧ الجارى ولكن الوزارة اجتمعت ظهر يوم ١٦ وقررت انزال العقاب الشديد على كل من يضرب وهدد الرؤساء موظفيهم بأن أول عقاب يقع هو قطع علاوة الحرب والزيادات الأخرى التى تبلغ فى مجموعها ٨٠ ٪ من ماهية كل موظف ورفت كل موظف لا يكون له بالخدمة أكثر من عشر سنين .

لذلك رأى الموظفون خوفا على وحدتهم وانفصال من لم يخدموا أكثر من عشر سنين الاكتفاء بامضاء احتجاج على الحماية وعلى قدوم اللجنة وتقديمه للمراجع العليا . والعمل جارى فى ذلك بهمة (١) .

عبد الرحمن فهمى

(١) نص التقرير فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ١٦٢ — ص ١٦٩ وان كان مؤرخا بـ ٢٣ ديسمبر وليس ٢٠ كما أشار صاحب المذكرات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحجر على الصحف ومراقبتها

ولقد ساء السلطة والحكومة أن يتجلى شعور الشعب على صفحات الجرائد المصرية فأصدرت ادارة المطبوعات فى ١٨ ديسمبر بلاغا وزعته على الصحف بعنوان « تنبيه على حضرات أصحاب الصحف أن يحذروا كل الحذر من نشر ما من شأنه اثارة الجمهور وهو :

[٧٣٠] ان المسلك المخالف للنظام الذى سلكه الطلاب وغيرهم فى الأيام الأخيرة حتى بلغ أشدة فى تكرر الشروع فى القتل يمكن اسناده لدرجة عظيمة الى مواد نشرتها الصحف . وان ما تحدثه الجرائد فى الأقاليم من التأثير المخل بالنظام قد أصبح واضحا .

لذا فان المواد الصحفية الآتية ستجعل الجريدة التى تنشر شيئا منها معرضة للتعطيل بمقتضى الأحكام العرفية سواء أدرجت فى شكل أخبار أو أفكار :

١ ــ الاشارة الى الأعمال والآراء السياسية التى تصدر عن أشخاص لا يدركون تبعة ما يفعلون كتلاميذ المدارس وغيرهم .

٢ ــ نشر الاحتجاجات السياسية الموجهة الى السلطات أو اللجنة البريطانية ما لم يصادق عليها الرقيب .

٣ ــ كل ما من شأنه تحريض الموظفين العموميين أو غيرهم على الاضراب أو اهمال القيام بواجباتهم لأسباب سياسية .

٤ ــ كل خبر أو طعن من شأنه اثارة شعور العامة ضد الحكومتين البريطانية والمصرية أو من يمثلهما .

« على جميع رجال الصحافة أن يعملوا بهذه التعاليم من حيث مبناها ومعناها ونشير عليهم مراعاة للمصلحة العامة ومصلحتهم الخاصة أيضا أن يعرضوا على جناب رئيس المراقبة (بادارة المطبوعات) المواد التى يرتابون فى كيفية تأثيرها قبل نشرها » .

« هذا وليس الغرض من التعاليم السابقة منع الصحف من نشر الانتقادات والابحاث المعقولة فى الشئون السياسية وانما الغرض هو عدم نشر ما من شأنه المساعدة على مخالفة النظام والاخلال بالأمن العام » .

[٧٣١] ولقد كتبت الى الوفد عن ذلك فى تقريرى المؤرخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« أشار رئيس الوزراء باتفاقه مع زملائه على قلم المطبوعات بتقييد الصحافة أكثر من قيدها الأول فأصبح الأن محرما على الجرائد ذكر الاحتجاجات أياكان نوعها على اللجنة والحماية والحالة الحاضرة وسنرسل لكم صورة هذا القيد فى أول فرصة ٠

« ولقد اجتمع أصحاب الصحف اليومية واحتجوا كتابة على هذه القيود الجديدة ٠ ومن الغريب أنه حرم على الجرائد الاشارة الى هذه القيود أو الى احتجاجهم عليها ومن يفعل ذلك تقفل جريدته » (١) ٠

عبد الرحمن فهمى

---

(١) الفقرة ٩ من نفس التقرير السابق ص ١٦٩ ٠

محاولة لجنة ملنر الاتصال بكبار المصريين والتضييق عليها

[٧٣٢] لما استقر بلجنة ملنر المقام أخذت تستدعى كل من آنست فيه الميل الى الانجليز فخشيت أن تركن اللجنة الى أقوال أولئك الخارجين على رأى الأمة ولذلك عمدت الى طريقة مبتكرة تبدد مجهودات اللجنة سدى وتكون وسيلة فى الوقت نفسه الى الدعاية لنشر المقاطعة بين أرجاء البلاد ذلك أنى بثثت العيون والأرصاد فى جميع المسالك التى تؤدى الى فندق سميراميس – مركز اللجنة – وقد تزيوا بأزياء مختلفه فكان منهم العاجز والمتسول وبائع الفول واللب وبائع السجائر وقد أعطيت لكل منهم مايسهل عليه كتابة أسماء القاصدين الى فندق سمراميس والراجعين منه مع ذكر وقت مرورهم وخصصت اناسا آخرين يمرون على الأولين من وقت لآخر ليجمعوا منهم الأوراق التى كتبوها وبذلك استطيع معرفة الذين خرجوا على رأينا بمقابلة اللجنة فأرسل اليهم الوفود لتستعلم منهم عن سبب ذهابهم الى اللجنة وعما دار بينهم وبينها من الحديث وكان لكل وفد رئيس وسكرتير فبينا (١) يوجه الرئيس السؤال الى أحد الأعيان ويجيب الأخير عنه كان السكرتير يكتب السؤال وجوابه وعلى الرغم من ان البداهة تجعل الانسان يرجح أن هؤلاء المختارين لمقابلة اللجنة ربما كانوا يجاوبونها بما يتفق وما يريدونه منهم فانهم جميعا كانوا يجيبون الوفود اجوبة صريحة تفيض وطنية وايمانا بحب الوطن : كقولهم انهم لا يريدون غير الاستقلال التام لمصر والسودان ، وانهم يوكلون عنهم الوفد الذى يرأسه

[٧٣٣] سعد زغلول باشا . وبعد أن يجيب كل منهم بهذه الأجوبة ويدونها السكرتير يطلب منه أن يوقع بامضائه على كل ما فاه به ردا على رئيس الوفد .

وكنت أنشر هذه الأسئلة وأجوبتها أولا بأول على الأمة لتكون درسا عمليا يتعلم منه القاصى والدانى من أبناء البلاد ما يجب عليه قوله عندما يسأله أحد عن الاضطرابات والثورة وأسبابهما .

ومن يراجع تقرير اللورد ملنر – وسيأتى بعد – ويقرأ فيه ان اللجنة شعرت برقابة زعماء الحركة الوطنية على أعمالها يعرف ان بعض هؤلاء الأعيان كانوا يقولون لأعضاء اللجنة بمقرها بفندق سميراميس .

---

(١) يقصد بينما .

ما لا ينطبق على ما ذكروه باستجوابهم للوفود التى كنت أرسلها اليهم ٠

ولقد كتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢٣ ديسمبر ما يأتى :

« يسعى أفراد اللجنة الانكليزية كل على انفراده لدى من يتذكر صحبته أو معرفة سابقة لو قليلة به ليفاتحه فى الأحوال الحاضرة ويطلب اليه الحضور لمناقشة اللجنة فيما يريد لمستقبل بلده ٠ ولكن كل هذه المساعى ذهبت ادراج الرياح ولم يقبل مصرى التقدم بعرض رغباته فيما يريده لمستقبل بلده للأن والأمال كبيرة جدا بأن حالة الرفض هذه تستمر للنهاية وان تزداد مقاطعة اللجنة بفضل الله وبفضل ما اتخذ لذلك من الاجراءات الفعالة حقق الله الأمال ٠ » ٠

عبد الرحمن فهمى

وكتب الى الوفد فى نفس هذا التقرير العبارة الآتية الخاصة بحديث الشيخ بخيت ٠

« علمنا أن اللورد ملنر أرسل يخبر الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية بأنه يحب أن يراه فى أى محل يريده فاشترط الشيخ بخيت أن يكون ذلك بمنزله وأن يكون ولده مترجما بينهما فقبل اللورد ذلك وتوجه الى منزل المفتى من ثلاثة أيام ودارت بينهما محادثة طويلة استغرقت نحو الساعتين واذا صح كل ما بلغنى ولا أخاله الاصحيحا فيكون المفتى قد قام بواجبه الوطنى خير قيام لأنه رغما عن أساليب محادثة اللورد وتوجيه الأسئلة الى المفتى التى كانت تاره باسلوب لطيف وأخرى بطريقة التهديد وثالثة بطريقة وسط بين المحاسنة والتهديد فان أجوبة المفتى كانت سديدة جدا ومتينة للغاية ٠ وخلاصة أجوبة الشيخ أنه يؤكد للورد بالا سبيل الى حسن التفاهم بين المصريين والانجليز الا باستقلال مصر استقلالا تاما وسأسعى للحصول على نص هذه المحادثة وأرسلها اليكم بأول فرصة » ٠

عبد الرحمن فهمى

حديثى مع عدلى باشا يكن فى مهمة لجنة ملنر

[٧٣٤] فى هذه الأثناء وبعد أن أحكمت عملية مقاطعة لجنة ملنر أحكاما

شديدا طلب مني عدلى باشا الحضور اليه ودار بيننا حديث عن مهمة لجنة ملنر · وقد بعثت بخبره الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ قلت فيه ما يأتي :

استدعانى سعادة عدلى باشا يكن مع كل من مرقس بك حنا وأمين بك الرافعى وحافظ بك عفيفى وويصا بك واصف وتكلمنا فى الحالة الحاضرة مدة طويلة وملخص ما دار بيننا هو :

أن سعادتة يرى ان الظروف الحالية ملائمة للتكلم فى المسألة بعد أن يعلن اللورد ملنر أن سلطته أوسع من أن يتفاوض فى دائرة الحماية · فقلت له ان المفاوضة لايمكن أن تكون ألا اذا صرح اللورد ملنر بأنه مستعد للمفاوضة على قاعدة الاستقلال فراى هو وباقى الحاضرين ان تصريحا كهذا من الصعب جدا الحصول عليه وأنه يمكن الاكتفاء بأن يبين بأن سلطته واسعة تتناول المفاضة بلا قيد ولا شرط فقلت له بأن هذا لا يمكن أن ينتج نتيجة ألا اذا أعلن بأن بريطانيا ليست متمسكة بالحماية وكان اخوانى من رأيى تقريبا · على أنه حصل الاتفاق بأن المفاوضة لا يمكن أن تكون شرعية ألا اذا حصلت بمعرفة الوفد · واتفقنا جميعا على أنه اذا صدر بيان رسمى يمكن الارتياح اليه يقوم أحدنا الى باريس لعرض المسألة على الوفد ليقرر ما يراه ·

[٧٢٥] اما اذا صدر بيان لا يوجب الاطمئنان والارتياح فلا نرسل أحد · وعلى كل تأكدوا بأن الأمة ان شاء الله لا تغير موقفها قبل أن يقر الوفد الخطة التى تضمن مصلحتها ·

عبد الرحمن فهمى

ومن هذا يتضح للقارىء الظروف التى أحاطت ببلاغ اللورد ملنر والعوامل التى دفعت الى اصدار هذا البلاغ ·

حديث

« فضيلة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية »

مع جناب اللورد ملنر وزير المستعمرات الانجليزية»

[٧٣٧] وهذا هو الحديث الذى أشرت اليه فى تقريرى السابق : ـ طلب اللورد ملنر مقابلة فضيلة مفتى الديار المصرية فأجاب المفتى بأن لا مانع لديه اذا كانت المقابلة شخصية وليست بصفة لجنته وحصلت الموافقة على ذلك . وطلب المفتى أن يكون المترجم ابنه فكان ذلك أيضا وتحدد يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ الساعة ٦ مساء بمنزل المفتى بالزيتون .

حضر اللورد ملنر ومعه آخر وابتدأ الحديث بأنه حضر بصفته زائرا وانه ممنون من السماح بتحديد موعد للمقابلة وأنه مسرور من الفرصة التى سنحت لمقابلة شيخ عظيم نادر المثال عرف بالاستقلال فى الرأى واحترام رأيه ونفسه ويصرح برايه بدون محاباة وكان محل احترام أصدقائه وخصومة على السواء .

فشكره المفتى على حسن ظنه به وأنه ينتهز فرصة اعتقاده هذا فيه ويكلمه بكل حرية وصراحة .

اللورد : ان حالة البلد تغيرت تغيرا أكيدا عن الحالة التى تركتها عنها وقتما كنت بمصر .

المفتى : نعم تغيرت ولكن الى أحسن .

اللورد : حقيقة أن مالية البلد كبرت وعمرانها زاد والأثمان ارتفعت والثروة تضاعفت .

المفتى : وفضلا عن ذلك فان الحالة الفكرية تحسنت أكثر من تحسن الحالة المادية .

اللورد : ربما كان هذا ولكن أرى اضطرابا كثيرا سببة الحقيقى غير معروف فهل لكم أن تتفضلوا ببيانه ؟

[٧٣٨] **المفتى :** الاضطراب الفكرى سببه معروف وبديهى لانه فى الوقت الذى نادى جميع الساسة بتطبيق مبادىء الحرية على جميع الشعوب استثنيت مصر من بينها وصدر بلاغ الحكومة الانجليزية بوضعها تحت حمايتها بينما هى كانت تنتظر الاعتراف باستقلالها .

اللورد : وهل الحماية شيء يوجب مثل هذا الاضطراب ؟

المفتي : لا أجيبك على هذا بأكثر من سؤالك عما تكون عليه حالة الشعب الانجليزى لو أعلنت فرنسا وضعة تحت حمايتها ·

اللورد : ان الحال بين البلدين لا تصلح للمقارنة لأن انجلترا مستقلة وكانت كذلك دائما بخلاف مصر ·

المفتي : كانت مصر مستقلة تماما ولم يكن بينها وبين تركيا غير علاقة دينية ومهما يكن من أمر الحماية فهى سلب لحرية مصر ورجوع بها الى الوراء ·

اللورد : انى أرى الحماية فى مصلحة مصر لانها تحميها من تعدى الغير عليها فهى تؤيد حريتها ·

المفتي : ولكن المصريين يرون مصلحتهم فى الاستقلال وهم أدرى بمصلحتهم ·

وأما اذا كانت انجلترا تخشى تعدى دول أجنبية عليها فانى أرى انكم وجميع الدول لا تعدمون وسيلة لاستقلال مصر · ولا حاجة الى البيان بان الانسان فى بيته بدون رقيب يكون أكثر حرية منه برقيب مهما كان هذا الرقيب مواليا ·

اللورد : وهل يجهل المصريون أنه يجب مراعاة مصلحة الطرفين ونحن نراها فى الحماية أما استقلال مصر فيهدد مصالحنا فى مصر والشرق ·

المفتي : ان المصرين لايودون أن يتجاهلوا مصلحة انجلترا ومصلحة جميع الدول كما أنهم يودون فى الوقت نفسه المحافظة على مصلحتهم (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) وانى مخالفك فى اعتبار أن الحماية هى الحل وأرى ان الحل هو استقلال مصر ·

[٧٣٦]

وأما مصالح الدول وانجلترا فيمكن ضمانها بدون حاجة الى مس استقلال مصر فبالاستقلال يرضى المصريون وبالاتفاق معهم على الضمانات ترضون وجميع الدول ولا أظن أن الدول التى تجد وسيلة لضمان مصالحها المتباينة بعضها بالنسبة للبعض مع ما هى عليه من القوة والسطوة ومع ما بينها من المسافات والعداء والخوف لاتعدم وسيلة لضمان مصالحها جميعها فى مصر · ولمركز مصر شبيه بدول كثيرة كانت قبل ضمان استقلالها سببا للمشاكل بين الدول ومهددة للسلم ورأى الدول أن الحل الوحيد بالنسبة لها أن لا تكون تابعة

لأحد كما أنكم الأن من ضمن أساليبكم أن تجعلوا دولة مستقلة بين الشعوب التى يحصل بينها احتكاك لضمان السلم • ومصر تود ان كان هناك خوف من التعـدى على استقلالهـا من احدى الدول أن تضمن هذه الدول جميعها استقلالها •

اللورد : حيث أن المراد هو مراعـاة مصلحـة مصر ومصلحـة انجلترا وأما مصلحة سواها من الدول فليس من هذه الدول من يجرأ على معارضة انجلترا ولذلك أرى أن الواجب هو المناقشة معا لمعرفـة مصالح الطرفين وطرق ضمانتها وربما أمكن بالمناقشة أن نصل الى الاتفاق على تسع نقط من عشرة •

المفتى : حقيقة يقال ان الحقيقـة بنت البحث وأنه تلزم المناقشة لمعرفـة ما عند الطرفين ولكن المسألة هنا ذات شقين الشق الأول استقلال مصر وأما الشق الثانى فهو الضمانات وهذا ما يحتاج الى مناقشة وبما أن الشق الأول أساس الشق الثانى وجب اقامة الأساس أولا ومتى اعترفتم باستقلال مصر فلا يوجد مصرى لا يرحب بالاتفاق معكم ومع سائر الدول على ضمان هذا الاستقلال من تعدى هذه الدول بشكل لا يؤثر فى استقلال البلد ولست مستعد للتكلم فى التفاصيل •

[٧٤٠]

اللورد : انى مندهش لم لا يقابلنى المصريون ويبلغوننى ذلك ؟

المفتى : لأن حكومتك لم تحسن تمهيد الطريق لك لانها بدلا من أن تجعل طريقك حـرة صالحة لمرور كل انسـان فيهـا وضعت بينك وبين المصريين حائلا منيعا •

اللورد : أظن أن هذا الحائل هو اعلان الحماية فى ديسمبر سنة ١٩١٤ ؟

المفتى : هذا لاشأن لك به وانما الحائل هو اعلان انك تتناقش فى دائرة الحماية وليس فى مصر من يناقشك فى هذه الدائرة •

اللورد : انى أعتقد أنه يوجد من يود مقابلة اللجنة ولكنه خائف •

المفتى : لا يخلو بلد من خائنين ومنافقين ولكن تأكد أنه لا يوجد شخص يحترم نفسه وله احترام • فى نفوس مواطنيه يود ما تقول وليس هناك محـل للخوف لأن بابك مفتوح لكل انسان ولا يعدم انسان وسيلة لدخوله من غير علم أحد اذا شاء ذلك •

اللورد : وهل يمكنك أن تقنع مواطنيك بأن المناقشة معنا خير من اصدار الأمور بما نريد اذ لا يخفى عليك أننـا أقوى دولة فى العالـم وأنه لا توجد دولة تجرأ على معارضتنا واننا نود بالمناقشة أن نكون أصدقاء وأنه ليس فى مصلحة المصريين أن نملى عليهم ما نريد كما أننا لانوده

المفتى : أنت تعلم أنى رئيس دينى وبطبيعة وظيفتى بين الأمة مختلط مع جميع طبقاتها من أكبر كبير فيها الى أفراد الطبقة السفلى وأخبرك بصراحة أنى لا أود التفكير فى اقناع أحد لأنى من جهـة ليس فى امكانى أن اقنع الغير بما يخالف معتقدى ومن جهة أخرى أنى أعلم أن آراء جميع هذه الطبقات متفقة على المطالبة باستقلال مصر وعدم المناقشة فى دائرة أقل من دائرة الاستقلال فمن العبث اقناعهـم بما تشبعوا وثق تماما أنه لا يخفى على قوة بريطانيا ومركزها فى العالم بين الدول وأنه يمكنها أن تسحق الشعوب لأن تملى ارادتها عليهم فقط ولكن لا يخفى على أيضا أن المصريين ان خضعوا للقوة يوما فسيرفعون رأسهم فى أقرب فرصة سانحة ولا يخفى عليكم أنك اذا ضمنت قوة مركز بريطانيا الآن وضمنت صداقة الدول لها الآن فليس فى امكانك أن تضمن ذلك الى الأبد اذ الدهر قلب وصداقة الدول غير مضمونة الى الأبد · وأنه يجب على حكومتك أن تحذر أصدقائها قبل أعدائها ·

[٧٤٦]

(احذر عدوك مـرة · واحذر صديقك ألف مـرة ـ فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة) وأنت تعلم أن مركز مصر بين فرنسا فى الشام وايطاليا فى طرابلس وأنه قد تسنح لها فرصة لا ينفع معها فى مركزها ما لديكم من حول وطول · وان تتأكد أن صداقة المصريين للانجليز خير لكم من خضوعهم لقوتكم · وان ضمان مصالحكم فى الشرق وغـيره بمصادقة المصريين أسهل وأضمن لكم من ضمانها باخضاعهم ·

اللورد : ولكن ألا ترى أنه اذا بقى كل من الطرفين ينظر للآخر بدون أن يقترب منـه ستستمرون كذلك الى ما شاء الله بدون فائـدة وان الأصوب هو أن يتقابلا فى منتصف الطريق ؟

المفتى : ان المقابلة فى منتصف الطريق تستلزم أولا أن تتركوا مركز وقوفكم الحالى متقدمين لمقابلة المصريين ومتى فعلتم ذلك ترك المصريون مركز وقوفهم متقدمين لمقابلتكم ·

اللورد : ولم لا يتقدم المصريون أولا ولهم أن يثقوا بحسن نيتنا واننا نود مصلحتهم ؟

[٧٤٢] **المفتى** : ان هذا السؤال يلزم قبل الاجابة عليه أن أستسمحكم فيما سأقول وأن أخبركم انى لا أجد كلاما للرد عليه بغير ما سأقول ..

اللورد : أنا ممنون جدا من الحديث وأود سماع كل شيء .

المفتى : أن الانجليز لم يدعوا مجالا لعدم الثقة بحسن نيتهم ألا سلكوه مع أن الواجب الطبيعى للأفراد والأمم أن تعمل على ايجاد الثقة بها ولست فى حاجة الى التفصيل فأنت تعلم الوعود التى لا عدد لها والتى لم يف بها الانجليز كما تعلم ما كوفىء به المصريون من الحماية بدل الاستقلال والمعاملة القاسيةالتى عوملوا بها وعلى ذلك فالمصريون يعذرون اذا لم يثقوا وأنه من هذه الوجهة يجب أن يعلن الانجليز اعترافهم باستقلال مصر ومتى حصل هذا الاعلان ملأت الثقة قلوب المصريين ولك أن تثق أن المصريين كأصدقاء لا يقلون قيمة عن أى دولة مستقلة يمكن أن تعتمد عليها انجلترا وأما المحكومون فلا قيمة لهم ويكونون سبب قلاقل ومشاكل .

اللورد : وهل هناك ضرر من المناقشة ولو بغير ثقة لنعلم النتيجة فاذا اتفقنا انتهى الاشكال والا فكل فى مركزه ؟

المفتى : سبقت الاجابة عن هذه النقطة وأكرر أنه لا يمكن المناقشة مع بلاغكم أنكم ستتناقشون فى دائرة الحماية .

اللورد : اذا كان بلاغ العلماء لم يمنعنى من مقابلة سعادتكم فلم يمنع بلاغى المصريين من مقابلتى اذا فرض واعتبرنا أن كلا منهما عمل عدائى ؟

المفتى : ان مطالبة الضعيف بحقه من القوى لا يمكن أن تعتبر عملا عدائيا اذ ما عهدنا أن المطالبة بحق عداوة هذا شأن بلاغ العلماء . وأما بلاغ الحكومة الانجليزية فصادر من دولة قوية تقتات به على حق دولة ضعيفة فيجوز لهذه أن تعتبره بحق عملا عدائيا . ومع كل فلا أظنكم اعتبرتم بلاغ العلماء عملا عدائيا تنفرون منه وأملنا أن تعتبره عملا وديا تنظرون فيما اشتمل عليه كما تنظرون فى أى عمل ودى آخر وتعتبرونه مقررا لمطالب العلماء والائمة . فان صفة [٧٤٣] رؤساء الدين فى جميع الأديان كانت دائما محلا لاجابة مطالبهم

ولذلك ننتظر اجابة استقلال مصر اجابة لطلب رؤساء الدين ان لم تريدوا اجابته اجابة لطلب السياسيين .

اللورد : انى معجب بطريقة تعبيرك ولا أخفى عليكم أنى لم أتألم من شيء تألمى من بلاغ العلماء .

المفتى : أنى واثق من أنك تحب الحق فلم تتألم من المطالبة به ؟

وهل فى مطالبة المصريين باستقلالهم مع استعدادهم لاعطائكم الضمانات التى لا تمس استقلالهم ما ينفر أحدا منهم ؟

اللورد : أنى أحب المصريين وأود مصلحتهم .

المفتى : هل يمكن أن أفسر ذلك بأنك اقتنعت بضرورة اعتراف الحكومة الانجليزية باستقلالهم وانك مستعد للمناقشة فى ضمان مصالحهم ؟

اللورد : هذا شرط لم نصل اليه بعد . ولا زلت على رأيى من أن المناقشة فى الظروف الحالية لا ضرر فيها على المصريين .

المفتى : أنى متأسف لأنى أرى حائل الحماية لا يسمح بالوصول الى حل مرض وان كل مناقشة بدون ثقة متبادلة لا تجدى وأن ثقة المصريين لاتكتسب بغير الاعتراف باستقلال مصر .

اللورد : ان هذه المحادثة زادتنى اعجابا بكم ــ واسمحوا قبل الانصراف أن أشكركم لسماحكم فى تضييع ما يقرب من الساعتين من وقتكم (١) .

« صورة المحادثة التى حصلت بيننا وبين جناب الجنرال « مكسويل أحد أعضاء لجنة اللورد ملنر »

[٧٤٤] فى الساعة الثالثة بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ حضر بمنزلنا جناب الجنرال جون مكسويل (٢) ودار بيننا وبينه الحديث الآتى :

وتسهيلا لاستيعاب الحديث منونا بحرف « م » اشارة لاسم جنابه وحرف « ع » لاسمنا .

---

(١) نص هذا الحديث فى جريدة مصر ١٩١٩/١٢/٣٠ .

(٢) كان قائدا للقوات البريطانية فى مصر وقت اعلان الحماية عليها فى ديسمبر ١٩١٤ .

ع : طقس اليوم بارد والهواء شديد على غير عادة مصر ·

م : صحيح ولكن هذا لا يعد شيئا بنسبة جو أوربا المكفهر والملآن الآن بالزوابع والأمطار والثلوج ·

ع : هذا صحيح ·

م : هل سافرت الى أوربا ؟

ع : نعم سافرت اليها كثيرا ·

م : بعد الحرب ؟

ع : لاحصل ذلك قبل الحرب وآخر مرة كنت فيها فى أوربا كانت سنة ١٩١٣ ·

م : الحالة فى أوربا سيئة جدا وخصوصا فرنسا وبلجيكا وسويسرا وألمانيا والنمسا فالخراب ظاهر ظهورا تاما عليها ·

ع : نعم عرفت ذلك من جرائد أوربا ·

م : ولكن مصر حالتها طيبة جدا ومع ذلك فالمصريون غير راضين عنها رغما عما ارتكبوه من الفظائع فى شهر مارس الماضى ضد الضباط الانجليز بجهة ديروط ·

ع ـ ان عقلاء المصريين يأسفون كل الأسف لما وقع للضباط الانجليز بجهة ديروط لانهم كانوا يودون ألا يكون على حركتهم أقل غبار على ان الجيوش الانجليزية ثأرت لهؤلاء الضباط ألف مرة لأن ما ارتكب فى طول البلاد وعرضها من فظائع وحرق قرى وقتل متظاهرين عزل من السلاح برصاص المدافع والبنادق كل هذا كان ثأرا لثمانية الضباط فقال الجنرال مسكويل (١) ان تهمة هذه الفظائع غير صحيحة فأكدنا له صحة وقوعها وقلنا ان عدم رضاء المصريين عن حالتهم يرجع الى خيبة آمالهم فى مستقبل بلادهم ·

[٧٤٥]

م : وكيف كان ذلك ؟

ع : ذلك لانكم أعلنتم يوم دخولكم الحرب أنكم ماخضتم غمارها الا للدفاع عن حقوق الضعفاء والمحافظة على استقلال الأمم الصغيرة فمصر كانت تنتظر بحق أن تكون من ضمن تلك الشعوب التى

---

(١) الصحيح مكسويل ·

دخلتم الحرب محافظة على استقلالها ان لم تكن فى مقدمتها وأنتم بدلا من أن تقوموا بهذا العمل نحوها وضعتم الحماية عليها ·

م : وما الذى فهمه المصريون من الحماية ؟

ع : فهموا أن انجلترا تريد ابتلاع بلادهم ·

م : ولكنك أنت شخصيا ما الذى فهمتة من وضع الحماية على مصر ؟

ع : فهمت أن انجلترا تريد ضم مصر الى أملاكها ·

م : وكيف فهمت ذلك ؟ وهل يمكنك اقامة الدليل عليه ؟

ع : نعم يمكننى أن أقدم لكم دليلا وهو على بساطته يدل على ما تنويه انجلترا نحو مصر : ذلك أنه رغما عن أن الحمايـة لم تثبت للآن ولم يقبلها المصريون بعد فقد دخل فى خدمة الحكومة المصرية من شهر ابريل للآن نحو الآلف موظف انجليزى فمـا بالك اذا ثبتت الحماية وصارت أمرا مقضيا ؟

م : هذا ليس بصحيح ·

ع : هذا صحيح ·

م : أؤكد لك أنه ليس بصحيح ·

ع : بل أوكد لك أنا أنه صحيح ·

[٧٤٦] م : لاشك عندى فى أن هذا الخبر مبالغ فيه ؟

ع : يجوز أن فيه شيئا من المبالغة ولكن ما عسى أن تكون هذه المبالغة ؟ هل بولغ فى مائة أو مائتين ؟ وعلى فرض أن المبالغة وصلت الى هذا الحد فمن المسائل الخارقة للعادة والتى توجب القلق بدل الطمائنينة أن تفتح الحكومة أبوابها لتوظف نحو المائة موظف انجليزى شهريا بينما أبنــاء مصر يجوبون الطرق والشــوارع وهم حاملون شهادة الدراسة النهائية وأبواب مصالح حكومتهم موصدة فى وجوههم ·

م : أنا لا أزال أؤكد أن هذا الخبر مبالغ فيه جدا ومع ذلك فسأبحث عن حقيقته وأعرفكم اياها بعد يومين أو ثلاثة ·

ع : ليس هذا الذى يشكو منه المصريون ولكنه مثل سقته اليـكم على سبيل التاكيد من أن الادارة الانجليزية لاتريد بالمصريين خـيرا ·

أما سبب اضطراب المصريين وقيامهم بهذه الصفة التي ترونها فهو الغبن الفاحش الذي أصابهم .

م : وكيف كان ذلك ؟

ع : المصريون حاربوا في صفوفكم نحو الخمسة سنوات قدموا لكم فيها أبناءهم وأموالهم ومحصولاتهم ودوابهم (رغما عن البيان الرسمي الذي أعلنتموه هنا يوم أن كنتم قائدا عاما للقوات البريطانية في مصر من ان بريطانيا العظمى تتكفل بكل مصاريف الحرب ولا تطلب من المصريين الا الهدوء والسكينة) قدموا كل هذا ضاربين صفحا عن كل علاقة دينية كانت تربطهم بسلطان تركيا مفضلين استقلال بلادهم في نهاية الحرب ايمانا بأقوال ساستكم وبالمبادىء الولسنية فما انتهت الحرب ألا وهم يرون بريطانيا العظمى . تتمسك أشد التمسك بالحماية الوقتية التي قضت ضرورة الحرب بوضعها على مصر بينما نرى الحلفاء وفي مقدمتهم انجلترا يعترفون باستقلال أمم وشعوب كانت تحاربهم ضمن صفوف أعدائهم طول مدة الحرب وأكثر من ذلك فان الحلفاء يعترفون باستقلال بلاد العرب التي لم يدخلها شيء من النظام الحكومي حتى ولا من مبادئه للآن ـ مصر التي حصلت على استقلالها من ٨٠ سنة بدماء أبنائها وتمتعت بهذا الاستقلال ٤٠ سنة كاملة ويوم ان احتلتها انجلترا كانت متمتعة بمجلس نيابي تام السلطة قضى عليه اللورد دوفرون واستعاضه بمجلس شورى القوانين والجمعة العمومية وهما لا يفيدان شيئا في الأعمال النيابية واستمرت بعد ذلك تقتبس منكم (أربعين سنة تقريبا) « مدة الاحتلال » ما يؤهلها للاستقلال . أتيتم في نهاية الأمر ووضعتموها تحت حمايتكم فتكونون بذلك أخرتموها مائة سنة . [٢٤٧]

م : أوكد لك أن هذا ما جال بخاطرنا واننا ما قصدنا بالحماية ألا معناها الحقيقي وهو اننا نحمي مصر من غارة أي مغير عليها من الخارج وان نحافظ على مصالحها ومصالح الأجانب فيها وبالجملة مصالح انجلترا وحماية قناة السويس .

ع : كل هذا كان يمكنكم الحصول عليه بدون الالتجاء الى وضع الحماية .

م : وكيف ذلك ؟

ع : بأن تعترفوا باستقلال مصر أولا ثم تعقد محالفة معها ينص فيها على كل ذلك ولا تحتقرن مصر يا جناب الجنرال فالتاريخ علمنا أن كثيرا

من الأمم الصغيرة كانت سببا فى ترجيح احدى كفتى الميزان حينما كانت الحرب ناشبة بين أمم أكبر منها بكثير فتضم أمة صغيرة لا يقام لها وزن على انفرادها ولكن انضمامها الى أحد طرفى المتحاربين يرجح هذا الطرف على الآخر ترجيحا تاما على ان مصر ليست بالأمة الحقيرة فانها جيشت أكثر من مائتين وستين ألف عسكرى فى زمن محمد على باشا عندما كان عدد سكانها لا يتجاوز الثلاثة الملايين نفسا وعند ما كانت ثروتها لا تقاس بعشر ثروتها الحالية . أما الآن فتعدادها يزيد على الأربعة عشر مليونا من النفوس وميزانية حكومتها تزيد على الثلاثين مليونا من الجنيهات وقد صدرت هذا العام من أقطانها ما يزيد ثمنه على المائة مليون جنيه فهى لاتعجز عن مجاراة الدول المتوسطة فى تعداد الجيوش واعداد الأساطيل متى استقلت استقلالا تاما .

[٧٤٨]

ثق يا جناب الجنرال انكم اذا اعترفتم باستقلال مصـــر وعقدتم معها محالفة ثم اشتبكت دولتكم فى حرب مع آخرين فلها أن تعتمد على مصر التى تمدها وقتئذ بجيش جرار لا يستهان به .

جناب الجنرال أنت أقمت بمصر مدة ليست بالقصيرة وعرفت كثيرا من أخلاق المصريين وعلمت أن المصرى يعطيك ما بيده بكلمة بكلمة طيبة (هنا قال الجنرال هذا صحيح) فلماذا حينئذ تعاملونهم بهذا العنف ولماذا تتمسكون بهذه الحماية مادام يمكنكم حفظ مصالح دولتكم بغير ما يغضب المصريين .

أنتم بلا ريب أقوياء ولا نشك فى انكم تستطيعون دك هــذه البلاد بمدافع أسطولكم ومقذوفات طياراتكم ولكن التاريخ علمنا ان الحكم الذى يبنى أساسه على السيف والمدافع لا بقاء له وان عمره قصير بخلاف الحكم الذى يبنى على اتفاق المصلحة والاخلاص فلا شك أنه يبقى ما بقيت أسباب هذه المصلحة وهذا الاخلاص على اننـــا لا نستطيع أن نفهم أنه يتيسر لكم بسهولة الاحتفاظ بجيش انجليزى بمصر يزيد عدده على المائة ألف عسكرى على الدوام .

م : ولماذا لا تتقدمون للقوميسون الانجليزى وتطلبون منه ذلك ؟

ع : قوميسيونكم ليس مختصا بالنظر فى ذلك لأن الدائرة الضيقة التى وضعته فيها الحكومة الانجليزية جعلت مقابلة المصريين له مستحيلة .

[٧٤٩] م : وكيف ذلك ؟

ع : الحكومة الانجليزية صرحت أكثر من مرة على لسان المستر بلفور واللورد كرزن واللورد اللنبى ونفس اللورد ملنر بان مأمورية اللورد

ملنر هي البحث فى أسبـاب الاضطرابـات التى حصلت فى مصر ولوضع النظامات الدستورية اللازمـة لتدرج الشعب المصرى فى الحكم الذاتى تحت الحماية وبما أنه لا يوجد من المصريين من يقبل الحماية فلن تجدوا مصريا يتقدم اليكم للمفاوضة فى هذه الدائرة الضيقة ٠

م : أؤكد لكم أن سلطة لجنتنا واسعة جـدا ويمكننا سماع أى أقتراح يقدمه المصريون فعنى أنا قل للمصريين جميعـا أن سلطة اللجنـة واسعة ٠

ع : ان كان هذا صحيحا فاعلنوا رسميا بأن لجنتكم تتفاوض على أساس الاستقلال فان لم يتيسر لكم ذلك نظرا للتصريحات التى فاه كبار ساستكم بها فاعلنوا على الأقل أن سلطة لجنتكم تسع المفاوضة فى كل ما يؤمله المصريون ٠

م : وهل اذا أعلنا ذلك يفاوض المصريون لجنتنا ؟

ع : اذا أصدرتم بيانا رسميا موافقا لا أتأخر عن مخابرة الوفد الذى هو الهيئة الوحيدة التى تمثل مصر ٠

م : ولماذا ؟ وهل لايوجد بمصر هيئات أخرى تمثلها ؟

ع : ان أردتم أن تفاوضوا الأمة فليس أمامكم الا طريقين فاما أن تأخذوا أقوال الأربعة عشر مليون مصريا واحدا بعد الآخر وهذا ما لا أظنه ممكنا وأما أن تخاطبوا الوفد ٠

م : وهل لايوجد بمصر أحزاب أخرى ؟

ع : ان كنت تقصد الخمسة عشر أو العشرين شخصا أولئك الخونـة الخارجين عن أمتهم فهولاء لايعتـد بهم وهم لا يمثلون ألا أنفسهم وليسوا موكلين من أحد ٠

[٧٥٠] م : هل وفد زغلول باشا عنده توكيلات من الأربعة عشر مليون مصرى ٠

ع : نعم هو موكل عنهم ٠

م : هذا لا يمكن ــ ويستحيل أن يكون معه أربعة عشرة مليون أمضاء ٠

ع : نعم ليس لديه أربعة عشر مليون امضاء ولكنه نائب بالفعل عن جميع المصريين ــ فهو موكل من جميع الهيئات النيابية كالجمعية التشريعية ومجالس المديريات والمجالس المحلية والمجالس البلدية وموكل أيضا عن نقـابات المحامين ونقـابات العمال على اختلاف أجناسها وموكل

من العمد والأعيان والتجار والأطباء والموظفين على بكرة أبيهم ومن العلماء ورجال الدين • ومن لم يوكل الوفد المصرى كتابة فقد وكله علنا بمظاهراته العديدة وهتافة له فى كل مكان رغما من رصاص البنادق وأسنة الحراب التى كانت تحصد النفوس حصدا •

م : ولماذا لم يحضر زغلول باشا الآن ليفاوضنا لاننا لا يمكننا أن نستدعيه نحن وأنه لا يوجد من الأعمال فى فرنسا ما يدعو بقائه هناك للآن ؟

ع : ان أتى بيانكم بما يطمئن الخاطر على امكان المفاوضة فيما يريده المصريون تيسر لنا مخاطبة الوفد وعشمى أنه أن لم يحضر كل أعضائه مع الرئيس فيحضر منهم من يمكنه المفاوضة معكم وبغير ذلك لا يمكنكم أن تجدوا هيئة تتفاوضون معها باسم مصر •

م : ولماذا ؟ يمكننا أن نفاوض الحكومة ؟

ع : تقصد بذلك النظار (١) .

م : نعم •

ع : ان النظار موظفون ولا يمكنهم أن ينوبوا عن الأمة فى مفاوضة كهذه بغير توكيل منها •

[٧٥١] م : نفاوض السلطان ؟

ع : والسلطان أيضا موظف لا يمكنه أن ينوب عن الأمة فى تفويض كهذا بغير توكيل •

م : وكيف يكون السلطان موظفا ؟

ع : لأنه معين بأمر صادر من وزارة خارجية حكومتكم •

م : أخشى أنه اذا صدر البيان الذى تشيرون اليه تعودون وتقولون بأنه ليس بكاف •

ع : نحن لسنا بالمتعنتين ولا نريد شيئا غير الابتعاد عن كل ما يمس استقلالنا فان كان البيان واضحا ومؤديا لأن يفهم كل مطلع عليه أن سلطة لجنتكم تتسع الى دائرة تتناول كل ما يؤمله المصريون ولا أظن أنه يبقى هناك سبب يمنعنا من عرض الحالة تفصيلا على

---

(١) يقصد الوزراء ، ولعله أراد أن يهون من قيمتهم باستخدام هذا اللقب الذى كان يعرف به الوزراء قبل الحرب •

الوفد وعشمى أنه وقتئذ يدخل فى المفاوضة معكم على قاعدة استقلال مصر ·

م : سأسعى فى ذلك واسمح لى بالانصراف لزيارة بعض أصحابى القدماء فودعته والى هنا انتهى الحديث وكانت الساعة الرابعة والربع بعد الظهر ·

بلاغ اللورد ملنر

[٧٥٢] لما ضاقت السبل على من كانت تحدثه نفسه بمقابلة اللجنة كما قدمنا ورأت اللجنة أن المقاطعة شديدة أصدرت البلاغ الآتى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ ظنا منها أن ذلك البلاغ يهدىء النفوس النافرة منها ويستجلب رضاء الشعب ولو يسيرا وهذا هو نصه :

أدهش اللجنة البريطانية الاعتقاد الشائع بأن الغرض من مجيئها هو حرمان مصر من حقوقها التى كانت لها الى الآن ولا أساس على الاطلاق لهذا الاعتقاد ، فان اللجنة أوفدت من قبل الحكومة البريطانية بموافقة البرلمان البريطانى لاجل التوفيق بين أمانى الأمة المصرية والمصالح الخاصة التى لبريطانيا العظمى فى مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الأجانب القاطنين فى البلاد ·

ونحن على يقين من أنه يمكن الوصول الى هذا الغرض مع توافر حسن النية بين الجانبين ، واللجنة ترغب رغبة صادقة فى أن تكون العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر قائمة على اتفاق ودى يزيل أسباب الاحتكاك ويمكن الأمة المصرية من صرف كل مجهوداتها الى ترقية شئون البلاد فى ظل أنظمة (حكم ذاتى) ·

وتنفيذا لهذه المهمة تود اللجنة أن تقف على كل الآراء سواء صدرت من هيئات نيابية أو أشخاص يهتمون اهتماما صادقا بخير بلادهم · ويمكن ابداء كل رأى بحرية وصراحة · ولا رغبة للجنة فى تقييد حدود المناقشة كما أنه لا داعى لأن يخشى كل فرد أن يعتبر مقابلة اللجنة تنازلا منه عن معتقداته فانه لا يعد متنازلا عن معتقداته بمفاوضة اللجنة ألا كما تعد هى متنازلة بسماعها · وبغير الصراحة التامة فى المناقشة يصعب وضع حد لسوء التفاهم والوصول الى اتفاق » (١) ·

ملنر

---

(١) نشرت جريدة مصر بلاغ اللورد ملنر ، وقد اتبعته بتحليل جيد ترد به على تصريح اللورد ، وكان ذلك بمثابة لطمة على وجه الاستعمار الذى حاول بث الفرقة بين المسلمين والأقباط · حيث كانت هذه الجريدة تمثل صوت الأقباط فى مصر ·
انظر مصر ١٩١٩/١٢/٣٠ ·

رد لجنة الوفد المركزية

على بلاغ ملنر

[٧٥٣] لم تنخدع الأمة بهذا البلاغ وهى العليمة بما يخفى وراءه وما كان لها أن تعدل عن خطتها لانها اذا شاءت نفذت ومما جعل الأمة تزداد نفورا من اللجنة وتمعن فى مقاطعتها ما بادرت به لجنة الوفد من الرد على البلاغ وما تناولته الأقلام من النقد والتجريح وتحذير الأمة منه ومن مراميه الخفية ·

وهذا هو رد اللجنة المركزية على بلاغ ملنر :

[٧٥٤] كانت لجنة الوفد تود أن يكون بلاغ اللورد ملنر صريحا واضحا وأن يتضمن الاعتراف باستقلال مصر التام ولكنه اقتصر على توسيع دائرة المناقشة فبعد أن كانت المفاوضة التى تطلبها اللجنة محصورة فى دائرة الحماية أباح البلاغ المفاوضة فى غير دائرة مخصوصة ·

نعم ان توسيع دائرة المناقشة يدل على اقتناع الانجليز بأن المصريين يرفضون الحماية رفضا باتا ولكنه لا ينفى مخاوف المصريين من التصريحات السياسية الانجليزية التى تقدمت مجىء اللجنة وليس من شأنه بأى حال أن يحمل الأمة على العدول عن خطتها وفضلا عن ذلك فان الأساليب السياسية لا تسمح بمفاوضة بين لجنة وأمة بأسرها ·

واذا كان الغرض الوقوف على مطالب المصريين فان هذه المطالب أصبحت معروفة معرفة تامة فى جميع أنحاء العالم وهى تنحصر فى شىء واحد هو الاستقلال التام ·

أما التوفيق بين استقلالنا وبين مالغيرنا من المصالح فالمناقشة فيه تكون مع الوفد متى كان الأساس عدم المساس بحقوقنا المقدسة · »

« فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام »

سكرتير اللجنة — وكيل اللجنة المركزية للوفد المصرى

عبد الرحمن فهمى — مرقس حنا

نداء الوفد المصرى

الى الأمة المصرية

[٧٥٥] وفى نفس اليوم الذى نشر فيه بلاغ ملنر أرسل الوفد الينا النداء الآتى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ (١) . بمقاطعة لجنة ملنر فلم يصل الينا ألا فى ١٣ يناير سنة ١٩٢٠ ونحن ننشره فى تاريخه اتماما للغرض المقصود منه وهو :

نداء الوفد الى الأمة بمقاطعة لجنة ملنر

الى أبناء وطنى الأعزاء

يحاول الأقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة ويزيدوكم ضعفا . فلا تنخدعوا اذا ما دعوكم ولا تخافوا اذا هددوكم واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام فهو أمضى سلاح فى أيديكم واقوى حجة لكم فان لم تفعلوا وليس فى قوة ايمانكم الوطنى ما يجعل احتمالا لذلك خذلتم نصراءكم واهنتم شهداءكم وحقرتم ماضيكم وأنكرتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم وحنيتم للذل ظهوركم وأنزلتم مأمنكم ذلا لا يرفع منه عز وان تفعلوا ـ كما هو أكبر ظنى فى عظيم اخلاصكم ومتين اتحادكم وقوة وطنيتكم ـ فقد استبقيتم لأنفسكم عزة الحق وأعددتم لنصرتكم قوة العدل . فلا تذلوا وان قهرتم ولا تخشوا وان ظلمتم . ولابد من يوم يعلو فيه حقكم على باطل غيركم وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم وتتحقق باذن الاله القدير آمالى وآمالكم فى الاستقلال التام » .

سعد زغلول

٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

اخبار الوفد فى اوربا وامريكا

[٧٥٦] ولقد أرسل الى الوفد فى تقريره المؤرخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ ما يأتى ردا على مكاتباتى اليه « ان الشدة التى تبالغ السلطة الانجليزية فيها عندكم يجب الا تزيدكم ألا ثباتا كما نحن نزداد هنا نشاطا فى عملنا .

---

(١) نص هذا النداء فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٨٣ ، ٨٥ .
مصر ١٣/١/١٩٢٠ .

ويسرنا أن هذه الشدة لا تزيد روح التضامن عندكم الا قوة ولا تظن أن ما نشرته بعض الجرائد الانجليزية من أن المصريين يترددون على لجنة ملنر وفيهم تلاميذ يحادثون أعضاءها فى مهمتها صحيح بل نعتقد أنه من اختراعاتهم ترويجا لسياسة الاستعمار · ويجب أن توافونا بأخبار هذه اللجنة عندكم ومفاوضاتها وتنقلاتها وحركات أعضائها فيكم ·

تفيد الأخبار الواردة علينا من محمد محمود باشا بأمريكا أن السناتور أون كتب (١) بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٩ الى وزير خارجية أمريكا يسأله عن معنى اعتراف أمريكا بحماية انجلترا على مصر · وعما اذا كان المعنى هو (ان الولايات المتحدة لم تعترف لانجلترا بسيادة على مصر ولا بسلب شيء من حقوق المصريين فى السيادة والاستقلال) ·

واستند فى هذا المعنى على تلغراف الملك جورج الخامس الى السلطان حسين الذى نشر فى التيمس بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ والذى جاء فيه ما يأتى (أنا واثق بأنكم تستطيعون بمعاونة وزرائكم ودفاع بريطانيا عنكم أن تتغلبوا على كل العقبات والعوامل التى ترمى الى سلب مصر استقلالها أو الاغرار بثروتها وحريتها وسعادتها) وعلى جواب السلطان له بالشكر لجلالته على ما أبداه من تأكيد المحافظة على سلامة مصر واستقلالها ·

[٧٥٧]

« وقد اجاب الوزير المذكور (لنسنج) على ذلك بما يفيد أنه لا يشك فى أن انجلترا تحافظ على قول جلالة الملك فى خطابه السالف الذكر وستبعث لكم بصورة المكاتبات المذكورة عند وصولها » ·

سعد زغلول

رأيى فى بلاغ اللورد ملنر

[٧٥٨]

ذهب الناس مذاهب شتى فى بلاغ اللورد ملنر فبعض المستضعفين كان يعده أساسا لمفاوضة الوفد مع اللجنة وكان رأيى الذى أعلنته بالتضامن مع لجنة الوفد ان هذا البلاغ لم يأتى بشيء غير توسيع دائرة المناقشة وانه لايمكن المفاوضة مع اللجنة ألا بعد اعتراف انجلترا باستقلال مصر التام · ولقد كتبت الى الوفد فى تقرير منى أبسط له الحالة فى مصر

---

(١) احد الشيوخ الأمريكيين امكن لمحمد محمود اجتذابه الى صف القضية المصرية ·

بعد صدور هذا البلاغ وقبله وذكرت له فيه رأيي الخاص وهذا ما ورد فى التقرير المشار اليه :

« حضرة صاحب السعادة سعد زغلول باشا » (١)

(رئيس الوفد المصرى)

« خطت الأمة المصرية خطوات واسعة فى سبيل تطورها السياسى ولو نظرنا الى ما تحتاجه كل أمة من الاعوام الطويلة للوصول الى درجة راقية من التربية السياسية الوطنية لتأكدنا أن المصريين تفوقوا على غيرهم من حيث قصر الزمن الذى قطعوه لادراك المكانة التى وصلوا (٢) اليها .

هذه أول ميزة الحركة المصرية . وهناك ميزة أخرى لاتكاد تشاهد فى أية نهضة من النهضات الجدية التاريخية وهى مظهر الاتحاد التام الذى يتجلى فى كل المناسبات .

« وقد حاول الانجليز أن يهزوا هذا الاتحاد بكل الوسائل التى فى استطاعتهم ، وحاولوا ذلك بالارهاب وبذل الأموال والدسائس والتغرير وطرق الخداع فباءوا بالخيبة والفشل وكانت الأمة فى جميع ادوار الحركة تخرج دائما متحدة الكلمة .

« فلما أذيع نبأ أرسال لجنة اللورد ملنر كانت « المقاطعة » على أفواه جميع المصريين ولما حضرت اللجنة فعلا ظلت هذه الكلمة مقدسة قولا وعملا ولما ظهر البلاغ الأخير لم تنخدع الأمة بظواهره بل أثبتت انها ساهرة على حقوقها حريصة على مستقبلها لاتخطو خطوة حتى تعلم أين تقودها هذه الخطوة . [٧٥٩]

وكان رائدها فى جميع هذه المواقف التفافها حول الوفد وتمسكها بتوكيله . ولا شك أن هذا التمسك المتين بالوفد اخرج الأمة من مآزق سياسية عدة (٣) وساعد على تكوين وحدتها والاحتفاظ بجمع كلمتها

---

(١) يلاحظ د. محمد انيس فى كتابه وثائق ثورة ١٩١٩ ان هذا التقرير غير مؤرخ فى مراسلات عبد الرحمن فهمى السرية وهو هنا ايضا غير مؤرخ فى مذكراته .

(٢) فى المراسلات السرية « اصبحوا عليها » .

(٣) الواضح ان هذه التصحيحات قد ادخلت بقلم غير قلم عبد الرحمن فهمى لان مثل هذه التصحيحات غير موجودة فى المراسلات السرية التى نشرها د. انيس .

ولو بحثنا عن سر هذا الارتباط بين الوفد والأمة لعلمنا أنه يرجع لشيء واحد : هو أن الوفد بحسن سياسته توخى فى جميع خططه وأعماله أن يحترم الرأى العام ولا يصادمه فى أى ميل من ميوله مع ملاحظة ما تتطلبه الظروف السياسية من الأساليب لخدمة القضية المصرية خدمة صادقة .

« فالوفد كان للأمة بمثابة ربان ماهر للسفينة وقد أمكنه أن يجتاز بها طرقا وعرة فى ظلام حالك دون أن يصيبها أى مكروه .

« وان من واجبنا أن نطلعكم أولا فأولا على تأثير الحوادث فى رأينا العام حتى تظل دفة السفينة فى يدكم ولاشك أن اختلاطنا بجميع الطبقات يجعل لحكمنا قيمة أكثر مما لاى حكم آخر يصدره أشخاص يعيشون فى بيئة لا تمكنهم من الاحتكاك بجميع الهيئات والأفراد .

« اننا الآن فى مفترق الطرق ولا خطر على قضيتنا ما دام اتحادنا سليما وهذا الاتحاد لا يتسرب اليه أى خلل اذا بقى الوفد معبرا عن الرأى العام فى كبريات المسائل الخطيرة .

[٧٦٠] « وأمامنا الآن مسألة البلاغ الذى أصدره ملنر وموقف الأمة ووفدها حيـــاله .

« يقول البعض أن هذا البــلاغ يصلح لأن يكون أساسا للمفاوضة مع الوفد ولكن العمـــل بهذا الرأى خطر محقق على قضيتنـــا ولا أثر له الا ايجاد ثغرة كبيرة فى صفوفنا أو بمعنى آخر ايجاد هوة بين الأمة ووفدها وهذا ما يود الانجليز أن يصلوا اليه وهذا ما يجب أن نتجنبه .

« نحن لانطعن على أصحاب هذا الرأى بسوء النية بل على النقيض نعترف باخلاصهم ووطنيتهم ولكننا نقرر أنهم غير واقفين على حقيقة الرأى العام .

واذا أراد الوفد أن يعرف حكم الرأى العام فى هذا الأمــر الخطير فنحن ننقل اليه هذا الحكم وهو يتلخص فى العبارة الآتية :

(لا يجــوز للوفد فتح باب المفاوضـــة الا بعد الاعتراف باستقلالنا التام فهناك وهناك فقط يمكن أن يتفاوض فى دائرة واحـــدة هى طريق المحافظة على مصالح الأجانب وعلى حرية الملاحة فى قناة السويس) وهذا مبين بيانـــا واضحـــا فيما كتبتموه فى الصحف الأوربية ردا على اللورد

كيرزون فقد وقـع (١) هذا الرد الحكيم موقع الاقنـاع من جميع قلوب المصريين ٠

وقد نشرت أيضا جريدة المحروسة (٢) حديثا لكم نقله أحد الكتاب الفرنسيين الذين وفدوا أخيرا على مصر وقد أعلنتم فيه رأيكم بما يرضى الرأى العام وهو قولكم (ان مقاطعة اللجنـة أصبحت أمرا محتمـا وهو سيؤدى الى تعديل كبير فى خطتها وكل تعديل مهما كانت صفته لا يمكن جعله أساسا للمفاوضات مالم تعلن انجلترا استقلال مصر استقلالا تاما ألـخ)٠

« وقولكم فى موضع آخر (لذلك لا يمكننا مفاوضة الانجليز ما لم يعترفوا باستقلالنا التام من الوجهة الدولية أو نحمل نحن بقية الدول على الاعتراف بهذا الاستقلال ومتى تم ذلك فاوضناهم فيمـا هو مصرى وبريطانى كما نفاوض بقية الدول الأوربية فيما تريده من الضمانات » ٠ [٧٦١]

« وهذا ما تقوله الأمة الآن فيحق للمصريين بعد أن تجلى هذا الاتفاق فى جميع الأدوار والمناسبات آن يهنئوا أنفسهم لآن الله وفقهم لاختياركم قائدا لهم فأحسنتم قيادتهم وكنتم دائما معبرين عن رأيهم متكلمين بصوتهم وصوت الشعب من صوت الله سدد الله خطاكم ونجح مقاصدكم ٠

« والسلام عليكم وعلى بقية هيئة الوفد الموقرة منا جميعا »

وتقبلوا فائق الاحترام ٠

عبد الرحمن فهمى (٣)

وقد قابلت بعد ذلك عدلى باشا يكن ودار بينى وبينه حديث بشأن هذا البلاغ ونحن نتجاوز عن نشر تفاصيل ذلك الحديث مكتفين بنشر ما أرسلته فى تقريرى للوفد خاصا بهذا الحديث ورأيى فى بلاغ اللورد ملنر ودعوة الوفد للمفاوضة ٠

قلت فى هذا التقرير المؤرخ ٧ يناير سنة ١٩٢٠ ما ياتى :

---

(١) الأصل صادف ومصححة وقع ٠

(٢) المحروسة ـ ٥ يناير ١٩٢٠ ـ ص ٣ ع ٤ ٠

(٣) نص هذا التقرير فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ١٧٣ ـ ص ١٧٦ ٠

[٧٦٢] « أحمد الله الذى وفقنا الى أحكام عملية مقاطعة اللجنة (١) أحكاما فاق حد المنتظر أذهل الجميع هنا وأصبح أعضاء اللجنة الانجليزية ينتقلون لزيارة من يتوسمون فيه خيرا لمناقشتهم أو قبول مفاوضتهم فلم يجدوا الا اعراضا ونفورا من كل مفاوضة وأصبح ثابتا عن الجميع أن الهيئة الوحيدة التى يمكن المفاوضة معها باسم الأمة المصرية هى هيئة الوفد المصرى الموقرة ٠

« دار حديث بينى وبين سعادة عدلى باشا يكن فى موضوع البلاغ الذى أصدرته لجنة اللورد ملنر فسعادته كان يرى أن بلاغ اللجنة الانجليزية كاف للدخول فى المفاوضة معها وبعد مناقشة طويلة اقنعناه بأن هذا البلاغ يمكن اعتباره فقط مبدأ طريق يوصل الى بدء المفاوضة فاقتنع أخيرا بذلك وسأل عما هى الطريق التى توصل المفاوضة والتى يعتبر بيان اللجنة الانكليزية مبدأ لها فقلنا له أنه يجب أن يعترف اللورد بأن المفاوضة تكون على أساس الاستقلال التام وأن لفظة self government Institution الواردة ببلاغه (٢) هى الاستقلال التام أيضا ٠ فاذا فسر اللورد ملنر هذه العبارة رسميا بما أفسره أنا ورفع الأحكام العرفية وسحب الجنود ٠

بلاغ من لجنة الوفد
وتلغراف من سعد زغلول باشا

[٧٦٤] وبمناسبة ما نشرته جريدة « المقطم » من الدعاوى الكاذبة على الوفد المصرى ولجنته أذاعت لجنة الوفد البلاغ الآتى :

نشرت جريدة المقطم الصادرة فى صباح اليوم مقالا تحت عنوان : «القضية المصرية» أشارت فيه الى أن الظروف الحاضرة بعد صدور بلاغ اللورد ملنر تجعل المفاوضة ممكنة بين الطرفين وعقبت على ذلك بقولها « ان لجنة الوفد المركزية فى مصر ستوفد اثنين من الموثوق بهم الى باريس لاطلاع

---

(١) هذا التقرير غير موجود فى مراسلات عبد الرحمن فهمى السرية ٠

(٢) صدر هذا البلاغ فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ والعبارة التى يشير اليها عبد الرحمن فهمى فى مذكراته تقول

and will enable the Egyptian people to the whole energes to the development of their country under self-governing institutions F.O. 407/186 Enc. in No 35.

هيئة الوفد فيها على كل الأحوال وللاتفاق معه على ما يرونه فى خير الأمة وسعادتها » (١) .

ونشرت جريدة الأجيبشن ميل فى نفس اليوم مقالا جاء فيه :

« كتبت لجنة الوفد الى سعد باشا وهو فى أوربا ينتظر كتابها وقد علمنا من ثقة أن هذا الكتاب مفرغ فى قالب معتدل ألخ » .

واللجنة تنفى هذه الاشاعات نفيا باتا وتصرح :

أولا : بأنها متمسكة برأيها فى بلاغ اللورد ملنر الذى نشرته فى يوم الاثنين الماضى وقالت فيه أنه (من شأنه) (٢) لا يحمل الأمة على العدول عن خطتها .

ثانيا : أنها لم تقرر ايفاد أحد ولم تكتب تقريرا للوفد فى شأن البلاغ وانما اقتصرت على ارسال نصه ونص ردها عليه تلغرافيا الى رئيس الوفد .

ثالثا : ان احتمال سفر بعض أعضاء الوفد الذين تمكنهم أعمالهم من العودة الى باريس انما يرجع الى أن الحالة السياسية فى أوربا (٣) تستدعى وجود أغلبية هيئة الوفد الآن هناك لا فى مصر ولا سيما أن رجوع هؤلاء الأعضاء الى مصر كان باجازة ولم يكن بنية الاقامه فيها قطعيا مادامت مهمة الوفد لاتزال قائمة خارج القطر .

[٧٦٥] هذا وقد ورد اليوم على وكيل اللجنة تلغراف من سعادة سعد زغلول باشا هذا نصه :

« باريس فى ٢ يناير سنة ١٩٢٠ .

« مرقص بك حنا

---

(١) كذبت اللجنة المركزية للوفد ما جاء فى المقطم نقلا عن الاجبشيان ميل بعودة سعد زغلول الى مصر بعد عشرة أيام نص التكذيب فى المحروسة ٢ يناير ١٩٢٠ .

(٢) من شأنه مشطوبة فى الأصل بالرغم من انها غير مشطوبة فى النص الذى نشرته جريدة المحروسة فى ٤ يناير ١٩٢٠ .

(٣) فقد كان المؤتمرون فى فرساى يبحثون مصير العالم حتى هذا الوقت .

ووصلنى بلاغ اللورد ملنر ورد اللجنة عليه واننا نشاطركم رأيكم .

سعد زغلول

سكرتير اللجنة العامة — وكيل اللجنة

عبد الرحمن فهمى — مرقس حنا

تصريح اللورد اللنبى عن لجنة اللورد ملنر

[٧٦٦] نشرت جريدة المانشستر جارديان حديثا جرى لمكاتبها فى مصر اللورد اللنبى عن الأحوال فى مصر بعد حضور لجنة ملنر فى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ فصرح جنابه بما يأتى :

« ان الموقف الآن أسهل مما مضى والأمل عظيم فى الوصول الى تسوية مرضية انما الأمر يحتاج الى وقت وكياسة وصبر .

فان الفرق بين المطالب المصرية وبين ما نحن مستعدون لمنحهم اياه انما هو فى الشكل أكثر منه فى الجوهر .

« وان الوطنى المصرى يقدر المعقول ويميل الى المناقشة ولذلك اتوقع اننا سنصل الى التفاهم التام ولو أننى لا أستطيع أن أعين موعد الاتفاق .

« أما محور التفاهم فظاهر فى بلاغى الذى أذعته فى شهر نوفمبر وأساسه المهم هو الاحالة الى لجنة ملنر ولما عدت الى مصر بسطت السياسة التى ينبغى ان تتبع ــ لعظمة السلطان ولرئيس الوزراة اللذين أحترمهما احتراما عظيما . ولما كان الوزير الأول على غير اتفاق معى فى الرأى قدم استقالته(١) وكان اعتراضه على صيغة البلاغ أكثر من روحه . وكان يعترض كذلك على التعجيل بحضور اللجنة وخلاصة ما قلته للسلطان موجود فى بلاغى . واللجنة انما تعمل على هذا الأساس ولكنها تود بكل اخلاص ان تسمع جميع الأراء متطرفة كانت أو معتدلة وسنسمعها بكل اصغاء ونعير كل ما يقال لها عنايتها واهتمامها .

---

(١) يقصد رئيس وزارة مصر محمد باشا سعيد الذى قدم استقالته فى ١٤ نوفمبر ١٩١٩ .

« ولقد قلت للمصريين فى الربيع الماضى ٠ اننا لا نعترض على ابداء الآراء السياسية بطريقه مثلى لامصحوبة بالعنف ٠ وانى مكلف بالمحافظة على الاحكام العرفية مادام وجودها ضروريا لأن الغاءها يؤدى الى مساعدة دعاة العنف ٠ ولست اتوقع اضطرابات جديدة ٠ وما من أمرىء عوقب من أجل أبداء رأيه السياسى ٠٠٠ وأما الأشخاص الذين اعتقلوا والمبعدون الى قراهم فقد أطلق سراحهم ماعدا القليل ممن تقع عليهم فعلا تهمة التهييج واستعمال لهجة مثيرة للخواطر ٠ والصحافة تتمتع بكامل حريتها المعقولة ولكن لا نستطيع أن نسمح بالحض على الفتنة ٠ [٧٦٧]

« وعلى وجه العموم فانى مرتاح للحالة التى تمت حتى الآن ٠ ولم توفد اللجنة الى هنا لغرض صدر دستور معين على المصريين بل لفحص آراء ذوى النفوذ فى كل ما هو أصلح لمصر ويستطيع كل انسان أن يبدى لها آراءه صريحة كاملة ٠ ولا بأس عليه من ذلك » ٠

تدخل الأمراء فى الحالة السياسية

[٧٦٨] وفى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ قوى اتحاد الأمة وزاد تضامنها وتساندها الأمراء اليها فتم النصر لها اذ لم يبق فى البلاد من لم يرتفع صوته بطلب الحرية والاستقلال ولم يشذ أحد من الأمة فى الاحتجاج على خطة انجلترا نحو مصر .

والى القارىء نص رسالة الأمراء الى الأمة :

[٧٦٩] « أبناء مصر . مواطنينا الأعزاء (١) .

(يوم ما اقتضت الارادة الصمدانية ايداع مصير مصر بين أيدى من كان خالق مصر الحديثة وخادمها منقذ المصرى ومرشده ألا وهو جدنا الأكبر وسيدنا الأعظم المرحوم محمد على الأول وجمعت القدرة الآلهية فى شخص هذا البطل العظيم الحكمة والشجاعة فى أعماله مع الصدق والولاء نحو مصر فجعلت المشيئة الربانية أن يعقب هذا الشخص الجليل ذريه تقطن هذه الأرض الطاهرة مغمورة بنعمها . فرض الله علينا خدمة مصر واخواننا المصريين والسير على أثر جدنا الأكبر لتحقيق آماله الشريفة لتتميم أعماله النافعة لبلادنا والمطالبة بحقوق مصر والمصريين . وحيث أن الأمة المصرية الشريفة التى هى سبب عظمتنا وشوكتنا وفخارنا قد قامت عليها قياما يجعل لها ولنا أعظم منزلة نتفاخر بها فى العالم بأسره . وبما أنه لم تبق من جميع طبقات امتنا العزيزة طبقة الا ونادت بأعظم صراحة وأجلى بيان مطالبة بحقوقها الشرعية المقدسة الحقة . فقد جئنا نحن أولاد محمد على لالنشارك أمتنا فى أمانيها ومقاصدها بل لنضم صدورنا الى صدور أفرادها ونجعل أيدينا فى أيديهم حيث أننا لسنا الا روحا واحدة حتى نكون جسما لا يجبر وقوة لا تقهر فنطالب بحقوق وطننا . نطالب بحقوق أمتنا . نطالب بحقوقها الشرعية . نطالب باستقلال مصرنا استقلالا تاما مطلقا بلا قيد ولا شرط » .

---

(١) نشر هذا البيان فى الصحف يوم ٤ يناير سنة ١٩٢٠ .

الامضـــاءات

كمال الدين حسين — عمر طوسون — يوسف كمال

محمد على ابراهيم — اسماعيل داود — منصور داود (١)

[٧٧٠]

مذكرة الأمراء الى اللورد ملنر

وهذه هى نص مذكرتهم الى اللورد ملنر :

« نحن الأمراء المصريين من سلالة محمد على نقدم اليكم المذكرة الآتية :

« لما كانت طبقات الأمة المصرية على اختلافها قد أظهرت عواطفها نحو وطنها وأعربت عن أمانيها بمطالبتها بالاستقلال التام لبلادها .

« ولما كان هذا برهانا لا يمحى ولا ينقض على اخلاص الشعب المصرى وعلى أنه لا يترك لأحد مجالا لاتهامه بأنه يعمل مدفوعا بتحريض أو بتأثير نفوذ خاص . خصوصا وأن جميع أعمال الأمة المصرية المتحدة من صميم قلبها تثبت إثباتا قطعيا أنها تعمل من تلقاء نفسها وانها تسترشد بأسمى عواطف الوطنية » .

(فقد جئنا بهذه المذكرة نبلغ فخامتكم أننا لا نشارك الأمة المصرية فى جميع مطالبها فقط بل اننا نتضامن معها فنؤلف هيئة واحدة للمطالبة بحقوق وطننا والالحاح فى طلب استقلال مصر التام) .

« وتفضلوا فخامتكم بقبول فائق الاحترام » .

الامضـــاءات

كمال الدين حسين — عمر طوسون — محمد ابراهيم

يوسف كمال — اسماعيل داود — منصور داود

---

(١) الأمير كمال الدين حسين هو ابن السلطان حسين كامل الذى رفض العرش بعد وفاة أبيه ، الأمير يوسف كمال ابن الأمير أحمد كمال ابن ابراهيم باشا . عمر طوسون حفيد سعيد باشا ، محمد على ابراهيم ابن شقيق أحمد فؤاد ، اما الاخوة داود ، اسماعيل ومنصور فهما من فرع بعيد للأسرة .

رد اللورد ملنر على البلاغ

[٧٧١] وفى ٥ يناير سنة ١٩٢٠ ارسل اللورد ملنر الخطاب الآتى الى سمو الأمير كمال الدين حسين وهو :

« البعثة الانجليزية الخصوصية بسميراميس » .

« ٥ يناير سنة ١٩٢٠ » .

« الى صاحب السمو الأمير كمال الدين حسين » .

« يا صاحب السمو » .

« اسمح لى أن أنبئكم عن تلقى الكتاب الذى وجهه الى سموكم وخمسة من الأمراء من أسرة محمد على والذى أبلغتموه فى الوقت نفسه الى الصحف » .

« ولى الشرف بأن أكون لسموكم » .

« المخلص »

(ملنر)

ابتهاج الأمة بعمل الأمراء

هذا وقد قابلت الأمة رسالة الأمراء اليها ومذكرتهم الى اللورد ملنر بالفرح والابتهاج واهتزت أعصابها طربا لهذا العمل الجليل وقد لهجت الألسنة بشكرهم والثناء عليهم فامتلأت الصحف برسائل العلماء والهيئات النيابية والأعيان والنقابات والأفراد (١) . ونحن نكتفى هنا بنشر تلغراف الوفد الذى أرسله الى لجنته المركزية فى ٥ يناير سنة ١٩٢٠ :

[٧٧٢] « مرقس بك حنا بالقاهرة »

أننا نحيى بابتهاج وفخار ذلك العمل الوطنى الجليل الذى قام به أمراء العائلة المالكة وأرادوا به أن يؤيدوا أمام الدولة التى تسيطر على

---

(١) حفلت الصحف ببرقيات التهنئة والاعجاب كان أهمها البرقيات التى بعث بها أعضاء الجمعية التشريعية والعمد والأمراء .

المحروسة ٥ ، ٦ يناير ١٩٢٠ .

بلادنا بالقوة تضامنهم الكلى مع الشعب المصرى فى المطالبة بالاستقلال التام للوطن المفدى • ولاشك أن هذا العمل الذى أملاه أشرف شعور فى الوجود يعد أحكم جواب وأقوى رد على خصومنا الذين يحاولون ايجاد سوء التفاهم بين العائلة المالكة والأمة •

وليس لأحد أن يدهش لصدور هذا العمل من سلاله محمد على الكبير الذى يعده التاريخ بطل الاستقلال المصرى •

« ولا جرم أن تداخل الأمراء بعد بلاغ علماء الأزهر (١) وقرار أعيان الأقباط فى بطريكخانتهم (٢) يعد تتويجا لحركة التضامن القومى وتعزيزا للكتلة الوطنية التى تتألف منها اليوم أمتنا •

«هذه الكتلة التى لاتستطيع قوة فى العالم أن توجد أية ثغرة فيها واننا أمام هذا الاتحاد القومى الذى يزداد قوة يوما فيوما نرى المستقبل مملوءا بعظيم الآمال فهو يبسم لنا ويبشرنا بتحقيق مجهودات الأمة الشريفة » •

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

[٧٧٣] ولقد ذهبت الى حضرات • الأمراء الموقعين على البيان والمذكرة وشكرتهم على حسن صنيعهم • وقد كتبت عن ذلك الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٧ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى :

« توجهنا أمس تاريخه لزيارة حضرات الأمراء الذين وقعوا على البلاغ الأخير وقدمنا لهم صورة من تلغراف سعادتكم الخاص بهم وبلغناهم طبعا اغتباط الأمة والوفد بعملهم •

« ولقد علمنا من مصدر أكيد أن حضرات الأميرات سيقدمن قريبا بيانا لمطالبهن كما قدم ذلك الأمراء » •

عبد الرحمن فهمى

---

(١) انظر رأى علماء الأزهر فى الحالة الحاضرة بتاريخ ١٩١٩/١٢/١٥ المذكرات من ٧٠٧ وما بعدها •

(٢) انظر احتجاج الأقبـاط فى الكنيسة المرقسية الكبرى بتاريخ ١٩١٩/١١/٢٠ المذكرات ص ٦٣١ وما بعدها •

ولقد أرسل الوفد الى كل من حضرات الأمـراء الستة خطابـا هذا نصـه :

[٧٧٤] « يا صاحب السمو »

« تلقينا بالبشر والابتهاج خبر تنـازل سموكم مع بعض أصحاب السمو الأمراء الفخام للانضمام الى بقية الأمة فى نهضتهـا الحـاضرة . ولما جاءت به البشرى أعلنا فى مصر سرورنا منه وحسن تقديرنا لقيمتـه العالية . واطلعنا أخيرا على التصريح السنى (١) الصادر به فزدنا بصيغته البليغة وأسلوبه الحكيم بشرا . وتأكدنا أن الانتظار به الى ما بعد قيام هذه النهضة واجماع كل الطبقات على تأييدها لم يكن الا لشدة رغبتكم فى تركها تظهر كحقيقتها نهضة قوميـة منبعثة عن روح الشعب نفسه ومرتكزة على قوة اتحاده لا دخل فيها لسطوة الملك كما هى بعيدة عن المؤثرات الخارجيـة . والوفـد المصرى الذى أجمعت الأمة على توكيله فى السعى لاستقلالها وعلى الامتناع عن كل مفاوضة بغير واسطته يعتبر نفسه سعيدا أن يكون بهذا الانضمام الأميرى ممثلا لذواتكم الكريمة ، ومعبرا عن آرائكم الصائبة ولا يسعه تلقاء ذلك النظر البعيـد العالى وهذه الثقـة السامية الا أن يرفع لسموكم أجل عبارات الشكر وابلغ صيغ الاخلاص والاحترام »

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

[٧٧٥] فرد عليه سمو الأمير عمر طوسون مؤخرا بالكتاب الآتى :

« ١٤ مارس سنة ١٩٢٠ » .

« حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى » .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وصلنا كتاب معاليكم وقد حل لدينا أكرم محل مع الشكر المزيد » .

« ان مشـاركتنا لأمتنـا العزيزة فى قضـيتها الكبرى لمن أوجب الواجبات علينا لوطننا العزيز وأمتنا المحبوبة . فنسأله تعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير العظيم لبلادنا ويكلل مهمتكم بالنجاح والفلاح ويمكن على أمتنا بما تشرئب اليه نفوس أبنائها من السعادة والهناء فى أمن وسلام .

---

(١) يقصد التصريح ذا السناء .

ونرجو قبول شكرنا لمعاليكم على ما قمتم به من الأعمال الجليلة للوطن المحبوب مع مزيد سلامنا واحترامنا » .

الامضاء

عمر طوسون

رأى الوفد الخاص فى بيان الأمراء والغرض منه

[٧٧٦] أرسل الوفد الينا تلغرافا بشكر الأمراء على عملهم لنشره على الأمة ـ وقد مر ذكره ـ كما أرسل الى كل من حضراتهم خطابا خاصا بشكرهم أيضا ـ وقد نشرناه كذلك ـ ولكن رأى الوفد فى بيان الأمراء الذى حفظه لنفسه ولم يعلنه للملأ يتضح للقارىء جليا فى تقريره الذى أرسله الى بتاريخ ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ وهو :

« أهديك سلاما واحتراما وبعد . سرنا أن ظهر الآن من أعلياء الشأن فى الميدان بعد أن لبثوا فى الخفاء كثيرا من الزمان بل بعد أن عاكس الحركة بعضهم بأقواله وأمواله .

« أظهرنا سرورنا بدخولهم فيما أرسلناه لكم نشرتموه فى الجرائد ولكننا وجدنا تصريحهم خاليا من ذكر الوفد ولم يتصل بنا أنهم تكرموا عليه بشيء من أموالهم وبلغنا أنه انعقد اجتماع عند بعضهم فى الاسكندرية (١) وتقرر فيه اسناد الزعامة اليه ان دخل الوفد فى المفاوضة مع لجنة ملنر .

« ان الأمة أجمعت أمرها قبل دخولهم على طلب الاستقلال التام وسارت فى الطريق شوطا بعيدا بدونهم كأنهم لم يكونوا موجودين . فدخولهم فى الحركة بعد ذلك أن لم يكن لصالح يبذلونه أو توكيل يعطونه فما تكون تلك الفائدة من انضمامهم الآن ؟ وهل يستنتج من ذلك أنهم أرادوا المنازعة فى الزعامة لتكون الرياسة لهم ؟ وهل يكون دخولهم على هذه النية فى صالح القضية أو يكون بعدهم عنها أفيد لها .

---

(١) يقصد الأمير عمر طوسون الذى له تاريخ عدائى مع الوفد منذ بداية تكوينه فقد كان حريصا على ان تتم هذه الحركة تحت مظلته وبالتعاون مع الحزب الوطنى .

ربما كان لسعيد باشا يد فى هذه الحركة كما يرشح لذلك بما تكتبه جريدة الأهالى لسان حالة يوما فيوما عن الوفد وموقفه والأمراء ودخولهم [٧٧٧] فى الحركة فهل أنتم مترقبون لهذه الأحوال واقفون على أسرارها وعاملون على اتخاذ الوسائل لمنع أضرارها ؟

« ان الرياسة لا تهمنى فى شىء ولكن يهمنى أن تبقى فى الأمة هذه الروح التى أدهشت العالم بجلالها وكمالها وأن تبقى الحركة حركة قومية ترمى الى تحرير البلاد من ربق الاستعباد وأن تتمتع بالحرية الحقيقية لا أن تخرج من رق المماليك الى رق الأمراء » (١) .

سعد زغلول

(١) اقتصر عبد الرحمن فهمى فى ان نقل عن هذا التقرير القسم الخاص بموضوع الأمراء ـ أما التقرير نفسه فله بقية ـ انظر التقرير كاملا فى المراسلات السرية ص ٨٧ ـ ٨٩ .

تطور الشعور الوطني والحالة النفسية للأمة ابان الثورة وبعدها

[٧٧٨] عرف القارىء مما عرضناه كيف كان جمهور الأمة موجها كل اهتمامه الى الحركة السياسية وكيف كان متتبعا خطواتها وكيف اصطبغت أعماله وأشغاله بالروح الوطنية · تلك الروح التي جعلت الحركة تأخذ شكلا ما كان قد توقعه أحد حتى القائمون على رأس الحركة والمديرون لدفتها فقد كان المصريون وقت ثورة مارس العظيمة يأتون من ضروب الوطنية ما يعجب وما يدهش ولقد تطور هذا الشعور الوطني تطورا عظيما ما كان يحلم به كائن من كان فتغيرت الحالة الفكرية والعقليــة والخلقيــة تغييرا بينا ·

ولقد تناول هذا التطور كل معاني الحياة لدى المصريــين فأبوا أن يكونوا فيها الا مثال الوطنية الصادقة سواء في ذلك عملهم وعطلهم جدهم وهزلهم سمرهم ولهوهم تنبهت الأفكار منذ ثورةمارس فأخذ المصريون يضيقون الخناق على كل من تحدثه نفسه بالخروج على رأى الأمة كما كانوا يجابهون السلطة الانكليزية وعمالها بالاحتجاجات الصارخة ·

وقد اصطبغت الروايات التمثيلية أيضا والمنولوجات الفكاهية بهذه الروح السياسية الوطنية وكان الناس يقبلون عليها ويشجعونها اقبالا وتشجيعا منقطعي النظير · وقد تناولت هذه الروايات والمنولوجات وصف الحالة مثلا وقت الثورة وامتدت الى ما بعدهــا بكثير · ويسرنا أن ننشر هنا بعض المنولوجات الفكاهية التي كان يؤلفها ويمثلها الممثــل الخفيف الروح حسن أفندى فايق وهى تعطيك فكرة ـ ولو مصغرة ـ عن نفسية المصريين وقتذاك :

منولوج خير ان شــالله

[٧٧٩] (صعيدى يصف مظاهرات سنة ١٩١٩) كتب بعد فك اعتقــال سعد باشا فى مالطــة)

ايـــه اللى جـارى النهـــاردة يا حـــاج يس
بلادنا مالهـــا عما تلالى (١) وناسها مزقططين (٢)
رايات تشـــوح حاجات تفـــرح ٠ ياه يا محمـــدين

★——★

مـــال المدينـــة مليـــانه نساوين زى الفنايير (٣)
بيزغرطو لنـــا وبيشـــاورو لنا برايات حمر حرير
شوفم ذواتنا ٠ واقفين بناتنا خير ان شاالله خيـــر

★——★

بهـــوات كتيـــر وافنـــدية نازلين تنطيـــط (٤)
والطبـــل يرقـــع والمزيكة عمـــا تقول طيط طيط طيط
كبر وهلل ٠ ما الفـــرح حصل ٠ الفـــلاح فى الغيط

★——★

بيزعقـــوا وبيقولوا الأقبـــــاط والمســـــلمين
يحيـــا الوطن والاســـتقلال مصر للمصـــريين
الله اكبـــر ٠ دايومنـــا ازهـــر ٠ كلنـــا متحـــدين

★——★

المحـــكمة ماشـــية وكلاتهـــا لابســـة الشـــريط
واللابكتيـــة عاملـــة قضـــية وملفـــوفة فى الزعابيط
الافرنج ذاتهم عرفوا بلغاتهم قاموا رفعوا البرانيط

★——★

---

(١) تصيح ٠

(٢) مبتهجين ٠

(٣) مفردها فنارة وهى السيدة المشرقة القوام الضيئة كالفنارة ٠

(٤) تقفز ٠

ما تتكلشى علـى غيـر نفســك دلواكيت (١)
ما يحك جلـدك مثـل ضـفرك صـدقنى يا بخيت
دى مصر جنـة · والنيل عشانا · دستور يا أهل البيت

★——★

[٧٨٠] بشـواتنا وصـلت يابو عمـه افـرح يا عبيـط
ومصر سـعدها بكره يجيهـا ونقابله بزغاريط
وتعيش ولادنا · فى خير بلادنا · ونفرفش ونزيط (٣)

★——★

يا مصـر أولادك علشـانك وهبـوا الأرواح
حايرجعـولك عـزك تانى ويعيـدوا اللى راح
ويصفى زمنك · وتنسى حزنك · وتجددى الأفراح

★——★

منـولوج السـعد لاح

[٧٨١] (صعيدى يغنى على شادوف وحوله الفلاحون يرددون الشـطرة الثانية من كل بيت)

افـرح يا ولد العـم يا بـوى — دى الحـاله حتـرجع زين
والحرب أهى خلصت أهى يا بوى — بعـد ما خلصـوا القرشـين
يكفاها قعـاد ورقاد يا بـوى — قوموا بنـا نسـد الـدين
ونكون أخوات مع بعض يا بوى — أقبـاط مـع مسـلمين
علشان مصر المحروسة يا بوى — تلقـالها محـامين
لا حسن فيه ناس بالهم يابـوى — بيقـولوا متعصـبين
خلينـا نفرفش حبـه يا بوى — نحيـا ويبقى لنـا صـيت

---

(١) هذا الوقت ·

(٢) صاحب العمامة ·

(٣) الابتهاج والضجيج ·

اللى يقــول ما ينفعش يا بــوى	دا بعيــــد عنــــك عبيــط
ماحنا ولاد سـعد ومجـد يا بوى	يشــهد بكـــــده التـــاريخ
حب الأوطـان فى القلب يابوى	من غيـر بمب وســــواريخ
يا رجـال الصـلح النبى يا بوى	خليـــكو قضـــاة عادليــن
واحكمـوا السعد ووفده يا بوى	كلنــــــا متعـــــــلمين
نكرم الضيف فى بلادنا يا بوى	ماحنـــاش ناس كـــدابين
ما بقاش أضراب وكوكت يا بوى	واللى ســـــافر م عــارفين
الأمة اختـــارتك انت يا بــوى	يا ســـعد يا ولـد النيــــل
يا جمـاعة الوفد دى مصر يا بوى	ما بتنكـــرش الجميــــل
الله يخليـك يا فولك (١) يا بوى	دا أملنـا فيــــك كبيــــر
بس انت انهيلنا الأمر يا بــوى	وأنا أدوقـــك الفطيـــــر
دا القطن حدانا حرير يا بوى	ما بنلبســـش الجـــــلود
مهمـا يقــولم ويعيدوا يا بوى	ما بتخـلفش الوعــــــود
مهمـا استعملتو القوة يا بوى	برضـــــيك متمســــكين
نزعق (٢) من بره وجوه يا بوى	مصــــــر للمصـــــريين
[٧٨٢] سيبو الفحت (٣) دلوقت يا بوى	وتعـــالوا نقف صـــفين
قرلوا زى ما قول بالضبط يا بوى	وارفعـــــوا ايديـــكم الاثنيــن
نطلب لمصــر النصر يا بوى	اللهـــــــم آميــــــن

(ملحوظة : القاف تقرأ ج)

منولوج ياما فى السجن مظاليم

[٧٨٣] يا ريت خـدوا الاطيـان والمال	ولا تركـــونى فى أسوأ حـــال
اقلـــــه كان يبقى لى آمال	بس أشوف يوم الاســتقلال

× ——— ×

---

(١) يقصد المستر جوزيف فولك عضو مجلس الشيوخ الأمريكى الذى كتب مذكرة يؤيد فيها القضية المصرية (انظر المذكرات ص ٤٦٠ وما بعدها) .

(٢) يصيح .

(٣) أى الحفر .

ما شفت اخ سال عن اخوه ... ده بيسجنوه وده بيعدموه
حب المراكز فضلوه ... عن الوطن يا خوانا يا هوه

× ___ ×

اللى وشبابى وغد زميم ... والأدهى انه مصرى مصميم
فضل عذابى وعاش فى نعيم ... يا ما فى السجن ياناس مظاليم

× ___ ×

اللى بيوش هو الفايز ... قبل ما يمشى يصبح حايز
على بيه بريه (١) ... ده زمن سلطة تقول ايه

× ___ ×

فى يوم طلبنى واحد جنرال ... رحت له قال لى ازاى الحال
قلت يابات مشغول البال ... قال لى عاوز ايه امال

× ___ ×

قلت الحقونى بالتحقيق ... قضيتى كدب وتلفيق
قال انتهينا مفيش تدقيق ... الحكم اهو ناقص التصديق

× ___ ×

بابص فيه لاقيته الاعدام ... قلت له ليه على ايه يا سلام
قال امشى روح على سجنك نام ... وابقى احلم باستقلال تام

× ___ ×

قلت له كلمه كتير قلتوها ... ايد الحرية تحبوها
قال (ييس) (٢) دى حاجات ... علشان احنا بالذات

× ___ ×

---

(١) بريه كلمة دراجة تفيد بالتأنف ·
(٢) يقصد نعم Yes

[٧٨٤] بت وصبحت جانى تانى يوم   قال لى يا جمل برطع قوم
يظهر عينك ما شفتش النوم   اسمع كلامى وقول مفهوم

× ـــــــ ×

حانسيبك وبلاش اعدام   قلت له خير وضربت سلام
قالى تحت شرط بهمه قوام   فرق بين قبط واسلام

× ـــــــ ×

قلت اللى له ذمه وله دين   ما يساعدش المغتصبين
ان كنت شايف ناس خارجين   فى كل أمه فين خاينين

× ـــــــ ×

ازاى افرق بين اخوانى   واضيع شرفى وأوطانى
دنا اموت ولا اخون   سابنى وقال (فرى) (١) مجنون

× ـــــــ ×

بعد اللى شفته فى سجنى آلام   جانى وقال لى مفيش اعدام
قالوا اللى زيك موته حرام   حكموا عليك بعشر أعوام

× ـــــــ ×

قلت العذاب فى السجن يهون   على اللى ضميره ماهوش مسجون
فى أى شرع فى أى قانون   ابقى محامى لمصر واخون

× ـــــــ ×

يا ناس نصيحه الوطن افدوه   ده الخاين ده بيحتقروه
مهما يعلوه مهما يرقوه   بعد غرضهم يسقطوه

× ـــــــ ×

---

(١) يقصد جدا   Very

يا رب تصـــلح أحـوالنا علشـــان يتـــم اســـتقلالنا
وبـــلاش تفـــــاتيق (١) وأوعـــوا سياسة التفـــريق

★★★

منولوج يا رفاعى (٢) مـدد

[٧٨٥] مـــدد يا رفـــاعى مـــدد ملك الأفـــاعى يا أســـد
مين زينـــا احنـــا فى البلد ناكل رصـــاص من غير عدد

دســـتور يا هـــوه

أوعـــم تأمنـــم للتعـــابين الخشـــاشين دول الظـــالمين
خلوا المعـــازى شـــمال ويمين القـــاضى راضى ح نشـــكى لمين
مهمـــا قرصـــتم مش راجعين وبغيـــر كده ما حناش عايشين
لازم نعيـــش مســـــتقلين وبغيـــر كـــده ماحناش عايشين

دســـتور يا هـــوه

ألجهـــد لازم والثبـــات ازاى يا ناس ننسى اللى فـــات
اللى انشـــنق لنا واللى مات والغـــدر من طبـــع الحيـــات
مشـــينا قـــدام الجنـــازات جابو لنا دوغرى الترومبيلات(٣)
لو ما كـــانتش التلتـــــوارات كنـــا بقينا ســـبع لفـــات

دســـتور يا هـــوه

لجنـــة عقـــارب مع تعـــابين مين اللى ح يوافقهـــم ميـــن
دى أمه حبـــه وسعد متـــين ضرورى حتمـــا منتصـــرين
حاسبم ســـمومهم يا بشـــوات يكفينـــا ســـتين وعـــد فـــات
ايه اللى ظاهـــر فى القـــرارات عيـــر طعـــم مرمى وراه شـــبكات

دســـتور يا هـــوه

---

(١) تفاتيق بمعنى أقوال غير مسئولة .

(٢) الرفاعية طريقة صوفية انتشرت فى مصر واشتهر فقراؤها بالكرامات وكان منها القدرة على التعامل مع الأفاعى .

د. توفيق الطويل التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ص ٨٥ ــ ٨٦ .

(٣) يعنى بالاوتوموبيلات أى السيارات بالفرنسية .

اوعم تكونوا يا ناس يائسين   داحنا مع الحق المبين
حبل اتحادنا والمتين   يخرج لنا كل التعابين
قسما بعصر أم العمران   ان لم نكون حرين فى أمان
لابد تنهد الأركان   ونجيبه من ديله التعبان

دستور يا هوه

[٧٨٦]

انحشروا بالعافية الحشرات   سلم ديارنا بكل ثبات
ملوا البلد الحميات   وكتروا لنا المصروفات
كل ما نحوش قرشين   يحتاروا يبعتروهم فين
يا رب امتى نسد الدين   ويخلى دارنا غراب البين

دستور يا هوه

عملم ادارة المطبوعات   وصرحم بالختابتاكات (١)
وان جبنا سيرة الوطنيات   ياخدونا حالا فى كلابشات
السجن أصبح للبهوات   والعيشة طابت للافوات (٢)
فين القانون فين النظامات   دا شىء تحول ع المعاشات

دستور يا هوه

من ضمن تصريح الأشرار   ومن سياسته الاستعمار
المصرى يفضل كده مهزاز   لا يعرف الجنه من النار
بيلوموا بعضهم الانذال   ازاى بقى فى مصر رجال
واتغيرم من حالة لحال   وعرفوا معنى الاستقلال

دستور يا هوه

أهو بيبص التعبان   مكاتب التيمس الخرفان (٣)
شوفم يا ناس طولة اللسان   بكرة الحقائق والله تبان
اظهر وبان عليك الأمان   وارحل بقى من دى المكان
لاقطع زبانك (٤) يابو زبان   القوة للحق الديان

دستور يا هوه

---

(١) أى كتابة ما ليس له فائدة .   (٢) من ليس لهم قيمة .
(٣) الذى يهرف .   (٤) الزبان الذى يلدع به الثعبان .

تأليف لجنة الوفد المركزية للسيدات

[٧٨٧] لما وجدنا التحمس والحمية الوطنية يتزايدان بين صفوف السيدات المصريات على اختلاف بيئاتهن أردنا أن نستغل هذا الشعور لمصلحة القضية الوطنية بحالة منتظمة ثابتة .

لذلك أوعزنا الى بعضهن بضرورة تشكيل لجنة مركزية للسيدات كلجنة الوفد للمركزية للرجال وأعطيناهن كل التعليمات اللازمة ورسمنا لهن الخطط الواجب اتباعها .

وقد نجحت المساعى وشكلت اللجنة فى ٨ يناير سنة ١٩٢٠ وكذلك كونا لجنة فرعية لهذه اللجنة بالاسكندرية من سيداتها وسميت لجنة الوفد المركزية للسيدات باسكندرية :

وهذا هو قانون نظام اللجنة المركزية العامة للسيدات :

قانون
نظام لجنة الوفد المركزية للسيدات
المصريات

المادة الأولى

[٧٨٨] تالفت لجنة باسم لجنة الوفد المركزية للسيدات المصريات بالانتخاب الذى عمل بالكنيسة المرقسية الكبرى بمصر يوم الخميس ٨ يناير سنة ١٩٢٠ من حضرات السيدات :

هدى شعراوى · شريفة رياض · نعمت أبو أصبع · نعمت حجازى منيرة علوى · احسان شاكر · بهيرة فتحى · صديقة رفعت · برلنتى واصف · فائقة فتحى · استر ويصا · عنايت سلطان · بتسى تقلا · روجينه خياط · ألفت راتب · فكريه حسنى (١) ·

---

(١) يلاحظ من هذه الأسماء أمران أولهما محاولة الجمع بين المسلمين والأقباط وثانيهما انهم فى عمومهم من أبناء طبقة كبار ملاك الأراضى الزراعية ، شعراوى ، علوى ، واصف ويصا ، سلطان ، خياط ....

المادة الثانية

مهمة هذه اللجنة مساعدة اللجنة المركزية للوفد المصرى فى تبليغ الوفد المصرى أمانى السيدات المصريات والسعى بكل ما يمكنها (أى لجنة السيدات) لاستمرار المطالبة باستقلال مصر استقلالا تاما ·

المادة الثالثة

تدوم هذه اللجنة مادام العمل الذى انتدب الوفد لأجله قائما وتنفض بانفضاض الوفد ·

المادة الرابعة

تقسم كل واحدة من أعضاء اللجنة على قضاء مهمتها بالذمة والشرف وعلى التضامن فى العمل وعدم افشاء أسرار اللجنة ·

المادة الخامسة

اذا طرأ ما يستدعى انفصال احدى الأعضاء فيكون ذلك بقرار من ثلاثة أرباع أعضاء اللجنة على الأقل وللعضو أن تستقيل فى أى وقت شاءت وبدون أن يكون لها حق الرجوع فى المبالغ التى تكون قد دفعتها · [٧٨٩]

المادة السادسة

للجنة أن تضم اليها أعضاء أخريات مراعية فى انتخابهن الفائدة التى تنجم عن اشتراكهن معها فى العمل ·

المادة السابعة

تصدر القرارات بأغلبية الاراء واذا تساوت يرجح رأى الفريق الذى فيه الرئيسة ·

المادة الثامنة

تعين اللجنة رئيسة وسكرتيرة وأمينة للصندوق ويصح أن يكون لكل منهن مساعدات من الأعضاء ·

المـادة التاسعة

الرئيسة تشخص اللجنة وترأس جلساتها وتحافظ على نظامهـا وتشرف على أعمال السكرتارية وأمانة الصندوق .

المـاة العاشرة

السكرتيرة تتولى العمل الكتابى للجنة ويكون فى عهدتها المحفوظات والمحاضر والكتب وغيرها من أوراق اللجنة .

المـادة الحادية عشرة

أمينة الصندوق تحفظ النقود المجموعة على ذمة مصروفات اللجنة اما لديها أو بالبنك الذى تعينه اللجنة وهى مسئولة عن كل تصرف فى نقود اللجنة .

المـادة الثانية عشرة

تعقد جلسات اللجنة النظامية بدعوة من الرئيسة .

المـادة الثالثة عشرة

محاضر الجلسات تتضمن مع التلخيص جميع المداولات والقرارات .

[٧٩٠]

المـادة الرابعة عشرة

لا يصرف شيء من نقود اللجنـــة ألا بقرار من اللجنـــة ويمضى اذن الصرف من الرئيسة وأمينة الصندوق وتقرر اللجنة مبلغا بصفة سلفة مستديمة للصرف منها على الأمور المستعجلة .

المـادة الخامسة عشرة

ايراد اللجنة يكون مما يتحصل من التبرعات التى تدفعها أعضاؤها أو غيرهن ممن يردن المساعدة فى العمل .

المـادة السادسة عشرة

ما يتبقى من نقود اللجنة بعد انقضاء مهمتها يصرف فى شأن من الشئون المصرية العامة بحسب ما تقررة اذ ذاك اللجنة .

المادة السابعة عشرة

اذا فاوضت احدى الأعضاء احدا شفويا أو تحريريا أو كتبت فى الجرائد بدون قرار اللجنة يعتبر عملها شخصيا وتحت مسئوليتها فقط .

المادة الثامنة عشرة

اذا غابت الرئيسة تحل محلها الوكيلة .

[٧٩١ ولقد كتبت الى الوفد بخصوص تأليف لجنة الوفد للسيدات فى تقريرى المؤرخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى :

« لقد اشتدت نهضة السيدات فى الحركة الوطنية اشتدادا يبشر بحسن الحال والمآل . فلقد اجتمع فى الأسبوع الماضى بالكنيسة المرقسية نيف وألف سيدة من العائلات الكبيرة والبيوتات القديمة والفن لجنة سمينها « لجنة الوفد المركزية للسيدات » وذلك بالانتخاب السرى الذى أسفر عن انتخاب حرم شعراوى باشا رئيسة ومعها أربعة عشر سيدة كحرم محمود باشا رياض وعمر باشا سلطان وحرم الدكتور خياط وحرم الأستاذ ويصا واصف وحرم فهمى بك ويصا ..... ألخ .

« وحى الله هذا الشعور العام وجعله مصدرا للخير والبركات على البلاد » .

عبد الرحمن فهمى

احتجاج لجنة الوفد للسيدات على بلاغ ملنر

[٧٩ ولما تالفت لجنة السيدات فى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ كانت باكورة أعمالها أن أصدرت احتجاجا مسهبا على بلاغ اللورد ملنر . وهذه خلاصته :

« ان السيدات الموقعات على هذا والنائبات عن نساء مصر يبلغنكم اجابتهن على بلاغ اللجنة المعلن فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ :

« اننا متفقات مع مواطنينا على استحالة مفاوضة لجنتكم الموقرة مادمت لا تعترف قبل كل شىء باستقلال مصر .

« ان العبارات التى تضمنها البلاغ مبهمة كل الابهام فهى تنصرف الى معان كثيرة . وأعضاء اللجنة يعرفون ان المستندات الرسمية المكتوبة بعبارات دقيقة جلية قد طالما أولت ولم تؤد معنى معينا . فكيف بهذا البلاغ المكتوب بعبارة مبهمة ومهارة فائقة » .

« تقولون فى البلاغ (جاءت اللجنة البريطانية الى مصر فادهشها ما رأته من الاعتقاد الشائع بأن الغرض من مجيئها هو سلب شىء من الحقوق التى كانت لمصر الى اليوم) فنحن نتعجب من لفظة (الى اليوم) فاذا كانت ترمى الى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ فان هذا التاريخ فى نظر انجلترا وبعض الأمم — لافى نظرنا نحن — يشير الى حالة مصر وهى تحت الحماية البريطانية وعلى هذا الاعتبار لايكون قدوم اللجنة لسلب مصر حقا من حقوقها بصفتها تحت حماية الامبراطورية البريطانية ونحن لانسلم بذلك واذا لم يكن ذلك هو المراد فمن المستحيل حملنا على قبول شىء لا يكون جليا محدودا بل فى الواقع لانقبل الا ما يعلن تقرير استقلالنا الوطنى وحريتنا » .

« يكفى الأمة المصرية أنها قضت ثمانية وثلاثين عاما محكومة بأعظم امبراطورية فى الدنيا حتى تتعلم الاحتياط الشديد والجلد والمثابرة على المطالبة بالحقوق والأغراض الشرعية » .

[٧٩٣]

« فأى نوع من المناقشة ينتظرها اللورد ملنر مع المصريين فى الظروف والأحوال الحاضرة التى هى من عمل بريطانيا العظمى .

« لقد أصابت الأمة المصرية فى أن تعد نفسها فى مركز لاتقبل أن « تمنح » فيه شيئا . لأنها عرفت نفسها شعبا حرا مستقلا صاحب الحق فى مصالحة الخاصة وفى مصيره وفى المطالبة بالاعتراف بهما » .

« ويلوح لنا ان هذا الاعتراف يصح أن يكون قاعدة للمفاوضة الودية متى تقررت هذه الحقيقة بصراحة وأعلن الاعتراف بها . فان زعماءنا يمكنهم مقابلة هذه اللجنة حينذاك بما يجب من الاكرام » .

« ونود فوق ما تقدم أن نبلغك حقائق معينة ربما تساعد على ادراك حقيقة أغراضنا » .

« فنحن نحتج أولا على الطريقة التى يعامل بها الجنود الانجليز

السيدات فى مظاهراتين فى ظروف مختلفة (١) . نود أن نبلغك نوع الأثر السىء الذى أوجدته هذه المعاملة فى نفوسنا . لا نظن أن المعروف عن شهامة الانكليزى وتأدبه فى معاملة السيدات من قديم الزمن تلاشى أو ظل محفوظا للسيدات البريطانيات وحدهن فقط » .

« ونحتج أيضا على سياسة انكلترا الأخيرة نحو مصر ، تلك السياسة التى نعتقد أنها تضر انكلترا أكثر مما تنفعها » .

[٧٩٤] « اننا لا نحترم شيئا ونمجده أكثر من احترامنا للعدل والصدق والصراحة ، تلك الصفات التى كنا دائما نعدها من مميزات الأمة البريطانية » .

« تعلمنا أن نعد الحرية حقا لكل حى وانه حق شرعى لكل أمة » .

« نعلم أن للدول العظمى مصالح معينة تتضارب مع أمانى الأمم الصغيرة . ومع ان صيحة القتال فى الحرب العظمى كانت للدفاع عن حقوق النوع الانسانى وتحريره وان دماء الملايين من الشبان الأبرياء اهرقت لأرواء بذور هذه القواعد الاساسية فقد وجدنا رياح الأنانية والجشع تقتل هذه النباتات فى جذورها حتى لم يبق ألا الحقائق الجافة للمبدأ القائل (خذ أكثر ما تستطيع واعط أقل ما تستطيع) » .

« أن حركتنا كما تعلم وطنية بحتة وكل ما يقال لتشوية أمانينا الجميلة نعده كذبا وبهتانا على روح الصدق والعدل البريطانية » .

وانا لتضحكنا قراءة ما يكتبة عن الحركة المصرية أشخاص لايعلمون شيئا من تفاصيل حركتنا أو يكتبون بشىء من التحيز محاولين ترك الرأى العام البريطانى على جهل بحقيقة قضيتنا . فمثل أولئك الكتاب قد ينجحون فى تضليل الرأى العام البريطانى ولكنهم فى الوقت نفسه متأكدون من أنهم يضرون بسمعة انكلترا فى الشرق ضررا بليغا . ومع أننا نرى كثيرا من الانكليز فى مصر يصوروننا على غير حقيقتنا فنحن لا نزال متمسكين بأعتقادنا القديم بان المنصفين الفضلاً من الانكليز يختلفون عن أولئك الكتاب .

[٧٩] « نحتج على هذه السياسة الضارة بانكلترا فى الشرق ونرجو أن يستطيع ساسة الانجليز فهم هذه الأمة وادراك كنة الأحوال الحقيقية حتى

---

(١) انظر الجزء الأول ـ مظاهرة السيدات ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

يستطيعوا حل المسائل . وبما اننا أمة ولدت من جديد فسيكون من السهل عليهم فهم حقيقتنا » .

« نحن أمة لا تزال بريئة الضمير . نقية من الدهـاء لم تتلوث بدسائس السياسيين وقد بلغنا الحد الذى نعرف فيه ما ينقصنا . ولقد يستطيع الانكليز اذا كان فيهم من الأمانة والاخلاص ما فيه الكفايـة أن يفهموا هذه الحقيقة : انها حقيقة حالنا » .

رئيسة اللجنة المركزية للسيدات

هدى شعراوى

وكذلك أعلن الاحتجاج الآتى الى الأمة وهو :

« احتجاج لجنة وفد السيدات المصريات المركزية »

[٧٩٦] « قرر أعضاء لجنة وفد السيدات المصريـات المركزيـة أن يعلـن احتجاجهن الآتى الى الأمة المصرية وجميع العالم المتمدين .

أولا : نحتج بشدة على بلاغ اللورد ملنر الأخير المبنى على الغموض والابهام مع أن مطالب مصر الوحيد لا يحتمل أى شك أو غموض . فالأمة المصرية رجالا ونساء لاتطلب الا الأستقلال التام ولا تقبل فى تفسير هذا المطلب الصريح الا الصراحة والحق . واذا كانت هناك مناقشة فمع الوفد وعلى مبدأ الاستقلال التام .

ثانيا : نحتج بكل قوانـا على المعاملة الخالية من الذوق والكياسة التى تعامل بها السيدات فى مظاهراتهن الوطنية .

ثالثا : نحتج بكل قوانا على الأعمال الأستبدادية الأخيرة كنفى رجال مصر العاملين الى قراهم ونفى قرياقص أفندى ومعاملته المعـاملة السيئة التى لاتتفق مع مبادىء الحرية والعدالة .

ونطلب وضع حد لهذه الطرق الأستبدادية التى لاتتفق مع مدنية أمة حرة .

رابعا : نطلب وسنطالب باستقلال بلادنا التام ولن نرضى بغيره بديلا .

« فلتحى مصر حرة .. وليحى الاستقلال التام »

التوقيعـات

ألفت راتب باشا ، فكرية حسنى (ناظرة مدرسة المعلمات ببنها) ، هدى شعراوى ، شريفة رياض باشا ، نعمت أحمد بك أبو أصبع . نعمت أحمد حجازى بك ، منيرة علوى باشا . احسان حرم أحمد شاكر بك ، بهيرة حرم مجيب فتحى باشا ، صديقة سليمان بك رفعت ، برلنتى ويصا واصف ، فايقه رفيق بك فتحى ، استر فهمى ويصا بك . عنايت سلطان باشا (١) .

تلغراف الوفد الى لجنة السيدات

[٧٩٧ وعندما اتصل نبأ تأليف لجنة السيدات بالوفد واطلع على احتجاجها التاريخى بادر بكتابة هذا التلغراف الى اللجنة وهذه هى صورته :

باريس : ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠

الى حرم شعراوى باشا

باسم الوفد المصرى أقدم الى اللجنة المركزية التى حملت الوطنية الصادقة سيدات مصر على انتخابها تهانيىء المقرونة بالاحترام والشكر .

وان العمل الذى أعلن فيه ارادتهن فى طلب الاستقلال يملأ نفوسنا افتخارا « فهن بذلك يرين العالم المتمدين كله أن أمهات أبنائنا ومربيات رجالنا الذين يقبضون غدا على أزمة شئون الوطن لهن جديرات بمهمتهن السامية .

« ان حارسة الوطن الأمينة أظهرت اليوم كما كانت عليه دائما أى انها وطنية وان محبتها وطنها حرا لهى أكبر شاغلها » .

« فالشجاعة المقرونة بالكرامة لهى مظهر العمل الذى يقضى على الجميع بالاعجاب » .

---

(١) حرص الموقعات هنا على وضع القاب آبائهن (بكوات وباشوات) يؤكد طبيعة انتمائهن الطبقى .

وفى هذه الساعة العظيمة الشأن من تاريخنا يجعل وقوف السيدات المصريات الى جانب أزواجهن نصرة كمطالبنا القومية وتحقيق الأماني التى نسعى اليها جميعا بالاجماع .

فالاحتجاج المملوء بالحزم الذى وجهتهن الى اللورد ملنر لهو البرهان القاطع على وحدة الارادة وصدق العزيمة حتى الموت على ان مصر لاتريد ان تحيا الا حرة .

سعد زغلول

رد سعد زغلول باشا
على السير فالنتين شيرول

[٧٩٨] كانت وزارة الخارجية البريطانية لا تقتصر على ايفاد رجالها الرسميين الى مصر ليمدوها بحالة البلاد بل كانت توعز الى بعض كبرائها بالسفر الى البلاد المصرية ليجوسوا خلالها ويقابلوا بعض كبرائها حتى تكتسب كتاباتهم الصبغة الشعبية ٠

ومن هؤلاء الذين قدموا الى مصر لهذا الغرض السير فالنتين شيرول على زعم أنه يراسل جريدة (التيمس) وقد كتب السير فالنتين عدة مقالات استعرض فيها حالة مصر السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وكان يرسل مقالاته الى جريدته فتنشرها تباعا فى أبرز مكان ٠ وكانت تلك المقالات مشربة بروح الود والانصاف لمصر بيد انها كانت لا تخلو من بعض الأخطاء (١) ٠

ولما كان لهذه المقالات وكاتبها أهمية كبرى لدى الحكومة البريطانية والشعب الانجليزى فقد بادر سعد باشا بباريس فى الرد على ما جاء بها من أغلاط وقد نشرتها مجلة (أوربا الحديثة الفرنسية) ٠

وفى وسع القارىء ان يتبين من رد سعد باشا تلك الأخطاء التى عزاها الكاتب الى المصريين ٠

قال سعد باشا :

« ان الحالة فى مصر التى لا حاجة الى تبيان خطورتها قد أوحت الى السير فالنتين شيرول الموجود الآن فى القاهرة سلسلة مقالات تنشرها « التيمس » تباعا منذ شهرين ٠ وهذا البحث الذى هو فى الغالب نتيجة أحاديث مع بعض كبار القوم يرمى الى تقدير جوهر المسألة التى تحرك مصر ٠ ويظهر أن الكاتب قد باشر درسه ليس فقط بروح الانصاف بل [٧٩٩] بروح العطف على المصريين واننا لشاكرون له ذلك ٠ ولكنه لسوء الحظ

(١) أصدر السير شيرول فالنتين هذه المقالات فى كتاب فى نفس العام ٠
Valentine, Sir Chirol : The Egyptian Problem. London, 1920.

قد جعــل لبحثه عنوانا عامــا هو « الخطر المصرى » فكيف ينظر الى هذا الخطر ؟ ومن الذى يهــدد هذا الخطر ياترى ؟ ان الكاتب ينظر الى هذا الخطر بطبيعة الحال من الوجهة الانجليزية • والغرض الذى يرمى اليه ليس ارضاء الشعب المصرى بل هو صيانة الســيادة البريطــانية بالقاء شيء من الحمل الذى يثقلها •

« هذا وان البحث لم يوضع لانارة المصريينة بل لانارة الجمهور الانكليزى وكان ذلك الجمهور يجهل المسألة المصرية حتى الآن تمام الجهل فدهش واضطرب فجأة عندما علم أن هناك أزمة شديدة الخطر قد أصابت سياسة حكومته فى موقف كانت السيادة البريطانية تبدو فيه اثبت منها فى غيرة •

ونعم ان الحالة تقتضى باتخاذ تدابير لمداولتها ولكن لم يبق بالامكان ان تقرر الحكومة هذه التدابير خفيــة عن الشعب الذى يريــد أن يعرف الحقيقة • وهذه الحقيقة كلف السر فالنتين شيرول بنشرها لذلك الشعب مدبرة مزوقة مطبوخة بكل اعتناء • وكل شيء يحمل على الاعتقاد ان وزارة الخارجية هى التى أوصت على تلك المقالات أو على الأقل أوحتها • ويكفى للأقناع بذلك ان تقابل مقالات التيمس بتصريحات لورد كرزون التى جاءت بعد نشرها مباشرة • فلا يسع القارىء ألا أن يدهش من المشابهة بين هذه وتلك ولا تقل دهشة من البراعة التى يستخدمها السر فالنتين شيرول فى اجتناب جوهر المسألة ومن الانتقادات النظرية التى يوجهها الى الموظفين الانجليز فى مصر • وبهذه الطريقة يخيل للجمهور الانجليزى ان الكاتب يقدم له أدلة قاطعة عن انصافه ساعة ان ذلك الجمهور عاجز عن التثبت من قيمة تلك الادلة واخلاصها فكل هذا الاعتدال الذى يبديه فى الشكل يرمى بلا نزاع الى تمهيــد السبيل للشيء المهم والى تنفير الرأى العــــام الانجليزى مما يريدون أن يسموه تطرف المصريين غير المقبول •

[٠٠٧]

وليس من السهل حصر براهين حضرة مراسل « التيمس » المحترم الذى يرمى فى بيانه الى الغاية المطلوبة بكل براعة • فبيانه مائع متموج ينتثر انتثارا فيتناول موضــــوعات ثانوية شـــتى دون أن يتغلغل فى موضوع واحد من النقط الأساسية • بل هى مذكرات بين موجزة ومسهبة لاتبسط المسألة فى مجملها وليس لها من خطــه تعرف بل ليس لها من نتائج ظاهرة وهذا أشد خطرا لأنه لا يسع الجمهور الانجليزى أن يكون له رأيا صحيحا بل كل ما فى الأمر أنه يتأثر تأثرا سيئا ضدنا •

« وعليه فأن الوفد المصرى يكون قد تخلى عن أول واجباته ألا هو لم ينبه الشعب الانجليزى الى الضلال الذى يريدون أن يقودوه اليه لينتزعوا منه بعد تضليله موافقته على السياسة المجرمة التى سارت عليها الحكومة وهو غير مسئول عنها » .

« قال السير فالنتين شيرول فى مطلع بحثه أنه حضر الى مصر ليدرس الحالة عن كثب ويتفهم أسباب الأزمة الأصلية ولكنه ما كاد يطأ أرض مصر حتى عدل عن فكرته هذه وصرح أنه سيكتفى مؤقتا بتوجيه الأنظار الى خطورة الموقف » وهذا أمر عجيب !!

كيف تكون الحالة فى غاية من الخطورة ، لا بل أشد المشاغل البريطانية خطرا ، ويرى السير فالنتين شيرول المفوض الشبيه بالرسمى من وزارة الخارجية الا حاجة به الى التعمق فى أسبابها الأساسية ؟ الجواب أن ذلك ليس من مصلحة الحكومة لأن الأسباب الأساسية تتلخص بسبب [٨٠٦] واحد وهو : ارادة الشعب المصرى أن يكون مستقلا . وليس هناك من سبب جوهرى قاطع أكثر من هذا السبب لأنه المطلب الأعلى لبلاد كاملة اتحدت جميع طبقاتها لرفض السيادة الأجنبية تلك السيادة التى تريد أن تتوطد بالقوة وحدها دون مسوغ لها لا من وجهة الحق ولا من وجهة الواقع ».

« فليس والحالة هذه ما يدعو الى الدهشة اذا كانت المسألة المصرية بعد هذه المقدمة تبسط كمسألة من مسائل السياسية البريطانية الداخلية. وكلما كان فى تقرير الحوادث ما يضايق الكاتب تراه يعمد الى التخلص من المناقشة أو الى اخراجها عن دائرتها . هكذا يفعل مثلا عندما يتكلم عن ثورة الشعب الثابتة فهى فى عرف السير فالنتين شيرول مظهر لها امتاز به الجيل الحاضر فى مصر من التمرد على كل سلطة شرعية حتى على سلطة الوالدين . وبعد ان تشبع من هذه المغالطة أخذ يقابل بين مصر فى أمسها ومصر فى يومها ويقارن خضوع المصريين واستسلامهم يوم كانوا مستعبدين لارادة مستبدة بموقف المصريين اليوم وهم متذمرون من كل سلطة ومعادون لكل نظام » .

« هل من حاجة الى تذكير الكاتب بأقوال لورد دوفرين الذى كان يقول منذ أربعين سنة فى حكمة على مصرى الأمس انهم مدركون تمام الأدراك لكرامتهم وحقوقهم ؟ أليس ما يسميه مكاتب التيمس « تمردا على كل سلطة » خضوعا من جانب جميع الارادات الفردية لارادة الأمة ؟ أليس فى ذلك بعكس ما يقوله المراسل مثال لنظام راق ، لنظام عجيب يزيد فى

[٨٠٢] تاثيره أنه موضوع لخدمة الحق التاريخى الذى لكل شعب أن يثور لاسيما وأن هذه الثورة ليست لنصرة نظريات غير ثابتة بل لنصرة تقليد أبدى ومشترك بين الأمم مشترك بين الانسانية جمعاء أعنى فوز فكرة الوطن الواحد الذى لايتجزأ ؟

« ولكن هذا الشطر من المسألة هو من باب المناقشات البسكولوجية(١) وليس له الا أهمية نسبيه . أما جوهر المسألة فهو هل من مسوغ للحماية التى قام بها الشعب المصرى فى وجهها ؟ ان السير فالنتين شيرول لا يشك فى ذلك لأن انتقاده الوحيد ــ وهو انتقاد مصوغ فى قالب اللطف ــ لا يتناول الا موافقة الزمن الذى أختير لاعلان تلك الحماية . ثم يبدى دهشته من أستياء المصرين الذين جزعوا من هذه الكلمة فأهملوا النظر الى ما وراءها . وهو يقول اذا كانت وزارة الخارجية قد أخطأت فى عدم شرح نياتها فى الحال وعدم تسكين الأهلين من حيث معنى الحماية فانه لم يدر قط فى خلد الحكومة ان تقضى على الحرية المصرية بل كان فى نيتها دائما توسيع تلك الحرية بالتدريج .

« لا . لم ينشأ التأثير فى المصريين من لفظة قيلت . فهم يفهمون كما يفهم العالم قيمة الألفاظ ولا سيما الألفاظ السياسية . ولكنه قد أتيح لهم فى هذه المرة أن يلمسوا ويقدروا الوقائع التى تجلى فيها تطبيق الحماية . وهل كنا فى الحقيقة بحاجة الى شرح الألفاظ ونحن نرى سيادتنا الخارجية يقضى عليها وسلطاننا تعينه الحكومة البريطانية ؟ ونحن نرى سيادتنا الداخلية يهددها تدخل السلطات الانجليزية وسلطاتنا المدنية تنقل الى رئيس عسكرى انجليزى له أن يتصرف حسب هواه بأموالنا وحياتنا وشرفنا ؟ ونحن نرى الجمعية التشريعية تعطل منذ [٨٠٣] سنة ١٩١٤ والقوانين تصدر من سلطة أجنبية وكلها قوانين استثنائية تضع البلاد فى خدمة المصالح البريطانية ؟ هل كنا بحاجة الى الشرح ونحن نرى الطرق التى تخنق بها آراؤنا ونشاهد الحبس والنفى نصيب من كانت جريمتهم الكبرى حب الوطن فوق كل شىء وننظر الى البنادق والرشاشات توجه الى جمهور برىء أعزل ونعد بالمئات والألوف الموتى والجرحى منا هؤلاء الشهداء الأبطال الأبرار الذين قضوا فى سبيل الايمان الوطنى ؟

« نعم ان لنا بالحماية لخبرة مؤلمة وهى ليست لفظة بل حقيقة محزنة

---

(١) يقصد السيكولوجية أى النفسية .

مميتة . ولسنا نحن المتلاعبين بالكلام والألفاظ فالحرية الداخلية والتدرج بالحكم الذاتى هى هذه الألفاظ . والكلام ليس ألا وعود رجال السياسة البريطانية الذين اتسموا بالشرف ستين مرة فى مدة أربعين سنة ان مصر لن تضم أبدا ولن تخضع للحماية . الكلمات هى تصريح المستر لويد جورج الذى أشهد الله عليه فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ ان انجلترا لا تطمع من وراء هذه الحرب في شبر من الأرض » .

« قد تفقد مصر كل شيء من وراء هذه الحماية التى يراد اخضاعها لها بالقوة ولكنها لن تفقد الشرف فهى بقوة شرفها وقوة حقوقها التى لا تنسخ تنتظر معجزة الحكومة الاستعمارية الانجليزية عند الانتصار على مقاومتها الساكنة . فان الاجيال تنقضى والممالك تتقوض والاستبداد يزول أما الأمانى القومية فلن تموت والحق دائم الى قيام الساعة . هو دائم ولا يسمح اعتبارات المصلحة ان تخضعه لارادة الأقوى الا اذا زالت عنه صفة الحق . على أن هذ الحق الذى يستند اليه المصريون لأنه القانون الأسمى الذى يحكم على علاقات الدول هذا الحق لايشير اليه السير فالنتين شيرول على الاطلاق ولا يذكر لنا شيئا من مبررات بقاء انجلترا فى مصر . [٨٠٤] واذا ما أثبت المصريون حقوقهم فى الاستقلال ببراهين قانونية لا تقبل الرد كحرب محمد على ضد الأتراك والحكم الذاتى المأخوذ قسرا وقطع آخر رابطة فى سنة ١٩١٤ بالدولة صاحبة السيادة وانحياز مصر الى جانب الحلفاء فى سنة ١٩١٥ (١) وانتهاء الحرب بالنصر الذى أثبت هذا الاستقلال . عندما يعلن المصريون ذلك نرى السير فالنتين شيرول يكتفى بأن يرد .

« لا حاجة بى الى التبسط فى البراهين والادلة العامة التى تقدم لتعزيز حق مصر بالاستقلال التام » فليسمح لنا باستغراب ذلك لأن كل المسألة في هذه النقطة لابد من البحث فيها ما لم يكن القصد القول بأن قواعد القانون الدولى لاقيمة لها فى عين انجلترا متى كانت تعرقل مطامعها الاستعمارية .

« يجب أن يعرف الشعب البريطانى الحقيقة مادام السير فالنتين شيرول يريد أن يعترف بأننا بما وضعناه تحت تصرف السلطة العسكرية من المليون والمائتى ألف من رجالنا ومن جميع مواردنا قد ساعدنا بريطانيا أكثر من مساعدة أى بلاد من أملاكها أفما كان يجب عليه أن يضيف الى

(١) يقصد خلال هجوم الأتراك على قناة السويس .

ذلك أننا ماكنا لنجود بما جدنا به لولا أعتقادنا باننا بالمدافعة عن قضية الحلفاء كنا نقاتل في سبيل استقلالنا أو أننا على الأقل لم نفعل ما فعلنا ليكون موقفنا في سنة ١٩١٩ بعد عقد الصلح أسوء مما كان في سنة ١٩١٤ قبل الحرب » ·

« لاشك ان الشعب الانجليزى يجهل هذه الأمور المحزنة كما يجهل احكام الاتفاق الظالم الذى زاد في عدد المستائين وأوجد جراثيم الاضطراب والثورة · ان الشعب لجاهل كل ذلك وعلى حكومته وحدها تقع جميع التبعات · وهو لن يرضى بأن يكون بخطأ الذين يحترفون القانون الدولى بعد حنثهم بالوعود مشابها للشعب الألمانى الذى خرق المعاهدات وأعتدى على حياد بلجيكا (١) » · [٨٠٥]

« ان السير فالنتين شيرول أسوة باللورد كيرزون بسبب المناقشة لأنه هو أيضا يعرف أنه ليس بالامكان ايجاد مبرر شرعى للحماية · فيتمسك على مثال اللورد بل بصراحة تزيد على صراحته باعتبارات واقعية فيقول مثلا « لو لم يكن في المسألة سوى المصريين ونحن لكانت المسألة أكثر بساطة من أوجه كثيرة ، ولكن ينسى البعض اننا لسنا والمصريين وحدنا بأصحاب المصلحة وأن هناك الأجانب » ويدهشنا أن نرى السير فالنتين يضع في مقدمة أولئك الأجانب الأسرة المالكة التى يقول بشأنها :

« ان كثيرين من المصريين لا يخفون عدم ثقتهم فان مصر المستقلة لن تكون فراشا من الورد للأسرة المالكة الآن في مصر » ونحن نريد قبل كل شىء تكذيب هذا الافتراء لأنه ليس من مصرى واحد يقدر أن ينسى كم أن مصر مدينة لمحمد على الكبير الذى قاتل في سبيل حريتها وانقاذها من النير التركى وعليه فان انجلترا عندما تصرح بعزمها على تأييد السلالة المالكة تنتحل عذرا كما فعلت سنة ١٨٢٨ لبقائها في وادى النيل · ولكنها حجة ملفقة من أولها لآخرها لأنه لم يدر قط في خلد المصريين أن يناوئوا أسرة محمد على بل هم شاعرون كل الشعور بالواجب عليهم لسلالة بطل الاستقلال المصرى » ·

فهم مستعدون متى استرجعت مصر سيادتها التامة ان يحيطوا السلطان الدستورى باحترامهم وتعلقهم كما كانوا في الماضى · أليس رئيس الدولة الذى هو الرئيس والحارس الأعلى للدستور رمزا حيا للوطن الحر ؟ ولكن انجلترا تتمسك بهذه الحجة الفاسدة · لتحتفظ بمركزها [٨٠٦]

---

(١) يذكر هنا بالسبب الذى دفع بريطانيا الى دخول الحرب العالمية الأولى ·

فى مصر لا لتحافظ على بقاء الأسرة المالكة على عرش ليس بيننـا ألا من يدافع عنه · هذا وان البيان الذى وجهه أمراء البيت السلطانى الى الشعب للتضامن معه لتكذيب قاطع لهذا الزعم ·

« ثم يقدم السير فالنتين شيرول بعد ذلك مسألة الدفاع عن مصالح الأجانب · ولا تريد أن تتوسع فى صفة المصالح المادية التى هى أقلية لا تبلغ ١ ٪ من مجموع السكان أى ١٥٠ الفا على ١٣ مليون مصرى · فانه عندما تدور المسألة على أمر سام شريف كأمر استقلال شعب من الشعوب لا يمكن أن تكون مصالح طائفة قليلة من الأجانب حائلا دون تحقيق تلك الأمنية · ولو نقلنا القضية الى فرنسا أو ايطاليا أو اليونان هل يخطر على بال أحد أن يدافع عن مصالح الأجانب النازلين فى تلك البلاد بما يضر الحقوق الوطنية · فلماذا يقضى على مصر دون سواها بأن تتألم من هذا الاستثناء الفظيع ؟

« ولكن نكرر ألا حاجة بنا الى تقديم هذه الاعتبارات العمومية · فمن ياترى فى الواقع يهدد مصالح الأجانب ؟ وكيف يكون استقلال مصر مضرا بتلك المصالح ؟ هل نحن نطالب باستقلالنا بما يضيعها ؟ ألسنا نتعهد باحترام حقوق أوربا الامتيازية ؟ ألسنا نقدم ـ مع صيانـة سيادتنا ـ أكمل الضمانات بقطع النظر عما يمكن البحث فيه بالاتفاق من الضمانات الجديدة ؟ وبالاختصار اذا احتفظ الأوربيون بامتيازاتهم الأ يكون موقفهم أكثر فائدة منه تحت الحماية ؟ هذا مما لا شك فيه · ولا يقولن أحد ما قال السير فالنتين شيرول من أنه « لو فكر الانجليز فعلا فى الجلاء عن مصر لقام الأجانب يحتجون على هذا الجلاء ويشجبونه كخيانة للمصالح الأوربية المشتركة » ولا يهولن أحد لتأييد هذه الحجة بشبح التعصب والبلشفية فانه ليس للتعصب من أثر فى ذلكم الوطن المصرى العجيب ساعة اتحد المسيحيون والمسلمون فى أمنية وطنية واحدة تحت راية الصليب والهلال المتعانقين ولا دخل للدين الذى هو من اختصاص الضمائر · وقد دلت الحوادث على أن اتحاد القلوب قائم على نظر صـادق فى الحقائق وهـذا ما يجعل الشعب حرا وكبيرا · أما البلشفية فهل من حاجة للقول أنه لا يوجـد فى العالم بلد أبعـد عن مبادئهـا من مصر من حيث نظامهـا الاجتماعى ؟ [٨٠٧]

« ان الأجـانب لا يخشون شيئـا ومن العبث اثارة أشباح الخوف لاكتسابهم لقضية غير عادلة · فان الأوربيين والمصريين فى مصر المستقلة فى غدها ضامنون الحياة على أتم اتفاق · ولم تزل العلاقات ودية للغاية بين الفريقين منذ قرن ويزيد » ·

فعبثا تحاول الدسائس السوداء أن تزعزع هذه الثقة المتبادلة ويجب أن تتحطم مساعى الافتراء على عتبة الوجدان والعقل • فان الوجدان هو الذى يقضى على ضيوفنا بأن يمدونا بمعاونتهم فى جهادنا السلمى فى سبيل الاستقلال وهم لا يسعون أن يأبوا على الشعب المصرى مساعدتهم فى الحصول على الحرية التى يستحقها لانهم يعرفون قيمة الحرية ولا يمكننا أن نتصور انهم مقابل كرم ضيافتنا ينحازون فى هذه الساعة العصيبة الى جانب خصومنا للدفاع المزعوم عن مصالح لا شىء يهددها •

« أما العقل فهو الذى يقضى عليهم بمساعدتنا لأنه لاشىء يهدد مصالحهم أكثر من الحماية الكفيلة باقصاء العنصر الأجنبى » •

« وهل تسعى انجلترا بوضع حمايتها قسرا الا الى القضاء على المصالح الأجنبية ؟ وهل تريد الا احلال النفوذ البريطانى وحده محل النفوذ الذى لا يزال للأوربيين فى كل الأمور ؟ [٨٠٨]

وهل تبغى الا افساح المجال لرؤوس الأموال الانجليزية لطرد الأموال الأجنبية المستثمرة عندنا بفائدة كبيرة ؟

« وعليه فالمصريون ينتظرون بتمام الثقة مساعدة جميع النازلين فى مصر الذين لا يسعهم أن ينسوا انها كانت لهم أما رؤوما • فلهم فيها تذكارات • وقد صار لأسرهم فيها تاريخ ورفات موتاهم امتزج بالأرض الوطنية • وأولادهم الذين لوحتهم شمسنا الساطعة قد تكيفوا عقلا وجسما بكيفية توازنت فيها عبقرية الغرب والشرق • وفى الختام أصبحت الصداقة بيننا وبينهم أسهل تحقيقا منها بينهم وبين عمال الحماية (١) •

« وعليه فالأجانب فى غنى عن سهر بريطانيا العظمى عليهم مثلما المصريون فى غنى عن حمايتها لهم » •

« وقد انتقد السير فالنتين شيرول عمل الاحتلال والنقص الواقعة تبعته عليه ومع ذلك تراه يلقى الذنب على المصريين لانهم ظلوا حتى الآن « بعيدين عن الحياة المالية والتجارية والصناعية فى القطر » ولكن على من يقع الذنب ؟

« أليس ذلك راجعا الى الاحتلال نفسه الذى قاوم كل مسعى رمينا من ورائه الى التحرير الاجتماعى والاقتصادى وعارض كل تربية فنية وكل

---

(١) يقصد المسئولين عن الحماية •

توسع فى التعليم فأقام فى وجهنا عقبات كؤودا ؟ نعم ان الاحتلال لم يهمل شيئا من العراقيل فى عالم الماديات وفى عالم الأدبيات لتثبيط الهمم والقضاء على القوى المبدعة والمشروعات الاقتصادية التى لم يكن فيها نصيب الأوربين أنفسهم بأوفر من نصيبنا بسبب تفشى تلك العراقيل وعليه فلا يجعل السير فالنتين شيرول ان يرى فى ذلك عدم كفاءة منا لحكم أنفسنا [٨٠٩] فان كفاءة المصريين لحكم أنفسهم ترجع الى عهد بعيد • وفى المدة المنقضية من زمن محمد على الى سنة ١٨٨٢ دليل على ذلك ، بل يمكننا أن نقول ان عددا كبيرا من الموظفين الذين أرسلتهم وزارة الخارجية بعد سنة ١٨٨٢ مضطرون الى تعلم أعمال وظيفتهم من الموظفين المصريين وان كانوا رؤساء لهم بالاسم وان المشروعات التى يضعها وينفذها الموظفون الوطنيون تعرض فى الغالب على الرؤساء الانجليز ليمهروها بامضائهم فقط • ألم يعترف لورد كرزون فى الخطاب الذى ألقاه فى ٢٥ نوفمبر انه « لا يجوز الظن ان أمه كالمصريين لها فى طبقتها الراقية علم غزير وتذكارات تاريخية يمكنها أن تكتفى بالخضوع الأعمى فى ادارة البلاد » ان فى هذا التصريح أشد حكم على الاحتلال بالرغم من سعيه الى استعبادنا بابقائنا فى درجة انحطاط عقلى وأدبى • فقوة النفس وحدها مكنت المصريين من الاحتفاظ بأمانيهم السامية ومن كسر قيودهم والشعور بكرامتهم وحقوقهم •

« ولا ننكر التقدم المادى الذى حصل منذ سنة ١٨٨٢ وان كان فى الغالب لم ينفذ فى هذه الفترة سوى مشروعات وضعت برامجها قبل الاحتلال ولكننا نأبى أن ندفع استقلالنا ثمنا لهذا التقدم بعد أن دفعنا ثمنه من مالنا •

« يحاول السير فالنتين شيرول ان يميز فى الشعب المصرى أحزابا معتدلة وأحزابا متطرفة • وهو فى ذلك على ضلال فليس فى مصر الآن الا حزب واحد هو « حزب الاستقلال » فمن أكبر واحد الى أصغر واحد فى الثلاثة عشرة مليون مصرى لا توجد الا ارادة واحدة وهى ارادة الاستقلال، والوزراء الثمانية الحاليون أنفسهم يتوقون فى ضميرهم الى الاستقلال [٨١٠] وان كانوا رازحين تحت امتيازات الشرف • ولم يفعل الوفد المصرى شيئا لتسيير هذه الارادة بل انه تلقاها كأمر من الشعب المصرى الذى يطالب باستقلاله دون أن تسكرة كلمة الاستقلال التى لا يفهم معناها كما يعتقد السير فالنتين شيرول • فالشعب يفهم ان الاستقلال يقضى على السيادة الغريبة ويضع نظاما أهليا قائما على سياسة أهلية •

«فهذا الاستقلال الذى هو حق طبيعى لشعب يطلبه لأنه جدير به، هذا

الاستقلال الذى كنا نلناه من أوربا لولا المعارضة العنيفة التى أبداهـا ممثلوا انجلترا فى مؤتمر الصلح ، هذا الاستقلال الذى هو أثمن فى نظرنا من الحياة ، هل يأباه علينا الشعب الانجليزي الذى يسمع الآن صوتنا ؟

« فالى ذلك الشعب الشريف الحر صاحب الماضى الكبير والذى ينبغى أن يبقى تاريخه خالصا من كل شائبه نوجه مطالبنا بكل ثقة مقتنعين بأنه سيعرف كيف ينتصر على الروح الاستعمارية المتأصلة فى الذين يحكمونه ويكادون يجرونه الى غلطات لا دواء لها » ٠

« لا ينبغى أن يقال أن ذلك الشعب ان استقل يهدد المصالح الانجليزية فان مصر المستقلة ستحتاج دائما الى صداقة انجلترا وسيكون أعظم هم لنا صيانة مصالحنا المشروعة » ٠

« أليست الصداقة الحرة بين الشعبين ضامنا لبريطانيا العظمى أقوى من عداوة مصر المستعبدة بالقوة التى لا يكون لها فكر مادام واحد من أبنائها على قيد الحياة الا النضال فى سبيل الاستقلال ولا يكون لها غاية سوى تحطيم قيودها ؟ »

سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

رد لجنة الوفد المركزية للسيدات على السير فالنتين شيرول

[٨١١] ونشر السير فالنتين شيرول فى جريدة التيمس الصادرة فى ٢ يناير سنة ١٩٢٠ مقالة بعنوان « النساء فى مصر » تعرض فيها لآداب النساء فى مصر ولتربيتهن العلمية وتناول فيها نهضتهن الفكرية واشتراكهن فى الثورة الأخيرة بما فيه مساس بكرامتهن ولذلك هبت لجنة الوفد للسيدات وبادرت بكتابة هذا الاحتجاج ردا على ما جاء فى مقالته وهو يدحض مزاعم السيد شيرول التى عزاها الى النساء المصريات ٠ وهذا هو نص ذلك الرد المفحم :

« بصفتنا ممثلات للجنة الوفد المركزية للسيدات نرى من واجبنا أن نرد على مقالة السير فالنتين شيرول المنشورة فى جريدة التيمس يوم ٢ يناير بعنوان « النساء فى مصر » ٠

«يقول السير فالنتين ان الفلاحين يعاملون نساءهم معاملة الدواب ٠ وهو قول بعيد عن الانصاف متى علمنا أن المرأة التى تتطوع لمشاطرة زوجها عمله اليومى والتى « تحكم منزلها » والتى تدل على مقدرة كبيرة فى الشئون العملية لا يجيز الانصاف ان تقارن بالدابة » ٠

« أما نقص التعليم فى مصر بين الرجال والنساء فكل ما نقوله ان اللوم فى ذلك واقع على الحكومة التى هى فى أيدى الرقابة البريطانية فانها لم تعمل الا عملا قليلا جدا لترقية التعليم فى بلادنا ٠ ونحن وان كانت لدينا مدارس أهلية كثيرة يربو عددها اضعافا على عدد مدارس الحكومة لا يصبح أن يوجه اللوم الينا ألا من جهة واحدة وهى اننا لا نملك من هذه المدارس أكثر مما لدينا منها وستهتم مصر المستقلة بزيادة عددها فى المستقبل » ٠ [٨١٢]

« وقد نسى السير فالنتين فى جملته التى كتبها بعنوان « الزوبعة السياسية » ان نساء مصر وان كان أكثرهن اميات لا يعرفن القراءة والكتابة الا انهن سلالة أجيال متطاولة من أمة عريقة فى المدينة ٠ فهن اذا كن لم يكتسبن مداركهن الاجتماعية والفكرية من المدارس فقد ولدن على جانب عظيم من الفهم والفطنة يمكنهن من اداء واجبهن فى الحياة الفكرية والاجتماعية على مثال قويم ٠ وقد بثت فيهن تقاليد ستة آلاف سنة من الآداب الحسنة والصفات العالية ما هو مأثور عن مزايا الشعب المصرى الخلقية وفى وسعنا ان نقول ان الصفات التى يتفوق فيها تحتاج من أساتذة أوربا وقادة أفكارها الى انفاق حياتهن فى تهذيب أبناء قومهم كى يفلحوا فى حملهم على الاقتداء بتلك الصفات والسير على منهاجها » ٠

« والواقع أن النساء المصريات فى الجيلين الماضيين كن ينظرن بعين الاحتقار الى ما يشاهدنه من مظاهر المدنية الغربية والآداب التى يرينها دون آدابهن ٠ ولم يخطىء الا بنات هذا الجيل فى محاولة التنصل من كل قديم والتقليد الأعمى لكل جديد ولكننا لحسن الحظ قد أحسسنا بالصدمة ويسرنا ان نقول اننا أصبحنا مع الزمن نميز بين الحسن والقبيح ونستطيع أن نتمسك بالحسن من القديم وننبذ القبيح من الجديد ونتخذ لنا من هذا أو ذاك نموذجا يلائمنا فى حياتنا الفكرية والاجتماعية » ٠

« وربما كان السير فالنتين يجهل ان النساء المبرقعات فى مصر يتمتعن بما يحتجن اليه من الحرية ولا ينتظرن ان تهيب بهن صرخة المطالبة بالاستغلال التام أملا فيما يستهويهن فيها من توسيع معانى الحرية حتى

تنزل بهن الى الشوارع طلبا للتغيير في حياتهن • كما أنهن لا يفعلن ذلك لينلن الحظوة عند سادتهن لأن مركز المرأة فى منزلها جدير أن يحلها المحل اللائق من نفس زوجها الذى تعاونـه أحسن المعاونـة وتعد شريكته فى الحياة » •

« وانما كان يعوزهن كل مظالم الساسة الانجليز ومطامعهـم وكل أنواع الضغط العسكرى الذى تقوم به السلطات البريطانية لتنزل بنساء مصر المحجبات من بيوتهن فيعلن احتجاجهن من أجل اخوانهن المضطهدين ويؤدين بذلك واجبهـن باعتبـار انهن الشطر الآخـر الحى من المجتمـع المصرى » •

« ولقد جاء فى المقالة ذكر اشتراك النســاء مع الرجال فى اقامة المتاريس وأنهن كن يتفرقن عند ابتداء القتال ثم يرجعن ليمتعن أعينهن بالنظر الى الأعمال الوحشية التى يرتكبها الرجال » •

« فما هو ذلك القتال الذى يشير اليه السير فالنتين » ؟؟

أهو القتال الذى يجرى بين متظاهرين عزل من السلاح وبين مدافع البريطانيين الرشاشة وفرسانهم المسلحين ؟؟ لاشك ان النساء المصريات قد اظهرن جنبا عظيما بتفوقهن عند « ابتداء القتال » لينجون بأنفسهن من الرصاص المتهاطل حولهن ممزوجـاً بدماء أزواجهن وأبنائهن : أولئـك المتظاهرين العزل المسالمين •••• ولا ريب أنه كان قتالا من جانب واحد لا يتناضل فيه الفريقان نعم لا ريب فى ذلك لكن السير فالنتين يذهل عند هذه الحقيقة فيجدد ذكرها :

[٨١٤] « الأعمال الوحشية التى يرتكبها الرجال !! حقا ان من العجائب أن يتمتع النساء بالنظر الى الأعمال الوحشية التى تقع على الرجال من أبناء جنسهن • فان الكل يعلمون أن الجنود البريطانيين لا يتركون قتلاهم على قارعة الطريق ليتمتع النساء بالنظر اليهن • ولقد كان الأجدر والأصح أن يقال ان نساء مصر كن يرجعن لينتحبن من جراء الأعمال التى تصـب على رجالهن وأولادهن » •

« أما النفور بين النساء المصريات والنساء الانجليزيات فـلا داعى للتفكير فيه لما هو معلوم من أن الانجليز فى مصر قليلو الاختلاط بغيرهم ولا تكاد تظن أن بين النسيدات المصريات من أحسست بالحاجة الى الاجتماعات الانجليزية المصرية على اننا نعلم أن اللواتى اختلطن منا قليلا بالانجليزيات

فى مصر وعاملتهن باللطف والاكرام قد ألفين فى معظم الأحيان مأدعاهن الى اللوم ولسنا حريصات على تجديد تلك المعرفة » :

« أما (ثمار الانحطاط الخلقى فى المستقبل) التى يتوقعها الكاتب فلا خطر قط من حصول ما توقعة • وفوق هذا فان الغرض من عملنا الذى أخذناه على عاتقنا هو ألا يحصل ذلك فى يوم من الأيام » •

« وانا لنفتتح صفحة شائقة فى تاريخ مصر ولنا الأمل الوطيد بأن يكون نساؤنا فى طليعة النهضة النسائية النبيلة التى تسير فى مصر الأولى » •

عن اللجنة المركزية للسيدات

هدى شعراوى

مناقشات اللورد ملنر مع كبار المصريين

[٨١٥] لما حبطت خطة اللورد ملنر وضاعت مجهوداتها التى بذلتها للاتصال بالمصريين سدى وأغلق فى وجهها كل باب حاولت ان تطرقه انتهز فرصه هذه الحيرة بعض كبار رجال السياسة المشهود لهم بالفضل والوطنيه وقد أرادوا أن يجنوا ما يمكن اجتناؤه من الخير لمصر • لذلك اجتمع حسين رشدى باشا وعدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا وقابلوا اللورد ملنر فوجدوا منه ميلا واستعدادا للاتفاق معهم على النقط التى قاطعت الأمة بسببها اللجنة فلما انصرفوا من عنده دعوا محمد سعيد باشا وأحمد مظلوم باشا للأنضمام معهم واقنعوهما بأن نية اللورد ملنر متجهه الى اسداء الخير لمصر وعلى ذلك ذهبوا جميعا للتحدث مع ملنر ولكن سعيد باشا انفصل عن زملائه بعد مقابلته لملنر قائلا أنه لم يقتنع بما أكده له أخوانه وقد توالت بعد ذلك مقابلات هؤلاء السياسيين مع اللورد ملنر وزملائه بعلم لجنة الوفد المركزية واطلاعها •

وفى يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٠ سافر على بك ماهر عضو الوفد الى باريس ليوضح للوفد حالة البلاد وتطورها ويطلعه على تقرير رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا وعلى تقرير لجنة الوفد المركزية وكان يتضمن التقرير الأول محادثات الوزراء مع ملنر والحاحهم على سعد باشا فى أن يبدى رأية فى أن يستبدل بالحماية تحالف انكيزى مصرى يضمن

للأوربيين عامة والانكليز خاصة مصالحهم فى مصر • أما تقرير لجنة الوفد فكان يتضمن رأى اللجنة وتفويض الأمر أخيرا الى الوفد بما يراه صالحا للقضية المصرية •

حديث لرشدى باشا عن مناقشاته مع ملنر

[٨١٦] ذكرنا للقارىء أمر مقابلة رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا للورد ملنر ومحادثاتهم معه • بيد أن هذه الأحاديث لم تنشر على الأمة حتى يعرف رأيها فيها وان كان محور هذه المحادثات يدور حول الغاء الحماية واستبدال محالفة بها لما قدمنا لذلك حادث مكاتب جريدة وادى النيل دولة حسين رشدى باشا فيما تم بين ملنر وبينه من المخابرات • ونحن ننشر للقارىء تصريح رشدى باشا فى هذا الصدد •

« لقد تلقيت زيارة اللورد ملنر فى منزلى الخاص ورددت له الزيارة فى دار الحماية • ولقد أراد اللورد ملنر أن يعرف رأيى فى المسألة المصرية وفى موقف الأمة حيال لجنته فأجبته بأنه لا يوجد مصرى يشعر بشىء من الكرامة والشرف يقبل التجرد عنهما بقبول مباحثتكم بعد البلاغ الذى نشره الجنرال اللنبى وانى أستطيع أن أؤكد لكم أنه مادام محور المناقشة هو المحدد فى ذلك البلاغ فيجب أن تضعوا نصيب أعينكم أنه ما من مصرى يوافق على محادثتكم الا اذا كان عديم الشرف والكرامة ولا يمكن أن تكون هذه الفئة ذات فائدة لكم لأن الأمة تحتقرهم وليست لها فيهم أقل ثقة • وان خير حل للخلاف المصرى الانجليزى هو تحويل الحماية الى محالفة انكليزية مصرية تصان بها المصالح الانجليزية أى قنال السويس وتضمن المصالح الأوربية ، وقلت له اذا اصرت انكلترا على ارغامنا على قبول النظام الموضح فى بلاغ الجنرال اللنبى فان من شأن هذا الاصرار أن يؤدى الى توليد الكراهية والضغينة فى صدور المصريين فينتهزون أول فرصة للأنضمام [٨١٧] الى أعداء انكلترا فى حالة وقوع حرب جديدة • اذن يكون الانجليز مضطرين لايجاد عدد عظيم من الجيوش هنا لصد كل حركة تقوم ضدهم • ومثل هذه السياسة لا تنطبق على العقل ولا على الحكمة »

« ولقد صرحت للورد ملنر بأنه لا يمكن أن يوضع أى حل بدون أن يشترك فى بحثه مبدئيا الوفد • وان كل محالة يراد بها عقد اتفاق خارج عن موافقة الوفد تكون باطلة ومعرضة للفشل » •

« ولقد كان شعورى بعد محادثة اللورد ملنر حسنا جدا وانى على يقين تام من أن أساس السياسة الانكليزية الحالى سيتغير » •

تصريحات عدلى باشا وثروت باشا

٨١٨ـ أما عن تصريحات عدلى باشا فقد كتبت عنها الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« ان الصراحة وحرية القول التى يستعملها سعادة عدلى باشا جرت عليه شيئا كثيرا من الانتقادات والقيل والقال . ولقد سلقته الألسن كثيرا. وتضاربت فى خطته آراء المتسرعين غير أنه لعلمنا بما انطوت عليه سريرته وحسن نيته دافعنا كثيرا عنه وهدأنا كثيرا من الخواطر الثائرة عليه » .

« ولقد حذرنا سعادته كثيرا من الرأى العـام وقوته التى أصبحت بفضل الله وعنايته لاتقهر ولكنه ما كان مصغيا تماما لنا وانى أشعر أنه تحقق الآن مما كنت أحذره وأتعشم انى أتوصـل ان شاء الله الى ازالة ما بقى عالقا فى الاذهان ضد خطته » .

وأما عن تصريحات ثروت باشا فقد كتبت عنها للوفـد فى نفس التقرير ما يأتى : ـ

« أما ثروت باشا فالسخط عام عليه لتصريحاته التى صرح بها لمكاتب وادى النيل بالعاصمة وانها والحق يقال بعيـدة عما يجب أن تكون عليه تصريحات رجل عرك الدهر وحنكته التجارب (١) » .

عبد الرحمن فهمى

قسوة الانجليز وكثرة الاعتقالات

٨١٩ـ ضيق الناس الخناق على لجنة ملنر فلم تظفر بشىء مما كانت تأمله وترجوه وهذا ما جعل السلطة العسكرية تسوم الشعب العذاب فتمعن فى قسوتها وتكثر الاعتقالات التى لا يحدها حصر ولا عد .

ولقد كتبت الى الوفد عن ذلك فى تقريرى المؤرخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

---

(١) لنص تقرير عبد الرحمن فهمى المؤرخ فى ١٤ يناير ١٩٢٠ .
انظر المراسلات السرية ص ١٧٦ ـ ١٨١ .

« ثقوا وتأكدوا بأن الشدة التى تعامل السلطة بها المصريين لم تزدهم الا قوة وتضامنا واتحادا وصبرا على تحمل الشدائد وثقوا أيضا بأن أصبح كل مصرى لا يفكر فى شىء غير استقلال بلده وخلاصها من قيود العبودية وأصبح القوم هنا يتبارون فى تحمل مصائب القسوة ويتفاخرون بما يصيبهم من أضرارها كالنفى أو الاعتقال أو الحبس أو التهديد والاهانة ولا أبالغ اذا قررت هنا ان التطور الذى تطورته الأمة المصرية فى سبيل استقلالها لم تتطوره أمة أخرى من قبلها فهى بالفعل سبقت الأمة الفرنسوية فى تطورها الذى قلب نظام العالم · فأمة هذه روحها النفسية وهذا مقدار شعورها الوطنى لا يمكن أن ترضى بغير الاستقلال التام بديلا · فهى متمسكة به غاية التمسك (أدعو الله القدير أن يمن علينا بحريتنا المغتصبة » (١) ·

عبد الرحمن فهمى

سفر لجنة ملنر الى الاسكندرية

[٨٢٠] يعرف القارىء ان الاسكندرية هى عاصمة مصر التجارية وفيها معظم الأعمال الرئيسية المختلطة المرتبطة بالدول لذلك كان طبيعيا أن تفكر اللجنة فى الذهاب اليها لبحث الأمور التى تتعلق بمصالح الأوربيين عامة والبريطانين خاصة ولتقف على شعور الاسكندريين نحوها وان كان هذا الشعور قد تجلى فى كثير من المناسبات ·

وفعلا وصلت اللجنة ـ ماعدا اثنين منها · ذهبا الى مديرية الغربية ـ الى الاسكندرية فى ١٢ يناير سنة ١٩٢٠ فوجدت اعراضا من الأهلين يماثل تماما أعراض القاهريين عنها اذ أن مطالب أهل البلاد جميعا تمثل فى القاهرة فلا داعى لأن يشذ السكندريون عن خطة المقاطعة ·

شرعت اللجنة فى مقابلة ذوى المصالح المختلطة وأقامت مأدبتين دعت اليهما ممثلى تلك المصالح وكانت بعد انتهاء المأدبة يدعو كل مدعو للتحدث معها على انفراد ·

وقد قوبل وجود اللجنة فى الاسكندرية بكل مظاهر الاحتجاج : ـ اذا أغلق كثير من التجار مخازنهم وأرسل أكثر من ٥٠ تاجرا تلغراف

---

(١) نفس التقرير السابق ·

احتجاج الى اللورد ملنر واقيمت المظاهرات ضدها فى كل مكان (١) ٠

وقد أصدرت لجنة الوفد للسيدات بالاسكندرية هذا الاحتجاج :

احتجاج لجنة السيدات

[٨٢١] « أجمعت الأمة المصرية على مقاطعة لجنة ملنر وتجلت هذه المقاطعة فى جميع الظروف والمناسبات فحضور اللجنة بعد هذه المظاهرات الى مدينة الاسكندرية للسعى فى حملنا على مفاوضتها يدعونا الى مقابلة هذا الحضور بالاحتجاج الشديد وباعلان عزمنا الأكيد على التمسك بالمقاطعة التامة » ٠

« واننا ننتهز هذه الفرصة للاحتجاج على بلاغ اللورد ملنر الذى لم يتضمن الاعتراف بأستقلالنا التام ونتمسك بتوكيل الوفد المصرى المرءوس بسعادة سعد زغلول باشا والذى له وحده حق المفاوضة بعد صدور الاعتراف الصريح من الجهة المختصة باستقلالنا التام » ٠

« كما نحتج على قمع مظاهراتنا السليمة برصاص البنادق والمدافع الذى أودى بحياة الكثيرين من أبناء هذا البلد ٠ ونحتج على مصادرة حريتنا الشخصية وأعتقال مواطنينا ومنع الصحف من رفع صوتنا وعلى بقاء سيف الأحكام العرفية مسلولا فوق الرؤوس » ٠

« فلتحى مصر حرة ٠ وليحى الاستقلال التام »

[٨٢٢] ولقد كتبت الى الوفد فى هذا الشأن عن عمل اللجنة فى الاسكندرية فقلت له فى التقرير المؤرخ ١٧ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« لقد عاد اللورد ملنر مع لجنته من الاسكندرية بعد ظهر أمس بعد أن فشل فى كل ما حاوله فشلا تاما فان من دعاهم لمأدبته الأولى من الوطنيين لم يحضرها منهم الا محافظ المدينة وكان عددهم لا يزيد على العشرين ٠

---

(١) تقول الوثائق البريطانية ان مقاطعة لجنة ملنر امتدت الى الاسكندرية والاقاليم وتشير الى الوسائل التى اتبعها اللجنة المركزية للوفد لاحكام هذه المقاطعة ومنها تحذير الوجهاء الذين سعت اللجنة الى مقابلتهم كذا اللجوء الى النشر الواسع عمن يقبل اللقاء مع اللجنة كما أصبح يشكل عنصر ضغط شديد على هؤلاء دفعهم الى اللجوء للمقاطعة ٠
F.O. 407/186 No. 58 Allenby To Curzon, Jan. 22, 1920.

وكذلك دعوة المجلس البلدى لم يحضرها أحد من أعضائه الوطنيين وهى الدعوة التى قررها المجلس البلدى قبل توجه اللجنة الى الاسكندرية هى تتخلص فى تقديم الشاى لأعضاء اللجنة بالمتحف الاسكندرى بعد زيارة اللجنة له ولم يحضرها أيضا الا المحافظ فقط » ·

« أما الوليمة الثانية التى دعا اليها اللورد ملنر بعض التجار والأعيان الأوربيين والوطنيين فلم يحضرها أحد كذلك من الوطنيين » ·

« والفضل فى ذلك يرجع الى استعداد الاسكندرية أولا والى بث الدعوة التى نشرها من أوفدناهم الى الاسكندرية خصيصا لهذا الغرض والنشاط العظيم الذى بذلته هذه الجماعة المخلصة فى العمل ولم يقتصر العمل على ذلك بل ان الدعوة نشرت باقفال جميع مخازن المحلات التجارية الوطنية على اختلاف أشكالها وأنواعها يوم الأربعاء ١٤ الجارى ولكن للأسف لم يتم النشر يوم الثلاثاء فأصبح بعض المحال مفتوحة يوم الأربعاء ولكن الدعوة عممت فى اليوم المذكور واجتمعت الكلمة على اقفال جميع المحال التجارية الوطنية يوم الخميس ١٥ الجارى احتجاجا على قدوم اللجنة الانجليزية لمدينة الاسكندرية وقد تم الأمر على أحسن ما يرام فحمدنا الله على هذه النعم العظيمة · نعمة الاخلاص ونعمة الاتحاد ونعمة الجرأة داخل الحدود المشروعة » (١) ·

عبد الرحمن فهمى

مظاهرة السيدات

[٨٢٣] وفى يوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ قام السيدات بمظاهرة فى العاصمة كتبت عنها الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٧ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : —

« قامت بعض السيدات المصريات بعد ظهر أمس بمظاهرة لطيفة قامت من ميدان المحطة الى لوكاندة شبرد وهناك هتفن لسينوت بك حنا المقيم بها وللوفد المصرى ورئيسه وللأستقلال التام ولجريدة مصر · ولما علا هتافهن خرج كل من باللوكاندة ووقف على « التراس » ولما وقع نظر السيدات على بعض الضباط الانجليز الذى كان يتقدمهم أحد الجنرالية

(١) النص الكامل للتقرير المذكور فى المراسلات السرية ص ١٨١ — ١٨٤ ويلاحظ ان هناك بعض الاختلافات الطفيفة فى تقديم أو تأخير بعض الكلمات ·

أخرجت كل واحدة من تحت ازارها علما مصريا صغيرا (لاعلم الحماية) وصحن بأعلى أصواتهن « لتحى مصر حرة ليحى مصر حرة · ليحى الاستقلال التام · ليحى الوفد المصرى · ليحى سعد باشا زغلول · ليسقط ملنر ليخسف الله الأرض بملنر » وكل هذا النداء كان باللغة الانجليزية ثم استمرت المظاهرة فى سيرها نحو نادى رمسيس وهتفت السيدات باللغة العربية للاتحاد بين عنصرى الأمة وهناك أتى البوليس الانجليزى ومعه نفر من البوليس المصرى وفرقهن الى منازلهن · وكانت المظاهرة مشيا على الأقدام » (١) ·

عبد الرحمن فهمى

مقاطعة عضوى لجنة ملنر فى الغربية

[٨٢٤] ذكرنا للقارىء عند سفر لجنة ملنر الى الاسكندرية أن عضوين منها عرجا على مديرية الغربية لاختبار الحال فيها واستدراج من يمكن استدراجهم لاعطاء أقوالهم الى اللجنة · فلما وصل هذان العضوان وجدا الجو أكثر اكفهرارا من جو مصر · اذ انى اتخذت فى كل البلاد التى زارتها اللجنة كل الطرق لمقاطعتها واتبعت فيها تلك الطريقة التى ابتدعتها فى القاهرة وهى مراقبة من يذهبون لمقابلة أعضاء اللجنة وأخذ تصريح كتابى منهم بما أفضوا به اليها ·

وقد نجحت خطة المقاطعة والحمد لله على ما كنت أبغى وزيادة فباء عضوا اللجنة بالخيبة والفشل وهذا ما كتبته الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٧ يناير سنة ١٩٢٠ خاصا لهذا الشأن : ــ

[٨٢٥] « أما ما كان من المستر سبندر وزميله اللذان كانا يريدان زيادة التجول بمديرية الغربية فلقد قامت الشبيبة بعمل حاسم فى هذا الموضوع فبثت العيون والأرصاد فلم يتيسر لهما (سبندر وزميله) الاتجاه الى أية ناحية لأنهما كان يجدان الطلاب والتلاميذ مكتنفين الطريق والمسالك فيؤبان الى حيث كانا » ·

« ومن ألطف ما حدث أنه أشيع فى بلدة تدعى «قحافة» قريبة من بندر طنطا ان اللجنة تريد زيارتها ولما كان عمدتها غائبا وكان أحد المشايخ يشتغل مكانه بالنيابة عنه أتت له زوجة وتناولت خاتمه منه وخبأته قائلة

(١) انظر نفس التقرير السابق ·

له (اننى لا أترك لك الخاتم خوفا من أن تجبرك الحكام على التوقيع على أوراق لمن يقال انهم سيحضرون هنا) وبالفعل خرج الرجل من منزله بلا خاتم ولما أراد المستر سبندر التوجه للبلدة المذكورة وجد منافذها غاصة بالطلبة فعاد هو وزميله ولم يصلا اليهما » ٠

« سقت اليكم هذا المثل لتعرفوا الى أى حد وصل التطور بالأمة المصرية حتى بالقرويات اللآتى ما كن يعرفن شيئا من الحالة العامة حتى ولا ماله المساس الأكبر بحياتهن » ٠

ثم ذكرت فى نفس هذا التقرير ما يأتى : —

[٨٢٦] « ومما يروق ذكره أن أحمد بك الشيخ أحد أعضاء مجلس مديرية الغربية والعضو بلجنة الوفد المركزية كان متوجها الى جهة « سخا » (١) بأوتوموبيل وكان الطلبة يراقبون مسالك تلك الجهة حيث كان يقيم المستر سبندر وزميله بتفتيش سخا فأوقفت الطلبة أحمد بك الشيخ وأنزلته من أوتوموبيله ولم تتركه يسير الا بعد أن تأكدت أنه ليس متوجها لأعضاء لجنة ملنر ومع ذلك فقد ركب معه أحدهم فى الأتوموبيل الى أن تجاوز حدود التفتيش وأيقن الطلبة أنه لن يقابل أحدا من اللجنة » ٠

« كل هذا يدل سعادتكم على الروح التى وجدت هنا والتى لا يمكن لأية قوة بشرية أن تقهرها باذن الله تعالى فطيبوا نفسا وسيروا على بركة الله بلا أقل تساهل فان من تكون خلفه أمة بهذا التضامن والاتحاد واليقظة الفائقة الحد لا يبالى بأى شىء ولو اجتمعت مع المغتصب أى جموع أخرى ماداموا على الباطل » ٠

عبد الرحمن فهمى

[٨٢٧] هذا وقد كتبت الى الوفد أيضا بتقريرى المؤرخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٠ عن مقاطعة الأمة للجنة ملنر وما حدث لبعض أعضائها فى مديرية الغربية أقول : —

« مقاطعة اللجنة الانجليزية لاتزال على ما هى عليه من الشدة والأحكام ان لم تكن تتزايد شدة واحكام يوما بعد يوم ٠ أما ما ذكرته بعض الجرائد الانجليزية من ان بعض المصريين يقابلون أعضاء اللجنة فهذا

(١) بلده قريبة من كفر الشيخ ٠

ما لا يمكننى تصديقه وعلى فرض أن بعض الخوارج ـ وهم أقل من القليل ـ سمحوا لأنفسهم أن يتسربوا خفية الى مقر اللجنة فمثل هؤلاء لايعتد بهم ولا يمكن اتخاذ أقوالهم حجة فى القضية وكفاهم خزيا وعارا انهم لا يجرأون على الجهر بذلك » ٠

« على أنه لو كان لهذا النبأ صحة فلماذا احتاجت اللجنة الى تفرق أعضائها وتجولهم بالبلاد لمقابلة بعض الأعيان فى دورهم خفية أى بغير أن يبينوا للأعيان هويتهم ؟

« مثال ذلك أن مدير الغربية خاطب أحد عمد بلاد مديريته وأخبره بأنه سيتوجه لزيارته بعد ظهر اليوم المذكور فأستعد العمدة بطبيعة الحال لاستقبال المدير وما وافت الساعة المحدودة حتى أقبل أتوموبيلان فى أولهما اثنان من الانجليز الملكيين وفى الثانى مفتش الداخلية ومأمور المركز وبعد ان أخذ كل مجلسه دار الحديث بين من كانا فى الأوتوموبيل الأول وهما من لجنة ملنر وبين العمدة بواسطة مفتش الداخلية وكان الكلام دائرا حول حالة البلاد الداخلية وكان العمدة يجيب بكل بساطة لانه ما كان يخطر بباله أن أعضاء لجنة اللورد ملنر تتجول فى البلاد وتقابل الناس بدون أن تعرفهم من هم ـ ولما علم العمـدة أن من كانا فى زيارته هما من أعضاء اللجنة الانجليزية أرسل تلغرافا للورد ملنر يحتج على ذلك كما أرسل للصحف مثل هذا الاحتجاج أيضا » ٠ [٨٢٨]

« وحدث أيضا أن مدير أملاك الميرى الحرة أرسل لحضرة بسيونى بك الخطيب يخبره بأنه يريد زيارته وبالفعل توجه اليه المستر سبندر أحد اللجنة فسأل المستر سبندر بسيونى بك عما كان يعمل عمال السلطة فى جمع المحصولات وكيف كان يعامل هؤلاء العمال مدة الحرب الى غير ذلك من الأسئلة فأجاب بسيونى بك سائله على بعض الأسئلة وأخيرا فقه الى أنه ربما يكون سائله من أعضاء اللجنة وعندئذ قال ما يأتى : ـ

(اننا موكلون الوفد المصرى تحت رئاسة سعد زغلول باشا للدفاع عن قضيـتنا وللاجابة عن كل ما يتعـلق بها) وأرسـل لنا بسيونى بك مكتوبا بذلك فعرفناه بأن يرسل لسعادتكم تلغرافا منه مباشرة بتفصيلات ما وقع كما سبق أن كلفا عمدة ميت يعيش صاحب الحادثة الأولى بأن يفعل ذلك أيضا) ٠

« هذا ما وصل الى علمنا مما تجربة اللجنة الانجليزية ٠ ولقد اتخذنا الحيطة على قدر الامكان كى نمنع الاجابة بتاتا والاكتفاء بأن يجيب الانسان

عن كل سؤال يوجه اليه بأن الوفــد المصرى موكل خصيصا للدفاع عن القضية المصرية وللاجابة عن كل ما يتعلق بها » (١) •

عبد الرحمن فهمى

فظائع حوادث طنطا

[٨٢٩] ذكرنا للقــارىء خبر ذهاب المستر سبندر وزميله الى مديرية الغربية وشرحنا باختصار كيف قوبل العضوان فى تلك الجهة • وقد قام الأهالى بمظاهرات سلمية ضد عضوى لجنة ملنر وأمتدت تلك المظاهرات الى ما بعد مغادرة العضوين لهذه المديرية ولكن الجنود الانجليز أرادوا أن يمثــلوا فيها ما سبق لهم أن أتوه من فظاعات فى ابان الثورة فأطلقوا الرصاص على الآمنين العزل من السلاح • ولكى يقف القارىء على تفاصيل تلك الوقائع الخطيرة التى نجم عنها تشديد الحكم فى مدينــة طنطا نحيلــه على هذا الاحتجاج المفصل الذى أرسله الينا لفيف كبير من أعيان بلدة المديريــة وعظمائها ونوابها وعلمائها وهذا نصه : ــ

مديرية الغربية

[٨٣٠] « حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة »

(بينما يصرح ساسة الانجليز للعالــم ان لا غرض لانجلترا سوى حماية مصر من كل اعتداء أجنبى اذ نرى أبناءنا العزل من السلاح يفنون الواحد بعد الآخر تحت نيران الجنــود الانجليزية المهلكة لأقل سبب وبغير سبب • وفى الوقت الذى تنتظر فيه مصر الاعتراف بحقوقها المقدسة كاملة بعد اشتراكها بالفعل فى حرب تحرير الشعوب ترى نفسها محرومة حتى من تولى دفن بعض موتاها الذين ذهبوا شهداء ايمانهم الوطنى وهكذا تجنى مصر ثمار انتصارها لقضية الحلفاء حنظلا وتجزى على خدماتها الجليلة التى كانت من أهم العوامل فى كسب القضية المشتركة بالاذلال والارهاق •

« فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٢٠ حوالى الساعة التاسعة

---

(١) نص التقرير فى المراسلات السرية •

مساء (*) تقريبا كان ثلاثة من الانكليز أحدهم جاويش يتجولون فى مدينة طنطا والجاويش فى حالة سكر بين فاتفق مرور بعض المتظاهرين العزل من السلاح دائما بشارع البورصة فانهال عليهم الجنود ضربا بالسياط ثم أطلقوا بعض الأعيرة النارية فهاج ذلك سخط الجمهور وعندئذ أصيب الجاويش فى رأسه من طوبة وبعد برهة وصلت السيارات المدرعة وعليها الجنود مسلحة وكان الجمهور قد أخلى الشارع من الرعب فأخذ الجنود فى اطلاق النار ولما لم يجدوا أحدا أمامهم من الأهالى اتجهوا بسيارتهم الى تياترو بشارع عبد العال بك وهناك وقفت سيارة مسلحة ونزل منها ضابط انكليزى وتقدم الى مسافة متر ونصف من محل قطع التذاكر وفاجأ الجمهور باطلاق الرصاص من مسدسه فى الهواء صوب المتفرجين وتبعه الجنود فهجموا على التياترو وهم يطلقون النار كذلك فذعر المتفرجون وهلعت نفوسهم واختلط الحابل بالنابل وهرعوا جميعا الى الباب ومنهم النساء والأطفال والشيوخ • والجنود تضرب فى أقفيتهم بالسنج وخشب البنادق وتعلق الجميع بأذيال النجاة وكانت أرض التياترو مغطاة بما تركه المذعورون من الثياب والقلانس والأحذية وأشباهها وتراكض الجنود الى هذه الغنائم وحملوها فى سياراتهم وفى اليوم التالى أعلنت الأحكام العرفية فى المدينة » • [٨٣١]

وفى الساعة السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم بينما كانت دورية هندية تطارد بعض المتظاهرين فى جهة قنطرة طنطا أطلقت أعيرة نارية أصابت كثيرا من الأهالى وأصابت ثلاثة من نفس العساكر الهنود ومات أحدهم •

(*) تروى الوثائق البريطانية القصة على هذا النحو :

فى مساء يوم ١٩ يناير ألقيت الكراسى والأحجار على جندى بريطانى كان يسير فى الشارع الرئيسى بالمدينة •

فى اليوم التالى تصاعدت الاضطرابات حيث ألقيت الأحجار على جنديين بريطانيين من القاهرة والمنازل مما دفعهما الى اطلاق النار فى الهواء • ولم يستطع رجال الشرطة استعادة الأمن مما دفع بأحد الجنديين الذين أصيبا الى الاسراع والاستنجاد بزملائه فى المعسكر وأبلغهما ان زميله قد لقى حتفه مما أدى الى خروج خمسين جنديا واطلاق النيران على الجمهور مما أدى الى وقوع عدد من الاصابات • وقد وقعت اصابات جسيمة بجنديين بالاضافة الى عدد غير قليل من المصريين •

F.O. 407/186 No. 58 Allenby To Curzon, Jan. 27, 1920.

بيـــان المصـــابين

المصابون الذين دخلوا اسبتالية طنطا على أثر الحادثة الأولى : ـ

١ ـ غريب على فريد   جرح فى رقبته من سنكا

٢ ـ أحمـــد خـير   جرح فى رقبته من سنكا

٣ ـ محمد عبد العال   جرح فى رقبته من سنكا

٤ ـ شخص مجهول الاسم

المصابون الذين دخلوا الاسبتالية على أثر الحادثة الثانية :

١ ـ عبد العاطى أحمد سنه ١٢ سنة أصيب فى رقبته برصاصة من أيدى الجنـــود الهنـدية فخر صريعا وفارق الحيـــاة لوقته وحمـل الى الاسبتالية ٠

٢ ـ على أحمد صالح المصرى فارق الحياة بالاسبتالية على أثر ثلاث طعنات من سنكه ٠

٣ ـ ولد مجهول الاسم سن ٨ سنوات مصاب برصاصة علمنا اليوم أنه توفى ٠

وقد أصيب كثيرون فى حوادث الليلتين ولم يذهبوا الى الاستبالية نذكر منهم (وهنا ذكر أسماء بعض المصابين وعددهم ١٧) ٠

[٨٣٢] « وقد لحق الضرر بكثير من المحال التجاريـة ولا يزال الرصـاص مرتكزا فى محل تجارة عجمى أفندى السيد اذ أطلق الجنود على المحـل أربعة رصاصات ثلاثة بالدور الأرضى على ارتفاع متر وأربعين سنتى مترا عن سطح الأرض والرابعة بالدور الثانى ونشأ عنها تلف فى المحل ذا قيمـة » ٠

« ولم يسمح للسلطة المحلية باجراء الكشف على أصابات الجنود الذين أصيبوا خطأ من يد زميلهم كما تقدم » ٠

« هكذا تروى الأرض بدماء أبنائنا بدون اكترات وبغير حساب وهكذا يقدم هؤلاء الجنود للمصريين أدلة محسوسة على ما ينتظرونه من الذل والهوان اذا هم فرطوا فى شيء من حقوقهم المقدسة التى لا حياة لهم بدونها٠

فنحن الموقعين على هذا أعضاء الجمعية التشريعية ومجلس المديرية

والمجلس البلدى والعلماء والتجار والأعيان والأطباء والمحامين بمديرية الغربية نرفع صوتنا بالاحتجاج الشديد على هذه الأعمال المنكرة ونطلب : —

اولا : رفع الأحكام العرفية عن المدينة حتى تهدأ النفوس المروعة وتصان المصالح المعطلة .

ثانيا : سحب الجنود البريطانية من المدينة منعا للحوادث التى تقع دائما بسبب احتكاكهم بالأهالى .

ويلى ذلك امضاءات حضرات العلماء وأعضاء الجمعية التشريعية ومجلس المديرية والمجلس البلدى والمحامين والأعيان والتجار وهم كثيرون.

« احتجاج لجنة الوفد المركزية للسيدات المصريات »

[٨٣٣] وقد ارتاعت النفوس وهلعت القلوب لنبأ هذه الحوادث المحزنة فهبت الهيئات والطوائف محتجة عليها وهذه هى صورة احتجاج لجنة الوفد للسيدات : —

نتابع الحوادث المحزنة فى مصر بشكل مروع فلا يكاد يمر يوم دون أن يقع شيء منها وهذه حوادث طنطا قد أزعجت النفوس وآلمت الأفئدة ولذلك فلجنة السيدات المركزية للوفد المصرى لا ترى بدا من رفع صوتها بالاحتجاج عليها وعلى استمرار سياسة الاعتداء على أرواحنا وحريتنا فهى :

أولا : نحتج على اطلاق الرصاص على المتظاهرين العزل من كل سلاح وقتل الأبرياء وجرحهم .

ثانيا : نحتج على مهاجمة القوة المسلحة لقوم هادئين ساكنين فى أحد الملاهى بغير مسوغ والحاق الأذى الشديد بهم وسلب أمتعتهم .

ثالثا : نحتج على تشديد الأحكام العرفية فى طنطا فى الوقت الذى تنادى فيه كل الأمة بالغاء هذه الأحكام الغاء تاما .

رابعا : نحتج على استمرار حوادث الاعتداء من الجنود على الأهالى وعلى مهاجمة الناس فى دورهم ولا سيما مهاجمة منزل فضيلة شيخ الجامع الأحمدى .

خامسا : نطالب اجراء تحقيق رسمى عن هذه الحوادث والمبادرة بالغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود من طنطا .

واللجنــة تنتهز هذه الفرصــة لتعلن ان سياسة الشدة الى تدأب السلطات الانجليزية على استعمالها ليس من شأنها أن تحمل الأمــة على العدول عن المطالبة بحقوقها المقدسة بل على النقيض من ذلك تزيدنــا تمسكا بحقوقنا الحقة وتشبثا بحريتنا العزيزة واستقلالنا التام (٣١ يناير سنة ١٩٢٠) فكرية حسنى · فايقة رفيق · هدى شعراوى · شريفــة رياض · ألفت راتب · نعمت حجازى · نعيمة أبو أصبع · احسان أحمد شاكر · فريدة حنا · أستر ويصا · منيرة علوى · [٨٣٤]

طواف المستر هرست عضو لجنة ملنر

ببنى سويف

فى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ زار مدينة بنى سويف المستر هرست عضو لجنة ملنر ليقف على رأى الشعب فيها ويحادث من عساهم تسمح لهم أنفسهم بمحادثته فلم يكد جنابه يطأ أرض المدينة حتى عطل الأهالى أعمــالهم وأغلقوا محــلاتهم وتألفت حالا مواكب المظــاهرات تهتف لمصر واستقلالها وتدعو بسقوط ملنر ولجنته وقد ركب العضو سيارة مع مفتش الداخلية وقصدا الى المديرية فسلما على المدير وبعد ذلك قصدا المحكمة الأهلية والناس من حولهما يهتفون حتى وصلا الى المحكمة وظل الناس على حالهم حتى خرجا منها وقد حاول البوليس عبثا تفريقهم ·

وقد قابل المستر هرست الأستاذ عبد الحميد بك مصطفى وكيــل المحكمة وكان حديثه معه مقصورا على شعوره بصعوبة الحالة ورغبته فى التفاهم مع المصريين على حل يقبلونه مع المحافظة على المصالــح الأجنبية والانجليزية وازالة أسباب سوء الظن السائد وقد قال جنابه اننا نحن الانكليز لانريد ارغام المصريين على تنفيذ ارادتنا وانما نود لو اتيــح لنا التفاهم معهم وعمل ما يرضيهم ·

وفى أثناء مقابلتــه لوكيل المحــكمة ومحادثته معه أرسل حضرات المحامين الكتاب الآتى الى وكيل المحكمة ليبلغــه الى المستر هرست وهذا نصــه :

« نرجو من حضرتكم أن تبلغوا جناب المستر هرست المحامى الكبير وأحد أعضاء لجنة اللورد ملنر كلمتنا نحن المحامين ببنى سويف » ·

[٨٣٥] « ذلك أننا مع احترامنا لحضرته كأحد كبار المحامين المشتغلين بالقانون فى العالم كنا نرجو ان نحتفل به كزميل زار محكمتنا لأول مرة ولكن حضوره فى مصر الآن انما هو كعضو فى لجنة سياسية مأموريتها ايجاد العقبات فى سبيل أمانى المصريين وآمالهم الحقة وهى الاستقلال التام الذى يبذلون من أجله نفوسهم لعزته ونصرته » .

وان انكلترا الحرة لتحترم منا هذه الأمانى الصحيحة وتجلها ولهذا فاننا مع شدة أسفنا من عدم مقابلته كزميل نرجو أن تبينوا له أن نقابة المحامين قررت مقاطعة اللجنة ونحن بلاشك نحترم هذا القرار ونقدسه وننادى مع الأمة التى تسمعون صراخها الآن فلتحى مصر وليحى استقلالها التام » .

عن المحامين

نصيف زكى المحامى

فكان رد المستر هرست عليه أنه يأسف كل الأسف للأعتقاد السيء فى اللجنة وهو مع ذلك ينتهز هذه الفرصة ليبدى لحضرات المحامين كل رغبته فى أن يجلى لهم كافة الأنظمة القضائية الانجليزية اذا حضر أحد حضراتهم للبلاد الانجليزية ورأى أن يدرس هذه الأنظمة أو أن يزور أمكنه القضاء .

وقد قضى جنابه فى هذه الزيارة خمسين دقيقة كانت الجماهير خلالها تنادى بأعلى صوتها بالحرية والاستقلال ومقاطعة لجنة ملنر .
وبعد الظهر قصد جنابه بلاد الأرياف لزيارتها .

الخلاف بين أعضاء الوفد

فى باريس

[٨٣٦] فى آواخر ديسمبر سنة ١٩١٩ وأوائل يناير سنة ١٩٢٠ أختلف رأى بعض أعضاء الوفد عن البعض الآخر فى الحالة السياسية الحاضرة حتى أدى هذا الخلاف الى التقاطع وعدم حضور بعض الأعضاء جلسات الوفد .

واليك ما كتبه الى مصدر ثقة محنك بالوفد وأعماله فى خطاب خاص بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٢٠ ٠

« ٠٠٠٠ المسألة كما تنبأتم بها ٠ فقد حدث خلاف ان لم تكن اختلافات بين المكباتى بك ومعالى الرئيس من حيث السياسة التى يجب أن تتبع فى الوقت الحاضر » ٠

« هذا ما شممت رائحته أخبركم به بصفة غير رسمية ٠ ذلك لأنى أخذت عليكم عهدا ألا يعلم بالسر الدفين أحد ألا أنتم » ٠

ثم قال فى ختام خطابه : ــ

ويجتمع الأعضاء فى مساء كل يوم فى منزل سعادة الرئيس ماعدا المكباتى بك فانه لا يحضر مطلقا ٠ وانما يذهب صبيحة كل يوم الى مركز الوفد لقراءة الجرائد وسماع الأخبار ٠

وفى أواخر شهر يناير سنة ١٩٢٠ ساد بين أعضاء الوفد الصفاء وانصرفت الموجدة (٢) من النفوس ٠

وها نحن أولا ننشر للقارىء خطابا خاصا جاءنى من أحد أعضاء الوفد البارزين وهو يعطى القارىء فكرة عامة عن هذا الخلاف وسببه وهو :

« باريس فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ » ٠

---

(١) عبد اللطيف المكباتى ٠

كان قاضيا ، وقدم استقالته من منصبه سنة ١٩١٣ لينضم الى أعضاء الجمعية التشريعية ، مرشحا عن مديرية الدقهلية وشغل بها منصب رئيس الأوقاف ٠

انضم الى الوفد المصرى فور تاليفه سنة ١٩١٨ الى جانب سعد زغلول ، على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، أحمد لطفى السيد ، محمد محمود ، على علوبة ٠

سافر مع أعضاء الوفد من مصر الى فرنسا يوم ١١ أبريل ١٩١٩ ٠

أطلق عليه زملاؤه اسم « المدباتى » لصراحته الزائدة ووضوحه ٠ انشق عن الوفد فى أوائل سنة ١٩٢١ ، وقدم استقالته فى ٢٨ ابريل من نفس العام ٠

شارك عدلى يكن ، محمد محمود وآخرين فى تاسيس حزب الأحرار الدستوريين فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ وكان أمينا لصندوقه ٠

توفى عبد اللطيف المكباتى فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ ٠

(لمعى المطيعى ــ سلسلة تاريخ المصريين ــ ج ٢ ــ ص ١٢٨ ــ ١٣٧) ٠

(٢) الغضب ٠

« وصلنى اليوم خطابك الرقيم ١٧ الجارى وأبادر باخبارك انى كتبت لكخطابين أحدهما مطول جدا وصفت لك فيه الصعوبات التى وجدتها هنا فى التقريب بين الفريقين اذ وصل بهما الحال باتهام بعضهما بالمروق عن الوطنية حتى كدت أقطع الأمل فى التوفيق بينهما ·

[٨٢٧]

« والسبب الحقيقى يرجع الى اختلاف الامزجة اختلافا جوهريا وعدم اجتهاد أى فريق لنفهم عقلية الفريق الثانى · ويرجع الى طول الاقامة فى الخارج وعدم اصابتهم نجاحا حقيقيا فى القضية · ويرجع أيضا الى أن بعض الأعضاء فى حالة مالية ضيقة » ·

« وقد كتب المكباتى بك خطابات طويلة مهمة يلقى فيها المسئولية على سعد باشا · لكنها جارحة فى أسلوبها له ولزملائه عبد العزيز بك فهمى ولطفى بك السيد فقرروا هم ألا يسمحوا له بالجلوس بحال من الأحوال وانضم حمد باشا للطلبة » ·

« وقد اعتدى الطلبة بخطابات جارحة على سعد باشار فصار لا يتصورهم (١) ·

« وباقى الأعضاء لم يجتهدوا فى الاصلاح بل بعضهم كان يزيد الحالة اشتعالا ولا أريد أن أذكر تفصيلات تحريرية الآن مادام قد تم الاتفاق بين رجال الوفد وعادت الجلسات الى مجراها الطبيعى وتبادل الأعضاء الزيارات الودية · ولو أن مسألة الطلبة بعد تسويتها عادت الى الظهور بحالة غير مرضية ولا أدرى كيف أصل لتسويتها مادام سعد باشا لا يتساهل لا يفهمون معنى تضحية الكرامة الشخصية بين أبناء الوطن الذى يحيق به الخطر الأجنبى » ·

« وقد اتفق مبدئيا على أنه اذا لم يصدر ملنر بلاغا على الوجه المطلوب يبقى الوفد فى باريس ويصرف لكل واحد من أعضائه بصفة مصاريف مبلغ ٤٠٠٠ فرنكا شهريا كما يصرف للنواب حتى لا يكون الضيق المالى مؤثرا فى عقلية الأعضاء وبالطبع بعدها يحدد عدد الأعضاء الذين يكون من الضرورى بقاؤهم هنا وتبين طريقة استدعاء الغائب الذى يرى لزوما

[٨٢٨]

---

(١) كون الطلبة المصريون فى باريس جمعية تتكون من ٢٨ عضوا لمساندة الوفد المصرى بالدعاية أو بأى مهام أخرى يكلفهم بها الوفد وأصدرت نشرة نصف شهرية باسم « مصر » ، وقد أدت ميول هؤلاء نحو الحزب الوطنى الى وقوع هذا الجفاء بينهم وبين سعد ·

انظر د· عاصم محروس عبد المطلب ، دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ص ٢٥٤ ــ ٢٥٨ ·

لحضوره الى آخره • وكل ذلك تأجل النظر فيه مؤقتا فهى أفكار جديدة لا ينظر فيها الا بعد رؤية بلاغ ملنر » •

« لاحاجة للتذكير بالمحافظة على سرية هذه الأخبار والسلام عليكم وللاخوان جميعا » •

وكذلك جاءنى فى خطاب خاص من مصدر الثقـة المشار اليه آنفا بتاريخ ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« عادت المياه الى مجاريها وأصبح المكباتى بك وحمد باشا الباسل يحضران الاجتماعات عند الرئيس كل يوم وبانتظام » •

محاولة الاعتداء على اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال والحربية

[٨٣٩] فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ ركب اسماعيل باشا سرى وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية(١)سيارته من وزارة الأشغال قاصدا داره فلما وصلت السيارة أمام منزل قطاوى باشا (٢) المقابل لسور مدرسة الناصرية من الجهة الغربية رأى الوزير شابا أبيض الوجه يرتدى بذلة سوداء وبيده حقيبة تشبه حقيبة المصورين فظن انه يشتغل بالتصوير ولكن لم تكد السيارة تجاوره حتى ألقى الشاب قنبلة من يده فأخطأت السيارة ووقعت على الأرض ولم يصل الى السيارة الا شظية فى المؤخرة • وقد أراد السائق الوقوف ولكن استأنف السير الى منزل الوزير بشارع عمر بن عبد العزيز •

أما الجانى فقد فر ولم يتمكن البوليس من ادراكه •

وقد باشر التحقيق محمد توفيق رفعت باشا النائب العمومى •

نشر البلاغ الرسمى الآتى فى اليوم التالى للحادث وهو : ـ

---

(١) من أكفا مهندسى الرى المصريين تلقى تعليمه فى باريس وتدرج فى المناصب حتى وصل شغل منصب وزير أشغال والحربية بصفة مستمرة من أبريل ١٩١٤ الى فبراير ١٩٢٠ •

(٢) يوسف قطاوى باشا من الشخصيات اليهودية الكبيرة فى مصر وكان قبل الحرب عضوا للجمعية التشريعية •

« في مساء أمس كان حضرة صاحب المعالى اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال العمومية والحربية والبحرية قادما بسيارته من الجهة البحرية بشارع القصر العينى قاصدا منزله وفى أثناء مرور السيارة بين قصر قطاوى باشا ومدرسة الناصرية القيت قنبلة على الأوتوموبيل من الخلف فأمر معاليه السائق بمواصلة السير حتى المنزل وشهد ابراهيم خليل سائق أوتومبيل الأفوكاتو شارل الذى أتفق وجوده بالأتوموبيل أمام منزل قطاوى باشا أنه رأى شخصا يبلغ من العمر ١٧ سنة تقريبا قمحى اللون متوسط الجسم والطول وجهه مستطيل عليه بذلة رمادية غامقة قادما من الجهة البحرية من محل الحادثة الى جهة القصر العالى وأنه لاحظ بعد أن تركه أنطر ف الجاكتة ممزق من الخلف غير أن حضرة صاحب المعالى الوزير لاحظ أن الشاب كان عليه بذلة سوداء وفى يده صندوق أسود أشبه بعدة فتوغراف وقد وجدت آثار انفجار القنبلة بمحل الحادثة ولم يحصل بسبب القنبلة غير كسر بظهر الأتوموبيل وقطع بالكبود من الأعلى والتحقيق مستمر بمعرفة حضرة صاحب السعادة النائب العمومى » .

[٨٤٠

هذا وقد أعلنت وزارة الداخلية البلاغ الآتى :

« مكافأة ٥٠٠ جنيه »

« تعطى وزارة الداخلية مكافأة قدرها ٥٠٠ ج . م لمن يضبط المعتدى على حضرة صاحب المعالى اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال أو لمن يأتى ببيان يساعد على ضبطه » .

رأى الوفد فى بلاغ اللورد ملنر
ومخابرات الوزراء الثلاثة
مع الـوفد

[٨٤١] سافر حضرة على بك ماهر عضو الوفـد الى باريس ــ كما قدمنـا ــ يحمل معه أحاديث رشدى باشا وزميليه عدلى باشا وثروت باشا مع اللورد ملنر منضمة الى رأيهـم فى ضرورة عودة سعد باشا وزملائـه الى مصر ليتفاوضوا مع لجنة ملنر . ويحمل أيضا تقريرا من اللجنة المركزية عن حقيقة الحال فى مصر ومعه برأيها .

فلما اطلع الوفد على هذه التقارير لم ير رأى الوزراء الثلاثة وكتب اليهم فى ١٥ يناير سنة ١٩٢٠ خطابا يرفض فيه اقتراحهم .

وأرسل الينا التلغراف الآتى وهو : ــ

« باريس فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠

« سيصلكم خطاب بالموافقة على تقريركم

« وقد أرسلنا قرارنا تلغرافيا الى أصدقائنا الوزراء الثلاثة الذين بعثوا الينا بصورة أحاديثهم مع لورد ملنر وقد تبينا ان ما قالوه للورد كان مملوء حكمة ووطنية خالصة » .

سعد زغلول

وهذا هو الخطاب الذى أشار اليه الوفد فى تلغرافه وهو : ــ

رأى الوفد فى بلاغ اللورد ملنر

باريس فى ٢١ يناير سنة ١٩٢٠

[٨٤٢] « حضرة صاحب السعادة ابراهيم باشا سعيد

« بعد التحيات الطيبات لكم ولاخوانكم نخبركم اننا اطلعنا على التقرير

الوارد منكم مع حضرة على بك ماهر وقد كنا أمعنا النظر طويلا فى بلاغ اللورد ملنر كما أمعنا النظـر فى تقريركم ٠ وقد أرسـلنا لكم تلغرافا بالموافقة على رأيكم فيه ٠ ونؤيد لكم الآن هذه الموافقـة ٠ وارتحنا كل الارتياح لما ورد فى هذا التقرير وفى الحقيقة أننا لم نجد فى بلاغ ملنر شيئا يخالف التصريحات السابقة عليه الا خلوه من لفظة « الحمـاية » وحسن أسلوبه ٠ أما فى الجوهر فقد وجدناه متفقا معها تمام الاتفاق اذ هو مثلها يعتبر مصر تابعة لانجلترا ولجنة ملنر لجنـة تحقيق : موقف المصريين معها موقف المجيب من المستجوب ٠ وغاية أبحاثها الوصول الى وضع نظام حكومى فى دائرة الحـكم الذاتى ٠ ونحن لانعترف بشىء من ذلك فلا تبعية لانجلترا علينا ولا نعرف لهذه اللجنة سلطة التحقيق فى بلادنا والغاية التى تسعى اليها هى التمتع بجميع حقنـا فى الاستقلال التام ٠ نعم ان هذا البلاغ وسع مجال المناقشة ولكنه ضيق الغاية منها فجعلها وضع نظام حكومى فى حدود الحكم الذاتى ٠ وبذلك هدم بيـد ما بناه باليد الأخرى وزاد أن اشترط عدم ترتيب التزام على هذا التوسع فحفظ بهذا الاشتراط لانجلترا حرية العمل وهو مع تحديد الغاية لا ينقل المسألة من مركزها فلا ترتفع به حماية بل تتأكد ٠ ولا يتم به استقلال بل يقل ٠ ولا يفيد ألا شيئا واحدا وهو تسهيل مأموريـة التحقيق على اللجنة ٠ وما كان للمصريين أن يعرفوا لها هذه الصفة ولا أن يسهلوا عليها هذه المأمورية وأكبر ما تعطيه أو تشير باعطائه هو أقل من حقهم بكثير ٠ زد على ذلك أنها جاءتهم رغم أنوفهم وضـد اجماعهم بأن استعملت كل وسائل الشدة معهم تمهيدا لوصولها وشكلت وزارة لم يرض الرأى العام بهـا » ٠ [٨٤٣]

« ان عودة الوفد أو بعض أعضائه على أثر هذا البلاغ لم يخطر ببالنا للاعتبارات السالف ذكرها ولأن الانجليز لا يتأخرون أن يتخذوا منها حجة على فوز سياستهم ويبنون عليها كثيرا من الأقوال التى ينشرونها لتضليل الرأى العام فى أوربا عمومـا وانجلترا خصوصـا ٠ ربما كان يسهل علينا أن نتعرض لمثل هذا الخطر ونعجل لهم ذلك الفوز لو انهم وعدونا بشىء فى مقابله وعدا صريحا يصح الاعتماد عليه ولكنهم لم يفعلوا وليس لنا أن نتوهم انهم سيفعلون بعد عودتنا على غير وعـد سابق ٠ لو انهم مع توسعهم مجال المناقشة أطلقوا الغاية منها لصح لنا أن نتعشم أن تقنعهم بالبرهان الصادق والحجة الدامغة بصحة مطالبنا٠ولكنهم حددوها بأقل مما نطلب حتى فى ذلك البلاغ الذى نشروه لقصد استرضائنا فكان مثلهم فى ذلك مثل بعض القوانين الألمانية القديمة التى كانت تقضى بسماع

الشهود بعد الحكم فى الدعوى · ولهذا رأينا أن العودة ارتكانا على البلاغ المذكور لا تكون الا عبثا مقرونا بالخفة والمخاطرة · ويصح للانجليز وغيرهم أن يقولوا أنه كفى أن يغير شكل التصريح وأن يؤتى العبارات الطلية حتى تغير الأمة المصرية بتمامها خطتها نحو اللجنة فتخرج من مقاطعتها لها الى المفاوضة معها · كلا اننا لم نبلغ هذا الحد من البساطة والسذاجة · ان [٨٤٤] المسألة أكبر بكثير من أن يكون لاختلاف الصور والأشكال تأثير فيها · اننا نقبل العودة للمفاوضة على شرط أن تكون بين متعادلين فى حقوق المناقشة وطرفين كل منها يمثل أمته وأن يكون الغرض منها الوصول الى عقد معاهدة تضمن لمصر استقلالها التام ولانجلترا مصالحها التى لا تتعارض مع هذا الاستقلال التام وأن تعترف الدول بهذه المعاهدة وتسجل فى عصبة الأمم · فاذا صرح الانجليز بذلك رسميا هنالك لا نتأخر عن العودة لمباشرة المفاوضة متى ألغيت الأحكام العرفية وضمنت لنا العودة لمباشرة أعمالنا عندما نريد · أما المفاوضة فى أوربا فنحن مستعدون لها مع لجنة ملنر أو غيرها ما دامت المناقشة لا يترتب على الدخول فيها الالتزام بشىء ما · ومادام أن العبرة هى بما يتم عليه الاتفاق فى حدود التفويض لنا ·

فاذا كان الانجليز يرغبون حقيقة فى ودنا وفى بناء علاقتهم بنا على الاتفاق معنا فلا شىء أسهل عليهم من اتباع احدى هاتين الطريقتين للوصول الى الغاية · وهم لابد أن يفهموا أن الأمة المصرية وصلت من اليقظة والانتباه ومعرفة حقوقها الى درجة لا تركن معها الا الى الأقوال ولا تعتمد فيها الا على الأعمال ولا ترضى عن استقلالها التام بديلا ·

« نعم ان فى قوتهم ارغامها على النظام الذى يريدون وضعه فيها ولقد لا يبعد عليهم أن يحملوا كل الدول على الاعتراف بحمايتهم علينا · ولكن حقنا لا يضيع بهذا الارغام ولا بهذا الاعتراف بل يبقى ثابتا حيا ونبقى مستمرين على المطالبة به والسعى للحصول عليه · واذا لم يكن فى الحكومات الأجنبية الآن من يمد يد المساعدة الينا فى شعوبها كثيرا من الأحرار يعطفون علينا وينتصرون لقضيتنا بأقلامهم وخطبهم · وما يدرينا [٨٤٥] أن يظهر غدا المساعد لنا · وللزمان تقلبات تجعل الحليف عدوا والعدو حليفا ولا يصح آن تسقط من حسابنا اتساع ملك بريطانيا وتباعد أطرافه واضطراب الأحوال فى ممتلكاتها وجوارها وانتشار المبادىء الديمقراطية فى العالم عموما وفيها خصوصا وتهديد حزب العمال لحكوماتها بالاستيلاء عليها وقربه من هذه الغاية يوما فيوما كما تؤيده الانتخابات الجزئية · والاعتصابات التى كثر تواليها فى هذه الأيام كل هذا يحملنا على ألا نغامر بحقنا وأن نبقى متشددين فى التمسك به ومقاطعين اللجنة التى حضرت

رغم أنوفنا لحملنا على الرضاء بانقاصه حتى تعود خائبة فتعلم الأمة الانجليزية ويعلم العالم معها أن مصر متحدة تمام الاتحاد على الوصول الى استقلالها التام وان ارادتها على ما تكره مخالف لشرف الوعود التى بذلتها انجلترا · مناقض للعهود التى سجلتها · وغير منطبق على المبادىء التى قبلتها ومكدر على الدوام لسلمها ومقلق لراحتها · وأن خير سياسة تتبعها هى أن تبر بوعدها وتتخذ من مصر حليفة صادقة لها · لاتابعه نافرة منها · تترقب الفرص دائما للخروج عليها وتفضل الموت على الاستسلام لهـا ·

« هـذا وأرجو أن تبلغوا تسليماتنا وتسليمات اخواننـا لحضرات اخوانكم · وفقنا الله وأياكم لما فيه الخير » ·

سعد زغلول

[٨٤٦] جاء هذا التقرير مؤخرا ولكن تلغراف الوفـد المشار اليـه لم يكن بالصيغة التى ذكرناها اذا رأينـا من ظروف الحال ما يستدعى تعديله فعدلناه على الصـــورة التى نشرناه بها · ولم نكتف بذلك بل نشرنا مع التلغراف ما يأتى :

« أما تقرير اللجنة الذى وافق عليه الوفد فهو كما يأتى » :

« لا يمكن فتح باب المفاوضة الا بعد الاعتراف باستقلالنا التام فهناك وهناك فقط يمكن أن يتفاوض الوفد فى دائرة واحدة هى طريق المحافظة على مصـالح الأجانب وعلى حـرية الملاحة فى قنـــاة السويس طبقا لبرنامج الوفـــد » ·

ولكى يقف القارىء على الأسباب التى دفعتنا الى هذا الحذف والتبديل نحيله على ما جاء فى التقارير التى تبودلت بينى وبين الوفد : ـ

كتب الى الوفد فى تقريره المؤرخ ١٣ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى :

« لاحظنا أن اللجنة (١) نشرت تلغرافنا الخـاص بالوزراء الثلاثـة مبتورا · وان هذا البتر كان موضوع قيل وقال فى الجرائد لعل الذى حملكم عليه خشيه الاصطدام بالرأى العام الذى يظهر أنه شديد النفور من خطتهم أو خطه بعضهم ولكن واجب الحقيقة علينا يلزمنا ان نبينهـا

---

(١) يقصد اللجنة المركزية للوفد ·

للناس لكيلا تضل أفهامهم ولا يتسرعوا فى الحكم على الرجال من غير تثبت من أمرهم · وقد علمنا ان عدلى باشا طلب منكم ألا تشفعوا ذلك التلغراف بتعليق من عندكم ولكنكم علقتـم عليه بجملة لم ترد فى تقرير اللجنـة المرسل لنا على انها رأيها بل انه حكاية (١) عن الرأى العام والذى فهمناه من التقرير هو ان اعلان ملنر لايكفي أن يكون أساسا للدخول فى المفاوضة وهذا المعنى هو الذى أشرنا اليه فى التلغراف بالموافقـة عليه ولعله يرد منكم ما يوضح لنا الضرورة التى حملت على ذلك ·

[٨٤٧]

« ومن المرغوب فيه هنا ان اللجنة المركزية تتأنى فى ابداء رأيها فى المسائل الهامة حتى تراجعنا وتقف على حقيقة رأينا · وألا تعدل فيما تكتبه لها الا بعد مراجعتنا · ذلك أدعى فيما تظن لاتحاد العمل وعدم الوقوع فى التناقض الذى لا يحسن وقعه عند الناس كما كتبنا اليكم بذلك فيما سبق » (٢) ·

سعد زغلول

فكتبت الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ ردا على ذلك ما يأتى : ــ

« تعلمون سعادتكم أن سلاحنا الوحيد وعدتنا التى نحارب بها خصومنا انما هى قوة الرأى العام المصرى وكلما ازداد تماسك هذا الرأى كان سلاحنا ماضيا فالرأى العام كان متأثرا نوعا ما بدسائس المارقين فى اللحظة التى أتى فيها تلغرافكم وما كان لنا أن تقوى تلك الدسائس بأن تعلن كل ما جاء بتلغرافكم خاصا بالوزراء والجرائد · ووجدنا أن الحكمة تقضى علينا بنشر ما جاء بالتلغراف خاصا الوزراء فقط ضاربين صفحا عما يخص الجرائد من الانتقاد والتقريع خصوصا وان سعيد باشا ورجال الحزب الوطنى الذين كانوا يعملون يدا واحدة ضد الوزراء علنا ويستعملون طريقة الغمز واللمز فيما يكتبونه متعلقا بالوفد واللجنة من انهما سائران مع الوزراء المذكورين فيمـا ينتقدونـه عليهم كل ذلك جعلنا ننشر الجـزء الخاص بالوزراء فقط » ·

---

(١) حكاية كلمة لا معنى لها فى السياق وقد وردت فى كتب المراسلات السرية أيضا بنفس الشكل ودون تعليق ·

(٢) التقرير الكامل فى المراسلات السرية ص ٩٤ ، ٩٥ ·

[٨٤٨] « اما تعليقنا الذى علقنـاه على تلغرافكم فكان من الضرورى جـدا لنضرب به سعيد باشا ومن معه ونرد به كيدهم فى نحرهم · فقد كان وبلغنا به كل ما تريده · خصوصا واننى لازال متمسكا بتصريح سعادتكم الذى كررتموه أكثر من مـرة بأن انشر فى الأمة كل ما يكون من شأنـه ازدياد تماسكها بالوفد والقضاء على بعض المنشقين عليه ·

« وارجو بعد هذا البيان أن تكون سعادتكم اقتنعتم بصواب عملنا »·

« وكذلك الحال فيما ترونه أحيانا ظاهرا فى البيانات التى تنشرها اللجنة من الخروج قليلا عن الذى يرد الينا من الوفد فاننا نتوخى دائما دوام التفاف الأمة حول الوفد بجميع الطرق التى توصل الى ذلك · واننا لا نرى أنه من الحكمة فى شىء أن نعلن فى الأمة قولا يزيد سوء التفاهم بين الأمـة والوفـد بعد أن يكون المنشقون قد دسوا دسيستهم فيفسرون أقوال الوفد حينئذ بما يقوى رأيهم ويوطد عزيمتهم ·

« فأطلب من سعادتكم باسم المصلحة العامة أن تتركوا لنا الحرية التامة فى مثل هذا التصرف خصوصا وانكم أول من يقدر تطورات الرأى العام متى كانت أيد كثيرة تلعب حوله ، وتحاول أن تضلله كأيدى الأعداء والمنشقين والمأجورين وعلى الأخص اذا كانت هذه الأيدى أكثر منا ثروة وأكثر سخاء فى البذل والعطاء » ·

« هذا رأيى شرحته لسعادتكم فان صادف قبولا فيها والا فبطبيعة الحال اننى مستعـد للعمـل بما تأمرون به ولكننى لا أكون مسئولا عن النتيجة (١) » ·

عبد الرحمن فهمى

[٨٤٩] فرد على الوفد فى تقريره المؤرخ أول مارس سنة ١٢٩٠ بما يأتى : ـ

« أرجو كل الرجاء ألا يحصل تغيير فى أى شىء مما يكتب الى اللجنة من هنا وأن يتنفذ جميعه الا فى حالة ما اذا تبين أن فى تنفيذه خطرا · هنا لك يمكن ايقاف التنفيذ ومخابرتنا قبل أقل تصرف فيه » ·

سعد زغلول

(١) التقرير كاملا فى المراسلات السرية ص ١٩١ ، ١٩٥ ·

وأرسل الى الوفد بعد ذلك فى تقريره المؤرخ ٧ مارس سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« انا نشكر حضرتكم وجميع العاملين معكم على الهمة التى تبذلونها فى تأييد الوفد وجمع كلمة الأمة على مبدئه وغايته ولا يسرنا شىء أكثر من تعضيد الرأى العام لنا موافقته على سعينا ولكن يهمنا ويهم كل مشتغل بالقضية المصرية أن تكون الحركة موجهة دائما الى الوجهة المعقولة المقبولة المفيدة . وألا يتسلط عليها طيش الطائشين ومبالغة المتهوسين لأن ذلك يعدل بها عن القصد ويصدها عن سبيل النجاح . ولا نريد أن نقيد حريتكم فى جميع ما يستبقى روح التضامن فى الأمة والتفافها حول الوفد وانما نريد الا تباشروا فى الموضوعات الهامة أمرا قبل مراجعة الوفد فيه حتمية أن يتعارض مع عمل يكون قد أتاه ورأى يكون أبداه فيقضى هذا التعارض الى تشويش أفكار الأمة وزعزعة ثقتها بمن يجب أن تكون على الدوام واثقه بهم . كما نريد ألا تعدلوا شيئا يصدر من الوفد قبل أخذ رأيه فيه لأن ذلك ربما عكس القصد عليه فى عمله وألزمه بشىء يكون فى التزامه به ضرر كبير جدا . [٨٥٠]

« ومثال ذلك ان الوفد لم يشترط فى الدخول فى المفاوضة أن تعلن انجلترا استقلال مصر التام ولا يمكنه أن يشترط ذلك ولكنكم بالجملة التى نشرتموها عقب نشر التلغراف الخاص بالوزراء نسبتم اليه اشتراطه قررتم ذلك فى أذهان الكافة ان الوفد لايقبل المفاوضة الا به . فاذا كان الانجليز قبلوا ما اشترطه وهو أقل من ذلك أفلا يتعرض لسخط الجماهير اذا دخل فى المفاوضة بغيره ولا يعلم الا الله حينذاك ما يترتب على هـذا السخط من الضرر » .

« للتوقى من مثل هذا وجهنا اليكم ذلك الرجاء على ثقة بأنكم تحلونه محل الاعتبار اذ لا يترتب عليه الا توحيد العمل واجتناب التناقض فى السير واستبقاء مكانة الوفد فى الأمة » (١) .

سعد زغلول

كتاب عدلى باشا الى الوفد

[٨٥١] أرسل سعد زغلول باشا خطابا الى عدلى باشا فى ٢١ يناير ١٩٢٠

(١) نص التقرير فى المراسلات السرية ص ٩٩ ـ ١٠١ .

يؤكد فيه رفض اقتراح عودة الوفد الى مصر للمفاوضة مع ملنر اذ أن بلاغ اللورد ملنر الذى سيكون أساسا للمفاوضة لم يخرج عن كونه وسع دائرة المناقشة فى حين أنه ضيق الغاية منها بجعلها « وضع نظام حكومى لمصر فى دائرة الحكم الذاتى » .

ولكن قبل أن يصـل هذا الخطاب الى عدلى باشا أرسل سعادتـه خطابا الى سعد باشا عقب وصول تلغراف الوفد فى ١٥ يناير الذى أشرنا اليه . وقد جاء فى خطاب عدلى باشا :

« أن ملنر يقبل المفاوضـة على هذا الأسـاس (الأساس الذى جـاء بتلغراف الوفد) ولكنه لايستطيع أن يصرح بذلك لما يجب عليه من مراعاة الرأى العام بانكلترا . وانه واثق بأنه يمكنه أن يحمل الرأى العام بعد ذلك على قبول ما يتم الاتفاق عليه بعد المناقشة » .

ثم قال « أن اللورد ملنر قرأ مذكرة خاصة ضمنها كل ما يمكن أن يقوله بالكتابة » .

وقال « ومما يجب ملاحظته أنه يؤخذ من هذه المذكرة اللجنة لا تريد أن تعمل أى قرار لانها لا يمكن أن ترتبط بابرام معاهدة ولم يحصل انها قبلت صيغة الاستقلال » .

وجاء فيه ان اللورد ملنر بعد أن قرأ على عدلى باشا هذه المذكرة ختم حديثه بقوله بأنه « لا يزال على سابق استعداده ونيته ، على الرغم من انتقاد بعض الجرائد الانجليزية لخطته وبأن المفاوضات قد تؤدى الى رفع الحماية والاعتراف بالاستقلال متى حصلت بريطانيا على الضمانات اللازمة لهـا » .

[٨٥٢ ثم قال « وان كنا نرى أن ما حصلنا عليـه من اللورد ملنر ليس صريحا فى كل ما طلبتموه أو تضمنه فأننى لا أزال أنا وزملائى على رأينا الذى بيناه فى كتابنا السابق (٧ يناير) ونرى أن نوجه نظركم الى انه لا أمل لنـا فى الحصول على شىء من قبـل اللورد ملنر بعـد الذى كان مادامت المخابرة جارية بيننا بطريق البريد) » .

ثم ختمه بقوله « لقد صرح لى اللورد فى حديثـه أنه لا يستبعد ان يخطر على فكر سعد باشا المفاوضة فى انكلترا . وانه لا يظن أن الحكومة الانكليزية تقبل مفاوضة الوفد وحده » وطلب من سعد باشا أن يفيده برأيه

فى ذلك وبما يعن له من الأراء فى « تشكيل الهيئة التى تتولى المفاوضة هناك » .

ولما وصل الى عدلى باشا خطاب سعد باشا المؤرخ ٢١ يناير كتب له فى ٢٩ منه الخطاب الآتى : —

« صديقى العزيز

جاء فى الساعة خطابكم المؤرخ ٢١ يناير بعد أن أرسلت اليكم بالأمس خطابا بما جرى بينى وبين اللورد ملنر من الأحاديث بعد وصول تلغرافكم الينا . وقد قرأته أنا وزملائى بامعان تام . ورأينا قبل عمل أى شيء أن نعجل بالكتابة لتوضيح نقطة هامة كان لها بحق أثر كبير فى قراركم الذى اتخذتموه .

« وهذه النقطة هى ما فهمتموه من أن بلاغ اللجنة ضيق الغاية من المناقشة فجعلها (وضع نظام حكومى فى حدود الحكم الذاتى) مما جعلكم تعتقدون (أن مع هذا التحديد تنتقل المسألة من مركزها فلا ترفع به الحماية بل تتأكد) » .

والواقع أنه حصلت بيننا وبين اللورد ملنر مناقشة فى هذا الموضوع وأكد لنا أن النص الانجليزى هو self governing institution ليس معناه الحكم الذاتى الذى يعبر عنه self government [٨٥٣] بل معناه الحكومة الدستورية . وان الغرض من ذكر هذه العبارة فى البلاغ بيان أن الحكومة الانجليزية (١) لا يصح أن ترتبط بمعاهدة حكومية لا تكون ذات نظام دستورى . وكذلك كانت الترجمة العربية الرسمية وفق هذا التفسير .

« ولولا هذا لكانت . احاديثنا مبنية على غير أساس . ولما جاز لنا أن ننقلها اليكم ونستنتج منها ما استنتجناه » .

« وانا نعدكم بأننا سنبحث كل ما جاء بخطابكم بأكبر عناية وتأمل ونكتب اليكم بآرائنا وما تصل اليه مجهوداتنا » .

« وانا جميعا نقدم لكم وللاخوان أجل التحية وخالص الأمانى » .

عدلى يكن

---

(١) كانت الكلمة تكتب دائما « الانكليزية » الا أن المستخدم هنا « الانجليزية » ويبدو انه نقلها كما جاءت فى كتاب عدلى .

الاشاعات عن مفاوضة الوفد للجنة ملنر وتكذيبها

[٨٥٤] لم يكن يمضى يوم الا وتنشر الجرائد تصريحات تعزوها الشركات التلغرافية الى سعد باشا بأنه على استعداد لمفاوضة ملنر وكذلك خاض كثير من كتاب أوربا فى هذا الموضوع ولذلك ذهب الناس مذاهب شتى فى تأويل هذه الأنباء فلما رأت اللجنة المركزية ما كان لهذه الأنباء من التأثير فى نفوس الشعب نشرت فى أواخر يناير سنة ١٩٢٠ الاعلان الآتى : —

« تحذر لجنة الوفد المركزية الأمة من الأحاديث التى تعزوها الشركات التلغرافية لرئيس لوفد . فان رأى الوفد فى مسألة المفاوضة معروف وعلى ذلك فمحاولة الصحف الانكليزية والشركات التلغرافية (١) تحريف الحقائق يجب أن تقابل باليقظة والحذر » .

سكرتير اللجنة العام	رئيس اللجنة
عبد الرحمن فهمى	محمود سليمان

موافقة الوفد على المفاوضة مع ملنر

[٨٥٥] بعد المكاتبات التى دارت بين الوفد وبين عدلى باشا رأى الوفد أخيرا أن يعدل عن خطته وتقبل مفاوضة لجنة ملنر على شروط اشترطها ولكن يعرف القارىء الأسباب التى بنى عليها الوفد هذا الرأى نحيله على تقرير سعد باشا الذى ورد لنا فى ذلك الحين بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩٢٠ وقد جاء فيه ما يأتى : —

« ربما التبس الأمر على الكثيرين فلم يفهموا قبولنا مفاوضة لجنة ملنر بعد أن أشرنا بمقاطعتها لكونها لجنة غير دولية موضوعها البحث عن نظام حكومى فى دائرة الحماية ولهذا ينبغى أن توضح المسألة توضيحا يمنع كل التباس » .

« ان لجنة ملنر تعينت لأن تكون لجنة تحقيق يعنى لجنة من وظيفتها أن تبحث أحوال مصر وتسمع أقوال أهلها ثم ترفع تقريرا بما تراه من

---

(١) يقصد وكالات الأنباء .

النظامات لحكومتها لكى تصـدق عليه أو لا تصـدق · ونحن المصريين لا نعترف لانجلترا بأن لها الحق فى بحث أحوالنا وسماع أقوالنا ومنحنا من النظامات ما نشاء لأننا نعتبر أنفسنا مستقلين تمام الاستقلال وأن منعنا من التمتع بهذا الاستقلال هو من عمل القوة والتعصب ولذلك أشرنا بمقاطعة هذه اللجنة » ·

« أما قبولنا للمفاوضة معها بعد ذلك فهو بناء على ما اشترطناه من أن تعلن أنها لجنة مفاوضة يعنى لجنة نائبه عن حكومتها فى أن تتخابر مع أمة فالمفاوضة معها بهذه الصفة لا ضرر فيها ما دامت تعترف بذلك وما دامت العبرة بما يتم عليه الاتفاق فان كان استقلال مصر التام كان بها والا انقطعت المفاوضة من غير أن نكون أضعنا حقا ·· أو فائدة ومن جهة أخرى فان المسألة اما أن تحل بالتقاضى أو بالتراضى : [٨٥٦]

« أما بالتقاضى فلا يمكن حلها الا بطريقة دوليـة أى بمعرفة جميع الدول ذوات الشأن بواسطة قومسيون (١) يتعين لهذه الغاية أو بواسطة عصبة الأمم » ·

« وأما بالتراضى فلا يكون ذلك الا بالمفاوضـة بين انجلترا ومصر والمفاوضة لا تكون بين شعب وشعب بل بين نواب ونواب » ·

« فاذا انتدبت انجلترا نوابا عنها كلجنة ملنر للمفاوضـة ثم ان الأمة المصرية انتدبت عنهـا نوابا كالوفـد المصرى لأن يتفاوض الاثنان للوصول الى اتفاق يرضاه الطرفان فلا ضرر فى ذلك مطلقا بل يكون من المتعين قبولهم » ·

نعم ان الاتفاق بين ضعيف وقوى عرضة للانحلال ولكن يمكن أن يعرض هذا الاتفاق بعد تمامه على عصبة الأمم لتسجيله فيها وعلى الدول للاعتراف به ·

« وعلى كل حال فليس من الحكمة ولا من حسن السياسة أن انجلترا اذا دعتنا للمفاوضة مع لجنة ملنر بصفة كونها مأذونا لها فى هذه المفاوضة وبصفة كوننا ممثلين للأمة المصريـة أن نرفض هذه المفاوضـة مادام أن الغرض منها هو الوصول الى اتفاق يضمن استقلال مصر التام ومصالح انجلترا الخاصة » ولذلك عرضنا فى الجرائد وغيرها أن الوفد المصرى مستعد

---

(١) بمعنى لجنة ·

المفاوضة لجنة ملنر اذا أعلنت رسميا انها مؤذونة فى أن تنفاوض ـ بصفة كونها ممثلة للحكومة الانجليزية ـ مع الوفد المصرى بصفة كونه ممثلا للأمة المصرية لوضع اتفاق يضمن استقلال مصر ومصالح انجلترا الخاصة (١) » .

[٨٥٧] ومن هنا يتبين لكم السر فى ذلك التصريح وان الوفد سلك سبيلا جمع بين رعاية مصلحة مصر وحسن السياسة لأنه ألقى على انجلترا كل المسئولية فى حالة ما اذا امتنعت عن اصدار ذلك الاعلان . أما اذا رفضت بتاتا المفاوضة من غير أن نشترط تلك الشروط فان خطتهم تكون عرضة لنقد العقلاء » .

سعد زغلول

لجنة ملنر فى عزبة المستر فيشر

[٨٥٨] لما أعيت الحيلة اللورد ملنر ولجنته فى استدراج المصريين الى الطريق الذى تريده اللجنة تركوا مصر وتوجهوا الى بساتين المستر فيشر بجهة الصف للتنزه ولكن الأهالى هناك لم يتركوهم حتى لينعموا بلذة الراحة فأظهروا من أيات الاحتجاج على وجود أعضاء اللجنة ببلادهم ما حيرهم .

وهذه هى بعض احتجاجات الأهالى : ـ

« لقد نزل اللورد ملنر بجزيرة المستر فيشر تجاه بلدتنا فتوهم بعض الناس اننا عن مهمته راضون . كلا والذى طوى افئدتنا على حب الحرية والوطن اننا لازلنا ننادى بأعلى صوتنا التى تخرج من ضمائر حرة وقلوب الى الاستقلال تواقه بأننا للجنة مقاطعون وبتوكيلنا لرئيسنا متمسكون » .

عن أهالى المتانية

حسن شنب . ابراهيم عبد الحافظ . عبد التواب سلطان . مأمون عبد المجيد . محمد عبد المجيد . حسن حمزة . عبد الحليم عطية . أحمد بدوى . أحمد عبد الواحد .



(١) المحروسة ـ ٣١ يناير سنة ١٩٢٠ .

[٨٥٩] ولقد كتبت عن هذه النزهة الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٨ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : —

« قام اللورد ملنر بسياحة نيلية مع بعض أعضاء لجنته ورسا بوابوره النيلى بجزيرة أمام مركز الصف جيزة مشهورة بجزيرة فيشر وأمضى فى هذه السياحة نحو الأسبوعين قيل انه كان مشغلا بكتابة تقريره عن مأمورية لجنته فى مصر وقيل أنه كان مشغولا بتلاوة بوستة وزارته التى تراكمت مدة غيابه فى مصر وقيل أيضا أنه ينتظر هناك جواب حكومته على طلباتكم التى أرسلها على لسان البرق . كل هذا قيل . والحقيقة يعرفها الله » .

« أما وجوده فى هذه السياحة فقد قدم له برهانا ساطعا على أن الفلاحين ولابسى الجلاليب الزرقاء (١) لا يقلون وطنية عن اخوانهم ساكنى المدن وغيرهم بل انهم تغالوا فى مقاطعته ومقاطعة لجنته لدرجة انهم امتنعوا عن أن يبيعوا له شيئا من بلادهم مهما قدم لهم من الثمن نظيره . وذلك كاللبن والبيض والفراخ مما اضطره الى أن يستحضر ضرورياته من مصر بواسطة رفاص صغير كان يحضر يوميا لمشترى لوازمه . وأكثر من ذلك أنهم كانوا يفرون من وجهه كلما وجدوا للفرار سبيلا . ومن لم يجد [٨٦٠] سبيلا للفرار من وجهه لم يجبه عن أى سؤال يوجهه له بواسطة من يكون معه . وكان البعض يجاوب بهذه الكلمة . (أسأل سعد باشا زغلول) مهما كان السؤال فمثلا سئل أحدهم وكان مشغولا برى أرضه عما اذا كان الزرع الذى يرويه قمحا أم شعيرا ؟ فقال له الفلاح المصرى (اسأل سعد باشا زغلول) وهى نتيجة ما كنا نحلم بها وتستحق كل اعجاب وفخار » .

وعقبت على ذلك فى نفس التقرير بما يأتى : —

« ان المراقب لمعاملة المصريين لأعضاء الوفد ولجنته والمقارن بينها وبين ما تقابل به أعضاء لجنة ملنر فى هذا الوقت الذى لا تزال فيه سيوف الأحكام العرفية مسلولة على رقاب الجميع يدرك ادراكا تاما مقدار الشعور الوطنى الذى تأصل فى نفوس المصريين لدرجة تدهش العالمين فبينما يفر الأهالى من وجه كل من يظن أنه من لجنة ملنر أو أن له بها أقل اتصال ويرى فى الوقت نفسه الأهالى مجتمعة جموعا هائلة لاستقبال رجل من رجال الوفد المصرى أو من رجال لجنته المركزية يدرك تمام الادراك ان

---

(١) كان البريطانيون يدعون دائما انهم أصدقاء « لابسى الجلاليب الزرقاء » .

استقلال هذه البلاد أصبح أمرا متحتم الوقوع وانه ليس فى مقدور الانجليز البقاء طويلا فى بلادنا بعد أن رأوا بأعينهم كل هذا » .

عبد الرحمن فهمى

زيارة المسيو كليمنسو لمصر

[٨٦١] روت التلغرافات فى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٢٠ ان المسيو كليمنسو (١) سيحضر قريبا الى مصر فيقضى بضعة أيام فى القاهرة ثم يذهب الى الخرطوم بطريق النيل .

وكان طبيعيا أن يتذمر المصريون من مجىء كليمنسو الى بلادهم بعد أن تغافل عن قضيتهم فى مؤتمر الصلح الذى هو رئيسه ان لم يكن قد خذلهم فيها . لذلك خشى الوفد من خطة المصريين التى اعتزموها ازاءه فيفقد عطف الفرنسين الذين وسعوه (٢) فى بلادهم وأطلقه قوانينهم وأرسل رئيسه سعد زغلول باشا فى ٣٠ يناير سنة ١٩٢٠التلغراف الآتى لنشره على الأمة وهو : ــ

ابراهيم سعيد باشا

« جرى لى حديث مع المسيو كليمنسو أمس وسيزور مصر باعتباره صديقا وقد أشيع هنا أنه سيقابل مقابلة غير ودية ولكن مصلحة قضيتنا المقدسة تقضى على الأمة المصرية بتجنب هذه الخطة ان كان ما أشيع صحيحا ولا أظنه كذلك فان هذا الرجل السياسى الكبير يمثل صديقتنا الكبرى فرنسا فى أى مكان يذهب اليه وأى بلد يحل به (٣) » .

سعد زغلول

اما حديث سعد باشا مع كليمنسو الذى اشير اليه فى التلغراف فها هو كما ورد الى بتقرير الوفد المؤرخ ٥ فبراير سنة ١٩٢٠ : ــ

« شعرنا بأن زيارة المسيو كليمنسو لمصر قد تثير عليه الشعب المصرى فيسىء مقابلته ويترتب على ذلك جرح خواطر الفرنسيين ففكرنا

(١) مسيو جورج كليمنسو رئيس وزراء فرنسا .

(٢) استقبلوه .

(٣) المحروسة ٢ فبراير سنة ١٩٢٠ .

فى منعه من هذه الزيارة اجتنابا لهذه النتيجة التى لا تكون فى صالح مصر
[٨٦٢] لأنها محتاجة على الدوام لعطف فرنسا عليها خصوصا واننا مقيمون فيها ومتمتعون بحماية قوانينها . وتكلمنا فى ذلك مع بعض الفرنسيين الذين لهم به صلة فلما شعر بذلك طلب أن يقابلنى فقابلته يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٢٠ فأحسن مقابلتى واحتفل بى فى اللقاء وفى الوداع احتفالا عظيما وقال لى (انى أريد الذهاب الى مصر ترويحا للنفس ولكى أشاهد آثارها ونيلها وسودانها وليس فى نيتى أن أشتغل فيها بشىء آخر وانى مسرور من مقابلتك وتأكد كل التأكد انى ما نسيت مصر ولم يبرح من قلبى حبها وان مصلحتها هى دائما فى استبقاء صداقة فرنسا التى ليس من يحب مصر فى العالم مثلها ولا من يمكنه ان يساعدها مساعدتها ولكن للضرورة أحكام وللمساعدات ظروف وأوقات) .

قلت :

(أن مصر تعترف لفرنسا بالفضل وتفهم جيدا ان الظروف قضت عليها فى سنة ١٩١٦ بالاعتراف بحماية انجلترا عليها ونعرف للنائب العظيم كليمنصو (١) موقفه الحسن سنة ١٨٨٠ فى الدفاع عنها ولكن صعب عليها جدا من رئيس مؤتمر السلام أن يشترك فى الحكم عليها بتأييد تلك الحماية الباطلة من غير ذلك أن يسمع صوتها ولا أن يعتبر لوفدها وجودا) قال (انى أنا صديق مصر قديما وحديثا ولكنى كنت فى مؤتمر السلام فرنساويا أدافع عن مصالح فرنسا وما كنت أستطيع بدون الاضرار بها أن أحمل المؤتمر على النظر فى مسألة مصر والعمل فيها لصالحها) .

قلت (ولكن المؤتمر نظر فيها بما وضع من الشروط التى الزمت المانيا بالاعتراف بالحماية الانجليزية) قال أن ذلك حصل لا بطريقة أصلية نهائية بل بطريقة ثانوية مؤقتة ولابد من يوم يأتى تظهر فيه مساعدتى ومساعدة فرنسا لمصر ولا أقدر أن احدد ذلك اليوم ولكن لابد من مجيئه
[٨٦٣] وحينئذ تتأكد مما قلته لك وعلى ذلك لا أطلب منك غير التأكد من هذه الحقيقة ويسرنى أن أرى المصريين وأن أسمع أقوالهم لأقف على أحوالهم وأعرف كيفية الحكم فيهم ان ظلما وان عدلا) قلت (مهما كانت صفة الحكم فيهم فانهم أمة تطلب الا يحكمها أجنبى عنها مهما كان عادلا ولا يحكمها الا أبناؤها) قال (حقا تقول . وأى بلد محكوم بحكم طيب ؟) قلت (أن

---

(١) يكتبها مرة كليمنسو ومرة كليمنصو وان كانت المرة الأولى فى سياق المذكرات والمرة الثانية فى سياق مراسلة لسعد زغلول .

« حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

« المنة لله وحده • بما انه في الساعة العاشرة والنصف من مساء أمس الأربعاء المبارك ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ قد من الله علينا بولد ذكر أسميناه « فاروق » فقد استصوب لدينا اصدار أمرنا هذا لدولتكم احاطة لعلم هيئة حكومتنا بهذا النبأ السعيد لاثباته بسجل خاص يحفظ برياسة مجلس وزرائنا وتعميم نشره في جميع أرجاء القطر مع تبليغه لمن يرى تبليغه اليه بصفة رسمية واجراء ما يقتضى اجراؤه بهذه المناسبة المباركة • وأنه أسأل الله القدير المنان أن يجعل هذا الميلاد مقرونا باليمن والاسعاد للبلاد والعباد من فضله وكرمه » •

« فـــؤاد »

وعلى ذلك اجتمع مجلس الوزراء وقرر ما يأتي : ــ

« أولا : ابلاغ هـــذا النبأ الى جميع المديرين والمحافظين بواسـطة وزراء الداخليـــة •

« ثانيا : ابلاغه الى فخامة المندوب السامى والى وزراء الخارجية » •

وبعد أن مضى على مولد الأمير أكثر من شهرين أرسل اللورد اللنبى الى عظمة السلطان فؤاد خطابا رسميا خاصه بوراثة العرش • وهى المسألة التى لم يكن قد بت فيها عندما تولى عظمة السلطان عرش مصر •

اقتراح سعد باشا تأليف وزارة الثقة

[٨٦٨] أرسل اللورد ملنر الى عدلى باشا مذكرة سرية كاشفة فيها بعـدم رغبته في مفاوضة الوفد لأنه هيئة غير رسمية ويبين له فيها أن اللجنة مستعدة للمفاوضة مع وزارة ذات نظام دستورى فلما أطلـع عدلى باشا الوفد على مضمون تلك المذكرة رأى الوفد أن انجلترا تنكر صفته التى أجمعت عليها الأمة وهى توكيله وحدة في المفاوضات ولكنه رأى من ناحية أخرى أن قيام وزارة دستورية معناه خلاص الأمة من وزارة يوسف وهبة باشا التى كانت تعمل على احباط مساعى الأمة ولذلك حبذ تلك الفكرة ورأى أن يقوم عدلى باشا بتأليف تلك الوزارة التى تفاوض اللجنة دون

وقد قابله الناس بالهتاف والتصفيق ولما وصـل الى فندق شبرد وهتف له المجتمعون هناك وأكثرهم من الأجانب ·

ولقد أفاد تلغراف الوفد وما نشرته اللجنة المركزية فى حمل الشعب المصرى على الترحيب به وهكذا أقام المدة التى قضاها فى مصر على الرحب والسعة على عادة مصر التي تكرم نزلاءها ·

وهذا ما كتبته الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ١٨ فبراير سنة ١٩٢٠ عن هذا الأمر وهو :

« وصل المسيو كليمنصو بعد أن هدأنا الخواطر نحوه · وأفهمنـا الجميع المضار التى تعود على القضية من أى اساءة تلحقه · لله الحمـد وصلنا الى نتيجة حسنه بل جـدا · ذلك أنه كان يقابل بهتاف شديـد ينحصر فى الكلمات الآتيه : (لتحى فرنسا الحرة · لتحى مصر مستقلة ليحى الاستقلال التام · وليحى كل مدافع عن مصر) وكان يزيد بعضهم على ذلك (ليحى كليمنصو الحر) (١) ·

[٨٦٦] « وقد قابلته الجرائد مقابلة عظيمة جدا بمقالات افتتاحية كان ملؤها العتاب الأدبى المقبول · وأظهار الوجدان الطاهـرة نحو فرنسا وأبنـاء فرنسا · مثال ذلك ما كتبته جريدة الأهرام يوم وصوله القاهرة · ولقد سافر الى السودان بعد أن مكث بالقاهرة ثلاثة أيام ولم يتمكن أحدا منا من مقابلته حيث ما كنا نعتقد أن أيامه بمصر قليلة بهذه الدرجة » ·

عبد الرحمن فهمى

فرد على الوفد فى تقريره المؤرخ أول مارس سنة ١٩٢٠ بما يأتى : —

« أنى أشكركم على اجتهادكم فى منع سوء مقابلة المسيو كليمنصو لأن مقابلته بغير ما قوبل به لم يكن فيها غير الضرر » ·

سعد زغلول

ولادة الأمـير فاروق

[٨٦٧] وفى يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ بشرت البلاد بميلاد الأمير فاروق ولى عهد السلطنة المصرية · واليك نص الأمر السلطانى الصادر لمجلس الوزراء لهذا الخصوص : —

---

(١) يشير ذلك الى أن تلك الهتافات كانت معدة سلفا ·

« حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

« المنة لله وحده . بما انه فى الساعة العاشرة والنصف من مساء أمس الأربعاء المبارك ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ قد من الله علينا بولد ذكر أسميناه « فاروق » فقد استصوب لدينا اصدار أمرنا هذا لدولتكم احاطة لعلم هيئة حكومتنا بهذا النبأ السعيد لاثباته بسجل خاص يحفظ برياسة مجلس وزرائنا وتعميم نشره فى جميع أرجاء القطر مع تبليغه لمن يرى تبليغه اليه بصفة رسمية واجراء ما يقتضى اجراؤه بهذه المناسبة المباركة . وأنه أسأل الله القدير المنان أن يجعل هذا الميلاد مقرونا باليمن والاسعاد للبلاد والعباد من فضله وكرمه » .

« فــؤاد »

وعلى ذلك اجتمع مجلس الوزراء وقرر ما يأتى : ـ

« أولا : ابلاغ هــذا النبأ الى جميع المديرين والمحافظين بواســطة وزراء الداخليــة .

« ثانيا : ابلاغه الى فخامة المندوب السامى والى وزراء الخارجية » .

وبعد أن مضى على مولد الأمير أكثر من شهرين أرسل اللورد اللنبى الى عظمة السلطان فؤاد خطابا رسميا خاصه بوراثة العرش . وهى المسألة التى لم يكن قد بت فيها عندما تولى عظمة السلطان عرش مصر .

اقتراح سعد باشا تأليف وزارة الثقة

[٨٦٨] أرسل اللورد ملنر الى عدلى باشا مذكرة سرية كاشفة فيها بعــدم رغبته فى مفاوضة الوفد لأنه هيئة غير رسمية ويبين له فيها أن اللجنة مستعدة للمفاوضة مع وزارة ذات نظام دستورى فلما أطلــع عدلى باشا الوفد على مضمون تلك المذكرة رأى الوفد أن انجلترا تنكر صفته التى أجمعت عليها الأمة وهى توكيله وحدة فى المفاوضات ولكنه رأى من ناحية أخرى أن قيام وزارة دستورية معناه خلاص الأمة من وزارة يوسف وهبة باشا التى كانت تعمل على احباط مساعى الأمة ولذلك حبذ تلك الفكرة ورأى أن يقوم عدلى باشا بتأليف تلك الوزارة التى تفاوض اللجنة دون

أن يشترك فيها على أن يؤيدها فى الباطن وذلك أدعى لنجاحها فى مأموريتها ٠

واليك المكاتبات التى دارت بين الوفد وعدلى باشا فى هذا الشأن ٠

خطاب الوفد الى عدلى باشا

باريس فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٠

اقتراح سعد تاليف وزارة الثقة

[٨٦٩] « لم يخطر ببالى ولا ببال أحد من زملائى التوجه الى لندرة (١) للمفاوضة فيها مع لجنة ملنر اذ ليس فى محادثته معكم ولا فى مذكرته لكم ما يشجع على هذا ٠ لأن مذكرته مع كونها خصوصية سرية ، لاتتضمن مايصح أن يعتمد الانسان عليه حتى فى نفسه بالنسبة لأمر هام كمسألتنا٠ بل فى محادثته ما يمنع من هذا الانتقال وهو عدم رضا الحكومة الانكليزية بالمفاوضة مع الوفد وحده لأن فيه انكارا لصفته التى أجمعت عليها الأمة من توكيله وحده للمفاوضات أما العودة الى مصر فلم يتغير فيها رأينا للأسباب التى بيناها لكم ٠ نعم ان ترجمة عبارة (self governing institution بالحكومة الدستورية هى الأصح ولكن صحة هذه الترجمة فى نفسها لاتحمل على تعديل قرارنا لأن هناك أسبابا أخرى غيرها ولأن ايرادها فى المكان الذى وردت فيه من البلاغ مع عدم اقتضاء المقام لها بعد التصريح فيه بأن مأمورية الجنة هى التى حددتها الحكومة ووافق عليها البرلمان يوقع فى الذهن بأن المقصود بها هو المعنى الذى فهمناه والقول بأن القصد منها انما هو ألا يكون الاتفاق ألا مع حكومة دستورية لا يتفق فى ظاهره مع كون هذه العبارة وردت على انها نتيجة للتعاقد لا وسيلة [٨٧٠] له ٠ ومع ذلك فاذا كان القصد منها هو كما يؤكد جنابه من (أن الحكومة الانجليزية لايصح أن ترتبط بمعاهدة الا مع حكومة ذات نظام دستورى) لزم قبل كل شىء وضع هذا النظام لتشكيل حكومة دستورية تكون أهلا للتعاقد على تحديد العلاقات بين مصر وانكلترا ٠

« ولا أخفى عليكم أن فكرة هذا النظام خطرت أول الأمر ببالنا على انها الوسيلة القانونية لحل المسألة ٠ لذلك نحن نوافق كل الموافقة عليها بل

---

(١) يقصد لندن ٠

نحبذها • والطريقة المثلى للوصول الى هذه الغاية فى رأينا • هى أن يبدأ بتأليف وزارة من غير أعضاء الوفد موثوق بها ويكون البروجرام (١) الذى تعلنه هذه الوزارة هو وضع ذلك النظام ثم المفاوضة مع الحكومة الانجليزية بغرض الوصول الى وضع اتفاق يضمن استقلال مصر التام ومصالح انكلترا الخصوصية • ثم عرض ما تنتهى المفاوضة اليه على الهيئة النيابية التى تتألف بموجب ذلك النظام للتصديق • ومتى تم تشكيل الوزارة على هذا النحو وأعلنت بروجرامها على هذه الصيغة أو بما فى معناها لانتردد نحن وزملاؤنا فى العودة الى مصر لمساعدتكم على القيام بمهمتكم لدى الأمة والسعى فى أن تنتخب أعضاء فى تلك الهيئة • اذا تم لكم ان تفعلوا ذلك خدمتم بلادكم أجل خدمة وخلدتم لكم فى التاريخ أحسن الذكرى » •

سعد زغلول

[٨٧ وأتبع سعد باشا هذا الخطاب بالبرقية الآتية الى عدلى باشا وهى : ــ

« عدلى باشا يكن بالقاهرة

« نتمسك برأينا فى موضوع عودتنا الى مصر • ونظرا لاننا لم نفكر مطلقا فى ذهابنا الى لندرة فاننا سنفحص المسألة متى قدم لنا اقتراح » •

وبما أن المفهوم من عبارة self governing institution

أن الحكومة البريطانية لا تتعاقد الا مع حكومة دستورية فقد صار اذن من اللازم مبدئيا تحضير دستور بتألف وزارة ثقة يكون برنامجها تحضير هذا الدستور ثم المفاوضة للوصول الى مشروع معاهدة تضمن لمصر استقلالها ولبريطانيا العظمى مصالحها الخاصة • ويجب أن يعرض هذا المشروع على الجمعية النيابية التى ينشئها الدستور الحديث • وقد سبق أرسال خطاب تفصيلى » •

سعد زغلول

وفى نفس اليوم كتب الوفد الى عدلى باشا خطابا آخر استيفاء للشرح وزيادة فى البيان هذا نصه : ــ

« باريس فى ١٢ فبراير سنة ١٩٢٠

(١) بمعنى البرنامج •

« صديقى العزيز

« ان الطريقة التى عرضناها فيما كتبناه لكم هى فى اعتبارنا أمثل طريقة لحل العقدة الحاضرة لأنه من الطبيعى أن تجرى مفاوضة مع هيئة رسمية موثوق بها خصوصا من الأمة · وان يصدق على ما تنتهى المفاوضة اليه من النواب الذين تختارهم لهذه الغاية · وهى تقرب فى ظننا من التى يظهر أن اللورد ملنر يدلى بها فى محادثاته معكم وفيما أكد لكم من المقصود [٨٧٢] بعبارة Self governing institution التى أوردهـــا فـــى بلاغه ان لم تكن هى بذاتها ولهذا يغلب على ظننا أنه يسن لها ويعمل على تنفيذها ولا يصعب أن يتضمن بروجرامكم عبارة الاستقلال التى أوضحناها فيما كتبناه لكم لانها لا تربط غيركم وهى فوق ذلك ضرورية جدا حتى لاتقابلكم الأمة بالنفور الذى تلاقى به كل وزارة لا يكون السعى الى هذه الغاية أول قصدها وأكبر همها · نعم ان فيه مشقة عظيمة لكم ومسئولية كبرى عليكم ولكنها ليست فوق همتكم وأنتم أهل لتحمل كل هذه المسئولية فى خدمة بلادكم · والوفد مستعد لأن يعمل ما فى وسعه لتسهيلها عليكم ولهذا يرى أن يكون أعضاؤه خارجين عن هيئتكم حتى لا يساء الظن فى نزاهتهم وتبقى الثقة فيهم يستعينون بها فى تأييدكم وتمهيد الطريق أمامكم · وبعد أن تتألف الهيئة الجديدة تحت رياستكم وتعلن بروجرامها لا يترددون فى العودة ليكونوا قريبين منكم يعملون على تنوير الأفهام وصيانة الرأى العام من خطرات الأوهام التى لا يقصد ذوو الأغراض الفاسدة من بثها فيه وتسليطها عليه الا ترويجا لمقاصدهم الفاسدة وتحصيلا لمصالحهم الباطلة · ولا يهمنا فيمن تختارونهم لمعاونتكم الا أن يكونوا محلا لثقتكم وأهلا لأن يتضامنوا معكم فى تحمل تلك المسئولية الكبرى » ·

سعد زغلول

نشاط اللجنة المركزية

فى جمع التبرعات للوفد

[٨٧٣] فى شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ذهب فريق من أعضاء لجنة الوفد المركزية الى « الرحمانية » لجمع التبرعات للوفد فبلغ الاكتتاب فى هذه الجهة أكثر من ١٤ ألف جنية مصرى · وكانت جمعية ثمرات التوفيق قد أهدت أعضاء اللجنة صورة سعد باشا لبيعها بالمزاد فبيعت هذه الصورة

بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه . وهذا مثل بسيط يعطيك صورة مصغرة عن وطنية المصريين فى هذا الوقت وحبهم وعطفهم على مجهودات الوفد .

ولقد كتبت الى الوفد بذلك تلغرافيا فجاءنى منه خطاب خاص مؤرخ ١٨ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« حضرة الفاضل عبد الرحمن بك فهمى .

.... علمنا أن جمعية ثمرات التوفيق أهدت لجنة الوفد المركزية صورة عرضت فى المزاد فبلغت قيمتها ١٥٠٠ جنيه فوقع هذا الخبر منا موقع الاعجاب لهذه الوطنية العالية واخوانكم جميعا يبدون لكم اعجابهم وفائق شكرهم . ويشتركون معى فى رجائكم تبليغ وسلامنا وسلامهم جميع زملائكم » .

سعد زغلول

أما كيف بيعت صورة رئيس الوفد بهذا المبلغ الطائل فيدل عليه ما كتبته الى الوفد فى تقريرى المؤرخ ٢ مارس سنة ١٩٢٠ وهو : ـ

« الصورة التى قدمتها جمعية ثمرة التوفيق وبيعت بالمزاد بناحية الرحمانية ووصل ثمنها الى ألف وخمسمائة جنيه فى الحقيقة لم يدفع شخص واحد كل هذا المبلغ بل انها لما وضعت فى المزاد لأول مرة وأعطى فيها العطاء الأول ثم أعقبه العطاء الثانى لم يسترد صاحب العطاء الأول ما وضعه . [٨١]

وهكذا لما تقدم صاحب العطاء الثالث لم يأخذ صاحب العطاء الثانى ما وضعه وصار كل من يزيد فى الثمن يدفع الفرق الى أن وصل الى ألف وأربعمائة وكسور . ولما كان من الضرورى رد الصورة للجمعية كالاتفاق الذى عمل معها أعطى فتح الله باشا بركات العطاء الأخير لترسو الصورة عليه كى يردها للجمعية .

« هذه هى طريقة المزايدة التى حصلت فى هذه المسألة ومنها يتضح أن الغيرة الوطنية كانت تملأ قلوب الجميع لا قلب شخص واحد » .

عبد الرحمن فهمى

نداء الوفد الى الأمة

[٨٧٥] ولقد أرسل الينا الوفد النداء الآتى فى ١٨ فبراير سنة ١٩٢٠ فلم يصل الينا الا فى أواخر فبراير وحرصا منا على فائدته ننشره للقارىء فيما يلى : —

« الى بنى وطنى الأعزاء من رجال ونساء

« أبيتم أن يحكم الأجنبى بلادكم وصممتم أن تستقلوا غير عابئين بالشدائد التى تنزل بكم مهما كانت العقبات التى تصادفكم وعم هذا الشعور فيكم حتى محا ما ألقت الفوارق بينكم وألف بين قلوبكم ، فأصبحت الوطنية رباطكم ، والمصرية أقوى الجوامع عندكم وكنتم خير أمة ثارت وعرفت كيف تملك فى الثورة أمرها ، وتضبط سيرها بنظام أودعته الحكمة قلوب أبنائها ، فانقادوا اليه انقياد الجيوش لقوادها • وساروا ونور الله يهديهم ، وصوت الوطنية يحديهم ، لا يصدهم عن قصدهم رصاص يصيبهم أو مدفع يلاقيهم ، ولا يلويهم عن شأنهم • قول يخلبهم أو وعد يمينهم • اتحاد لم يعرف له التاريخ نظيرا ، واقدام لم يعرف فى الأمم كثيرا • وما كان اجماعكم على مقاطعة اللجنة التى جاءتكم لتأييد الحماية الباطلة عليكم بعد استعمال كل وسائل القسوة معكم لحملكم على مقابلتها الا آية من روح ذلك النظام البديع • شهد الاجتماعيون باعجازها ، وبهت الاستعماريون لاحكامها • وتأكد من نزلت فيهم ومن تلوها وعلموا تأويلها أن المسألة ليست لعبة أطفال بل جد أمة ، ولا فتنة حزب بل نهضة شعب ، ولا تعصبا لدين بل حبا فى وطن ، ولا كراهة أجنبى بل وطنية مصرى ، ولا تأثرا بدسيسة بل تشبعا بعقيدة ولا شكاية من ادارة مختلفة ، بل رفضا لحماية معتلة • وتمسكا بحق تمتعت به كل الأمم وتيقن الأقوياء [٨٧٦] انكم لا تقيمون على ظلمهم بل لا ترضون العادل من حكمهم ، وألا تصدكم عن سبيلكم رغبة فى خيرهم ، ولا رهبة من شرهم ، وألا وسيلة لاسترضائكم الا أن يوفوا بعهودهم ، ويتخذوكم أصدقاء لشعبهم لا أرقاء لسلطانهم • ولا بد أن يحملكم ثباتكم على أن يعملوا بما علموا• أو يتحملوا أمام الله والتاريخ والذمم مسئولية القسوة التى يستعملونها معكم ، والأرواح التى يزهقونها منكم ، والدماء التى يريقونها فى اخضاع أمة لا ذنب لها الا أنها تأبى أن تعيش عيش الأغنام وتهوى حياة الأمم •

« رحم الله شهداءها ، ورضى الله عنكم أحياءها : فقد أرضيتم أباءكم ، وكرمتم شهداءكم ، وخلدتم فى التاريخ أحسن الذكر لبلادكم ، وضربتم لمن بعدكم أحسن الأمثال بمتين اتحادكم • فسيروا الى الأمام فى

طريقكم ، واستمروا على التمسك بحقكم • ومادام الاتحاد أساس أعمالكم ، فالله ناصركم • أنه نعم المولى ونعم النصير » •

رئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

الاعتداء على محمد شفيق باشا

وزير الزراعة

[٨٧٧] اعتاد محمد شفيق باشا (١) وزير الزراعة أن يلف رقبته ووجهه من البرد حينما يخرج من داره بمصر الجديدة الى الوزارة ففى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ بينما كان سعادته راكبا سيارته ومعه محمود سرى بك سكرتير رئيس الوزراء وقد وصلا فى مسيرهما بالسيارة الى قنطرة غمرة فى شارع عباس اذا بشاب يحمل فى يده رزمة ملفوفة بورق أصفر فقذف السيارة بما فى يده ولكنه أخطأ المرمى اذا كانت السيارة قد تجاوزته قليلا فانفجرت القنبلة وسمع لها صوت عنيف فأسرع الشاب فى الهرب الى جهة شارع الشيخ قمر فأوقف السائق السيارة وجرى خلفه وهو يصيح واستمر الجانى فى عدوه حتى وصل الى شارع النزهة حيث كانت تنتظره عربة ركوب وفيها فتى فى العشرين من عمره فركبها وأمر الحوذى بسرعة السير فألهب ظهر جواديه بسوطه ثم أبصر سائق السيارة أثناء عدوة براكب دراجة فالتمس منه اقتفاء أثر العربة فأجاب طلبه وأدركها بالقرب من بوابة الحسينية ولكن الحوذى لفت وجه الخيل الى ميدان الظاهر حتى وصل الى شارع السبع والضبع وهناك وقف أمام مدرسة للبنات الاسرائيليات فقفز المعتدى وزميله اليها فوقف راكب الدراجة يصيح حتى أدركه سائق السيارة واجتمع على صياحهما خلق كثير ولما علم مأمور القسم محمود حسيب أفندى بالحادث أسرع الى المدرسة ودخلها وفتش [٨٧٨] على الشابين فوجد الشخصين داخل مرحاض وقد ظهر من التحقيق ان المعتدى يدعى عبد القادر محمد شحاته وهو طالب فى المدرسة الألهامية ووالده من الفقهاء ويسكن فى منزل بحارة السقايين أما زميله فيدعى عباس حلمى وهو من أهالى بانوب ظهر الجمل مركز ديروط •

---

(١) مهندس مصرى كان أول وكيل لوزارة الأوقاف لدى نشأتها وتولى فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ وزارة الزراعة ثم تولى وزارة الأشغال والحرب بعد ذلك (١٩٢٠ ــ ١٩٢١) عرف بميوله الانجليزية •

وهذا هو البلاغ الرسمى الذى أذيع عقب الحادث :

الاعتداء على محمد شفيق باشا

البلاغ الرسمى

[٨٧٩] « القيت هذا الصباح (٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠) الساعة التاسعة قنبلة فى شارع عباس على صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الزراعة بينما كان مارا فى سيارته بعد خروجه من منزله ولم يصب أحد بضرر .

« وقد اتبع بعض من شاهدوا الحادثة الشخص الذى ألقى القنبلة فأبصروه وهو يقفز الى عربة كانت منتظره على بعد ثم أخذت فى المسير » .

« وطارد أحد السعاة العربة ونادى السائق فوقف قبال أحد رجال البوليس وعندئذ أخرج الأفندى الآخر مسدسا وهدد السائق باطلاق الرصاص عليه اذا لم يستمر فى المسير فاستأنف السائق المسير حتى وصل الى مدخل زقاق فوثب الشخصان من العربة وأخذا يعدوان داخل الزقاق فترك السائق عربته وسعى خلفهما حين رآهما يدخلان أحد المنازل وفى هذا الحين كان رجل البوليس والساعى وآخرون قد وصلوا فاحتاطوا بالمنزل وخاطبوا مأمور الوايلى بالتليفون فحضر مسرعا الى المكان يصحبه بعض رجال البوليس ثم فتش المنزل الذى اتضح انه مدرسة للبنات ووجد الشخصان مختبئين فى المراحيض ويدعى أحدهما عبد القادر شحاته وهو تلميذ بالمدرسة الالهامية والآخر عباس حلمى وكان تلميذا بنفس هذه المدرسة سابقا فقبض عليهما فى الحال وتعرف عليهما الشهود » .

« هذا وعبد القادر شحاته معترف بأنه ألقى القنبلة (١) » .

الاعتداء على طلبة المدرسة الاعدادية الثانوية

[٨٨٠] فى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ وقع اعتداء من القوة الانجليزية على طلبة المدرسة الاعدادية الثانوية نثبته فيما يلى بالتقرير الذى كتبته الى الوفد بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ وهو : —

---

(١) تشير الوثائق البريطانية الى أن عباس حلمى هو الذى اعترف بالقاء القنبلة وليس عبد القادر شحاته .

F.O. 407/186 No. 75 Allenby To Curzon Feb. 22, 1920.

« وحدث فى نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد ٢٢ الجارى ان توجه مأمور الضبط بمحافظة مصر وهو موظف انجليزى الى المدرسة الاعدادية الثانوية الكائنة بالظاهر لتفتيشها • وبينما كان المأمور يتحدث مع ناظر المدرسة داخلها وكان الطلبة واقفين خارج المدرسة لتمضية فسحة الظهر كالعادة فأمر مأمور الضبط باغلاق باب المدرسة وبعد برهة استشعر الطلبة بدنو سيارتين تحملان جنودا انجليزية فصاح الطلبة يريدون فتح الباب للدخول بها فلم يسمح مأمور الضبط بذلك رغما عن كل الحاح صدر من الناظر والطلبة • وبعد برهة وصلت السيارتان ونزل منهما الجنود المسلحون وفى يد كل جندى عصاة غليظة وانهالوا على الطلبة ضربا بدون أدنى مبرر رغما عن ان بعض الطلبة كلموا الضابط المرافق للجنود وأفهموه انهم طلبة المدرسة ينتظرون دق الجرس للعودة الى الفصول فلم يسمع لهم كلاما واستمر الجنود يوسعون الطلبة ضربا بالعصى ولكما بالأيدى • ولما رأى ناظر المدرسة ذلك التعدى الفظيع هاله الأمر فألح على مأمور الضبط وكرر الرجاء اليه بان يوقف هذا الاعتداء فقصد المأمور الى السيارة ولكن بعد فوات الوقت واصابة عدد كبير من الطلبة واثبتت شهادة الشهود صحة هذه الرواية وفظاعة التعدى ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل انه سلبت نقود وساعات وخواتم ستة عشر تلميذا ومزقت ملابس كثيرين منهم • واحتج ناظر المدرسة على هذا العمل احتجاجا رسميا لجميع السلطات بمصر » • [٨٨١]

« ومما يحسن ذكره انه يوجد بالمدرسة بعض مدرسين من الانجليز استفظعوا هم أيضا هذا العمل واحتجوا عليه لدى مأمور الضبط والضابط الذى كان مرافقا للجنود وقت الاعتداء ولا نعرف الى أى حد تظل هذه الفظائع ولا متى تقف » •

عبد الرحمن فهمى

عدلى باشا يرفض تحمل مسئولية المفاوضة وحده

[٨٨٢] ولما اطلع عدلى باشا على خطاب الوفد الأخير الذى يؤكد فيه الوفد لعدلى باشا أن يؤلف وزارة تتولى المفاوضة ويؤيدها الوفد خارج الحكم أبى عدلى باشا أن يقبل تحمل تلك المسئولية العظمى وحده وكان من رأيه بعد أن يؤلف الوزارة أن يشترك معه بعض أعضاء الوفد فى المفاوضة ولذلك أرسل الى الوفد فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ الخطاب الآتى : —

« نعم اننا على رأيكم من أن وجود هيئة وزارة تعمل على تحقيق الأمانى الوطنية وتثق بها الأمة فى ذلك من أهم الأمور • وربما كانت

الوسيلة القانونية الوحيدة للحصول على الغاية التى ننشدها . ولكنا نرى أيضا أنه تستأثر هذه الهيئة بالمفاوضة وحدها وبوضع النظام الدستورى للبلاد بل يجب أن يكون هذا بالاشتراك مع الوفد . وطريقة العمل فى ذلك ان تعلن الوزارة حين تشكيلها ان برنامجها هو السعى للوصول الى اتفاق يوفق بين استقلال مصر والمصالح الانكليزية والأجنبية ووضع مشروع نظام دستورى للبلاد . ثم تعهد المفاوضة لهيئة تضم بعضا من أعضاء الوزارة وبعضا من أعضاء الوفد ..... ألخ » .

[٨٨٣] استصوب الوفد فكرة عدلى باشا ولكنه رأى الابتعاد عن اشتراكه فى المفاوضة رسميا ليكون ذلك أضمن فى شد أزر الوزارة المزمع تأليفها ولذلك أرسل لعدلى باشا البرقية الآتية : —

« عدلى يكن باشا بالقاهرة

« نكون سعداء برؤيتكم فى باريس . أما عن الاقتراح الثانى (وهو اشتراك الوفد مع الوزارة فى المفاوضة) فاننا نوافقكم عليه ويكون تأييدنا لكم أشد تأثيرا اذا بقى الوفد رسميا خارج اللجنة المكلفة بالمفاوضة » .

سعد زغلول

مقابلة عدلى باشا لملنر والسلطان

[٨٨٤] فى هذه الأثناء تقابل عدلى باشا مع اللورد ملنر وقد رأى فى حديثه معه ما ينبغى أن يطلع عظمة السلطان عليه .

ولقد كتبت الى الوفد بخصوص ذلك فى تقريرى المؤرخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى : —

« رأيت سعادة عدلى باشا يكن أول أمس وعلمت منه أنه رأى ملنر بعد عودته من سياحته النيلية وانه كلفه بأن يقابل السلطان . وبعد أن تكلم معه فيما يمكن أن يعود من الفائدة من تشكيل هيئة تضم بعضا من رجال الوفد وبعضا من الوزراء الحاليين وبعضا آخر من الوزراء السابقين للمفاوضة معهم فعرفه بأن هذا التشكيل لا يرضى الأمة ولا تثق به . وانه يشك فى أن يقبل الوفد الدخول فى مفاوضة كهذه . وبالفعل تقابل مع السلطان ودار بينهما حديث طويل على هذه النقطة وكرر عدلى باشا للسلطان ما قاله لملنر ثم عرفنى عدلى باشا نفسه انه سيحرر لسعادتكم بيانا عن هذه المسألة بالتفصيل ولذا اكتفينا بالتنويه عنها » .

عبد الرحمن فهمى

عدم موافقة ملنر على تغيير الوزارة

[٨٨٥] لما تم الاتفاق بين الوفـد وعدلى على أن يؤلف الأخير وزارة تجرى المفاوضة ويؤيدها الوفد عمل عدلى باشا من هذا الوقت على تحقيق تلك الفكرة وقد كاد ينجح سعادته فى ذلك لولا أن اللورد ملنر لم يوافق على تغيير الوزارة الآن . ولقد كتب عدلى باشا بذلك الى الوفد فى ٩ مارس سنة ١٩٢٠ وقد جاء فى خطابه ما يأتى :ـ

« فى يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٠ تقابلت مع اللورد ملنر وجرى لى معه الحديث الآتى » :

« قال : هل عندك شيء جديـد من زغلول باشا فقلت نعـم جاءنى ما يؤيد تلغرافه الذى بعثت بصورة منه اليكم قبل حديثنا الأخير (يشير الى البرقية التى أرسلها سعد باشا فى يوم ١٢ فبراير) . وانكم لتدركون حرج موقفى تلقاء هذا الموضوع لأن فيه ما يتعلق بشخصى » .

« فقال : ان الفكرة لاباس بها ولكن لا أرى من المصلحة تغيير الوزارة الآن لأنه اذا شكلت وزارة مهمتها المفاوضة فربما أعترض هذه صعوبات يكون من نتائجها سقوط هذه الوزارة على أن أعضاءها وهم الذين سيكون عليهم المعول فى ادارة شئون البلاد ، يجب الا يكونوا عرضة للتخلى عن خدمة البلاد لمجرد اشـكال يمكن أن يحـل فيما بعد ، فقلت له يبق اذن سوى حل واحد وهو أن تتفاوضوا مع الوفد » .

مشروعات رى السودان والاحتجاج عليها

[٨٨٦] في يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٠ وصل الى القاهرة اثنان من المهندسين الانجليز ولحق بهما في ٩ منه مهندس أمريكي ٠ ومهمة هؤلاء الثلاثة درس مشروعات رى السودان ٠

وقد أعدت الحكومة للمهندسين الفرقة الخاصة بوزير الحربية وأخذ الأولان فعلا في مباشرة أعمالها وسؤال المهندسين وغيرهم ممن لهم المام أو صلة بهذه المشروعات المتوقفة عليها حياة مصر والسودان معا ٠

والغرض من هذا المشروع رى جزء من أراضي الجزيرة (٣٠٠ ألف فدان) التي تبلغ نحو عشرة ملايين من الأفدنة وذلك بانشاء خزان في مكوار على النيل الأزرق وكذلك توفير الماء اللازم لمصر بانشاء خزان عند جبل الأولياء على النيل الأبيض ويستتبع بناء هذين الخزانين انشاء قناطر وخزانات أخرى ٠

ولهذا المشروع أهمية عظيمة في الخطورة بالنسبة لمصر اذ الخزانات المزمع انشاؤها من السهل بواسطتها حجز المياه التي تفيض على مصر هذا فضلا عن امكان تبديدها في المساحات الشاسعة الكائنة في السودان ٠

ومما يؤسف له ان الحكومة لم تستطيع أن تضم مهندسا مصريا واحدا في اللجنة التي أشرنا اليها في حين أن ذلك يتعلق بحياة مصر التي يتحتم عليها بلا ريب دفع كثير من هذه النفقات التي تستلزمها تلك المشروعات ٠

ولقد قامت على هذه المشروعات اعتراضات فنية واقتصادية وسياسية وصحية من الخبراء وذوى الرأى وبعضهم انكليز حتى أن اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال قدم استقالته في ١٠ فبراير سنة ١٩٢٠ لأنه لم يجب الى طلباته ولم يسترد استقالته الا في ١٧ منه بعد أن قرر مجلس الوزراء [٨٨٧] تعيين حسين واصف باشا عضوا في اللجنة المؤلفة لفحص المشروعات ٠

ولكن حدث بعد ذلك أن قوى تيار المعارضة فلم يجد سرى باشا بدا من تقديم استقالته في ٢٠ فبراير التي قبلت في اليوم التالى وخلفه في منصبه محمد شفيق باشا ٠

ولقد هبت الهيئات كلها بالاحتجاج على هذه المشروعات (١) ونحن تنبت للقارىء هنا احتجاجي لجنتى الوفد للرجال والنساء اذ هما يعبران تماما عن شعور الأمة ازاء هذه المشروعات الخطيرة : ـ

احتجاج لجنة الوفد المركزية

[٨٨٨] « حكم كثير من الاخصائيين بضرر مشروعات رى السودان على مصر وقد كان هذا الحكم كافيا لتقرير وقف تلك المشروعات حتى تفحص فحصا فنيا عادلا وتعرض نتيجة هذا الفحص على الأمة لتبت فى أمرها » .

« ولكن الحكومة لم تفعل شيئا من ذلك واكتفت بتأليف لجنة لم تقرها الأمة ولا يمكن أن يؤدى عملها الى ضمان مصالح البلاد » .

« على أننا اذا تركنا الوجهة الفنية جانبا ولم ننظر ألا للوجهة السياسية نرى أن من المحتم وقف هذه المشروعات لأن الأمة تطالب باستقلال وأدى النيل من منبعه الى مصبه ومصر والسودان كل لا يقبل التجزئة فأى مشروع يمس المصالح الحيوية بهذا الشكل لايجوز اخراجه الى حيز الوجود حتى يقرره ممثلو البلاد فهم وحدهم أصحاب الشأن فى ذلك من أجل هذا نطلب من الحكومة أن تقرر وقف هذه المشروعات حتى يبت فى المسألة المصرية العامة وترد الينا حقوقنا فيومئذ يعرض الأمر على الهيئة النيابية التى تمثل مصر المستقلة بجميع أجزائها لتصدر قرارها فيها » .

سكرتير اللجنة العام

عبد الرحمن فهمى   وكيل اللجنة (ابراهيم سعيد)

---

(١) حفلت الصحف خلال تلك الأيام بالهجوم على هذه المشروعات سواء بالمقالات أو باحتجاجات الهيئات السياسية .كما فعل الحزب الديموقراطى المصرى (انظر المحروسة فى ٢٣/٢/١٩٢٠) كما احتجت مجالس المديريات على المشروع الأمر الذى دفع قلم المطبوعات للتنبيه على الصحف « بالا تنشر شيئا عن اعتراضات مجالس المديريات أو احتجاجها على مشروع السودان » .

احتجاج لجنة السيدات

[٨٨٩] « ترفع لجنة السيدات للوفد المصرى صوتها بالاحتجاج على مشروع رى السودان للأسباب الآتية : —

« أولا : لأن الانجليز هم الذين وضعوه باعتبارهم أصحاب الشأن فى السودان مع أن مركز انجلترا هناك غير شرعى ولا يختلف فى بطلانه عن مركزها فى مصر فان كليهما قطر واحد لا يقبل التجزئة وحقها فى الاستقلال لايمكن انكاره ·

« ثانيا : لأن هذا المشروع ثبت ضرورة بدليل ما نشره الاخصائيون من كبار المهندسين مصريين وانجليز ·

« وعلى ذلك فاننا نضم أصواتنا الى صوت الأمة فى ضرورة وقف المشروع وقفا تاما حتى يفصل فى مسألتنا السياسية العامة لأن البت فيه يجب أن يكون من اختصاص المجلس النيابى الذى يمثل مصر والسودان بعد أن ترد حقوقهما اليهما ·

« واننا نطالب الوزارة بأن تنضم الى الأمة فى رأيها وتمنع تنفيذ هذا المشروع بجميع الطرق التى لديها فاذا لم تستطيع ذلك فعليها أن تتخلى عن منصبها حتى لاتتحمل تبعة هذا العمل الخطير » ·

التوقيعات

شريفة رياض · هدى شعراوى · عنايت سلطان · منيرة علوى · فكرية حسنى · نعمت حجازى · فريدة سينوت حنا · فايقة توفيق · احسان أحمد شاكر · روجينة خياط ·

ولقد كتبت الى الوفد بخصوص احتجاج لجنة السيدات وابتعاد [٨٩٠] شعراوى باشا عن العمل وعدم تضامنه مع المجاهدين ازاء هذه المشروعات فى تقريرى المؤرخ ٢ مارس سنة ١٩٢٠ ما يأتى : —

« من الغريب أنه بينما تحتج لجنة السيدات التى ترأسها السيدة حرم شعراوى باشا على مشروعات رى السودان وغيرها لراه هو لا يهتم بمثل ذلك واذا قيل ان السيدات أرشدته لتقديم مثل هذا الاحتجاج فقد توجه اليه بعض المهتمين بالأمر وطلبوا اليه ان يشترك معهم فى العمل

حيث اعتزم الكل على طلب عقد الجمعية التشريعية بصفة غير رسمية فأعتذر سعادته عن ذلك قائلا : ان المشروع سبق وبدىء فيه · والعمل جار فيه الآن فما معنى الاحتجاج اليوم » ·

« ذكرنا لكم هذا الخبر لتعرفوا مقدار اشتغال سعادته بالحركة العامة التى لم يهتم بالأشتغال فيها المتعلمون ومن على شاكلتهم فقط بل ان أقل طبقات الأمة علما وادراكا يشتغلون فيها أيضا كل بقدر ما آتاه الله من قوة » ·

عبد الرحمن فهمى

[٨٩١] ولقد كتب الى الوفد عن هذه المسألة التى شغلت بال المصريين جميعا فى تقريرى المؤرخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٠ ما يأتى :

« لقد أخذت مشروعات رى السودان اهتماما عظيما من الأمة بعد المحاضرة التى ألقاها ابراهيم أفندى زكى المهندس على جمع كبير من الأمة وفكر بعضهم فى ضرورة استدعاء مهندسين اختصاصيين من كبار مهندسى فرنسا وايطاليا وهولندة وأمريكا ورأى البعض أن الوفد هو أليق هيئة تقوم بهذا العمل · فما رأى سعادتكم فى ذلك مع اننا تحصلنا على معلومات هامة جدا ودقيقة وسرية للغاية فى هذا الموضوع وينقصنا بعض معلومات أخرى رسمية سرية موجودة بالسودان وقد شرعنا فعلا فى البحث عنها والحصول عليها والأمل عظيم جدا فى الوصول الى ذلك ان شاء الله · ففكروا فى الموضوع وعرفونا رأيكم فيه حتى ترد بعض المعلومات المشار اليها وقد شجعت ابراهيم أفندى زكى على طبع مذكرة بهذا الخصوص · وأمددته بالمعلومات التى تترى فى المحاضرة التى ألقاها وفى المذكرة التى شرع فعلا فى طبعها » ·

عبد الرحمن فهمى

فرد على الوفد فى تقريره المؤرخ أول مارس سنة ١٩٢٠ بما يأتى : ـ

[٨٩٢] « ان مسألة السودان مسألة مهمة جدا ولكنها مسألة داخلية لايمكن لدولة أجنبية أن تتدخل الآن فيها · ولم يكن لدينا معلومات كافية عنها ·

فهل يمكنكم أن تبعثوا الينا بجميع ما يتصل بكم من الكتابات المتعلقة بها سواء ما كتبته وكلكس (١) وغيره من المهندسين الأجانب والوطنيين » .

سعد زغلول

وكتب الى الوفد فى تقريره المؤرخ ٧ مارس سنة ١٩٢٠ ما يأتى : ـ

« ان الاقتراح الخاص بتأليف لجنة هندسية تبحث مشروعات السودان فى غاية الأهمية ونحن نبحث فيه بما يستحقه من العناية » .

سعد زغلول

بلاغ رسمى

عن مشروعات السودان

٨٩٣ ولقد أثمرت تلك الاحتجاجات ثمرتها المرجوة ولم تجد الوزارة ـ التى كانت أرغمت على الموافقة على تلك المشروعات الضارة ـ بعد مراجعة دار الحماية ـ بدا من اذاعة هذا البلاغ الرسمى فى ٣ مارس سنة ١٩٢٠ : ـ

« قد وضعت فى قلم المطبوعات لاطلاع الجمهور نسخ من مشروعات النيل التى حضرتها وزارة الأشغال وصادق عليها حضرة صاحب المعالى اسماعيل سرى باشا ، وكذلك وضعت نسخ من هذه المشروعات فى وزارة الأشغال وهى مستعدة لأعطاء البيانات والتوضيحات اللازمة بشأنها . والى اليوم لم يتم أى بناء من ابنية القناطر الواردة فى هذه المشروعات سواء على النيل الأبيض أو النيل الأزرق ولن يشرع فيها قبل ان تقدم اللجنة تقريرها وقبل تصديق السلطات المختصة عليها » .

« وكل من أراد من المهندسين المصريين الغير الموظفين زيارة مواقع الأعمال الخاصة بمشروعات النيل الأزرق والأبيض فلا مانع من الوجهة العامة من ذهابه اليها » .

---

(١) ولكوكس من أشهر مهندسى الرى البريطانيين الذين عملوا فى وزارة الأشغال المصرية .

الرغبة فى ضم محمود فايد بك الى اللجنة الانكليزية ورفضه ذلك

[٨٩٤] تمكنت الحكومة ان تحصل على اذن بضم أحد الخبراء المصريين الى اللجنة الانكليزية ولو أن هذا الضم عديم الجدوى . فلما عرضت الوزارة على محمود فايد بك وهو من كبار رجال الرى في مصر أن يكون ممثل الحكومة فى اللجنة المذكورة رفض .

واليك ما كتبته الى الوفد خاصا بهذا الأمر فى تقريرى المؤرخ ١٧ مارس سنة ١٩٢٠ وهو : ـ

« استدعى شفيق باشا وزير الأشغال الآن محمود بك فايد الذى كان موظفا بالرى من مدة وهو من خريجى مدرسة السنترال(١) بفرنسا وألح عليه كثيرا فى ان يقبل أن يكون عضوا باللجنة الانجليزية التى استدعيت لبحث مشروعات خزانات رى السودان وبعد الحاح طويل عليه من الوزير بلا جدوى قاده لمقابلة رئيس الوزراء وهذا بذل كل ما فى وسعه لاقناعه بالقبول فلم يقبل فأخذه بعد ذلك وزير الأشغال وقدمه للسلطان الذى ألح عليه كثيرا بالقبول فكان جوابه للسلطان أنه لا يمكنه قبول مثل هذا العمل قبل أن يستطلع رأى الأمة . ولما كرر هذه الجملة أكثر من مرة أمام السلطان قال له أين هو الرأى العام الذى تريد أخذ رأيه ؟ فقال له : هو يتشخص فى نوابه وهو الوفد ولجنته المركزية فأجابه السلطان قائلا (دول طالبين الاستقلال التام والانجليز الأمة العظيمة الكبيرة دى كيف تخرج من هنا واحنا بأخذنا خمسين فى المائة من حقنا أو حتى ٤٥ فى المائة فيه الكفاية فلا تضيع علينا هذه الفرصة يامحمود بك واقبل ما عرضه عليك شفيق باشا) فقال له يامولاى سأعمل الواجب . [٨٩٥]

ولما ألح عليه السلطان بعد ذلك قال له أنه لا يمكننى قبول هذه المأمورية قبل أن أعرف رأى الأمة فيها وبالفعل خرج من عند السلطان وأتى لنا ليلا بمركز اللجنة وقص علينا كل هذه الحكاية فاستلفتنا نظرة الى ما جاء بتقرير مستشار الأشغال من أن العمل بدىء فعلا على النهريين

---

(١) Ecole centrale من اشهر مدارس الهندسة فى فرنسا وتقع فى باريس وقد تخرج منها أيضا اسماعيل سرى اما محمد شفيق فقد كان خريج مدرسة المهندسخانة المصرية .

الأزرق والأبيض وهذا دليل على أن عمل اللجنة صورى · وأكثر من هذا أن صوتا واحدا لمصر في اللجنة لايمكنه اقنـاع أربعة أصوات لانجلترا واستخلصنا من ذلك ألا فائدة من انضمام أحد المصريين للجنة لئلا يقال فيما بعد أن العمل تقرر بحضور من يشخص مصر وعلى هذه القاعدة بنى جواب اعتذاره عن قبول المأمورية · ولكن الجواب كتب بغاية ما يمكن من الدقة خدمة للقضية العامة وسأجتهد فى الحصول على صورة هذا الجواب الحقيقية » ·

عبد الرحمن فهمى

الرقابة على الصحف

[٨٩٦] استدعى الكولونل سيمز صباح ٤ مارس سنة ١٩٢٠ مديري الصحف وأبلغهم رسميا قراره اعادة الرقابة التحفظية ووزع عليهم نسخة التعليمات الجديدة التى يتحتم على الصحف مراعاتها فرد عليه الصحفيون بقولهم : اننا نحتج على تقرير هذه الرقابة فى هذا الوقت الذى أطلقت فيه جميع صحف العالم من القيود الاستثنائية . فقال جنابه ان هذا الاحتجاج قد صار فى علمه .

أما التعليمات الجديدة فهذا نصها : ـ

« الى حضرات مديرى الصحف بالقطر المصرى .

« بناء على أمر جناب القائد العام ستراقب الصحف قبل نشرها ابتداء من يوم السبت ٦ مارس سنة ١٩٢٠ والغرض من هذه المراقبة هو تجنب كل المواد الصحفية التى من شأنها أن تهيج الرأى العام وتضر بالحكم النظامى فى هذا القطر . والمواد الآتية التى ظهرت فى بعض الصحف حديثا هى مواد غير مقبولة بنوع خاص .

١ ـ « ما من شأنه التشهير بالحكومة البريطانية أو الجيش البريطانى أو حكومة صاحب العظمة السلطان أو حكومات الحلفاء » .

٢ ـ « ما من شأنه اثارة العداوات دينية كانت أو جنسية فى أى طائفة من الأهلين » .

٣ ـ « البلاغات المفزعة أو الكاذبة من ... الخ مما يكون من شأنه الاخلال بالطمأنينة العامة » .

٤ ـ « الأنباء أو غيرها من المواد التى يقصد منها الاغراء على الاضراب أو تشجيع الموظفين العموميين على اهمال واجباتهم لأسباب سياسية» .

[٨٩٧] « هذا وان رئيس مراقبة المطبوعات وموظفيه سيراعون فى القيام بأعمالهم راحة رجال الصحافة بقدر الاستطاعة كما ان المطلوب من حضراتهم ان يقدموا معونتهم وان يتبعوا هذه التعليمات بولاء نصا ومعنى » .

رئيس مراقبة المطبوعات

م . ص . سيمز

ولقد نشرت « الوقائع الرسمية » الاعلان الآتى بتاريخ ٥ مارس ١٩٢٠ بتوقيع المارشال اللنبى وهو : ــ

« نظرا لما تنشره الصحف باستمرار من المقالات التى تخل بسلطة الحكومة والتى من شأنها الاغراء على احداث اضطرابات واتيان أعمال مناقضة للنظام والأمن العام ستكون المراقبة « على الصحف سابقة للنشر ابتداء من ٦ مارس سنة ١٩٢٠ » .

اضراب الصحفيين احتجاجا على الرقابة

وفى يوم ٥ مارس سنة ١٩٢٠ اجتمع أكثر من مديرى الصحف العربية وتباحثوا مليا فى القرار الصادر باعادة الرقابة على الصحف ثم قرروا احتجاب الصحف العربية ثلاثة أيام متوالية ابتداء من يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ .

وقد نفذ الصحفيون فعلا قرارهم فلم يظهر فى تلك الأيام الثلاثة من الصحف ألا بعض الوريقات الساقطة وهى قليلة جدا (١) .

---

(١) الصحف التى استمرت فى الصدور كما تقول الوثائق البريطانية هى المقطم والوطن ، والمنبر بالاضافة الى الصحف الأوربية .
F.O. 407/186, Allenby To Curzon March 4, 1920.

احتجاج لجنة السيدات

[٨٩٨] وقد انتهزت لجنة الوفد للسيدات هذه الفرصة وأصدرت الاحتجاج الآتى : —

« من المحزن أن تفاجأ الأمة بتقييد صحافتها واعادة الرقابة عليها فى الوقت الذى تنادى فيه برد حقوقها اليها كاملة غير منقوصة » .

« فالصحافة هى اللسان الساهر الأمين على حقوق الأمة وكل تضييق يصيبها لا يمكن تفسيره الا بأن هناك اعتداء يهدد هذه الحقوق » .

« الصحافة هى المعبرة عن الرأى العام فاذا ارادوا احاطتها بالقيود فما ذلك الا لأنهم يخشون حكم الرأى العام عليهم فهم يعملون على اخفاء هذا الحكم بطريق القوة » .

« الصحافة هى لسان الحق الذى يدافع به عن نفسه فكل من ارادها بسوء انما يبغى محاربة الحق لعلمه أن سياسته لا تتفق مع قواعد العدل والحق والحرية » .

« الصحافة لها فى البلاد المتحضرة أكبر مكانة ووظيفتها مراقبة الهيئات الحاكمة تلك المراقبة التى بغيرها لا ينصلح سير الحكومة » .

فمحاولة التخلص منها فى مصر انما هو نذير سوء يجب أن يقابل منا بالاحتجاج .

« من أجل ذلك »

« ترفع لجنة الوفد المركزية للسيدات صوتها بالاحتجاج على عودة الرقابة الصحفية طالبة أن تكون الصحف متمتعة بكامل حريتها » .

« فلتحى الحرية ويحى الاستقلال التام »

التوقيعات

هدى شعراوى . ألفت راتب . روجينة خياط . نعمت حجازى . منيرة علوى . عنايت سلطان . نعيمة أبو أصبع . فكرية حسنى . أستر فهمى ويصا . فريدة سينوت حنا . فائقة رفيق . احسان أحمد شاكر . برلنتى ويصا واصف . شريفة رياض .

انتهاء مامورية لجنة ملنر

ومغادرتهـا مصر

[٨٩٩] لما أنتهت مامورية لجنة ملنر على المنهـج الذى علمه القارىء غادر اللورد ملنر البلاد المصريـة فى الساعة الحاديـة عشرة من صباح يوم ٦ مارس سنة ١٩٢٠ الى القدس فى طيارة ومعه اثنان من أصدقائه الانكليز وقد خفرت طيارته ثلاث طيارات أخرى فوصـل اللورد الى القـدس فى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٠ بعد الظهر ٠

وقد سافر رفاقه الى تريستا حيث يصلون بعد يومين أو ثلاثة الى لندرة الا المستر سبندر الذى أصيب بصـدع بأضلاعه وهو يتنزه بجهة صقارة ، اذ ذهب مع قرينته الى الاسكندرية ليداوى فيها ٠

هذا وقد صدر البلاغ الرسمى الآتى فى ٦ مارس وهو : ـ

« رسمى ـ قد أنجزت لجنة ملنر أبحاثهـا فى مصر وأجلت اتمام عملها الذى ستعود اليه فى لندن بعد عيد الفصح لاعداد تقريرها » ٠

وقد عاد اللورد ملنر من رحلته فى فلسطين الى الاسكندريـة فى ٢١ مارس وأبحر منها الى انجلترا لاحقا بزملائه ٠

الكشـــافات :

١ ـ كشاف الاعلام
٢ ـ كشاف البلاد والاماكن
٣ ـ كشاف المعاهدات واللجان السياسية
٤ ـ كشاف الحوادث
٥ ـ كشاف الدوريات

قام باعـداد الكشـــافات

جمـال الدين مهنـــا

مســـئولة عطيــة

عـزة شوشـــان



كشـــاف الاعـــلام

(ق)

(ك)

كشاف البلاد والأماكن

كشاف الهيئات

كشاف المعاهدات واللجان السياسية

كشـــاف الحـــوادث

كشـاف الدوريات

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
الاعتداء على طلبة المدرسة الاعدادية الثانوية . .	٣٦٠
اقتراح سعد باشا بتاليف وزارة الثقــة	٣٥٣
عدلى باشا يرفض تحمـــل مسئولية المفـــاوضة وحده	٣٦١
مقابلة عدلى باشا لملنر والسلطان	٣٦٢
عدم موا.ـ"ة ملنر على تغيير الوزارة	٣٦٣
مشروعات رى السودان والاحتجاج عليها	٣٦٤
بلاغ رسمى عن مشروعات السودان	٣٦٨
الرغبة فى ضم محمود فايد بك الى اللجنـــــة الانكليزية	
ورفضــــه ذلك	٣٦٩
الرقابة على الصحف	٣٧١
انتهاء مامورية لجنة ملنر ومغادرتها مصر	٣٧٣



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٧١٨٢

ISBN — 977 — 01 — 3115 — 6



يتناول هذا الجزء من مذكرات عبد الرحمن فهمي تسعة شهور حاسمة في تاريخ الثورة ، وفي تاريخ عبد الرحمن فهمي . وفي تاريخ هذه المذكرات

وقد آثرنا أن نطلق على هذه الشهور فترة الحصار ليس سعيا وراء اختيار عنوان جذاب وإنما تعبيرا عن حقيقة الحركة الثورية وقتها . التي حاول الأنجليز فرض حصار على زعمائها في باريس . فردت عليهم بفرض حصار على مبعوثها إلى القاهرة وقد نجح هذا الحصار فيما يؤكده هذا الجزء من المذكرات .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٧٠٠ قرشا